مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويـــــات

كلمة الافتتاح. للأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع رئيس الاتحـاد	٧
كلمة التحرير. للأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا رئيس تحرير المجلة	٨
د. محمود أبو الحسن أحمد وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني.	١١
أ. د. أحمد بن عمر الزيلعي الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصري الجاهلي والإسلامي	٢٥
د. أماني خليفة محمد علي البحر علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي	٤١
د. مديحة محمد عبد العزيز الشرقاوي أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري.	٩٧
د. إبراهيم علي القلا وسائل الدعاية عند الفاطميين ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م	١٢٥
د. حنان عبد الفتاح مطاوع الخنجر نموذج لتطور صناعة السلاح في الأندلس.	١٦٩
د. عائشة بنت مرشود حميد معركة الصنبرة أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م.	٢٠٩
د. محمد أحمد محمد الكربوسي مدارس أسيوط في العصر المملوكي.	٢٢٥
د. محمد أحمد علي بهنساوي الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية.	٢٦٣
د. محمد سيد كامل محمد التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الايلخانيين.	٢٨٧

د. حسام محمود المحلاوي التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر.	٣١٧
د. محمد أسامة زكي زيد موقف ابن إياس من العثمانيين.	٣٣٩
د. حصة جمعان الهلالي الزهراني نتائج الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية.	٣٧٨

وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني
(دراسة في النظام الإداري للقرية المصرية)

د. محمود أبو الحسن أحمد (*)

يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت بمصر في النقوش والوثائق البردية اليونانية منذ القرن الثالث ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، وإن لم يكن بشكل متواصل خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة. فكانت أول اشارة لهذه الوظيفة في العصر الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي وبالتحديد في عام ٢٤٧/٢٤٨م في وثيقة من إقليم أوكسيرنخوس(١)، ثم كانت الإشارة الثانية في وثيقة من قرية ثيادلفيا بالفيوم في عام ٢٥٠م – ٢٥٣ م(٢).

ويبدو أن ظهور وظيفة الكومارخوس مرة أخرى خلال القرن الثالث الميلادي بعد أن كانت موجودة خلال حكم البطالمة، يتماشى مع الإصلاحات الإدارية التي حدثت في عهد الإمبراطور فيليب العربي، حيث اختفت وظيفة كاتب القرية التي كانت معروفة من قبل ثم حلت وظيفة الكومارخوس بدلاً منها، فكانت آخر إشارة إليها في وثيقة من اوكسيرنخوس في عام ٢٤٥ م (P.Oxy,xLii,3047)، وفي إقليم أرسنوي اختفى موظف الأمفودرخ كوموجراماتيوس (komgrammateus amphodarch) فكانت آخر إشارة إلى هذا الموظف في عام ٢٢٩/٢٣٠ م (B.G.U , vii, 1634)(٣).

تعيين الكومارخوس :

كان تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) في منتصف القرن الثالث الميلادي، يعد من اختصاص الإستراتيجوس (حاكم الإقليم) ، حيث كان كومارخوس القرية الذي شارفت مدة خدمته على نهايتها، يرفع تقريراً إلى الاستراتيجوس يوضح فيه أسماء الأشخاص المرشحين لتولي هذه الوظيفة بعد انتهاء فترة خدمته ، وكان لابد أن يتوافر فيهم عدة شروط أهمها: الصدق والأمانة وتحمل المسئولية، وكان من أول الوثائق التي أشارت إلى تعيين أحد الأفراد في وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني، وثيقة من هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨م نقرأ منها " إلى بروكليس procles استراتيجوس إقليم هيراكليوبوليس من اوريليوس هارمسيس Aurelius Harmasis من ....كومارخوس هذا المكان، على مسئوليتي و وفقاً لما هو متعارف عليه اخترت من يقوم بهذه المهمة للعام القادم ألا وهو: باكوس بن فيليب Pakoueis philppi وهو مؤهل لتولي أعباء هذه الوظيفة "(٤).

(*) مدرس بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

وفي بداية القرن الرابع الميلادي وبالتحديد عام ٣٠٧ م، ومع التغير الذي حدث في النظام الإداري في مصر، وهو ظهور الباجوس واختفاء التوبارخية من التقسيمات الإدارية داخل الإقليم، وما صاحب ذلك من ظهور وظيفة جديدة هي وظيفة حاكم الباجوس (المركز) Praepositus pagus والذي تمثلت مهمته في إدارة شئون المركز، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) من اختصاص هذا الموظف، وذلك من خلال تقرير يرفع إليه من كومارخوس القرية بالأسماء التي تم ترشيحها للوظيفة. فنقرأ في وثيقة من قرية كرانيس بالفيوم، ترجع إلى عام ٣٠٨م " إلى أوريليوس هيراكليدس حاكم الباجوس الخامس من أوريليوس إزيدورس سرابيون وأبون سيرون كومارخوي قرية كرانيس نعلمك ونقدم لك تقريراً عمن تم ترشيحهم لتولي منصب الكومارخوس للعام القادم وهم إزيدورس بن بطلميوس وبطلميوس بن باتيستيس "(٥).

ونقرأ في وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٣٢٦م: من أوكسيرنخوس " إلى أوريليوس خايريمون حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس بيتيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي قرية ثيادلفيا فإنه نظراً لإستكمال مدتنا القانونية لهذا العام في وظيفة الكومارخوس نعلنك ونقدم إليك تقريراً على مسئوليتنا بخصوص اختيار من نرشحهم لشغل وظيفة الكومارخوس للعام الخامس عشر، وسوف تدرج أسماؤهم أسفل وهم من ذوي الأملاك ويتمتعون بالصدق والأمانة وقد قبلوا بالقيام بأعباء هذه الوظيفة(٦). وتفيد إشارة أخرى إلى تعيين الكومارخوس من قبل حاكم الباجوس ترجع إلى عام ٣٥٠م، في وثيقة من هرموبوليس نقرأ منها " إلى أوريليوس ديوكليس حاكم الباجوس الثاني عشر بالإقليم من أوريليوس بيسيس Aurelius Pusios وأوريليوس باسوتيس Aurelius pasotes والإثنان كومارخوي قرية أبيون Apion في الجزء الأعلى من الباجوس الذي هو تحت سلطتك، نخبرك ونعلمك بأسماء الأفراد الذين سوف يتولوا الوظائف الإلزامية للعام القادم ومنهم ديمتريوس بن بينوتيتوس Demetrius pinoutions لوظيفة الكومارخوس"(٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق: أن الاستراتيجوس (حاكم الإقليم) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس وذلك بعد ترشيح من قبل كومارخوس القرية القائم بالعمل، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدوث التغييرات الإدارية التي شهدتها مصر، وجدنا أن حاكم الباجوس (المركز) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس، ويدل ذلك على أن الهدف من هذه التغييرات الإدارية، هو تقليص المركزية في النظام الإداري وإعطاء حاكم الباجوس سلطات أكبر مما كانت عليه من قبل .

وفي الغالب الأعم كان منصب الكومارخوس يتولاه إثنان من الموظفين داخل كل قرية(٨)، أما في بعض الحالات النادرة فكان يتم تعيين موظف واحد لهذه الوظيفة، حيث أشارت إحدى الوثائق من إقليم هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨م (P.Oxy,xvii,No.3178.) إلى تعيين موظف واحد لوظيفة الكومارخوس، بينما أكدت وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نفس

الفترة تقريباً وبالتحديد في عام ٢٤٧م وجود إثنين من الكومارخوس بحكمان قرية نيمسيس Nesmimis بأوكسيرنخوس وهما : أوريليوس ديونيسيوس Aurelius Dionsios وديونيسيوس بن ديونيسيوس Dionysios Dionysio، ومن ثم فمن المحتمل أن يكون زميله في الوظيفة لم يكن أنهى مدة خدمته(٩).

ومن الجدير بالذكر أن هناك بردية أشارت إلى تعيين ثلاثة أفراد في وظيفة الكومارخوس بقرية ميرميرثا بأوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣٤٦م نقرأ منها " أنه في السابع والعشرين من شهر توت تم إرسال رسالة إلى أوريليوس سارابامون بن أيولوجيوس Aurelius Sarapmon Aulogios حاكم الباجوس الأول بإقليم أوكسيرنخوس كلّ من أوريليوس حورس بن هوريون Aurelius Horos Hrion وباتيخوتيس بن حورس وبطلميوس بن هرمياس، والثلاثة من قرية ميرميرثا وكومارخوي القرية(١٠).

بل يمكن القول أيضاً بأن هناك أربعة أفراد قد تولوا منصب الكومارخوس لقرية فيلادلفيا لعام ٣٤٧ م وهم: " أوريليوس أمونيوس بن أكوسيس Aurelii Amonianos Ekysis و اللونيوس بن ثيوس Allonios thios وتيماجينيس أسيون Timaggenes Asion وأموس بن هاتريس mous Hatres (١١).

ولعل السبب وراء تولي أكثر من فرد لهذا المنصب، هو كثرة المهام والأعباء المتعلقة بهذه الوظيفة، فكل الأمور المرتبطة بالدولة داخل القرية كانت تسند إلى من يقوم بهذه الوظيفة، ولعل من يمعن النظر في فلسفة النظام الإداري للدولة الرومانية والحكم الروماني في مصر يجد أن هناك سبباً أخر في غاية الأهمية وهو أن الدولة الرومانية كانت تخشى أن ينفرد شخص واحد بإدارة هذه الحلقة الهامة والرئيسية داخل النظام الإداري، ويؤكد ذلك أن كل قرارات موظفي الكومارخوي كانت يجب أن تتم بالإجماع ولايحق لفرد واحد من بين المعينين بهذه الوظيفة أن يقوم بإصدار القرارت منفرداً.

وكان تعيين الكومارخوس يتم في معظم الأقاليم في شهر مسري Mesori (أغسطس) قبل بداية شهر توت thoth (سبتمبر) بداية العام الجديد وفيما يلي عرض لبعض الوثائق التي توضح ذلك .

الوثيقة	التاريخ	اسم الموظف	المكان
p.Oxy, 2714	٢٩ أغسطس ٢٥٦م	أوريليوس اجونيس أوريليوس باتاوريس	أوكسيرنخوس
P.Oxy,.3178.	أغسطس ٢٤٨ م	باكوس بن فيليب	هيراكليوبوليس
p.cairo-Isid,125	١٦أغسطس ٣٠٨م	إزيدورس بن بطلميوس	كرانيس (أرسنوي)
P.Got, 5	١٩أغسطس ٣١٨م		
p.S.B,vi,9544	٢٤أغسطس ٣٢١م		بانوبوليس
P.sakon52	١٩ أغسطس ٣٢٦م	بينيس بن ساكون	ثيادلفيا

مـدة حكم الكومارخوس :

فيما يتعلق بمدة شغل الكومارخوس للوظيفة، في المعتاد كانت تستمر لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد شغلوا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة وفيما يلي عرض لبعض الوثائق :-

**** كومارخية قرية ثيادلفيا:**

المصدر	التاريخ	الاسم	العلاقة
P. Sakon, 58.	يوليو ٢٩٩	بايميس ساتابوس	اخو ساكون
P. Sakon, 58.	يوليو ٢٩٩	أوريليوس ميلاس	ابن عم ساكون
P. Sakon,13.	٣٠٦/٣٠٧م	ساكون ساتابوس	
P. Sakon,18.	٣٠١١/٣٠١٢م	ساكون	
P. Sakon,51.	٣٢٣/٣٢٤م	ساكون	
P. Sakon,51.	٣٢٣/٣٢٤م	أوج بن ميلاس	ميلاس بن عم ساكون
P. Sakon,23.24.	٣٢٤/٣٢٥	ساكون	
P. Sakon,52.	٣٢٥/٣٢٦	بينيس	بن ساكون
P. Sakon,52.	٣٢٥/٣٢٦	زيلوس بن ميلاس	ميلاس بن عم ساكون
P. Sakon,52.	٣٢٦/٣٢٧	انطونيوس	بن ساكون
P. Sakon,52.	٣٢٦/٣٢٧	كوتياس	بن ميلاس
P. Sakon,25.	٣٢٧/٣٢٨	بتياس	بن ساكون
P. Sakon,29.	نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع	بتياس	بن ساكون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**** كومارخية قرية فيلادلفيا:**

المصدر	التاريخ	الاسم	العلاقة
P. Gen,70.	٣٧٢م	أوريليوس أمونيوس	بن بكوسيس pekysis
P. Gen,66.	مايو ٣٧٤م	أوريليوس أمونيوس	بن بكوسيس
P. Gen,67.	٣٨٢م	أوريليوس أمونيوس	بن بكوسيس
P. Gen,69.	٣٨٦م	أوريليوس أنيانوس	بن بكوسيس

** كومارخية قرية كرانيس:

المصدر	التاريخ	الاسم	العلاقة
p.Cairo-isid.125	٣٠٧م/ ٣٠٨م	اوريليوس ازيدورس سرابيون وأيونيوس سيرنوس	
p.Cairo-isid.54.	٣١٤م	اوريليوس ازيدورس بن بالنيوس واوريليوس دولوس	
p.Cairo-isid.57.	٣١٥م	أوريليوس أرستون وأوريليوس جيرمانوس	

** إشارات متفرقة :

المصدر	التاريخ	الاسم	المكان
p.oxy,2123	٢٤٧م	اوريليوس ديونيسيوس وديونيسيوس بن ديونيسيوس	قرية نيسميمس باوكسيرنخوس
p.Cairo-isid.128	٣١٤م	اوريليوسرابيون واوريليوس ارتميدوس	قرية بوتو بممفيس
p.oxy,3774.	٣٤١م	ايدايمون بن هيراكس وحستينوسين بطلميوس	قرية سيفو بالباجوس السابع بأوكسيرنخوس
p.oxy,4128.	٣٤٦م	أوريليوس حورس بانيختوتيس بن حورس بطلميوس بن هرمياس	قرية ميرمرثه بالباجوس الاول بأوكسيرنخوس
p.oxy,2232.	٣٥٠م	أوريليوس باوسيريس اوريليوس هوريون	قرية كيسموخيس بالباجوس الثامن بأوكسيرنخوس
p. Amh, 139.	٣٥٠م	أوريليوس بيسيس اوريليوس باسوتيس	قرية ابيون بالباجوس الثاني عشر بهرموبوليس

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

ومن خلال النظر في هذه الإشارات يتضح لنا أن الكومارخوس كان يشغل هذا المنصب في الغالب لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد قد شغلوا هذا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة ، ففي قرية فيلادلفيا في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، نجد أن أوريليوس أمونيوس كان كومارخوس في عام ٣٧٢م، ٣٧٤م، و٣٨٢م فضلاً عن أن أخاه أوريليوس أنياتوس قد تولى ذات المنصب في عام ٣٨٦م.

و في قرية ثيادلفيا نجد أن أفراد عائلة أوريليوس ساكون قد شغلوا منصب الكومارخية في القرية في الفترات ٢٩٨/٢٩٩م، ٣٠٦/٣٠٧م، ٣١١/٣١٢م، ٣٢٤م، ٣٢٥م، ٣٢٦/ ٣٢٧م، ٣٢٧/٣٢٨م. فضلاً على أن ساكون شغل المنصب لفترتين متتاليتين ٣٢٣/٣٢٤م، ٣٢٤/٣٢٥م، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل ربما على اكتساب بعض موظفي الكومارخوس ثقة حاكم الباجوس مما يؤهله للاستمرار في أداء مهام وظيفة الكومارخية لأكثر من عام.

ومن الجدير بالذكرأيضاً أن هناك أشارت إلى أن بعض موظفي الكومارخوس قد عقدوا اتفاقيات فيما بينهم، وذلك لتحديد الأفراد الذين سوف يخلفوهم في القيام بمهام هذه الوظيفة، فهناك وثيقة من قرية فيلادلفيا ترجع إلى عام ٣٨٧م أتفق فيها كلٌ من أوريليوس هول Aureli Hol كومارخوس القرية للعام الثالث من حكم دقلديانوس والثاني من حكم ماكسيميانوس مع كورنوليس Corenelius الكومارخوس لنفس القرية، على أن يتم تعيين الأخير في وظيفة الكومارخوس للعام القادم ومع انتهاء مدة خدمته، يقوم كرونوليس بتعيين ديوسكوروس Dioscorus أخو هول في نفس الوظيفة للعام الذي يليه، وفي حالة نقض أي من الطرفين للإتفاق سوف يقوم بدفع غرامة قدرها ٢٠٠٠ دراخمة فضية العام الثالث من حكم دقلديانوس والثاني من حكم ماكسيمياتوس (٢). وتكررت نفس الحالة في وثيقة من قرية ثيادلفيا، حيث أتفق كلٌ من بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي القرية لعام ٣٢٥/٣٢٦ على أن يتولى الوظيفة للعام القادم كلٌ من أنطونيوس بن ساكون وكونياس بن ميلاس (٣). وفي وثيقة ثالثة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٥٦م قام باتاوريس بن سارس كومارخوس قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، بترشيح أخوه تاليميهوس Talemaeheus بن ساراس عن العام الرابع لوظيفة الكومارخوس (٤).

ولعل السبب وراء ذلك كان يتمثل في أن الأفراد الذين كانوا يشغلون منصب الكومارخوس، كانوا يميلون إلى إسناد الوظيفة للمقربين منهم حيث إن ذلك المنصب كان يعطي شعوراً بالمروءة والفخر، فكل الأعمال داخل القرية كانت تدور من حول هذا الموظف، فهو المسئول عن جمع الضرائب والديون وتأجير أراضي الدولة للأفراد والتعاون مع الشرطة في القبض على الخارجين عن القانون، ويؤكد ذلك أنه على الرغم من أن كثيراً من البرديات أشارت إلى تضاؤل شعبية الوظائف الإلزامية في مصر في القرن الرابع الميلادي ورغبة الكثير من الموظفين في التخلي عنها بالهروب أو الإبدال، إلا أننا لا نجد مثالاً واحداً لكومارخوس يحاول الهروب من تقلد مهام وظيفته، بل على العكس تجدها مصدراً لكسب المال وإن كانت بطرق غير مشروعة (٥).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مهام ومسئوليات الكومارخوس(عمدة القرية)

تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس، حيث اشتملت على تسيير كل الأعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأشخاص الذين سوف تسند إليهم الوظائف والأعمال الإلزامية وجمع الضرائب عن القرية بالإضافة إلى سلطات شرطية.

وخلال الصفحات التالية سوف نتناول تلك المهام والمسئوليات بشئ من التفصيل وذلك على النحو التالي:

١- المهام المتعلقة بترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الإلزامية:

كان الكومارخوس يرفع قائمة بأسماء الأفراد والمرشحين للقيام بالوظائف والأعمال الإلزامية إلى الأستراتيجوس وذلك منذ بداية ظهور وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، ومع بداية القرن الرابع الميلادي وحدوث تغييرات إدارية أصبح الكومارخوس يرفع تلك القائمة إلى حاكم الباجوس من أجل التصديق عليها واعتمادها.

ونقرأ أولى الوثائق الدالة على ذلك، وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٤٨/٢٤٧م بخصوص تعيين إثنين من المساعدين لم يتم تحديد المهام التي سوف يقومون بها " إلى أوريليوس فيلوكسينيس استراتيجوس مدينة أوكسيرنخوس من أوريليوس ديونيسيوس الأصغر بن خيراس وديونيسيوس بن ديونيسيوس والإثنان كومارخوي قرية نيمسيس وكاتبا هذه الوثيقة حيث يطلبان تعيين هذين المساعدين خلال العام القادم وهو العام الخامس من حكم فيليب وهذان المساعدن هما: أوريليوس ثيوناس بن هاتريس و......" (٦').

كما توجد وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٢٥٦م بخصوص ترشيح أفراد في وظائف مختلفة داخل القرية بواسطة الكومارخوس نقرأ منها: " إلى أوريليوس سابينوس **Aurelius Sabinos** استراتيجوس إقليم أوكسيرنخوس من أوريليوس باجونيس بن .... **Aurelius Pagonis** وأوريليوس باتاوريس بن سارس **Aurelius Patauris Saras** والإثنان كومارخوي قرية بانيوي **paneui** عن العام الثالث ، نقدم قائمة بأسماء المرشحين لتولي المهام الإلزامية عن العام الرابع من سكان القرية وهم تاليميهوس **Talemaeheus** بن ساراس **Saras** وأمه تسمى هيليني **Helene** و باتوس **Patos** بن هيراكليوس **Hracleus** لوظيفة الكومارخوي وياتارخس **Patarchs** بن بيكسيس **Pekysis** لوظيفة الأمن وكاستور **castor** بن تليماخوس **Telemachus** لوظيفة حراسة الحقول وبلوتيون بن ديوجاس وأمونيوس بن بيكسيس **Ammonios Pekysis** وبابونتوس بن فالون **Papontos phalon** لوظيفة حراسة الحنطة المدروسة (٧').

وهناك وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣١٦م، نقرأ منها: " إلى أوريليوس هيراس بن ديونيسيوس حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس باتيروس بن منخيس التيسراريوس وأوريليوس باوسيريس بن فلافيوس وأوريليوس هوريون والإثنان كومارخوي قرية كيسموخيس بالباجوس، نرشح للقيام بوظيفة جامعي اللحوم والقش أشخاصاً مناسبين للقيام بهذه المهمة وهما: أوريليوس ثونيس لجمع اللحوم وأوريليوس باتثيروسين أمونيوس لجمع القش (٨').

وكان الكوماركوس مسئولاً عن ترشيح موظف التيسراريوس حيث يتضح ذلك من وثيقة ترجع إلى عام ٣٢٢م، وهي عبارة عن خطاب موجه إلى حاكم الباجوس الثاني بإقليم ....من أوريليوس بنوينتيريس Aurelius Pneponteris وأوريليوس بسنبنوثيس Aurelius Pserpnouthes الكوماركوي، حيث ترشح لمنصب التيسراريوس بسرنبنوثيس بن سرابيون Pserpnouthes Sarapion في الفترة ما بين شهر فامينوث phamenoth إلى شهر توت thot من العام الجاري (١٩).

وكان ترشيح السيتولوجوي والأبتيتاي داخل القرية من اختصاص الكوماركوس ، حيث يتضح ذلك في وثيقة من قرية ثيادلفيا ترجع إلى عام ٣٤٢م، نقرأ منها: إلى فيلاتاس Philatos حاكم الباجوس الثامن من ساكون بن ساتابوس Sakaon Satabus ورفيقي أوج بن ميلاس Aoug melas والإثنان كوماركوي قرية ثيادلفيا، نرفع إليك تقريراً على مسئوليتنا المشتركة بالأفراد المرشحين لتولي منصب السيتولوجوي والأبتيتاي بالقرية للعام الثاني عشر واختيارهم على مسئوليتنا المشتركة، وأسماؤهم مدرجة أسفل و قد قبلوا القيام بمهام هاتين الوظيفتين بكل صدق وأمانة وفقاً لما هو متعارف عليه (٢٠).

ويتضح لنا من خلال العرض السابق ان كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت ضمن اختصاصات موظف الكوماركوس، فهو المسئول الأول عنها وذلك من خلال اختيار الأفراد ورفع أسمائهم كمرشحين الى رؤسائه .

٢- المهام المتعلقة بجمع الضرائب في القرية.

كان من بين المهام والمسئوليات المنوط بها الكوماركوس الإلتزام بجمع الضرائب المقررة على القرية، وهذا ما بدا واضحاً في بعض الوثائق البردية، فهناك وثيقة ترجع إلى عام٣١٥م، هي عبارة عن إيصال يفيد استلام أوريليوس كلوثوس قائد المركب واحد وعشرين ونصف أردب من الشعير من أوريليوس أرستون و أوريليوس جيرمانوس كوماركوي قرية كرانيس (٢١). كما توجد وثيقة أخرى من نفس القرية ترجع إلى عام ٣١٥م تفيد بأن أرستون وجيرمانوس الكوماركوي قد قاما بتسليم كميات من الخشب للجنود من أجل إيقاد النار وطهي الطعام وهي الحصة المقررة على القرية (٢٢).

كما كان الكوماركوس مسئولاً عن توفير الاحتياجات الضرورية للأفراد العاملين بالجهاز الإداري للدولة، وهو ما بدا واضحاً في وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلاديين، هي عبارة عن خطاب موجه من الاستراتيجوس إلى كوماركوس قرية ثيرسيس يأمره فيه بتجهيز حمارين وحارس للشخص الذي سوف يسلمه الخطاب (٢٣).

من خلال العرض السابق يتبين للباحث أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت من بين مهام ومسئوليات الكوماركوس، فهو المسئول الأول عنها، وذلك من خلال إعداده قائمة بالأسماء المرشحة لكل وظيفة ومهمة إلزامية، ثم رفع تلك القائمة إلى رؤسائه.

٢- المهام والمسئوليات الشرطية للكومارخوس:

تعددت المهام والمسئوليات الشرطية التي كانت تمتد إلى الكومارخوس في العصر الروماني في مصر، وكان من أبرز تلك المهام ضبط الأفراد الخارجين عن القانون، وهو ما ظهر واضحاً وجلياً في وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، وهي عبارة عن أمر ضبط موجه من رئيس المجلس التشريعي إلى الكومارخوس بحق رجل يعمل في وظيفة nomophlaki (وظيفة شرطية)(٤).

ولقد اتسعت سلطات الكومارخوس لتشمل بالإضافة إلى القبض على الأفراد الخارجين على القانون داخل القرية القبض على الأفراد الفارين من القرية إلى قرى أخرى هرباً من الأعباء الإلزامية، ففي وثيقة من منف ترجع إلى عام ٣١٤م هي عبارة عن تقرير مرفوع من موظفي إحدى القرى إلى موظفي قرية أخرى جاء فيه: " من أوريليوس باكيمنينوس Pacimnenous التيسراريوس وأوريليوس سرابيون وأوريليوس أرتميدوس Artemidous بن باموثيس Pamuthis. والإثنان كومارخوي وأوريليوس ناراوس Naraous مدير مكتب الشرطة والجميع من قرية بوتو Buto في إقليم ممفيس إلى أوريليوس إزيدورس التيسراريوس لقرية كرانيس نرسل إليك قائمة باسماء الأشخاص الذين فروا من قريتنا إلى قريتكم، حيث نعلمك بهم لكي تسلمونا إياهم، علماً بأننا لا يمكننا أن نوجه أية اتهامات ضدكم أو ضد قريتكم (٥)".

بعض التجاوزات القانونية للكومارخوس

اتسم سلوك و أداء معظم من شغل منصب الكومارخوس في العصر الروماني بالاستقامة ، غير أن الصورة لم تكن دائماً ناصعة البياض ، حيث ظهر بعض الانحراف والتجاوزات في سلوك بعض هؤلاء الكومارخوي و يتضح ذلك من خلال ثلاث وثائق وردت في أرشيف أوريليوس أزيدورس رقم 71، 72، 73. والوثيقة الأولى والثانية كانتا عبارة مكفرة للوثيقة الثالثة التي تضمنت إلتماساً تم رفعه إلى والي مصر ضد كلٍ من كومارخوس قرية كرانيس لعام ٣١٤م وحاكم الباجوس التابعة له القرية ولقد ورد في هذا الإلتماس الأول تقدير الضرائب المفروضة على قرية كرانيس في كومارخية إزيدورس بن بيلنيوس Isidorus Pelneius وبيانها كالتالي:

- التقدير الأول ١٠٥ تالنتا.
- التقدير الثاني ٤٠ تالنتا .
- التقدير الثالث ٢٣ تالنتا .
- التقدير الرابع ٧ إردباً من القمح .
- التقدير الخامس ٤٦ تالنتا و ٤٠٠ دراخمة
- التقدير السادس ٣ إردباً chick peas و ٢ إردب فاصوليا و ٢ إردب من الثوم .

وأشار مقدما الإلتماس أن الكومارخوس قام بفرض هذه الضرائب كما يحلو له ووفقاً لهواه، وذلك دون الرجوع إلى التيسراريوس والكودراي أو الإستفسار منها، وذلك بالتواطوء مع

حاكم الباجوس، ولم يبد كلّ من الكومارخوس وحاكم الباجوس أي اهتمام بحدود سلطاتهم الشرعية والقانونية (٦).

كما تضمنت الوثيقة الثانية بعض تجاوزات الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث نقرأ فيها: " لقد قامت القرية بشراء حمارين بمبلغ ٤٠ تالنتا فضية، وتم إرسال هذين الحمارين إلى الإسكندرية للقيام ببعض المهام، وعند عودتهما من الإسكندرية قام حاكم الباجوس ببيع أحدهما لحسابه الخاص بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم استخدم الحمار الآخر في حمل الفاصوليا إلى مسكنه الخاص وذلك بالتواطؤمع االكومارخوس، وكأن ممتلكات القرية وحيواناتها ملكاً خالصاً له دون منازع (٧).

أما الوثيقة الثالثة فنقرأ فيها التماساً تم رفعه إلى والي مصر جوليانوس جوليانوس من كل من: إزيدورس التيسراريوس لقرية كرانيس وباليمون الكودراي لنفس القرية، يوضحان فيه أن الفلاحين الضعفاء يعانون الكثير على يد كل من: حاكم الباجوس ثيودورس والكومارخوس، فهما يلعبان دور الطاغية، فالكومارخوس بالتواطؤ مع حاكم الباجوس يفعل في القرية مايحلو له فهناك مبالغ كبيرة تم تقديرها بشكل غير قانوني كضرائب تجاوزت ٣٠٠ تالنتا، ولا نعلم أين ذهبت هذه المبالغ، والأنكى من ذلك أنه استولى على جانب من اموال القرية والتي تتمثل في: ثمن جلود بعض الحيوانات ومبلغ ست وخمسون تالنتا هي حصيلة بيع جمل وحصان وفائض عشرة إردب من الأرض المنتجة قد اخذها لحسابه الخاص. ثم قام بتخصيص إتانين (الإتان هي أنثى الحمار) لصالح منزله كان قد اشتراهما باربعين تالنتا فضية ثم قام بيبع واحدة منهما دون إبداء الأسباب بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم قام بسرقة ثلاثين خروفاً أيضاً و ٤٧ تالنتا فضية والأكثر من ذلك أنه استخدم الحمير المملوكة للقرية بشكل غير قانوني في نقل الفاصوليا إلى منزله، ونحن نأمل بأن تأتي إلى المقاطعة من أجل مواجهة طغيان كل من حاكم الباجوس والكومارخوس " (٨). ونرى هنا أن التيسراريوس والكودراي قد قاما برفع الإلتماس إلى والي مصر مباشرة وتجاوزا حاكم الإقليم، مما يوضح حجم التجاوزات التي تمت من قبل كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث أنهما يطلبان في هذا التقرير من والي مصر الحضور إلى المنطقة لمواجهة هذين الموظفين الفاسدين.

وفي وثيقة رابعة من قرية منديس ترجع إلى الفترة من ٢٤٥: ٣٠٢ م، هي عبارة عن التماس موجه إلى أوريليوس سرابيون وأبولونيوس أكسجتيس Exegetes المدينة حيث تضمن هذا الالتماس شكوى ضد كومارخوس القرية وذلك لطلبه رشوة من أجل تسهيل نقل ميراث إلى أصحابه (٩).

وهناك وثيقة أخرى ترجع إلى القرن الرابع الميلادي هي عبارة عن أمر ضبط من الاستراتيجوس إلى مسئول الأمن و الموظف العام Demosios يطلب فيه منهما أنه عندما يصلهما هذا الخطاب فعليهما أن يقوما على الفور بإرسال جامع ضريبة الأنونا عن العام الرابع ومعه الإيصالات الخاصة بجمع ضريبة القش وحسابات الإيصالات الخاصة بالشعير كما أن عليهما أن يرسلا معه أيضاً خايريمون الكومارخوس السابق (١٠).

وليس بالضرورة أن نفهم من هذه الإشارات أن هناك تجاوزات وانحرافات متعددة لموظفي الكومارخية، وخاصة أن كل الأمور داخل القرية كانت تتم أمام عينيه وبمعرفته، وربما يرجع السبب وراء قلة إنحرافات وتجاوزات الكومارخوس إلى قصر مدة حكمه، وهذا ما كانت تنشده الدولة الرومانية في مصر، وبالتالي لم تكن لديه فرصة للقيام بأية الاعيب، كما أن قضية استقامة الحكم وشفافيته في القرى المصرية إنما هي مسئولية مشتركة بين كافة الموظفين مما دفعهم إلى مراقبة بعضهم البعض .

وفي نفس الوقت كان يتعرض موظف الكومارخوس للعنف والأهانة من بعض الأفراد المتملصين من تأدية الأعمال الألزامية، وهذا يبدو واضحاً في وثيقة من قرية كلليس ترجع إلى عام ٣٥٣م عبارة عن التماس موجه إلى فلافيوس فاوستيانوس حاكم إقليم طيبة من أوريليوس جبنا بن أونسيوس كومارخوس قرية كلليس التابعة لإقليم موط ،يشكو فيها من تعرضه للأساءة و الأهانة علي يد أحد الأفراد الذين تم ترشيحهم للقيام بالأعمال الألزامية ، وذلك بمعاونة عدد من الأفراد داخل القرية (٣١)

ومن خلال العرض السابق يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت في مصر خلال العصر الروماني وبالتحديد في منتصف القرن الثالث الميلادي ، وذلك بعد أن كانت موجودة خلال فترة حكم الملوك البطالمة . وكان الأستراتيجوس هو القائم علي تعين موظف الكومارخوس، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدوث التغيرات الإدارية التي شهدتها مصر وجدنا أن حاكم الباجوس هو القائم علي تعينه . وفي الغالب الأعم كان يتولى منصب الكومارخوس إثنان من الموظفين داخل كل قرية لمدة عام واحد . وقد تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس داخل القرية ، حيث اشتملت على تسير كل الاعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية ،ويأتي في مقدمتها ترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الألزامية وجمع الضرائب بالأضافة إلى بعض المهام الشرطية .

الهوامــــش

(1) P. Oxy , xvii , No.2123.
Αυρηλιω Φιλοξενω στρατηγος Οξιυρυγχιτου
παρα Αυρηλιων Διονσιου νεωτερου χαιρα
τος μητρος ταφιλωνος και Διονυσιος
Διονυσιου μητρος Θαησιος αμφοτεροι κωμαρχων κωμης
Νεσμειμεως

(2) P. S.B , vi , No.9408,9 .
ترجع أول أشارة إلى وظيفة الكومارخوس في العصر البطلمي إلى عام ٢٦٢ ق.م (P.petrie, iii, 89.399) واستمرت الإشارة إليه حتى عام ١١٢ ق.م (P.Tebt , 159) ومن الإشارات التي وردت في القرن السادس أنظر : (P.Oxy.no.1835 نهاية القرن الخامس م وبداية القرن السادس. م) ، (P.Oxy .no 1930 القرن السادس .م).

(3) Thomas , the introduction of the dekaprotoı and comarchos, Z.P.E.,19 1975, pp. 114- 115.
للمزيد عن موظف كاتب القرية في مصر في العصر الروماني أنظر رجب سلامة: كاتب القرية في مصر في العصر الروماني، رسالة ماجستير،غير منشورة،١٩٩٧، كلية الاداب، جامعة عين شمس.

(4) P. Oxy , xvii , No.3178.
Κορνηλι.....καιΠροληςστραηγος Ηρακλεοπολειτυ Αυρηλιου....νου
Αρμυσιος απο επικιου ερημου. .. κωμαρχου του αυτου εποικιου
للمزيد عن الوثائق التي اشارت إلى تعين الكومارخوس : (هرموبوليس P.Flor,1.2.265 A D) - (P.Goth,5 . 318 A.D) - (بانوبوليس P.S.B.9544.322A.D)

(5) P.cairo- Isid , 125 .
Αυρηλιω Ηρακλεδη πραιοσιτω ε παγου παρα Αυρηλιων Ισιδωρου
Σαραπιωνος και Αιωνεως Συριωνος αμφοτερων κωμαρχων κωμης
καρανιδος διδωμεν και εισαγγελλωμεν τω ιδιω ημων κινδυνω τους
εξης ενγεγραμμενους κωμαρχας του εισιοντος ιζ ετους
كان موظف الديويقتيس هو المسئول الأول عن تعين العمد في العصر البطلمي .
حنان محمداسماعيل : االنظام الإداري في القرية المصرية في عصر البطالمة ، راسالة ماجستير غير منشورة ،٢٠٠٥، كلية الاداب، جامعة عين شمس،ص ١٣٧.

(6) P.Sakon , No.52.
(7) P. Amh, No. 139.

(8) P. Amh, 139 & P. Oxy, 2232.
(9) P. Oxy, xvii, No.2123.
(10)P. Oxy , xvii , No. 4128.
Αὐρηλίῳ Σαραπάμμωνι Εὐλογίου πραιποσίτῳ α πάγου> νομοῦὈξυρυγχίτου παρα Αὐρηλίων Ωορου Ὡρίωνος καὶΠανεχώτου Ωορου και Πτολεμαιου Ερμου των τριων απο κωμης Μερμέρθων α παγου του αυτου νομου γενογομενων κωμάρχων
(11)P. Gen, 66.
Αυρηλιοις Αμωνιανος Εκυσις και Αλωνιου Τ...η θιου και ΤιμαγενουςΑσιωνος και Αμουν Ατρη αμφοτεροι κωμαρχαι της κωμης Φιλαδελιας
(12)D.Delia- E.Haley , op cit, p 44-45.
(13)P. Sakon,52.
(14)P. Oxy, 2714 .
(15)P.Cairo- Isid, 71 ,72,73 .
D.Delia- E.Haley / op.cit, p. 43.

(16)P. Oxy,No. 2123.
تمثلت مهام الكوماركوس في العصر البطلمي في أربعة أمور وهي العناية بأمور الزراعة والعناية بالسدود والقنوات وقيامه بتوزيع البذور ومهام تتصل بالأمن العام .
حنان اسماعيل: المرجع السابق ص١٣٨.

(17)P. Oxy, 2714 .
(18)P. Oxy, 2232.
παρα Αυρηλιων Πατερεως Μενχητος θεσελαριου και Ωριων Μενχητος αμφοτερων κωμαρχων της αυτης κωμης κεσμουχεως του υπο σε παγου διδομεν τω ιδιω ημων κινδυνω προς απετησιν κρεως και αχυρου
(19)P.gothenurg , 6.
Πραιποσιτου β παγου παρα και Ψηρπνοθου κωμαρχων Νησου απο ......Αυρηλιου Πνεποντηριος
ηνεσαγγελλομεν και
ο αναδιδ.μενειςτεσσλριονΑυρηιονψενπνουθουΣαραπιωνοςτουνομ..α

μηνος φαμενωθ εως θωθ

(20)P. .Sakon , No.52.

Αυρηλιος χαιρημον πραιποσιτου θ παγου παρα Αυρηλιων πεννιτος Σακαωνος και Ζωιλου Μελανος αμφοτερων κωμαρχων και Θεδελφιας

(21)P.Cairo- Isid, , No.57.

(22)P.Cairo- Isid, , No.56.

(23)P. Oxy, 2577 .

(24)P. Oxy.3190.

(25)P.Cairo- Isid, , No.128.

تمتع الكزمارخو من في العصر البطلمي بسلطات قضائية وأمنية واسعة ، فكان لديه السلطة الكافية للقبض والحبس وأجراء تحريات وتحقيقات رسمية تحت اشراف الأبيستايس وكانت تقدم للكومارخوس تقارير مفصلة عن حوادث السرقة وأسماء المشتبه فيهم

حنان اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(26)P.Cairo- Isid, , No.71.

Πυνθανονται διοτι συνδυαξοσιον μετα του πραιποσιτου

(27)P.Cairo- Isid, , No.72.

(28)P.Cairo- Isid, , No.73.

Ιουλιω ουλιανω διασημοτατω Επαρχων Αεγυπτου παρα Αυρηλιων σιδωρου πτολεμαιου θεσσαλαριου και παλημονος τβερινου κουαδραριου αμφοτερων απο κωμης καρανιδος του Αρσιοιτου νομου ημεις ελαττωναις αγοροικοι τα δινα παρσχομεν υπο τε του πραιποσιτου του παγου θεδωρου και των κωμαρχων

(29)P. p.s.i, 4, No.303.

(30)P.Turner, 46.

(31)P. kellis , I , No. 23.

الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصريها الجاهلي والإسلامي

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي (*)

مقدمـــــة

السوق معروف، وهو بحسب تعريف ابن منظور: موضع البياعات، وفيه يتعامل، والجمع أسواق[١]، ويعرفه جواد علي بأنه: "المحل الذي يتسوق منه. وهي إما ثابتة مع أيام السنة، يبيع فيها الباعة، ويقصدها المشترون للشراء، وإما موسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا انتهى الموسم رفعت"[٢]. وفي التنزيل: ﴿إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ [٣]، وفيه: ﴿وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ [٤].

والسوق يذكر ويؤنث، يقول الشاعر في تذكير السوق:

ألـم يعـظِ الفتيـانَ ماصـار لمُتـي ... بسـوق كثيـر ريحُـهُ وأعاصيـرُه[٥]

ويقول آخر في التأنيث:

إنـي إذا لـم يُنـد حلقـاً ريقُـهُ ... وركـد السـبُّ فقامـت سُـوقُهُ[٦]

والسوقة لغة فيه، وتسوّق القوم: إذا باعوا واشتروا. وفي حديث الجمعة إذا جاءت سويقة أي تجارة، وهي تصغير السوق، سميت بها، لأن التجارة تجلب إليها وتساق نحوها[٧].

وللأسواق أوجه أخرى غير التجارة والبيع والشراء؛ سنأتي إلى ذكرها بعد بقدر ماهو متاح من المعلومات التي وصلت إلى أيدينا.

والأسواق معروفة، ومنتشرة في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، وحتى عصر الناس هذا، وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أسواق وَعْدِيَّة أي أسبوعية: وهي التي تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع تسمى باسمه، فيقال: سوق السبت، وسوق الأحد، وسوق الاثنين، وهكذا إلى آخر أيام الأسبوع، وهذه منتشرة في مختلف القرى والأرياف، وبعض المدن، وقل أن يخلو قطر من أقطار الجزيرة العربية منها قديماً وحديثاً.

النوع الثاني: الأسواق اليومية: وهذه معروفة ومرتبطة بالمدن خاصة، ومن أشهرها سوق أو أسواق مكة المكرمة، وسوق المدينة المنورة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم موضعها بنفسه، بجوار المسجد النبوي الشريف، ثم قال: "هذا سوقكم لايضرب عليه خراج"[٨].

(*) عضو مجلس الشورى السعودي.

النوع الثالث: الأسواق الموسمية: وهذه كانت تعقد مرة في السنة، ولها مواسم محددة لاتتعداها، أو تقصر دونها، ولايقتصر نشاطها على يوم واحد أو يومين، وإنما تقام في عدد متصل من الأيام، تصل مدد بعضها إلى ٢٠ يوماً، وهي معروفة ومشهورة في تاريخ العرب وآدابهم باسم أسواق العرب، وتعود في نشاطها إلى العصر الجاهلي، ثم استمرت في الازدهار في العصور الإسلامية المبكرة، وبعضها ظل عامراً إلى العصر العباسي كما سيأتي. وهي كثيرة ومنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها، إلا أن الذي يعنينا منها، في هذه الورقة المتواضعة، هي تلك التي كانت تقع في البقعة المشمولة اليوم بمسمى منطقة مكة المكرمة. وهي: سوق عكاظ، وسوق مجنّة، وسوق ذي المجاز، وسوق حُباشة: فالأول وهو سوق عكاظ، غني عن الذكر، فهو من الشهرة والاهتمام به بحيث لم تعد هناك حاجة إلى التعريف به زماناً ومكاناً، في وقتنا الحاضر، فموقع السوق معروف ولم يعد مجهولاً، وعليه منشآت ومعالم وبنية تحتية واضحة وشاخصة للعيان، ومهرجانه السنوي الذي يكبر ويتسع كل عام، ومايصاحبه من فعاليات ومناشط: ثقافية وتراثية واقتصادية ليست بخافية على القارئ الكريم. وهو ـ دون شك ـ مقبل على مرحلة تطويرية وتوسعية ستجعله إن شاء الله، واحدا من اهم الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن أهميته بوصفه مكاناً تقام على أرضه أهم المناسبات الثقافية والتراثية والمناشط الاقتصادية الأخرى، في محافظة الطائف. وفي ذلك كله مايغني عن التعريف بمكان السوق وزمانه، وإن كان من المفيد ان نشير إلى ان الاراء تجمع على: أن زمن انعقاد السوق كان في المدة الواقعة من الأول من شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وأنه استمر في البقاء والازدهار حوالي قرنين ونصف القرن[٩].

أما الأسواق الثلاثة الباقية فلا بأس من التعريف بها وبموقعها، وبالمدد التي ينعقد فيها كل منها، وغير ذلك من المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع التي وصلت إلى أيدينا، وذلك على النحو الآتي:

سوق مجنة

لعل أول هذه الأسواق بعد عكاظ، من حيث التسلسل التاريخي أو الزمني لأيام انعقادها، هو سوق مجَنّة، وهو أحد الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، ويقع على بعد عدة أميال إلى الشمال من مكة المكرمة في مر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة، وهو مشتق من الفعل جَنَن الذي من معانيه: كثرة المياه والبساتين ذات الأشجار المثمرة من نخيل وأعناب ونحوها، ومنه الجنّة[١٠]، أي أن تسمية السوق بهذا الاسم (سوق مجنة) له نصيب من طبيعة الموضع الذي كان يقام فيه، وهو أخصب بقعة في وادي فاطمة المعروف بخصبه، وكثرة مياهه، وأشجاره المثمرة، وبساتينه النضرة، وهو الذي داعبت ذكراه الجميلة مخيلة الصحابي الجليل بلال بن رباح، رضي الله عنه، بعد هجرته إلى المدينة، حيث نسب إليه هذان البيتان[١١]:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً　　بفخٍ وحولي إذْخرٌ وجليلُ

وهــل أردن يومــاً ميــاه مجنّــةٍ   وهــل يبــدُوَن لــي شــامةٌ وطَفِيــلُ

ومع شهرة المكان المنسوب إليه هذا السوق، وهو مجنة بمر الظهران، أو وادي فاطمة سابق الذكر، إلا أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين اختلفوا في المسافة بينه وبين مكة المكرمة، فالأزرقي (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) يشير إلى أن "مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها"(١٢).

وعلى نهج الأزرقي، في تحديد المسافة بين مكة ومجنة، يذهب كل من البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) (١٣)، وياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) (١٤).

ولم يشذ عن هؤلاء سوى الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) الذي يناقش موضع مجنّة والسوق المنسوب إليها، في كلام منقول عن القاضي عياض يطول إيراده، ويقدّر المسافة بينها وبين مكة المكرمة بنحو ثلاثين ميلاً(١٥)، ثم يستدرك على الأزرقي في تقريره بأن مجنة على بريد من مكة، ويقول في استدراكه: "ولعل الأزرقي أراد أن يكتب أن مجنة على بريدين من مكة، فسها عن الياء والنون، فكتب بريد والله أعلم"(١٦).

ولم تحدد المصادر المتاحة مكانا بعينه، لموقع انعقاد السوق، على سبيل الدقة واليقين، وإن كانت قد أشارت إلى مسمى المكان، وهو مر الظهران سابق الذكر، وإلى جهته وهي إلى الأسفل من مكة، أي إلى الشمال منها على حد تفسير أحد الباحثين المحدثين(١٧)، وبعضها يربط موقعه بمعلم ثابت هو: الجبل الأصفر الذي يشار إلى أن موقع انعقاد السوق كان بالقرب منه(١٨).

وتبعاً للمسافة والجهة، وبعض العوامل الطبيعية، اجرى أحد الباحثين المحدثين (وهو من أهل مكة أو من أحوازها القريبة منها) دراسة ميدانية لتحديد موقع السوق، وتوصل في دراسته لمكان السوق، وهو الجهة الغربية للجبل الأصفر، ولعين الماء التي اشتهرت بها مجنة، على حد رأيه(١٩)، ويعلّل ترشيحه لهذه الجهة "بسبب انبساط أرضها وسعتها، ووضوح رؤيتها من جميع الاتجاهات، بالإضافة لوقوعها مباشرة على خط التجارة الرابط بين مكة والشام وكلها [على حد قوله] تساهم في جدية الموقع"(٢٠). وقدم وصفاً لطبيعة المكان الجغرافية بقوله: "من الضروري هنا التعرف على الطبيعة الجغرافية للمكان؛ فموقع السوق الذي حددناه مكسو اليوم برمال متجمدة، مع وجود أشجار صحراوية، وكثبان رملية، ويبدو لي أنها من صنع الإنسان.. وعموم المنطقة تظهر بها مبان حجرية لازالت واضحة المعالم، ويحاط الموقع اليوم بمناطق حاضرة السكان من أغلب الجهات، بل لاحظت منازل محاذاة موقع السوق مباشرة، وأخشى أن تطمر تحت الامتداد السكاني المتسارع، وباستطاعة أي فرد أن يرى موقع السوق دون عناء، فالصاعد إلى مدينة الطائف ـ طريق جدة ـ الجموم ـ يستطيع أن يشاهد الجبل الأصفر بعد الجموم مباشرة نحو الشرق، حيث السوق المجاورة له. والخريطة توضح المكان بسهولة"(٢١).

أما زمن انعقاد سوق مجنّة فهو في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، وتقوم بعد انفضاض الناس من سوق عكاظ في العشرين من الشهر نفسه، حيث يقصدها العرب من عكاظ،

بقضهم وقضيضهم، ليتمموا فيها جميع مقاصدهم من ارتياد تلك الأسواق الموسمية، بما في ذلك ممارسة التجارة والمفاخرات والفداء، وغير ذلك من المناشط التجارية والأدبية التي كانت تمارس في عكاظ[٢٢]، وليس الخمر أقلها شأناً، فقد وجد من الأدلة الشعرية مايفيد بأن الخمور كانت تجلب إلى سوق مجنة، وربما إلى غيره من الأسواق الموسمية من أمكنة صنعها الأصلية من بلاد الشام، وخصوصاً بُصْرى وغزة، حتى أشاد شعراء تلك العصر بذكرها، فهاهو شاعر هذيل المعروف أبو ذؤيب الهذلي، يقول[٢٣]:

سُـــــلافةُ راحٍ ضُـــــمّنتها إداوةٌ ... مُقَيَّـــرةٌ رِدْفٌ لمُــــؤخَّرةِ الرَّحْـــلِ
تَزَوَّدَهــا مـــن أهــلِ بُــصْرى وغــزّةٍ ... علــى جَــسْرَةٍ مرفوعــةِ الــذَّيْلِ والكفَــلِ
فــوَافَى بهــا عُــسْفانَ ثــم أتــى بهــا ... مجنّــةَ تــصْفُو فــي القِــلالِ ولا تَغْلــي

وهذه السوق مثل سابقتها عكاظ، ولاحقتها ذي المجاز وحُباشة، تعقد في الأشهر الحرم التي يأمن الناس فيها، في الغالب، على أنفسهم وأموالهم من مغبة الحروب والاقتتال[٢٤]. ونقدر أن عدد الأيام التي ينعقد فيها هذا السوق هي تسعة أيام الى عشرة من انفضاض سوق عكاظ، حتى هلال شهر ذي الحجة، حينها ينتقل الناس، بقضهم وقضيضهم، إلى سوق ذي المجاز الآتي ذكره.

ذو المجـــاز

هذا السوق من الأسواق الموسمية المعروفة بالقرب من مكة المكرمة، قيل إنه لقبيلة هذيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. ربما لوقوعه قريباً من ديارهم، وورده في شعر بعض شعرائهم ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

وراحَ بهــا مـــن ذي المجــازِ عَــشيّةً ... يبــادرُ أولــى الــسابقاتِ إلــى الحَبــلِ[٢٥]

وقد ورد في تحديد موضعه قولان: الأول: أنه على مسافة فرسخ واحد من عرفة على يمين الموقف، بالقرب من جبل يسمى كبكب[٢٦] قيل إنه خلف الإمام إذا وقف[٢٧]. والقول الثاني أنها موضع بمنى في منتصف الطريق بين مكة وعرفات[٢٨]. وعلى الرغم من شيوع القول الأول في المصادر المتاحة، وكثرة من قال به من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، فإن الأفغاني يرجح القول الثاني، ويعدّه أدنى إلى القبول[٢٩]. أما تسمية ذي المجاز بهذا الاسم، فذلك لأن إجازة الحاج إلى عرفة كانت منه[٣٠]. وهذا ما يفسر أخذ الأفغاني بالقول الثاني، المشار إليه آنفاً، في تحديد موضع ذي المجاز بمنى وليس بعرفة، ومنه جاء اشتقاق اسمه.

وسوق ذي المجاز يعقد في ذي الحجة من كل عام. يقول الأفغاني: "إذا انقشع الناس عن مجنة حين يهلّ ذو الحجة ساروا بأجمعهم إلى هذه السوق، وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية، سمي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء، ويملأون أوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة. وإلى هذا السوق تتقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ممن

شهد الأسواق قبلها، أو لم يشهدها وأتى للحج خاصة، إذ إن ذا المجاز من مواسم الحج عندهم"[٣١].

وهي سوق عظيمة، تحفل أيام الحج بجموع العرب وسواهم من الحجاج والتجار وأصحاب المنافع عامة، وهي تلي سوق عكاظ من حيث الأهمية، ويجري فيها مايجري في سوق عكاظ: من بيع وشراء، وتناشد وتفاخر، وفداء أسرى وطلب ثأر. فقد ذكر أن صاحب الثأر "يقصدها ليتعرف على واتره في ذي قرابته، فيتربص به انقضاء الشهر الحرام إن كان من المحرمين، وإلا عاجله فأخذ بثأره"[٣٢]. ويورد الأفغاني بعض الأمثلة لحوادث تتعلق بالأخذ بالثأر؛ يطول ذكرها في هذه العجالة[٣٣].

أما زمن انعقاد هذا السوق فهو ـ كما أوضحنا سابقاً ـ من الأول من ذي الحجة حتى الثامن منه، وهو يوم التروية، وعدد أيام انعقاده ثمانية أيام، بما في ذلك يوم التروية المذكور[٣٤]. وقد ظلت هذه السوق قائمة ومستمرة بعد ظهور الإسلام مدة طويلة؛ لا نعلم لها نهاية محددة على وجه الدقة واليقين، وإن كان هناك من الإشارات ما يفيد أنها استمرت عامرة إلى مابعد انتهاء سوق عكاظ، أي بعد عام ١٢٩هـ/٧٤٧م[٣٥]، وهذا العام هو الذي شهد نهاية سوق عكاظ على أيدي الخوارج.

سوق حباشة

توصف سوق حُباشة بأنها من أسواق العرب المشهورة القديمة، في الجاهلية والإسلام... وهي سوق بتهامة، يتاجر فيها أهل الحجاز وأهل اليمن، وكان من جملة من حضرها وتاجر فيها: الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكانت تقام في شهر رجب"[٣٦].

وحُباشة (بضم الحاء المهملة وفتح الباء المعجمة، والشين المثلثة) مشتقة من الفعل حبش أي جمع، والتَّحبُّش: التجمع، وحبش الشيء يحبشه حبشاً أي جمعه، والحُباشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة[٣٧]. وعلى نسق التأصيل اللغوي لسوق عكاظ، وأنه من التعكُّظ أو المعاكظة، ومادل عليه هذه الكلمة من اجتماع العرب فيه للمفاخرة والمحاججة والبيع والشراء، والفداء، وسائر أمورهم التي تقوم السوق من أجلها وبسببها في كل موسم. من المحتمل ـ على هذا النسق المذكور ـ أن لفظ حُباشة جاء من التجمع القبلي لمحيطه الممتد إلى أعالي السراة شرقاً، وإلى أغوار تهامة الساحلية غرباً ومابينهما من الأودية والقطاعات الجبلية شمالاً وجنوباً، فيما يعرف بالأصدار والغرضيات التي يتوسطها ذلك السوق المشهور في الجاهلية والإسلام. ويغلب على الظن أنه كان في زمانه موسماً يلتقي فيه التهامي مع السروي، والخبتي مع الجبلي، وأهل بارق وما وراؤهم إلى اليمن، مع أهل الغرضيات، ومايشاملهم من الديار والقبائل، إلى الطائف ومكة المكرمة وماوراءهما. فلابد أنها كانت سوقاً عظيمة، ومتجراً رابحاً، يهبط إليه أخلاط شتى من مختلف القبائل التي ترتاده للمتاجرة وفداء الأسرى، ومبادلتهم بأمثالهم، والتقاضي في المنازعات، ومختلف المنافع التجارية، وغير التجارية، التي كانت سبباً في قيام كثير من الأسواق العربية الموسمية في مختلف أرجاء الجزيرة العربية[٣٨].

هذا الإطار الجغرافي لموقع السوق، ولمرتاديه من القبائل والديار المحيطة به؛ يُستشف من الإشارات البسيطة التي وردت عنه في المصادر العربية، ومنها الأزرقي الذي يقول: "وحُباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنوناً وحلي من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال"[٣٩]. وعن حباشة يقول البكري أيضاً هي: "سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة. قال حكيم بن حزام: وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها، واشتريت منها بَزّاً من بزّ تهامة. وهي من صدر قنونا، أرضها لبارق"[٤٠]. أما ياقوت فيؤصِّل الاسم ومدلوله اللغوي على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم يقول: "وحباشة: سوق من أسواق العرب في الجاهلية"، ثم يورد حديث عبدالرزاق عن معمر عن الزهري؛ المتضمن قصة متاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها[٤١]، وهو حديث يطول ذكره ويخرجنا عن سياق هذا البحث.

من هذه الأقوال وغيرها يتضح: أن حباشة من الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، وأنها تقع في ديار الأزد، القبيلة العربية المشهورة، قبل الإسلام وبعده، حتى عصر الناس هذا، وهي (أي سوق حباشة) ناحية، أو عمل من أعمال مكة المكرمة عليها وال يعينه أمير مكة في زمان ازدهارها. ولايزال موضعها، ومايحيط به من قرى وبلدات تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة في وقتنا الحاضر، وهي جزء من محافظة القنفذة، بمركز العرضية الذي يشكل أهم قطاع من قطاعات المحافظة كما سيأتي.

ويتضح كذلك أنها تقوم في شهر رجب من السنة، وأن مدتها ثمانية أيام على رأي البكري، وكان يرتادها إلى جانب من حولها أناس من اليمن، ومن مكة المكرمة، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، تاجر إليها، مع رجل آخر من قريش، في بضاعة للسيدة خديجة رضي الله عنها، ونقدّر أن هذين الرجلين ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرافقه ـ ماهما إلا دليل على وجود مئات من المكيين، والحجازيين عامة، الذين كانوا يهبطون إلى سوق حباشة في كل موسم من مواسمها السنوية.

وعلى الرغم من أهمية هذا السوق، وكثرة مرتاديه ممن حوله من القبائل الساكنة في ديار الأزد، بما فيها بارق، وكذا مرتاديه من اليمن والحجاز؛ فإن المصادر التي تحدثت عنه لم تحدد له مكاناً بعينه على وجه الدقة واليقين، وأن الإطار الجغرافي الذي أوردته تلك المصادر طويل وعريض وعائم، فهي سوق للأزد، وموقعها في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا[٤٢]، وهذا القول يزيد الأمر صعوبة للمتأمل فيه، ومشقة على من يحاول التوفيق بين عباراته؛ بغية الوصول إلى مكان محدد لموقع السوق أو قريب منه؛ فكونه سوقاً للأزد، وفي صدر قنونا فذلك قول أقرب إلى القبول، إلا أن عبارة: "ديار الأوصام من بارق" تدعونا إلى التريث قليلاً، إذا أخضعنا هذه العبارة لمعايير معرفتنا، في الوقت الحاضر، لحدود بارق الواقعة على مسافة (٢٠) كم تقريباً إلى الجنوب، مما يعتقد أنه موقع السوق كما سيأتي، ويفصل بين تلك الحدود والموضع المقترح؛ امتداد قبيلة بني شهر وديارها، وكذا امتداد بعض ديار قبيلة بَلْقَرْن التي يقع السوق في ديارها، إلا إذا افترضنا أن حدود قبيلة بارق في الماضي غير حدودها

اليوم، وأنها كانت فيما مضى تمتد إلى هذا المكان المقترح للسوق في زمن ازدهاره، خصوصاً وأن حدود القبائل لاتظل على حالها مدداً طويلة كهذه المدة، فبعضها يتداخ ويتسع، وبعضها يتراجع وينكمش مع الزمن نتيجة لظهور قبيلة على أخرى، أو هجرة إحداهما إلى خارج حدودها، مفسحة المكان للقبيلة أو القبائل المجاورة. أما كون هذا السوق للأزد فهو لايغير شيئاً من وجه الحقيقة، لأن بارق أزدية، والقبيلة التي يقع موضع السوق الحالي في حدودها بعد تحقيقه (وهي قبيلة بَحارث من بلقرن المعروفة) أزدية كذلك[٤٣].

تحقيق موضع السوق:

سبقت هذا البحث محاولتان لتحديد موضع سوق حباشة على الطبيعة: الأولى أجراها حسن بن إبراهيم الفقيه الذي ناقش موضع السوق، ومختلف العوامل المؤدية إلى قيامه في المكان الذي حدده[٤٤]، والثانية أجراها عبدالله أبو داهش، وفيها اتفق مع سابقه، ونقل نصوصاً أكثر دقة وتحديداً؛ عن الباحث عبدالله بن حسن الرزقي، وهو من أبناء المنطقة العارفين بها، والقريبين منها، وله دراسات واجتهادات وتفسيرات على جانب كبير من الأهمية، فهو - كما ينقل عنه أبو داهش - يحدد موضع السوق بأنه: يقع على الضفة الجنوبية لوادي قنونا بالقرب من الفائجة (الفايجة - القرية التاريخية المعروفة) التي يبعد عنها السوق بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي في موقع يعرف باسم الحواري في حداب القرشة المعروفة اليوم[٤٥]. ويقول: "هنا في موضع السوق: آثار وردوم وحجارة مركومة، وبعض القبور، ودوائر ظاهرة في الأرض تختلف في سعتها، وقِلّة مساحتها لعلها حظائر لبيع الأغنام، أو مواضع للنخاسة، وغير ذلك، وفي تلك الأرض الواسعة التي تقدر مساحتها بنحو كيل في نصف الكيل توجد أحجار بركانية سوداء فيها: قطع فخار، وأخرى قطع من الحجارة ذات اللون الأخضر التي يظن بأنها تكوين الأرض نفسها ذات العروق الملونة والغرابيب السود"[٤٦]. وهذا المكان الذي جرى تحقيقه يعرف بين الأهالي حتى اليوم باسم السوق، ولكن لا أحد منهم يعرف أي سوق هو مما يعزز الاحتمالات عند الباحثين بأنه موضع سوق حباشة[٤٧]، وأنه على الرغم من اندثاره ظل الأهالي يتوارثون الوظيفة التي كان يقوم بها هذا الموضع، وهو انعقاد سوق حباشة على ترابه.

زمن انعقاد السوق ومدة انعقاده وخرابه:

من الثابت أن سوق حباشة كان يعقد في شهر رجب من كل عام، وأنه يبدأ في الأول منه، ولكن مدة انعقاده محل خلاف في المصادر التي عُنيت به؛ فمن قائل إنها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، وهذا القول للأزرقي وتابعه تقي الدين الفاسي[٤٨]، ومن قائل إنها ثمانية أيام على حد مايورده البكري[٤٩]. ويغلب على الظن أن قول البكري هو الراجح، لأن جميع الأسواق الموسمية التي مرت بنا لاتقل مدد انعقادها عن ثمانية أيام؛ ولأن ثلاثة أيام ليست كافية لسوق موسمي يعقد مرة في السنة، ويفد إليه البائعون والمشترون من مسافات طويلة، وهذه المدة لاتكفي لراحتهم وراحة مطاياهم التي يفدون عليها، فضلاً عن بيع ما معهم وشراء مايحتاجون

إليه، وقضائهم لجميع حوائجهم التي قدموا من أجلها، هذا إلى أن من الأسواق الوعدية القريبة من موضع سوق حباشة مايمكث ثلاثة أيام، ومنها على سبيل المثال: سوق المخواة الحالي بمحافظة المخواة، منطقة الباحة المجاورة. ومما يرجح قول البكري أيضاً، أن المتأمل في نص الأزرقي يدرك أن الأيام الثلاثة الواردة فيه هي مدة إقامة الرجل الذي يبعثه والي مكة إليها على رأس جند من قبله، فهو يقول: "وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند، فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية"[٥٠]. وهكذا نلاحظ أن هذه الأيام الثلاثة تخص إقامة هذا الوفد، وليس مدة انعقاد السوق التي يشير إليها البكري صراحة بقوله: "سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"[٥١] فالتصريح هنا واضح بقوله: "كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"[٥٢].

أما عن تاريخ خرابها فهو محل اتفاق وإجماع، عند سائر من كتب عن هذه السوق، في القديم والحديث، ولذلك قصة متواترة في المصادر التي أوردتها، وهي أن إحدى قبائل الأزد صاحبة السوق: قتلت والياً عليها من قبيلة غني كان قد ولاه عليها أمير مكة داود بن عيسى بن موسى في سنة ١٩٧هـ/٨١٣م، فلما وصله الخبر استشار فقهاء أهل مكة، فأشاروا عليه بتخريبها فخربها منذئذ "وتركت الى اليوم"[٥٣] على حد قول الأزرقي، أي في زمانه من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، نتيجة لتلك المشورة الظالمة التي لم تكن موفقة بحال من الأحوال، وكان من المفروض أن يأخذ الفاعلين بجريرتهم لا ان يخرب سوقاً عُمّر لأكثر من قرنين من الزمان، ويقطع مورداً اقتصادياً لابد أنه كان يعيش عليه قطاع كبير من الناس، وأنه كان من الممكن أن يتطور مع السنين ويتسع ويكبر، ويستمر إلى عصر الناس هذا، خصوصاً وأن المنطقة التي كان يقوم فيها منطقة خصب وزراعة، وكثافة سكانية ملحوظة إلى اليوم.

ويجرنا خراب هذا السواق إلى تقدير عمرها، الذي لانعرف عنه شيئاً في المصادر المتاحة على وجه التحديد، ولتحقيق تلك الغاية: لابد من البحث عن بدايتها الأولى التي لانعرف عنها شيئاً في المصادر المتاحة كذلك، وإنما هناك حادثة يتيمة ارتبطت بالسوق في عصر ماقبل الإسلام، تلك هي حادثة مقتل الشاعر والعدّاء المشهور الشَّنْفرى الأزدي، وهو عائد من سوق حباشة في رواية طويلة يوردها صاحب الأغاني[٥٤]. وحيث إن هناك من الدارسين من يجعل مقتل الشَّنْفرى الأزدي في سنة ٧٠ق. هـ/ ٥٢٥م، وهو عائد من سوق حباشة، التي ربما قدم إليها من ديار قبيلة فهم القاطنة في تهامة بالقرب من مكة المكرمة[٥٥]، مما يعني أن هذا السوق كان عامراً قبل هذا التاريخ بزمن، بل ربما كان ـ حينذاك ـ في أوج عمرانه، وقمة ازدهاره. أي أن هذا التاريخ المذكور ليس تاريخ بدئه، وإنما هو دليل على أنه كان موجوداً وعامراً قبله، ربما بزمن ليس بالقصير. أما بعد هذا التاريخ فإن المدة التي عاشها السوق حتى خرابه أو تخريبه في عام ١٩٧هـ/٨١٣م فتقدر بأكثر من ٢٦٧ عاماً، وبذلك فإن سوق حباشة يعدّ من أقدم الأسواق الموسمية العربية في منطقة مكة المكرمة، ومن أطولها عمراً، ومن أجدرها بالعناية، وبعودته إلى الحياة كما سيأتي.

سوق حباشة والعُمرة الرجبية:

من الثابت أن سوق حباشة كانت تعقد في شهر رجب من كل عام، وأن هذا الشهر من الأشهر الحرم التي كانت العرب تحرم فيها الاقتتال، وأن شأنه في ذلك شأن أشهر الحج التي كانت تنعقد فيها الأسواق الثلاثة السابقة، وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز. فما علاقة موعد انعقاد سوق حباشة، في هذا الشهر، بالعمرة الرجبية التي كانت موسماً من مواسم أهل مكة في جاهليتهم وإسلامهم؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال: تجدر الإشارة إلى أن العرب في الجاهلية كانت تحرّم العمرة في أشهر الحج، وهي شوال والقعدة والحجة، وربما في شهر المحرم الذي يتلوها كذلك، وكانت تقول: "إذا برأ الدَّبر، وعفى الوبر، ودخل صفر، حلّت العُمرة لمن أعتمر"(٥٦). أي أن العمرة كانت تحل عند العرب في الجاهلية بدءاً من شهر صفر، وربما كان شهر رجب من أكثر الشهور تفضيلاً للعمرة عندهم . أما عند أهل مكة والجهات المتصلة بها، فهو موسم عظيم لهم في جاهليتهم وإسلامهم، يقول ابن جبير: "وهذا الشهر المبارك (شهر رجب) عند أهل مكة موسم من المواسم المعظمة، وهو أكبر أعيادهم ، ولم يزالوا على ذلك قديماً وحديثاً يتوارثونه خلفاً عن سلف متصلاً ميراث ذلك الى الجاهلية؛ لأنهم كانوا يسمونه مُنصل الأسنة. وهو أحد الأشهر الحرم"(٥٧). ثم استمر الاعتمار في رجب متصلاً في الإسلام، وكانوا يسمون العمرة فيه باسم العمرة الرجبية. وكانت عند أهل مكة موسماً عظيماً يضاهي موسم الحج. يقول ابن جبير: "والعمرة الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفيّة، لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل"(٥٨). ويقول عنها ابن بطوطة: "وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله، وهي متصلة ليلاً نهاراً، وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة، وخصوصاً أول يوم منه، ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين، فإنهم يستعدون قبل ذلك بأيام"(٥٩).

ويغلب على الظن أن هذه العمرة الرجبية، المهمة في الجاهلية والإسلام، التي كان يحرص عليها أهل مكة، وأهل الجهات المتصلة بها، حتى إنهم – على ما يذكر ابن جبير– كانوا يعدونها موسماً يضاهي الوقفة بعرفة على (٦٠). فمن المحتمل، والحالة هذه، أن لموسم سوق حباشة صلة بها، وأنه كان محطة من محطاتها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الثلاثة الموسمية الأخرى، من أسواق منطقة مكة المكرمة، التي كانت في واقع الأمر محطات ثلاث متتالية، من المحطات التي تسبق الحج إلى مكة المكرمة، وتتصل به، وتفضي إليه. فسوق حباشة يعقد في الأول من رجب، ويستمر ثلاثة أيام أو ثمانية منه، يقدم إليه المعتمرون خلالها من السراة وتهامة واليمن، فيرتاحون فيه من عناء السفر، وترتاح مطاياهم، ويتزودون منه بمؤونة الطريق، ويجلب إليه الجالبون بضائعهم، ويشتري منه الشارون ما يجلبونه إلى مكة من بضائع لبيعها في موسم العمرة الرجبية، ذلك الموسم الذي يشهد فيه سوق مكة رواجاً لا يقل عن رواجه في موسم الحج. فإذا صح هذا التقدير فإنه يجيب على السؤال الذي سبق طرحه من قبل، وهو: ما صلة موعد انعقاد سوق حباشة في هذا الشهر بالعمرة الرجبية التي كانت كانت موسماً من مواسم أهل مكة.... الخ ؟ فالعمرة الرجبية في مكة تنعقد في كل أيام رجب، ولكن

آكدها في ثلاثة أيام منه، هي اليوم الأول، واليوم الخامس عشر، واليوم السابع والعشرين، على حد قول ابن بطوطة[٦١]. وهذا اليوم الأخير يصادف ذكرى ليلة الإسراء والمعراج، بحسب العرف السائد في بعض الأقاليم الجنوبية، وغالباً ما تكون عمرة أهالي جنوب مكة في اليومين الأخيرين المشار إليهما، وهما ١٥، ٢٧ من رجب، بل إن شهر رجب عندهم موسم مهم لزيارة المدينة المنورة، والصلاة في مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم. وقد أدركت هذا التقليد في صغري، ولازلتُ أذكر أن العمرة في رجب، ثم زيارة المدينة المنورة في هذا الشهر؛ تعدّ من أهم القربات، ولا يقدر عليهما إلا من كان ذا حظ عظيم وعزيمة قوية.

ويفسر هذا القول ما تتحدث عنه بعض المصادر عمن يسمونهم: "السرو المائرين" أي الذين يجلبون الميرة إلى مكة من أهل السراة وما حولها، فهم يوصفون بأنهم قوم أشداء فصحاء، يجلبون إلى مكة أصنافاً شتى من منتوجات ديارهم، التي يعتمد عليها المكيون والمجاورون والمعتمرون في غذائهم : يقول ابن جبير : "ومن لطيف صنع الله عز وجل، .... أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة .... يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة، وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبيا الى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والادام والفاكهة ، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً مُوَقَّرة بجميع ما ذكر. فيرغدون معايش أهل البلد والمجاورين فيه، يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار ، وتعم المرافق . فيعد الناس منها ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش"[٦٢]. ويقول عنهم ابن المجاور : "فإذا دخلوا مكة ملأوها خبزا من الحنطة والشعير، والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك"[٦٣]. وأخيراً نختم بقول ابن بطوطة: "وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها"[٦٤].

وعلى الرغم من أن بلاد بجيلة وغامد وزهران؛ هي دون موقع سوق حباشة، مما يلي مكة المكرمة، وأن بعض منتوجاتها ربما كانت تجلب مباشرة منها إلى مكة، فإننا لا ينبغي أن نغفل دور باقي أقاليم السراة، ولا دور أهلها الواقعة ديارهم إلى الجنوب من السوق، وهي ديار أوسع من ديار بجيلة وغامد وزهران، وخيراتها أكثر، وصلتها بالسوق قوية، لأنها تقع في تهامتهم، وفي طريقهم إلى مكة المكرمة، فضلاً عن مجلوبات أهل اليمن إلى سوق حباشة، ثم منها إلى مكة المكرمة، ومن أمثلتها البزّ، المشار إليه سابقاً. والبز كلمة جامعة شاملة لمختلف أنواع الثياب التي كانت تُنسج وتُصبغ في اليمن، وخصوصاً في تهامتها، لأن تهامة، المنسوب إليه هذا البزّ، ليست ما يعرف بتهامة الشام أو تهامة عسير، وإنما هي تهامة اليمن التي اشتهرت بهذه الصناعة حتى عهد ليس بالبعيد، وبصورة خاصة مدينتي زبيد وبيت الفقيه[٦٥]. ومن هنا ينبغي ألا نغفل دور سوق حباشة في إمداد سوق مكة بكثير مما يجلب إليه ويشترى

منه، من منتوجات السراة واليمن، وخصوصاً في مواسم العمرة ومنها موسم العمرة الرجبية؛ التي نعتقد أن هذه السوق محطة من المحطات المفضية إليها في مكة المكرمة.

يتضح مما سبق: أن مكة المكرمة كانت منطقة أسواق موسمية قديمة، وأن منها ما ارتبط بالحج، وهي سوق عكاظ ومجنّة وذو المجاز، ومنها ما ارتبط بالعمرة الرجبية ، وهو سوق حباشة، وأن هذه الأسواق متقاربة في وظائفها من حيث: المجلوبات وحركات البيع والشراء ، ومن حيث: الأغراض الأخرى المتمثلة في المفاخرات والتقاضي وفداء الأسرى، وتبادلهم، وطلب الثأر وغيره. كما يتضح أن هذه الأسواق الأربعة؛ كلها عمرت مدداً طويلة منذ ما قبل الإسلام، فعصر الخلافة الراشدة، فالعصر الأموي، ثم إلى الشطر الأعظم من العصر العباسي الأول. ولأهمية إعادة إحياء هذه الأسواق، بوصفها موروثاً حضارياً وتاريخياً وثقافياً - أجد لزاماً على في نهاية هذه الورقة المتواضعة: طرح التوصيات الآتية:

التوصـــــيات:

١- تحديد أمكنة هذه الأسواق، وإحاطتها بأسوار من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار، بوصفها أمكنة تاريخية وتراثية، وقد تكون بها معطيات أثرية مدفونة وشاخصة، وخصوصاً موقعي سوق مجنة وسوق حباشة، لأن سوق عكاظ أصبح معلوم المكان، وسوق ذي المجاز في منى التي يصعب إجراء أي نشاط فيها، في الوقت الحاضر، غير ما تختص به من المبيت بها في أيام الحج، فضلاً عما جرى فيها من شق الطرق، وبناء الجسور والأنفاق، وبعض المرافق والخيام مما يكون قد غطى، عبر التاريخ، على أي أثر لسوق قديم فيها، غير سوقها التي تنشط في يوم التروية، وفي أيام التشريق الثلاثة التي تعقب الوقفة بعرفة

٢- تشجيع الدراسات والبحوث حول نشاط هذه الأسواق، باستخدام مختلف المناهج والأساليب والأدوات المؤدية إلى زيادة معلوماتنا عن هذه الأسواق، وإلى تقدّم المعرفة الإنسانية بها.

٣- توثيق التراث التقليدي في البيئة المحيطة بهذه الأسواق، وخصوصاً سوق حباشة على أن يشمل التوثيق: الأسواق الوعدية المنتشرة في محيط السوق، ومعرفة جميع المجلوبات إليها، وما يباع فيها ويشترى قديماً وحديثاً، وإجراء مقابلات، مع كبار السن، لمعرفة الصورة التي كانت عليها تلك الأسواق قبل الطفرة الحديثة، وكذلك معرفة القوانين والأعراف القبلية التي كانت سائدة بخصوصها.

٤- إعادة إحياء هذه الأسواق، وتفعيل نشاطها التجاري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتجربتنا في سوق عكاظ تجربة ناجحة، وهي في سبيلها إلى التطور والتقدم والارتقاء كل عام.

ومن منطلق هذه التجربة الناجحة في سوق عكاظ: يتعين علينا النظر في تطبيقها على الأسواق الثلاثة الباقية، وهي مجنة وذو المجاز وحباشة، وإنما بدرجات متفاوتة، خصوصاً إذا أخذنا في الحسبان: تشابه طبيعة هذه الأسواق بسوق عكاظ ، وقرب أزمان انعقادها، وطبيعة مرتاديها، ودوافعهم من ارتيادها وهكذا. فإذا نظرنا إلى كل هذه العوامل مجتمعة؛ فإننا نلحظ أن سوقي مجنّة وذي المجاز هما نسخة من سوق عكاظ، مع فارق الشهرة التي تميز سوق عكاظ

عن السوقين الباقيين، فهما يعقدان على التوالي بعد سوق عكاظ، وفي موسم واحد هو موسم الحج، ودائرة واحدة مسافتها غير متباعدة، ومعظم مرتاديها من الحجاج الذين في سبيلهم إلى تأدية شعائر حجهم إلى مكة المكرمة . في ظل هذا التشابه، والتقارب في الزمان والمكان والأهداف والغايات فإن مهرجان سوق عكاظ يغني عن السوقين الباقيتين، وخصوصاً ذي المجاز، لأنه في منى، وفي شهر ذي الحجة، ومنى كلها سوق، والكل مُنشَغِل في خدمة الحجيج والسهر على راحتهم.

أما سوق حباشة، فأولى بأن تعود إليه الحياة، وأن يقام على أرضه مهرجان سنوي ذو أغراض متعددة، تأتي الثقافة على رأسها، وذلك لعدة اعتبارات منها.

أ) أنه كان يعقد في الأسبوع الأول من شهر رجب، متزامناً مع موسم العمرة الرجبية التي سبق ذكرها.

ب) أن سوق حباشة بعيد زماناً ومكاناً عن سوق عكاظ والسوقين التاليين له (مجنة وذو المجاز) من حيث موضعه وزمن انعقاده، فالفارق بينهما في الزمان حوالي ٥ أشهر، وفي المكان أكثر من ٣٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي. واختيار شهر رجب تاريخاً لانعقاده كل عام سيكون اختياراً موفقاً -دون شك- لان شهر رجب يقع في منتصف السنة تقريباً، والفارق الزمني بينه وبين تاريخ انعقاد مهرجان سوق عكاظ، حوالي أربعة أشهر، إذا أخذنا في الحسبان أن مهرجان سوق عكاظ يعقد في شهر شوال من كل عام، وهو ما استقر عليه الرأي حتى الآن.

ج) يمثل موقع سوق حباشة الكفة الثانية لميزان إمارة المنطقة، في مقابل الكفة الأولى التي يمثلها موقع سوق عكاظ، فضلاً عما لمحيط السوق وبيئته من تراث مميز؛ يجمع بين ثقافة تهامة والسراة، وبين جنوب الحجاز، ومنطقتي عسير والباحة.

د) ارتبط السوق بحدثين تاريخيين مهمين: أحدهما ديني، ويتمثل في ما سبقت الإشارة إليه من حضور النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى سوق حباشة في تجارة للسيدة خديجة رضي الله عنها. والثاني ثقافي، وهو ما كان سبباً في تأليف واحد من أهم المعاجم الجغرافية؛ الذي لا يستغني عنه أي باحث أو دارس على مدى تاريخه، وحتى عصر الناس هذا، ذلك هو: معجم البلدان لياقوت، الذي يسرد قصه تأليفه بقوله: "وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بمرو الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمائة في مجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين ابي المظفر عبدالرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبدالكريم السمعاني تغمدهما الله برحمته ورضوانه... عن حُبَاشة بضم الحاء، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحُبَاشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً . فانبرى لي رجل من المحدثين ، وقال : إنما هو حباشة بالفتح. وصمّم على ذلك وكابر، وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا مُعوّل في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بِمَرْو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء تلك الشغب والمراء، ويأس من وجوده ببحث وافتراء، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته، ومكيلاً بالصاع

الذي كلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشان مضبوطاً، وبالاتفاق وتصحيح الألفاظ مخطوطاً، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً، وإلى ضوء الصواب داعيًا، ونبهت على هذه الفضيلة النبيلة، وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون»[٦٦].

كل هذه الأسباب والعوامل التاريخية والجغرافية، والموروث الحضاري والتراثي والثقافي، وظروف الزمان والمكان، تجعلني أتقدم من على هذا المنبر باقتراح: إحياء سوق حباشة ببلاد بالحارث القرنية بمحافظة القنفذة ، وإقامة مهرجان ثقافي تراثي يحمل اسمه في شهر رجب من كل عام.

الإحالات والمصادر والمراجع

(١) ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (بيروت. دار لسان العرب، د. ت)، ج٢، ص٢٤٢.
(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط(١)، (بيروت، دار العلايين، ١٩٧١م)، جـ٧، ص٣٦٥.
(٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان.
(٤) الآية ٧ من سورة الفرقان.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، جـ٢، ص٢٤٢.
(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٨) السمهودي، نور الدين علي بن أحمد المصري، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، جـ٢، ص٧٤٨.
(٩) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٢، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٨٩، ٣٤٣.
(١٠) ابن منظور، لسان العرب المحيط، جـ١، ص٥١٨.
(١١) ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت دار صادر ، دار بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، جـ٥، ص٥٩.
(١٢) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، ط٢، (مكة المكرمة: مطابع مكة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، جـ١، ص١٩٠.
(١٣) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، د. ت) جـ٢، ص١١٨٧.
(١٤) ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص٥٩.
(١٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط١، (بيروت دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، جـ٢، ص٤٥٣.
(١٦) الفاسي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٧) اللحياني، البدر بن ستير، "سوق مجنة في عصريه الجاهلي والإسلامي"، في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية، (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٢هـ)، جـ٢، ص٤٢٣.
(١٨) البكري، معجم ما استعجم، جـ٢، ص١١٨٧.
(١٩) اللحياني، "سوق مجنة"، ص٤٢٣.
(٢٠) اللحياني، المرجع نفسه، ص٤٢٤.
(٢١) اللحياني، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(٢٢) الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٥.

(٢٣) ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص٥٩.
(٢٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٥.
(٢٥) ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص١٥٥؛ الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٧.
(٢٦) البكري، معجم مااستعجم، جـ٢، ص١١٨٥.
(٢٧) الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٧.
(٢٨) الأفغاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٢٩) الأفغاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٣٠) الفاسي، شفاء الغرام، جـ٢، ص٤٥٠.
(٣١) الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٨.
(٣٢) الأفغاني، المرجع نفسه، ص٣٤٩.
(٣٣) الأفغاني، المرجع نفسه، ص٣٤٩-٣٥٢.
(٣٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي، كتاب المحبر، تحقيق ايلزه ليختن شتير، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د ت)، ص٢٦٧؛ الفاسي، شفاء الغرام، جـ٢، ص٤٥٠.
(٣٥) الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص١٩٠؛ الفاسي، شفاء الغرام، جـ٢ ص٤٥١.
(٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ الإسلام، جـ٧، ص٣٧٥-٣٧٦.
(٣٧) ابن منظور، لسان العرب المحيط، جـ١، ص٥٥٢.
(٣٨) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "حباشة"، في حوليات سوق حباشة، (أبها: النادي الأدبي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٣٩.
(٣٩) أخبار مكة، جـ١، ص١٩١.
(٤٠) معجم ما استعجم، جـ١، ص٤١٨.
(٤١) معجم البلدان، جـ٢، ص٢١٠-٢١١.
(٤٢) الأوصام: لاتُعرف قبيلة بهذا الاسم في سائر الامتداد الجغرافي المذكور في النص، لا قديماً ولا حديثاً، في حدود علمي، وقد ظننته تصحيفاً تتبعته في ألفاظ كثيرة قريبة لرسم الكلمة، فلم أجد أي دلالة له على قبيلة، أو على وصف جغرافي لطبيعة المكان. إلا أن هناك من الباحثين من يعدّه تحريفاً لاسم (الأواس) القبيلة الأزدية التي تقع هذه السوق في ديارها. انظر: الفقيه، "حباشة"، ٣٩.
(٤٣) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "أين يقع سوق حباشة؟"، في حوليات سوق حباشة، ط١)، (الناشر ومكان النشر لم يذكران، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، العدد ١٥، السنة ١٥، ص٢٢.
(٤٤) الفقيه، المرجع نفسه، ص٢٢-٢٣.
(٤٥) أبوداهش، حوليات سوق حباشة، ص٣٨-٣٩. في مهاتفة بيني وبين الأستاذ عبدالله الرزقي أكد لي مكان السوق، وحدد المسافة بينه وبين قرية الفايجة التي ينسب إليها سوق ربوع الفايجة المشهور، بحوالي خمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي عن الفايجة في المكان المذكور في النص، وأجدني مديناً للأستاذ الرزقي في كثير من المعلومات، وتفسير بعض الظواهر الجغرافية والأثارية المحيطة بالسوق، فشكراً له من الأعماق مع صادق الدعوات له بالأجر والثواب، والتوفيق والسداد.

(٤٦) أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع١٥، ص٤٠.
(٤٧) الفقيه، "أين يقع سوق حباشة؟"، ص٢٢.
(٤٨) أخبار مكة، جـ١/ ص١٩٢؛ شفاء الغرام، جـ٢، ص٤٥٢.
(٤٩) معجم ما استعجم، جـ١، ص٤١٨.
(٥٠) الأزرقي، أخبار مكة، ص١٩٢.
(٥١) معجم ما استعجم، جـ١، ص٤١٨.
(٥٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥٣) الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص١٩٢؛ الفاسي، شفاء الغرام، جـ٢، ص٤٥٢.
(٥٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، جـ٢١، ص١٩٠-١٩١.
(٥٥) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٣، جـ٥، ص٢٥٨؛ أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع١٥، ٩١.
(٥٦) الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص١٩٢. ومعنى النص: أنه إذا برأ دبر الإبل التي كانوا شهدوا الموسم وحجوا عليها، وعفا وبرها. أما في الإسلام فإن الرسول صلى عليه وسلم أبطل هذا التقليد الجاهلي، وعمراته التي أداها في حياته كانت كلها في ذي القعدة وهي: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرته من الجعرانة، وأرسل زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أخيها عبدالرحمن ليلة الحصبة فاعتمرت من التنعيم وهكذا انظر: الأزرقي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥٧) أبو الحسين محمد، احمد الكناني؛ رحلة ابن جبير، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص١٠٦.
(٥٨) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.
(٥٩) أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي؛ رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١٦٣.
(٦٠) ابن جبير ، رحلة ابن جبير، ص ١٠٦.
(٦١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٦٣.
(٦٢) رحلة ابن جبير، ص١١٠.
(٦٣) جمال الدين، أبو الفتوح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن المسماة: تاريخ المستبصر ، تحقيق أو سكر لوفغرين، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م) ص٢٧.
(٦٤) رحلة ابن بطوطة ، ١٦٤.
(٦٥) المقحفي ، إبراهيم أحمد؛ معجم البلدان والقبائل اليمنية، (صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ، جـ(١) ، ص٧٣٤، جـ ٢،ص١٢٢١).
(٦٦) ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص١٠.

علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية
من القرن الأول إلي الثالث الميلادي

د. أماني خليفة محمد البحر (*)

قائمة الاختصارات

أولاً المختصرات العربية

أ- مختصرات الكلمات

ت	تحقيق
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون دار نشر
د.م	دون مكان نشر
د.ط	دون سنة طبع
ق.م	قبل الميلاد
م	ميلادي

ثانياً المختصرات غير العربية

أ- مختصرات الكلمات

BK	Book
Intr.	Introduction
Trans	Translated
Vol	Volume

ب- مختصرات الدوريات

BASOR	Bulletin of the American Schools of Oriental Research
CAH	The Cambridge Ancient History
CHI	The Cambridge History of Islam

(*) أستاذ مساعد بكلية الآداب للبنات – جامعة الدمام.

ظهرت المناطق الحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، واكتسب صفات خاصة بها، وأخرى وربت إليها من غيرها من المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية، وثقافية، أو حدثت تبادل فيما بينهم.

وفي هذا البحث سوف نسلط الضوء على علاقة اليمن بإحدى أهم هذه المناطق الحضارية وهي الهند التي ارتبطت معهما بعلاقات تجارية نشطه منذ أقدم العصور لما تمتعت به الهند من موقع متميز بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى لذلك تاجر معها أهل جنوب الجزيرة العربية بعد أن اكتشفوا سر الرياح الموسمية التي شجعتهم على تنظيم رحلات تجارية بحرية عديدة بين اليمن والهند(١).

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، وتحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب، ليضم الجزيرة العربية قلب المشرق العربي لما كانت له من اتصالات قوية بالأقاليم المجاورة له منذ القدم(٢).

مما جعلها تتمتع بموقع استراتيجي، جغرافي، تمر به أقصر الطرق التجارية، من أغنى أقاليم العالم القديم، بفضل عمليات التبادل التجاري، البرية والبحرية التي برع عرب الجنوب في مزاولتها، وذلك بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية، والمحيط الهندي، والخليج الفارسي من الشرق(٣).

وبصورة أكثر تفصيلاً فقد هيئ لها موقعها الجغرافي الفرصة الكبرى لتطور الملاحة على شواطئ شبه الجزيرة العربية. فهي تمر بخط ساحلي بالغ الطول من ثلاث جهات، يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي.

وتمر بالقرب من هذه السواحل، أخصب بقاع الجزيرة العربية، وهي اليمن وحضرموت وعمان، ولم يكن الاتصال بينهما بحراً اشد هولا من عبور الصحراء والجبال التي تتصل بها براً. وكانت التجارة مع البلاد المجاورة تجد حافزاً إلى الغرب في الشواطئ الطويلة التي تبحر بها شمال افريقية الشرقي، وحافزاً إلى الشمال الشرقي في شواطئ فارس. وهذه الشواطئ وتلك تمتد محاذيه للشاطئ الغربي وهي غير بعيدة عنه مما هيئ للعرب اليمنيين سهولة الاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر، والخليج العربي بأهم مراكز التجارة العالمية آنذاك كشمال أفريقيا ومصر وفارس والهند(٤).

وأخيراً وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي، أصبحت الملاحة في المحيط الهندي في قبضة اليمنيين، والهنود على حداً سواء دون منازع في تلك القرون الثلاثة الأولى للميلاد(٥).

ولكي نكون أكثر تحديداً في حديثنا عن العلاقات التجارية لجنوب الجزيرة العربية بالهند فلابد أن نشير إلى اليمن(٦) والتي تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ويتخللها العديد من المناطق السهلية أو الساحلية المطلة على عدن. أطلق عليها اسم العربية السعيدة Arabia Felix، وذلك لشدة ثرائها وخصوبة تربتها وأرضها(٧).

فهي تقريباً الجزء الوحيد من شبه الجزيرة العربية الذي يتوفر فيه الأمطار مما أدى إلى الزراعة المنظمة أو المطردة بها، فضلا عما كان لموقعها الجغرافي المؤدي إلى الهند وبفضل منتجاتها التي تستهوي الأسواق في البلدان في العالم القديم كالبخور والأفاويه والبهارات، وأصبح

العرب اليمنيون الجنوبيون من أبرع وأغنى التجار[٨].

وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي لليمن أصبحت أكبر سوقاً تجاري لتبادل السلع والبضائع الهامة، كما أصبح حلقة وصل تجارية هامة بين كلاً من الهند والحبشة، وشرق وشمال أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا[٩].

وبناءاً على ذلك ظهرت في اليمن العديد من المراكز التجارية، واهتمت بشكل كبير بالطرق البرية والبحرية على حداً سواء، وكانوا ينقلون البضائع إلى الأمم المجاورة لهم[١٠]. فازدهرت التجارة اليمنية وزادت ثروات الشعب اليمني الذي تمتع بقدر كبير من الرخاء المادي، والنفوذ السياسي الذي أعطى للمنطقة وضعاً مسيطراً داخل شبه الجزيرة العربية على نطاق واسع وهذا ما يؤكده لنا سفر الملوك[١١].

استقرت الدول اليمنية التجارية الجديدة في جنوب الجزيرة العربية وألفت حياة التوطن وعملت في التجارة والزراعة مثل زراعة البخور والتوابل والذي أخذوا يتاجرون به مع العديد من دول العالم القديم مثل الهند كما سيرد بالتفصيل -[١٢].

وأصبح لأهل اليمن صيت ذائع في الشؤون التجارية لأن قوافلهم التجارية سواء البرية أو البحرية أخذت تتردد وبكثرة في أسواق التجارة الدولية[١٣] نستخلص هذا من النصوص الواردة في سفر أشعيا وحزقيال الذين قالوا بأن أهل سبأ كانوا من أعظم تجار الشرق الأدنى القديم وأغناهم[١٤].

فمن البديهي ان عرب اليمن الجنوبيين قد كسبوا مكاسب هائلة من هذه السلع التي كانوا يتاجرون بها ويشير بليني Pliny[١٥] إلى الحجم الهائل التي كانت تستورده الإمبراطورية الرومانية من شبه الجزيرة العربية فقال (إن الهند والصين وشبه الجزيرة العربية تأخذ منا كل عام مليون شركة) ثم ينتقل للحديث عن ثروات العرب الجنوبيين فيقول عنهم «في عمومهم أغنى أجناس العالم لأن ثروات واسعة تجتمع في أيديهم من روما لقاء ما يبيعونه لنا سواء من نتاج البحر (يقصد اللآلئ) أو من غاباتهم (يقصد الطيوب) دون أن يشتروا منا شيئاً مقابل ذلك»[١٦].

غني عن البيان أن نقطة الوساطة في طريق التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند كانت تشغلها السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما لم تكن قد وضعت المنطقة بعد تحت نفوذها، ولم تكن قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة في موانئها[١٧].

وفي هذه الفترة كانت الدولة الحميرية[١٨] قد ظهرت في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية (١١٥ ق.م – ٥٢٥م) وكانت هي المسيطرة على التجارة البحرية مع الهند، وكان التجار العرب يقومون بدور الوسيط التجاري بين التجار المصريين وزملائهم في الهند[١٩].

ان توسط بلاد اليمن بين أمم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينهم فكان بينها وبين الهند علائق تجارية وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج إليها كلاً من المصريين[٢٠] والآشوريين[٢١]

والفينيقيين[٢٢] وغيرهم فكان اليمنيين ينقلون هذه المواد إلى تلك الأمم في سفن البحر أو في قوافل البر، وكان على شواطئ اليمن فرض وموانئ ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو

وادي الفرات[٢٣].

ومن ثم نشط العرب اليمنيين في التجارة والوساطة بين الأمم المعاصرة لهم وأخذت سواحلهم تلعب دوراً تجارياً هاماً آنذاك[٢٤] هذه الوساطة التي لفتت نظر بعض المؤرخين الكلاسيكيين أمثال بليني ومؤلف كتاب الطواف بريبلس. فتحدثوا باستفاضة عن الثراء اليمني وبالتحديد السبئي والحميري من جراء تملك الوساطة التجارية[٢٥].

إذاً فجميع الشواهد تؤكد ان دول جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن السعيدة) كانت في هذه الفترة مركزاً للتجارة الدولية بين الهند وغيرها من دول العالم القديم[٢٦]. وان العرب استمروا في لعب دور الوسيط التجاري بين الأمم واستمروا في نقل السلع الهندية التي كانوا يتاجرون فيها مع سلع بلادهم التي ينتجونها مثل اللبان والمر[٢٧]. الذين أخذوا يتاجرون بها على طول الطرق البرية على ساحل البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال واستمر هذا الدور المزدهر الذي كانت بلاد اليمن السعيدة تلعبه ردحاً طويلاً من الدهر[٢٨].

ومما يجب الإشارة إليه هنا مدى حاجة شعب الإمبراطورية الرومانية لتلك السلع التي أطلق عليها بليني مصطلح (سلع الرفاهية الشرقية) والتي كانت عادةً تكلف الخزانة الرومانية مبالغ طائلة من المال لدرجة ان الإمبراطور تيبريوس ١٤-٣٧م Tiberius[٢٩] أبدى تذمره من ثروات الرومان التي كانت تنتقل إلى امم عربية من خلال الملابس والمجوهرات النسائية والرجالية الباهظة الثمن[٣٠].

وبالإضافة إلى سلع الرفاهية الشرقية تلك كان هناك الطيب والبخور وهو أحد صادرات اليمن للإمبراطورية الرومانية والعالم القديم، وبعظم مدى أهمية البخور والذي كان يزنوه بميزان الذهب، ويشعلونه في جميع المناسبات الدينية أو الجنائزية أو الافراح لذا فهو يعتبر على رأس هرم الواردات الرومانية من اليمن والتي كانت تدفع لأجله الاموال الطائلة[٣١].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل وقفت الأمم الأخرى والتي كانت تستورد المنتجات العطرية والتوابل مكتوفة الأيدي أمام هذا الاحتكار اليمني لإحدى أهم صادرات العالم القديم ؟

والإجابة بالتأكيد لا لم تقف في مكان المتفرج وتترك مسرح التجارة العالمية في يد العرب اليمنيين ولكنها كانت لها محاولات عديدة كان الغرض منها فرض الحماية أو السيطرة الأجنبية على تلك التجارة والبضائع النفيسة[٣٢].

وتأتي محاولة الإسكندر الأكبر[٣٣] على رأس تلك المحاولات فمع بزوغ فجر العصر الهلينى شهد الخليج العربي تقدم ملحوظ لأسطول الإسكندر الأكبر على موانئه التجارية[٣٤] فلقد عنى الإسكندر عناية فائقة بتنشيط الملاحة في الخليج العربي فستأجر الفينيقيين للملاحة فيه ودخل شواطئه، كما نقل كثيراً من السفن إلى بلاد مابين النهرين وبين بعض السفن مستعيناً بأشجار السرو وأرسل ثلاث سفن أبحرت جنوباً للاستكشاف، وصلت إحداهن إلى البحرين حيث شاهد رجالها مصائد اللؤلؤ هناك[٣٥].

وأخيراً قرر الإسكندر إرسال حملة بحرية بقيادة نيرخوس انطلقت من مصب نهر السند مارة بسواحل ماكران، إلا أن هذا المشروع انتهى بوفاة الإسكندر عام (٣٢٣ ق.م) وتعطل تدخل الإغريق في تجارة التوابل والعطور لمدة قرنين من الزمن[٣٦].

وعندما تقاسم قادة الإسكندر الأكبر الشرق الأدنى بعد وفاته استقر البطالمة في مصر في أواخر القرن الرابع ق.م واستقر السلوقيين في سوريا، إلا أن البطالمة أرادوا أن يحققوا حلم الإسكندر في السيطرة على هذه التجارة اليمنية وكسر الاحتكار اليمني لها[٣٧].

فعملوا على استغلال السواحل الطويلة المطلة على البحر الأحمر إلى أقصى الجنوب وكانت تلك المحاولة البطلمية بهدف السيطرة على تجارة اليمن في عدة مراحل[٣٨].

أسفرت هذه المراحل الاستعمارية عن بدء رحلة منظمة للسفن البطلمية منذ عام ١٢٠-١١٠ ق.م إلا أن وبسبب الفوضى والتدهور السياسي الذي حل بأركان الدولة البطلمية أواخر عصر ملوكها توقفت إلى حداً ما تلك التجارة[٣٩].

وبدأت الإمبراطورية الرومانية تخرج على مسرح الأحداث السياسية والتي تعتبر منافس أشد خطراً منهم، يتمثل هذا النفوذ الروماني واضحاً في عصر الإمبراطور أغسطس **Augustus** (٢٧ ق.م - ١٤م) الذي أصبح يسيطر على أغلب مناطق العالم القديم دون منازع منذ أواخر القرن الأول ق.م، ولم يكتفي أغسطس بالنشاط العادي الذي يقوم به أعوانه من الإغريق في تجارة الهند والبحر الأحمر، إنما أراد أن يقضي على العرب اليمنيين ويكسر احتكارهم وسيطرتهم على تجارة التوابل والعطور تماما، ويحولهم للعمل في خدمة الإمبراطورية الرومانية[٤٠].

فعمل على حث المصريين على تنظيف القنوات النيلية في زمنه وبذلت الجهود لإنعاش التجارة في البحر الأحمر، ووضعت حاميات مسلحة على السفن التي تسير في ذلك البحر، واستمر هذا الوضع فترة من الزمن، استخدم في سبيل تحقيقه كل الأساليب العسكرية المتطورة آنذاك وظهرت سلسلة من التحصينات الرومانية في جميع أنحاء البحر الأحمر من الشمال إلى شمال الحجاز كل ذلك بغرض فرص السيطرة على طرف التوابل والعطور الثمينة[٤١].

ومما ساعد على زيادة حركة القرصنة تلك الشعب المرجانية التي كانت منتشرة على طول سواحل البحر الأحمر، ناهيك عن خلو البحر آنذاك من الموانئ الصالحة أو بالكاد يتوفر الملجأ الآمن للبحارة من أخطار العواصف أو من هجوم القراصنة الجياع[٤٢].

وكانت الصورة البراقة المشرقة التي أشاعها الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان في عالمهم الغربي عن ثراء بلاد العرب هي الحافز فيما بعد لحكام الرومان على محاولة التدخل في بلاد اليمن ومما قاله استرابون[٤٣] «ان السبئيين كانوا من أكثر القبائل ثراء نتيجة لتجارتهم في المواد العطرية ولهذا توفرت لديهم كميات من مصوغات الذهب والفضة كالأسرة والموائد الصغيرة والأواني والكؤوس فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها، وجدرانها، وسقوفها بمختلف الألوان».

وليس من الضروري بطبيعة الحال تصديق هذا التصوير المبالغ فيه ومن المحتمل أنه كان كافياً لأثاره أطماع الرومان الطموحيين إلى السيطرة والاستغلال، وهكذا أصدر الإمبراطور أغسطس إلى نائبه الروماني في مصر اليوس جاليوس (**Aelius Gallus**) بأن كلفه بمهمة إرهاب العرب واحتلال أرضهم[٤٤].

وبناءاً عليه جهز جيشاً كثيفاً وانضم إليه عدد من اليهود المخالفين له وانطلقت الحملة الأولى هذه في عام ٢٤ ق.م على متن أسطول كبير ولكنها باءت بالفشل، وفقدت كثيراً من

سفنها ورجالها ولم تحقق الغرض الأساسي الذي خرجت من أجله وهو السيطرة على تجارة الطيوب في اليمن[٤٥].

ولم تكن تلك الحملة الأولى والأخيرة التي أرسلتها الإمبراطورية الرومانية إلى اليمن، ولكن تلتها حملة أخرى أرسلها الإمبراطور أغسطس أيضاً عن طريق البحر في وقت لاحق (ربما بعد عشرين عاماً) إلى هذه المنطقة تحت قيادة ابنه بالتبني جايوس قيصر Gaius Caisar ولكن يبدو أن هذه الحملة لم تستغرق وقتاً أو جهداً كبيراً إذ يذكر لنا بليني أن القائد لم يفعل أكثر من إلقاء نظره سريعة على بلاد العرب ثم رحل عنها[٤٦].

ولما عجز الرومان عن تحقيق مايصبون إليه من الإشراف على الموانئ العربية بالقوة، بدئوا في استعمال الطرق الدبلوماسية فأخذت تحالف ملوك اليمن، فحالفت ملك ظفار الحميري على شرط أن يكون ذلك التحالف مقرون بوجود حامية عسكرية رومانية في ميناء عدن[٤٧] بعد أن دمر بواسطة القوات الرومانية لأنه كان يشكل تهديداً كبيراً وخطراً واضحاً على مصالح الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر والخليج العربي على حداً سواء[٤٨].

وأخيراً فلقد كان للنشاط التجاري اليمني دوراً خطيراً في إسالة لعاب كل القوى الطامعة فيه مثل الفرس الذين أخذوا بفرض الضرائب الهائلة على البضائع المارة إلى الإمبراطورية الرومانية[٤٩] فأصبحت الإمبراطورية بين فكي أسد من الجهة الأولى التجار اليمنيين ومن الجهة الأخرى التجار الفرس مما دفعها إلى عقد تحالف مع الحبشة لمهاجمة اليمن والاستيلاء على تجارتها البحرية مع الهند[٥٠].

ارتبطت الهند واليمن بصلات تجارية وحضارية قوية فلقد كانت البضائع الهندية تنقل إلى اليمن بحراً وكذا الحال بالنسبة للبضائع اليمنية، التي كانت تصل إلى الهند، وتباع هناك في الأسواق الهندية الدائمة الطلب لبضائع اليمن[٥١].

لذا حرص التجار اليمن على إنشاء أسطولاً بحري يغدو ويروح بين الهند وجنوب بلاد العرب بأصناف المتاجر، ومختلف أنواع البضائع وكونوا هناك – أي اليمنيين – سلطة ونفوذ دونه كل نفوذ، وقبضوا على زمام التجارة في الهند واحتكروا غلات البلاد – وسوف يرد تفصيل ذلك لاحقاً –[٥٢].

من هنا نستطيع القول بأنه كان للتجار اليمنيين الزعامة والسلطة في الهند مكنتهم من الاستيلاء على عصب التجارة الهندية[٥٣] فاستقروا بها واستوطنوا أرضها وعمروها[٥٤].

وبناءاً على ماسبق زادت ثروات الشعبين لدرجة دفعت المؤرخين الكلاسيكيين للحديث عنها وبتوسع مما لفت لها أنظار الدول الاستعمارية الطامعة في الثراء والرفاهية[٥٥]. وخصوصاً وان كلاً من البلدين فرضت ضرائب جمركية على تجارة الترانزيت القادمة من الهند واليمن وإلى غيرها من مناطق العالم المختلفة[٥٦].

والآن ننتقل للحديث عن السبب في ازدهار هذه التجارة الهندية اليمنية، والسر في نجاحها وتطورها هو اكتشاف الرياح الموسمية، فلقد شهدت تلك القرون الثلاثة الأولى نموذج للنشاط التجاري العربي اليمني فلقد كانت موانئ اليمن قبله للسفن القادمة مصر والحبوب من أفريقيا ومن المشرق الهند، وكان اليمنيون والهنود معاً هما أول من تعرف على نظام حركة الرياح الموسمية،

واستفادوا منها في تسيير السفن في الاتجاهين، ونتيجة لذلك زادت أنواع وكميات السلع والبضائع التي كانوا يتاجرون بها(٥٧).

هذا ولقد سجل لنا التاريخ حركة بحرية نشطة للتجار اليمنيين احتكروا بها تجارة المحيط الهندي – كما أسلفنا – وذلك لأنهم فهموا وعرفوا كيفية الاستفادة من دورة الرياح الموسمية وحركتها في المحيط الهندي، ففي الصيف تكون اتجاهاتها جنوبية غربية تصل بسفنهم إلى ساحل ملبار الهندي ومع الشتاء تكون فيه اتجاهات الرياح شمالية شرقية وتعود سفنهم وقد تزودت بحمولة كبيرة من سلع متنوعة إلى ساحل شرق أفريقيا وخليج عدن(٥٨).

ويفضل معرفة العرب لتلك الأيام التي تهب فيها الرياح الموسمية وتحديدهم لأوقات هبوبها فقد عرفوا الأوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي. ويذكر المسعودي ان الفلاحين العرب كانوا يستعينون في أسفارهم بدليل بحري سموه (رهماني)، حتى ان المسعودي ارتحل به بحراً مع جماعة من التجار إلى المحيط الهندي(٥٩).

وقد حافظ التجار العرب اليمنيين والهنود على سر هذه الرياح الموسمية بغرض الحفاظ على احتكارهم للتجارة الدولية في المحيط الهندي آنذاك حتى القرن الأول الميلادي إلى أن اهتدى البحار اليوناني هيبالوس Hippalas إلى سر هذه الرياح ومواعيد هبوبها فوصلت السفن اليونانية والرومانية إلى شبه الجزيرة الهندية مباشراً عبر المحيط الهندي فزاد إقبال سكان الإمبراطورية الرومانية على طلب السلع الشرقية وليس معنى ذلك هو ضياع النفوذ اليمني الهندي بل على العكس فلقد استمر هذا النشاط اليمني التجاري إلى القرون الثلاثة السابقة لظهور الإسلام(٦٠).

وبهذا الاكتشاف من قبل هيبالوس شارك اليمنيين أقوام أخرى في تجارتهم البحرية ولعل السبب أيضاً في ذلك هو أن العرب لم يطوروا أسطولهم التجاري البحري، ولذلك فإن سيطرتهم على البحر والتجارة البحرية الهندية خفة قوتها إلى حداً ما(٦١).

ولكي تكون أكثر دقة في تحديد مكتشف الرياح الموسمية Monsoon للغرب فلابد ان نذكر هنا انه سبق هيبالوس بحار يوناني آخر رائد في هذا المجال وتعتبر رحلته من ضمن الرحلات القديمة التي نجحت في الوصول إلى الهند مباشراً وهو رجل يدعى يودوكسوس الكيزيكي Eudoxusofcyzicus ووصل بالسفن اليونانية إلى الهند حوالي عام (١١٤ ق.م – ١١٧ ق.م) وتعددت بعدها رحلات بحارة الإغريق والبطالمة وساعد على نجاحها اهتداء هيبالوس إلى إمكانية استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف(٦٢).

ومن هنا بدء الاستغلال المنظم للطرق الجديدة إلى الهند وبدء البطالمة بالنهوض بتجارة البحر الأحمر فوضعوا عليها موظف مسئول عن متابعة سير السفن في البحر ثم في عام ١٢٠ أو ١١٠ ق.م بدئنا نسمع عن رحلات بحرية مباشرة بين مصر والهند(٦٣).

ويفضل هيبالوس بدء التجار الغربيون في الوصول إلى شبه الجزيرة الهندية في وقت أقل مما كانوا عليه في السابق وبطريقة أقل خطورة مما كان الحال عليه(٦٤). وهكذا حقق هيبالوس في القرن الأول ق.م شهرة عالمية وتاريخية بسبب اكتشافه هذا وأطلق اسمه على الرياح الموسمية الجنوبية-الغربية(٦٥).

والآن نود أن نستعرض مواقيت هبوب الرياح الموسمية الهامة للتجارة ووفقاً لما ورد عند هيا آل ثاني[٦٦] – فالأحوال المناخية التي تعرض لها مناطق الخليج العربي والمحيط الهندي منذ القدم فلقد أوردت لنا العديد من المسميات لأنواع مجتمعه من الرياح التي تهب على شواطئه الغربية تناولت بشيء من التفصيل مسبباتها، والمواقيت التي تهب فيها واتجاهاتها، ومن أصناف هذه الرياح توجد الشمالية الشرقية ونسيم البحر والبر وغيرها ولكن تبقى «الرياح الموسمية» من أهمها جميعاً وذلك نظراً لاستفادة سكان جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي منها أكبر استفادة حتى الوقت الحاضر.

والرياح الموسمية الجنوبية الغربية هذه ذات اتجاهين، فهناك الشمالية الشرقية التي تهب في شهر نوفمبر حتى شهر مارس وتعمل على تسهيل الملاحة البحرية حتى شواطئ الهند للسفن الخارجية من الخليج العربي على طول بحر العرب والمحيط الهندي[٦٧].

أما فيما بين شهري مايو وسبتمبر فتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الاتجاه المعاكس، فتعمل على تسيير وصول السفن إلى شواطئ الخليج العربي بسهولة وأمان[٦٨].

وكما أدرك العرب في جنوب الجزيرة العربية أهمية هذه الرياح الموسمية في التجارة أدرك الهند أيضاً هذه الأهمية، فلقد كان الهواء البارد يندفع باتجاه الشمال فوق المحيط الهندي في الصيف ثم إلى الجنوب باتجاه جبال «الهيمالايا» والسهول الهندية في الشتاء فتملأ أشرعتهم للانطلاق في البحر، كما أنها تجلب للمزارعين الهنود المطر لزرعهم[٦٩].

ولكن على الرغم من أهمية اكتشاف هيبالوس للرياح الموسمية الجنوبية الغربية فلقد ظلت محفوفة بالمخاطر على حد قول «صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري»[٧٠] لذلك احتفظ العرب بسلطانهم على تجارة المحيط الهندي وإن كان هذا السلطان بدأت قوى أخرى تنازعهم فيه فأخذ البحارة المصريين، والفينيقيين واليونانيين يزاحمونهم في طريق جمع ثرواتهم من مياه المحيط الهندي[٧١].

وفيما بعد نشطت التجارة الملاحية بين الإمبراطورية الرومانية والهند فكانت السفن تبحر مباشراً من بومباي أو سواحل الهند الجنوبية إلى المواني الرومانية فيذكر بلديني Pliny أن سفنه أبحرت إلى الهند في فترة قصيرة جداً بلغت خمسة عشر يوماً[٧٢].

اعتمد البحارة الرومان على رياح هيبالوس وركبوا البحر في مواقيتها المنظمة حتى أنه في أيام الإمبراطور فسباسيان (٧٠–٩٦م) Flavius Vespasiarus كان البحارة التجار يخرجون إلى عرض المحيط الهندي بكل جراءة وقوة[٧٣].

وأصبح مشهد السفن الرومانية مألوفاً في مياه المحيط الهندي ذهاباً وإياباً مما أثر إلى حداً ما على تجارة الهند اليمنية آنذاك ولكن الغريب في الأمر أن تتأثر بعض دول الجنوب اليمني إذ سطع نجم حضرموت وقتبان بعد أن تخلصتا من وساطة المعنيين والسبئيين، وأخذوا يشحنوا منتجاتهم من الطيوب والعطور والتوابل والبخور على متن السفن اليونانية في الموانئ المخصصة لذلك. وهذا يعني الانهيار التام للدولتين اليمنيتين – السبئية والمعنية – من ناحية تجارة البحر ولكنهم حولوا تجارتهم بمنتهى الذكاء إلى البر[٧٤].

وهذا يعني ان عرب اليمن لم يتأثروا كثيراً بسبب كشف سير الرياح الموسمية، لأنه في

حالة ضعفت تجارة البحر إلى حدأ ما في بعض دويلات اليمن، ترتفع أسهم دول أخرى مثل حضرموت وقتبان في التجارة البحرية والبرية وهذا يؤكد استمرار التجارة اليمنية الهندية على الرغم من كل الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة(٧٥).

اشتهر سكان جنوب الجزيرة العربية منذ القدم - كما أسلفنا - بالنشاط التجاري إذ كانت تسير قوافلهم براً في شبه جزيرة العرب، وسفنهم بحراً في المحيط الهندي والبحر الأحمر ناقلة على متنها السلع من الأقاليم الآسيوية وغلات شرق وشمال أفريقيا إلى دول البحر المتوسط(٧٦).

ولقد أفضى هذا التقدم الاقتصادي الهندي العربي إلى نشاط التجارة وازدهار المدن وتوطيد حياة الاستقرار والتحضر إلى نشوء الملكية الخاصة، وقيام الدول المتطورة التي جمعت بين صفات الموانئ البحرية والمحطات التجارية على طرق القوافل البرية والبحرية، والمراكز التجارية التي تجتمع فيها السلع ومنها توزع إلى مختلف الجهات(٧٧).

ويعود ثراء اليمن إلى مزاولتها للتجارة البرية والبحرية، والاتجار بالمواد الناتجة من الزراعة في جنوب الجزيرة العربية وبالسلع المستوردة من الخارج ولاسيما من الهند والسواحل الأفريقية(٧٨).

هذا ولقد حرص، عرب جنوب الجزيرة العربية على التجارة البحرية تماماً مثل حرصهم على تجارة القوافل البرية، فعملوا على بناء السفن التجارية لخوض أعماق البحار ومما شجعهم على ذلك الموقع الاستراتيجي للجزيرة العربية، فهو موقعاً أتاح لها إمكانيات واسعة في مجال ازدهار التجارة البحرية فهي تشغل -كما سبق ان رأينا- موقع متوسطاً بين ثلاث بحار البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي من الشرق ومنها يمتد المحيط الهندي ليستمر شرقاً، والبحر المتوسط من الشمال الغربي(٧٩).

لذلك لعبت طرق المواصلات البرية والبحرية في جنوب الجزيرة العربية دوراً حيوياً، في حياة شعوب الجزيرة، ونستطيع أن نقيس فهم ذلك الدور من خلال كثافة شبكة خطوط المواصلات التجارية بنوعيها - البري والبحري - إذ كلما زادت هذه الشبكة كثافة كان هذا دليلاً على تقدم دول المنطقة، ولهذا تعتبر الطرق التجارية هي شرايين الحياة في دول جنوب الجزيرة العربية(٨٠).

ونتيجة لتوسع شبكة المواصلات البرية والبحرية هذه تطورت حركة الملاحة على شواطئها فحرصوا على دراسة طرق الملاحة البحرية ودلتهم تلك الدراسات إلى اكتشاف سر الرياح التجارية الموسمية في المحيط الهندي(٨١).

ومن المؤسف أنه يوجد البعض(٨٢) من الذين حاولوا التشكيك في قدرات العرب على استخدام البحر وإمكانية قيامهم برحلات بحرية فيه وخاصة الرحلات الطويلة المتجه إلى الهند والصين وسيلان معتمدين على قلة القرائن الأثرية الدالة على ممارسة عرب الجنوب للملاحة سواء كان في النقوش أو غيرها، كما أن قلة الأخشاب الصالحة لصناعة السفن كان أحد الحجج التي استند عليها أصحاب الرأي السابق، ويرى هؤلاء ان القوارب المخيطة أو الجلدية هي غير قادرة على القيام بهذه الرحلات البحرية الطويلة(٨٣).

ولقد أثبتت الدراسات ان القوارب المخيطة صنعت بأحجام كبيرة، وهي قادرة على حمل كمية من البضائع كما أن لديها القدرة على الابحار لمسافات طويلة، ولا يستبعد ان يكون العرب قد

استوردوا الأخشاب لصناعة السفن الكبيرة من أماكن توفرها(٨٤).

وأخيراً نجح العرب في ارتياد البحر بكفاءة عالية وجراءة ومهارة فائقة، حتى ملكوا في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب وكان لهم السيادة على الخليج العربي وعلى البحار التي تصل به مثل البحر العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي(٨٥).

فأصبحوا ملمين بمواقع وأوصاف الجزر والخلجان والرؤوس بها وأحكموا تقدير المسافات التي تقطعها السفن بين الموانئ العربية، وموانئ الهند والصين، كما أنهم حددوا الأوقات الصالحة للإبحار والقيام بالرحلات التجارية والملاحية البحرية(٨٦).

ونود أن نشير إلى تلك السفن التي كان العرب الجنوبيين يستخدمونها في ركبهم أعالي البحار فلقد شحنوا بضائعهم على متن القوارب الكبيرة والمخصصة لتصدير سلعهم والتي من بينها المواد العطرية، والتوابل، كما استخدموا القوارب الجلدية لجلب المواد العطرية من الساحل الإفريقي والهند(٨٧).

هذا ولقد اعتمدوا على أطواف من الغاب – نوع من القوارب الصغيرة – ولكنهم كانوا عادةً مايسيرون بها بمحاذاة ساحل شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر الذي تكثر به الشعب المرجانية التي تؤدي إلى تحطيم السفن الكبيرة(٨٨).

وبالإضافة إلى قوارب الغاب كانت توجد سفنهم الشراعية، والقوارب الخشبية الصغيرة المشدودة بالألياف أو المصنوعة من مادة مشابهة لها(٨٩).

ولقد أشار استرابون ان من أوائل السفن التي رست في المحيط الهندي هي سفن خشبية كانت لأهالي مالابار وأخرى لأهالي القسم الجنوبي من مقاطعة حضرموت، وهم الذين بنوا أسطولاً تجارياً من ميناء عدن وبعض الموانئ العربية الساحلية الجنوبية(٩٠). وكانت لهم تجارة واسعة مع الهند وأنهم أيضاً أتقنوا فنون الملاحة البحرية كما أنهم استخدموا السفن التجارية الكبيرة التي صنعوا بها أسطولاً بحرياً تجارياً ضخماً وصول بهم إلى الهند.

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الطرق البرية والبحرية التي تربط مابين الهند وجنوب الجزيرة العربية أو تلك التي كانت جنوب الجزيرة العربية هي حلقة الوصل بينها وبين الهند، ولكي نكون منصفين ولمزيداً من الدقة فلابد أن نذكر هنا ان الطرق البرية كانت في واقع الأمر أقل في العدد من نظيرتها البحرية والمتجهة من وإلى الهند وجنوب الجزيرة العربية ولكننا سوف نذكرها حتى لا نكون قد أغفلنا أي طريق مواصلات بين الهند وجنوب الجزيرة العربية، كما نود أن نشير هنا إلى أن هذه الطرق في أغلبها تبدأ بحرية وتنتهي برية.

الخطوط التجارية البحرية – البرية الهندية اليمنية:

١– طريق البخور (عدن – باريجازا):

ويقف على رأس هذه الطرق التجارية العربية الهندية أهمية طريق البخور والذي يعتبر فرعاً من الطريق التجاري الجنوبي الذي كان يصل بين الهند والموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة العربية ثم عدن، لأن المراكب الهندية كانت تفرغ حمولتها لدى الأعراب الذين حرصوا على التجارة إلى حد أنهم لم يسمحوا لهذه المراكب بدخول مضيق باب المندب إلا بعد دفع الضرائب(٩١).

٢- الهند – البحر المتوسط:

وهذا الطريق يمتد من الهند إلى البحر المتوسط بإتباع الطريق البري منطلقاً من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الهند فلقد كانت القوافل تصل إلى مأرب[٩٢] فبعد وصول السفن التجارية المحملة بالبضائع النفيسة من الهند تحط رحالها في جنوب الجزيرة العربية في ميناء عدن ثم مكة ومنها إلى غزة[٩٣] وباقي مدن البحر الأبيض المتوسط[٩٤].

٣- الهند – نجد:

وهذا الطريق يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت Chatrnatital ويبدأ من ميناء باريجازا ويسير في المحيط الهندي حتى يصل إلى حضرموت وعاصمتها شبوه، ومنها إلى الحدود الشرقية لنجد ومن نجد تتفرع في خط بري آخر ينطلق إلى بلاد الرافدين وخط ثالث يسير إلى بلاد الشام[٩٥].

٤- الهند – حضرموت:

وينطلق هذا الطريق بحراً من الهند ميناء باريجازا الهندي حتى تصل السفن إلى ميناء عدن ومنها براً إلى حضرموت متجهاً إلى منطقة اليمامة عبر الحافة الشرقية أو الغربية للربع الخالي متجهاً إلى بلاد الرافدين لتلتقي في خط آخر متجهاً إلى سوريا[٩٦].

٥- الهند – عُمان Oman

وهذا الطريق ينطلق من ميناء باريجازا وصولاً إلى عدن ومنها براً إلى عمان محملاً بكل بضائع شرق آسيا المنقولة على الابل كما يتفرع منه عدة خطوط أخرى أولها يتجه إلى مأرب وآخر إلى معين وثالث إلى ظفار متفادية المرور بالربع الخالي[٩٧].

٦- سوريا – الهند:

وهذا الطريق يبدأ رحلته من سوريا ثم إلى مكة ومنها إلى اليمن جنوب الجزيرة العربية إلى ميناء عدن ثم إلى المحيط الهندي حتى يصل إلى الهند[٩٨].

٧- الهند – مصر:

وتأتي بضائع الهند عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن أو ميناء موزا ليكتمل طريقه براً عبر شبه الجزيرة العربية إلى الشمال ومنه إلى مصر[٩٩] وهناك مسار آخر لهذا الطريق الذي يربط الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية ويبدأ من الهند وصولاً إلى ميناء قانا أو عدن عبر مضيق باب المندب متجهاً السواحل العمانية عبر البحر الأحمر إلى بيرنيكي Beranike ومن هناك عبر البر يسير في اتجاه الشمال الغربي حتى يلتقي بالطريق القادم من المراكز التجارية الشمالية العربية للجزيرة العربية والذي يمتد من Dedan دادان (العلا حالياً) غرباً إلى البحر الأحمر حتى يصل إلى ميناء القصير ومنه إلى وادي الحمامات وأخيراً قفط الواقعة على مسافة ٤٠ كم شمال غرب الأقصر ومن هذه الطرق كانت كل بضائع الهند تصل إلى شمال الجزيرة العربية ومصر[١٠٠].

٨- ليوكي كومي – الهند:

يبدأ هذا الطريق من ليوكي كومي[١٠١] متجهاً جنوباً نحو سواحل جنوب الجزيرة العربية ماراً بعدد من الموانئ العربية على البحر الأحمر والتي من أهمها: موزا، أوكليس، قنا، عدن، وسوف

يرد ذكر كلاً من هذه الموانئ بالتفصيل لاحقاً – ثم يحاذي الساحل في خليج عمان على رأس الحد، ثم يتجه نحو الساحل المقابل من الخليج ويستمر في السير بمحاذاة الساحل الآسيوي المقابل فساحل كرمنيا إلى نهر السند والموانئ الواقعة جنوبه وتستخدم السفن بنفس الطريق في عودتها[١٠٢].

وبصورة أكثر وضوحاً يجب أن نعلم ان هذه الخطوط لم تكن هي الخطوط البرية البحرية الوحيدة التي ربطت الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية، بل كانت هناك العديد من الخطوط التي جعلت من شبه الجزيرة العربية واسطة بينها فكانت هذه الخطوط تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن لتكمل طريقها إما براً عبر شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال أو بحراً بطول البحر الأحمر حتى موانئه البحرية الشمالية أو متصلة بين الطريق البري والطريق البحري[١٠٣].

هذه كانت أهم الطرق البرية البحرية التي ربطت بين الهند وغيرها من مناطق العالم مروراً بحلقة الوصل بينها وهي شبه الجزيرة العربية على اعتبار أنه لا يستطيع الوصول إلى أياً منها. إلا بمرور بجنوب الجزيرة العربية.

(١) الطرق التجارية البحرية الهندية اليمنية (الغير مباشرة):

وهذه الطرق تنطلق من عدة أماكن وتمر بجنوب شبه الجزيرة العربية وصولاً للهند أو من شبه الجزيرة العربية مباشراً إلى الهند المهم ان منطقة جنوب الجزيرة هي المحور الأساسي للربط بين الهند ومناطق التجارة العالمية – كما أسلفت – والآن نستعرض أهم الطرق البحرية العربية الهندية، وسوف نقوم بترتيب عرضها على حسب أهمها التجارية ابتداءاً من الطرق الغير مباشرة ثم الطرق المباشرة[١٠٤].

١- جنوب شبه الجزيرة العربية ساحل شبه الجزيرة الهندية:

ينطلق هذا الطريق من عدن إلى خراكس Charex[١٠٥] ماراً بعدد من المراكز والموانئ العربية، والجزر مثل فيلكا Fayilake[١٠٦] والبحرين وكذلك بعدد من الموانئ العربية مثل الجرهاء Gerrha[١٠٧] ثم تحاذي الساحل ماراً بعدد من الموانئ على الخليج العربي ثم ينطلق في مياه الخليج ومنها إلى المحيط الهندي، حتى يصل إلى ساحل كرمنيا ويسلك نفس الطريق الذي تسلكه السفن القادمة من البحر الأحمر، وكانت السفن العربية تقف عند عدد من الموانئ الهندية على الساحل الغربي مثل بريجازا أو قد يصل إلى السواحل العربية والحديثة للهند مثل موزي Muziri[١٠٨].

٢- الهند – مصر:

وفي هذا الطريق الذي سبق الإشارة – إلى نظيراً بري له في أهم الخطوط البرية البحرية التي تربط الهند بجنوب الجزيرة العربية، يوجد طريق بحري آخر يتفرع إلى ثلاثة فروع الأول ينطلق من الهند من موزي عبر المحيط الهندي إلى ميناني موزا أو عدن ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى خليج العقبة ثم فقط[١٠٩] أما الفرع الثاني فيسير في نفس سير الخط إلا أنه بدلاً من التوقف عند البحر الأحمر فإنه يكمل مسيرته إلى البحر الأبيض المتوسط، وفي كلا الفرعين كانت جنوب شبه الجزيرة العربية هي القنطرة الموصلة بين القطرين الهندي والمصري بحراً[١١٠].

أما الفرع الثالث للطريق ينطلق من مصر مباشراً إلى الهند[١١١] وله خط سير آخر تماماً فهو ينطلق من موانئ مصر برينيكي على البحر الأحمر متجهاً إلى الحبشة ومنها إلى عدن في جنوب الجزيرة العربية ثم المحيط الهندي حتى تصل إلى موزري في الهند[١١٢] وقد ذكر هذا الطريق عند بليني[١١٣].

٣- الهند – سوريا:

من باريجازا إلى عدن ومنها إلى خليج العقبة ثم إلى الموانئ المصرية الواقعة على البحر الأحمر وبعدها إلى الموانئ السورية على البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا[١١٤] وهناك خط آخر يبدأ من سوريا إلى مصر ثم إلى موانئ البحر الأحمر حتى يصل إلى عدن إحدى موانئ جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى المحيط الهندي ميناء باتيلا الهندي ومن الهند يتفرع هذا الخط إلى أربعة خطوط فرعية هي سيلان – تايلند – الملايو – الصين ومن خلالها تصل جميع بضائع جنوب الجزيرة العربية وسوريا إلى الهند وشرق آسيا[١١٥] هذا ولقد ذكرها المؤرخ أبيان Applan[١١٦] في مجمل حديثه عن التجارة الكبيرة بين الهند والجزيرة العربية.

٤- برنيكي – باريجازا

من برنيكي حول البحر الأحمر يدور هذا الطريق حتى يصل إلى موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى رأس الخليج العربي ومنه إلى باريجازا احدى أهم الموانئ الهندية ولقد استخدمه التجار الصينيون لنقل بضائعهم إلى المنطقة وبفضل هذا الطريق أيضاً وصلت كل بضائع الهند وشرق آسيا إلى جميع أنحاء الجزيرة وبالأخص شمالها وتحديداً مكة والمدينة[١١٧].

(٢) الخطوط التجارية البحرية الهندية اليمنية (المباشرة):

١- عدن – بريجازا Bariguza:

وهو طريق مباشر تماماً يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية والهند ينطلق من عدن Eduaemamn ثم قانا ويسير بمحاذاة الساحل مدة ثلاثة أيام ثم يتجه عبر المحيط الهندي، نحو بريريكم وبريجازا ويستخدم هذا الخط نفس الطريق في العودة محملاً بأغلى بضائع الهند التي ما إن تصل إلى موانئ اليمن حتى تحمل بإشراف التجار العاملين في ميناء قانا Qana براً إلى شيوخ القبائل العربية في أنحاء الجزيرة العربية إلى جرها والبتراء وغيرها من المحطات البرية الهامة[١١٨] ومن هذا الخط يتفرع خط آخر ينطلق من موزا إلى الهند مباشراً بغرض التزود بأنواع البضائع الآسيوية أو العربية المطلوبة عند الطرفين.

٢- قانا – موزري Mouziris:

وهذا الخط ينطلق إلى السواحل الغربية والجنوبية عبر المحيط الهندي إلى الهند لترسوا سفنه في ميناء موزي Mouziris الهندي[١١٩].

ولقد استخدما هذين الطريقين السالفين الذكر بعد اكتشاف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الفترة بين يوليو وأغسطس أما رحلة العودة فكانت تسير مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية في الفترة من ديسمبر إلى يناير[١٢٠].

٣- شمال غرب الهند – اوكليس Ocelis:

وهذا الطريق يبدأ من موانئ شمال غرب الهند من باريجازا ويسير في مياه المحيط الهندي

حتى يصل إلى ميناء أوكلس اليمني في جنوب الجزيرة العربية مباشراً ومنها إلى جزيرة سوقطرة والساحل الصومالي. وهذا الطريق يستخدم مع هبوب الرياح الموسمية المناسبة له[١٢١].

٤- باريجازا – موشا Moscha:

وموشا هو ميناء ظفار على ساحل جنوب شبه الجزيرة العربية كانت السفن الهندية تبحر حتى تصل إلى هذا الميناء الحضرمي وتقضي فصل الشتاء فيه حتى يتم التبادل التجاري والحضاري[١٢٢].

٥- موزا – بتالا غير مباشر:

وهو طريق فرعي يسير بمحاذاة الساحل الغربي إلى مخا ميناء بلاد البخور ومنها إلى المحيط الهندي إلى بتالا مباشراً[١٢٣].

وفي ختام حديثنا عن هذه الطرق البحرية والطرق البرية البحرية يجب أن نعرف ان هذه الطرق لم تكن متروكة سدى دون أي حماية تذكر من قبل الدول الممالكة لها أو التي تمر بأرضها أو مياهها الإقليمية (إن جاز التعبير)، ولقد كانت هناك نقاط حراسة بحرية (تشبه إلى حداً كبيراً خفر السواحل لدينا حالياً – تراقب السفن التجارية في أثناء سيرها في البحر.

كما حرصت عرب جنوب شبة الجزيرة العربية على حماية هذه الطرق البحرية والبرية على السواء فسنت القوانين التي تسير السفن على هديها في رحلتها عبر الخليج العربي والمحيط الهندي من جهة وباتصالها بين الهند شرقاً وشرق أفريقيا غرباً[١٢٤].

وبما أننا تحدثنا عن أهم الخطوط التجارية البحرية فلابد لنا ان نذكر أهم الموانئ العربية التي كانت تمر بها تلك الخطوط فقد نشأت على طول السواحل العربية عدداً من الموانئ والمرافئ ازدهر عدد منها لازدهار التجارة البحرية وأصبحت أسواقاً عالمية تستقبل أنواعاً من السلع الأجنبية ويصدر عبرها منتجات الجزيرة العربية.

وفي هذه الفترة كانت الرحلات البحرية مباشرة بين أحد الموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة إلى السواحل الهندية عبر المحيط دون الحاجة إلى الابحار بجانب الساحل وأصبحت السفن التي تريد الموانئ العربية الشمالية تبحر من عدن أوقاتا وتسير بمحاذاة الساحل ومنه إلى المحيط حتى تصل إلى موانئ الهند[١٢٥] (وسوف يرد ذكرها بالتفصيل لاحقاً).

ومما ساعد على ازدهار هذه الموانئ العربية ان بيئة الخليج العربية وبحر العرب يوجد بها العديد من المناطق الصالحة لقيام الموانئ والرؤوس المحمية، وتوفير مياه الشرب من العيون والآبار في مراكز متقاربة نسبياً مما ساعد على إنعاش وازدهار التجارة البحرية آنذاك بشكل ملحوظ[١٢٦]. وأفضل دليل على ازدهار تلك الموانئ هو مقدار البضائع والسفن التي كانت تفرغ وتحمل في الموانئ العربية والهندية[١٢٧]. ويأتي على رأس هذه الموانئ أهمية موانئ البحر العربي:

١- ميناء عدن Eudaenan:

وهو ميناء هام على الساحل العربي الجنوبي للجزيرة العربية وهو أول ميناء في طريق السفن القادمة من البحر الأحمر بعد عبورها مضيق باب المندب، وتمتاز بمرفأ جيد، كما تتوفر فيه المياه العذبة، لقد كان أصحاب السفن يفضلون الرسو فيه عن اوكليس[١٢٨].

يتميز موقع عدن بحصانة طبيعية وذلك لوقوعها على مرتفع صخري يتكون من الصخور البركانية التي كانت تحيط بالمدينة والميناء، كما أن موقعها ملائم لرسو السفن المارة بها فهي تمتاز بمرفأ طبيعي ومما ساعد على ازدهارها شهرتها الكبيرة بخزانات الماء في الصخور[١٢٩].

كما تعتبر من أهم الموانئ العربية المطلة على المحيط الهندي فأصبح مرسي للسفن الآتية من أنحاء آسيا بالتحديد الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، كما كانت ترسوا عليها السفن المحملة بمنتجات الدول الآسيوية[١٣٠].

وهي إلى جانب ذلك يعتبر نقطة ارتكاز للتجارة بين الهند والصين ومصر، لذلك اهتم العرب المقيمين فيها بالتبادل التجاري على نطاق دولي واسع، حتى أنها عرفت فيما بعد باسم دهليز الصين[١٣١].

ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني ق.م وأصبح يضاهي الإسكندرية من حيث الأهمية التجارية والاستراتيجية[١٣٢] ووفقاً لما ذكره صاحب كاتب الطواف The Periplus قال «كانت تسمى يودايمون Eudaemon وكانت مدينة هامة جداً عندما كانت الرحلة من الهند إلى مصر أمراً لم يتحقق بعد لصعوبة الإبحار في هذه المياه، وبالتالي استحالة وصول السفن المصرية إلى الموانئ الهندية مباشراً، لذلك كانوا يأتون جميعاً إلى عدن التي كانت تتلقى السلع من جميع البلدان كما تتلقى الإسكندرية الآن (البضائع) التي تجلب من الخارج» وفي هذه الرواية دليل واضح على منافسة عدن آنذاك للإسكندرية[١٣٣].

هذا ولقد سيطر على هذا الميناء عدداً من القوى السياسية التي تتابعت على المنطقة مثل أوسان[١٣٤] وسبأ وقتبان وأخيراً حمير[١٣٥] الذي تزهو في عهدها إذ تعرض للهجوم عليه من قبل الإمبراطورية الرومانية التي اتخذت إجراءات فعلية في سبيل السيطرة عليه. بل وعلى المنطقة الساحلية بأكملها في الجنوب بغرض الاستيلاء على تجارة البخور واللبان والتوابل ولذلك قام الأسطول البحري الروماني بعمليات عسكرية من البر والبحر ضد عدن وفق ماورد لنا عند بليني[١٣٦].

أما صاحب كتاب الطواف فيشير إلى ان الرومان سيطروا على عدن فترة من الزمن واعتبر ان حملة اليوس جالوس (السالفة الذكر) هي ذروة تلك المحاولات[١٣٧].

ولكن دوام الحال من المحال، فلقد تحول ميناء عدن فيما بعد من مدينة مزدهرة إلى قريه متواضعة بفعل مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة[١٣٨] ولكن هذا الميناء عاد نشاطه التجاري في القرن الرابع الميلادي وظل مزدهراً حتى العصور الحديثة[١٣٩].

٢- ميناء قانا Qara (بير علي حالياً)[١٤٠]:

وهو ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وإلى الشرق من عدن وعند بطلميوس يقع على خط طول ٨٤ (على الساحل الحضرمي) وهذا الميناء هو ميناء حضرموت الرئيسي (أرض اللبان)، وهو أيضاً سوق تجاري على ساحل البحر العربي، والمنفذ الرئيسي للدولة الحضرمية[١٤١].

يطلق عليه سفر حزقيال (سوق كنية)[١٤٢] فهو الميناء الرئيسي لتجارة اللبان والمر والأحجار الكريمة والذهب كما أنه يعتبر أيضاً محطة هامة تنطلق منه القوافل البرية إلى جميع

أنحاء الجزيرة العربية فهو بذلك ميناء بحري وسوق بري هام في آن واحد(١٤٣).

وبما أنه سوقاً هامة على طريق القوافل البرية وخطوط الملاحة البحرية استقبل هذا الميناء جميع السلع التي كانت تأتي من مصر وأفريقيا والهند بمينائيهما وصدر لهم اللبان وكثيراً من البضائع الموجودة فيه من جراء تبادله التجاري مع الكثير من مناطق التجارة العالمية(١٤٤).

واستناداً مع رواية صاحب كتاب الطواف(١٤٥) كان اللبان والمر ينقل من شرق حضرموت إلى قنا على متن أطواف صغيرة مشدودة بالقرب الجلدية المملوءة بالماء أو على متن القوارب الخشبية الصغيرة ومنها بعد ذلك تنقل لتخزن في السفن الكبيرة استعداداً لتصديرها إلى الهند بحراً أو تحمل على ظهر الجمال لتصدر إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية.

وقد سقط هذا الميناء على يد الدولة الحميرية، إلى أصبحت تسيطر على المنطقة الساحلية الممتدة من مضيق باب المندب حتى قنا شرقاً، وقد اضطرت الدولة الحميرية إلى إقامة سور القلعة للفصل بين حدود الدولتين، ولكن يبدو أن حضرموت استعادة السيطرة على الميناء الذي ظل مستخدماً حتى القرن الرابع الميلادي حتى بعد تدهور تجارة المواد العطرية(١٤٦).

٣- ميناء موشا Moscha:

يقع هذا الميناء على خليج عمان (خليج القمر حالياً) وهو ميناء ظفار الرئيسي متخصص في تصدير اللبان الظفاري وكانت السفن القادمة من الهند ترسو فيه حتى تقوم بعملية تحميل أو إنزال البضائع ولكن على شرط الحصول على إذن مسبق من الملك شخصياً من أجل التجارة في هذا الميناء الهام(١٤٧).

استمر نشاط هذا الميناء التجاري مع الهند حتى القرن السابع الميلادي(١٤٨) وكان تابع للدولة الحضرمية، في عهد الملك العزيلط وهو الملك الذي ذكره استرابون في أثناء حديثه عن حضرموت(١٤٩).

كما ذكره The Periplus عندما تحدث عن أنه يعتبر من الموانئ الهامة الصالحة للاستخدام ويعتبر من أهم الموانئ الملتزمة بقوانين الملاحة في أعالي البحار فهو ميناء على - حد وصفه - من الدرجة الأولى وذلك لأنه يضمن جميع حقوق العاملين فيه.

أما عن موانئ البحر الأحمر: فلقد ذكر كتاب الطواف في وصفه للساحل الشرقي للبحر الأحمر خلوة تقريباً من الموانئ المرافئ الصالحة لرسو السفن، خاصة في الجزء الممتد من ميناء ليوكي كومي جنوباً وهي جزيرة بريم، كما ذكر ان الملاحة فيه خطيرة لكثرة الصخور المرجانية، ويعيش على هذا الساحل أقوام غير متحضرين يهاجمون السفن ويخطفون ركابها - يقصد القراصنة -(١٥٠). وهو محق في كون هذا الساحل غير صالح للملاحة لأنه ملئ بالشعب المرجانية التي تجعل الملاحة فيه أمراً غير يسير، ولكن مع هذا وجد عليه عدد من المرافئ والموانئ والتي من أهمها:

١- ميناء موزا Musa:

وهو من الموانئ الهامة في جنوب غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر وتعرف في بعض الأحيان بموزع، وتقع حوالي ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مخا الحالي(١٥١) ويعتبر موزا من أقدم موانئ اليمن التي أشار لها صاحب كتاب الطواف على أنه من الموانئ الهامة

الملتزمة أيضاً بالقوانين الملاحية ولكنه ليس في الخط الملاحي الدائم(١٥٢).

تخصص ميناء موزا في بيع وتصدير أفخر أنواع المر المحلي (القتباني والمعيني، والأفريقي)، وكانت سوقاً رائجة يعج بالحركة وكان له اتصالات ومشاركة قوية في الأنشطة التجارية مع الساحل الإفريقي المقابل(١٥٣). وهذا الميناء كانت تحكمه مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم حركة التجارة الداخلية فيه وتهدف إلى تركز التجارة الخارجية منه للدولة والتابع لها هذا الميناء(١٥٤).

ونتيجة لهذه النظم راجت التجارة فيه وازدهرت حتى أنها وصلت بضائع موزا إلى ميناء بريجازا الهندي ورهباتا في أفريقيا(١٥٥). وكتاب الطواف يصف لنا بتفاصيل أكثر دقه الرحلة بطول الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ويتحدث عن موزا بقوله (أنها سوقاً شاطئية لها قوانين تجارية، وتجد في موزا كثيراً من العرب سواء من أصحاب السفن أو التجار)(١٥٦).

أما عن واردات هذا السوق فكانت مؤلفه من الملابس الأرجوانية الناعمة والخشنة المطرزة وفق الفن العربي كما يوجد بها الثياب الموشاة والمزخرفة بخيوط الذهب(١٥٧) بالإضافة إلى البن اليمني الشهير وأجود أنواع المر والتوابل(١٥٨).

٢ – أوكليس **Ocelis**:

وهو ميناء على البحر الأحمر في أقصى الجنوب منه بالقرب من مضيق باب المندب ومدينة بريم، وهو من أقدم موانئ البحر الأحمر تعاقبت السلطات السياسية عليه إلى ان استقر أخيراً تحت سلطان الدولة الحميرية(١٥٩) تمتع هذا الميناء بمزايا مثالية لرسو السفن عليه مثل مياهه العذبة والتي كانت تتزود منها السفن قبل إبحارها في عرض المحيط في طريقها إلى الهند(١٦٠). مما جعل اسمه يتردد على أنه محطة تجارية هامة في المصادر الإغريقية والرومانية، ولكنه والحق يقال فقد هذا الميناء أهمية التجارية بعد ازدهار ميناء موزا وأصبح فقط محطة للتموين والتزود بالماء في طريق السفن المتجهة للهند. ولكنه ظل ميناء مخصص للتعامل التجاري مع شرق أفريقيا(١٦١).

ويعتبر هو آخر محطة كانت تقف عندها السفن الهندية التي لم يكن يسمح لها بالاتجاه شمالاً نحو البحر الأحمر(١٦٢) خاصة في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند ومصر أي قبل اكتشاف رياح هبالوس – فكانت السلع الهندية تفرغ في أوكليس ثم تنقل براً إلى موزا حيث تباع هناك(١٦٣).

كانت هذه أهم الموانئ التجارية التي تعامل عرب جنوب شبه الجزيرة العربية من خلالها مع الهند وباقي أنحاء العالم القديم ولابد أن نذكر أنها لم تكن هذه الموانئ فقط هي محطات التعامل البحري فقط مع الهند بل كانت هناك عدة موانئ أخرى أهمها جزيرة سوقطرة، وميناء مدينة الشمر(١٦٤).

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الموانئ الهندية والتي كانت تأتي منها وإليها السفن التجارية اليمنية: لقد كان التجار اليمنيين والهنود معتادين على الإبحار في مياه المحيط الهندي منذ العصور القديمة – وذلك لإلمامهم بنظام الرياح الموسمية – فكانوا يقومون برحلات طويلة بين الموانئ الهندية واليمنية – كما أسلفنا – فقد كانت سفن التجار اليمنيين تبحر من موانئ

الخليج العربي وساحل اليمن إلى الموانئ الهندية وإلى ساحل جنوب الهند[١٦٥]. وتعتبر الموانئ الهندية التالية من أهم الموانئ التجارية التي تعامل معها التجار اليمنيين آنذاك:

١- ميناء برباريكم Barbaricum:

يقع في حوض نهر السند وهو ميناء سوق تجاري من أهم وارداته اللبان والمر من الجزيرة العربية[١٦٦] وكان ملتقى طرق للعديد من السفن الهندية والعربية والصينية، وجميع سلع هذه المناطق يمكن الحصول عليها منه[١٦٧].

٢- ميناء بريجازا Baragaza:

وهو ميناء هام على الساحل الهندي الشمالي الغربي[١٦٨] ويقع على خليج كمباتي Cambay في منطقة اريك Ariake وحتى بعد أن غزاه الهند شعب السكاس Sakas ووقع هذا الميناء تحت السيطرة اليونانية منذ زمن الإسكندر الأكبر إلا أنه تخلص منها، ولكن بقي الطابع اليوناني مسيطراً عليه بفضل التجار اليونانيين الذين كانوا يتاجرون بصورة منظمة مع اليمن وغيرها[١٦٩].

وفي القرن الأول الميلادي استخدمت باريجازا كميناء تجاري هام وكبير لنقل البضائع من داخل الهند إلى خارجها، فكانت تأتي اليها البضائع من مختلف المدن الهندية مثل الأقمشة القطنية والحريرية الموسلين والمنسوجات العادية والعاج والنحاس[١٧٠]. وأخيراً يعتبر باريجازا مركزاً تجارياً هاماً تجتمع فيه كل السفن التجارية الآتية من انحاء العالم آنذاك، وقد تاجر معها العرب الذين صدروا لها الخمور والتمر[١٧١].

٣- ميناء موزي:

وهو ميناء هام يقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الهند وهو تابع لمملكة شارو Cheru التي تسيطر على ساحل كنكتا[١٧٢] ذكرها بليني في أثناء حديثه عن الطرق التجارية البحرية وذكر أن المسافة بينها وبين أوكليس اربعين يوماً[١٧٣]. قصده التجار اليمنيين والعرب طوال قرون عديدة للحصول على الخشب الذي كانت تبنى منه سفنهم[١٧٤] ويعتبر من أهم الموانئ الهندية الرئيسية التي تصدر الفلفل[١٧٥].

كانت تلك أهم الموانئ الهندية التي تصدر وتستورد من وإلى اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية البضائع التجارية.

جدول بأهم البضائع المصدرة من اليمن إلى الهند

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
البخور	حضرموت ظفار	الهند	الشيبه، المرجع السابق، ص٣٩ ؛ The Periplus. Ch. 32 ؛ عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص٨٣.	اشتهرت اليمن السعيدة بزراعة أجود أنواع البخور ومشتقاته: Sayyid. M., op. cit., p. 4 وكانت القوافل تنقله إلى مختلف جهات العالم القديم وعلى رأسها الهند. انظر: عبدالعزيز صالح، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٥، العدد ١، ص٣١٣ وتعتبر حضرموت ومعين أشهر مناطق إنتاج البخور في اليمن حتى ان الكتاب الكلاسيكيين أطلقوا على ملك حضرموت اسم (ملك بلاد البخور) انظر، دتليف نلسن، المرجع السابق، ص٢٧ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص٤٥ وبما أن البخور أهم منتجات العربية السعيدة فرضت العديد من القوانين المنظمة لزراعته وتصديره: مهيب كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص٣٣٣ واعتبرت العاصمة شبوة مركز لتجميع البخور ثم تصديره. Cf.Pliny.NH.BK.6. 31. 136-139. أما عن طريقة التصدير فكان يوضع في قرب من الجلد ثم يحمل على متن السفن الكبيرة إلى الهند: كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص٣٥١ وأخيراً طلب البخور في العالم القديم وبكثرة وذلك لاستخدامه في دور العبادة والقيام بالطقوس الجنائزية؛ الحداد، المرجع السابق، ص٢٥ وللمزيد من المعلومات عن طريقة استخراج البخور انظر: The Periplus, Ch. 29
العطور والطيوب	اليمن (حضرموت)	الهند	برهان الدين، المرجع السابق،ج٢، ص١٢٧، نقولا زيادة، عربيات،	عرفت اليمن السعيدة بطيوبها وعطورها الزكية العتيقة: أبو عيانه، المرجع السابق، ص١٧ ؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص١١ حتى أن

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
			ص٤٣	المؤرخين القدماء أمثال هيرودت وصفها (بأنها البلد الوحيدة التي تنتج العطور والمعادن) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص٢٨٥ ؛ محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٤٩ وأخيراً كان يستخدم في بلاد العرب القديم في الطقوس الدينية والأعياد الجنائزية: Cf: Gold Schmidt. A concise History of the Middle East Egypt. (1983). p. 24 ؛ سفر الملوك، الإصحاح ١٠- آية ١١-٢٢.
اللبان	اليمن السعيدة (سبأ وظفار)	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص١٦٥ وانظر أيضاً ص٧٦ ؛ ياقوت، مختارات، ص٢٣	تميزت حضرموت بإنتاج أجود أنواع اللبان: عبدالحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٨٣ لذلك فرضت على الاتجار بها مجموعة من القوانين الصارمة التي تنظم تجارتها تحدث عنها المؤرخين أمثال بليني فقال (إن ملوك حضرموت كانوا يعتبرون أي انحراف عن خط سير قافلة اللبان المعروف في الدولة جريمة كبيرة يعاقب عليها القانون) انظر محمد عبدالغني، مصادر القرنين ١-٢، ص ص١١٢-١١٣ ؛ وانظر أيضا محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٠٦ كانت مادة اللبان تستخرج بعمل شق في سيقان نباته حتى تخرج منه عصارة بيضاء قابلة للاصفرار: Cf: The Periplus. Ch. 29. تبلغ طول شجرته ٦ أمتار تقريباً وأوراقها متقابلة مركبة على بعض تخرج منها زهرة صغيرة تنمو على سفوح الجبال: انظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص١١٧ وعن الطريق ان استقرت على نقل محصول اللبان وكيف يتم فكان يوضع في قرب جلدية تصل في القوارب والسفن إلى الهند وغيرها: محمد السيد عبدالغني، مصادر القرنين ١-٢، ص١١٩ ،

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				وأخيراً استخدم اللبان في دور العبادة والهياكل الدينية كما استخدم أيضاً لأغراض طبية في التحنيط وعلاج الحلق والالتهابات للأغشية المخاطية والقرح التي تصيب البلعوم: للمزيد انظر: نقولا زيادة، عربيات، ص٤٣ ؛ The Periplus, Ch. 29
المر	تمنع – قتبان حضرموت	الهند	The Periplus, CH. 29 ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ص٤٣.	صدرت اليمن إلى الهند التوابل والبخور والمر: Cf: Perry. G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992), p. 16. لقد اشتهرت اليمن في كتابات المؤرخين القدماء بأنها المنطقة ذات الرائحة الطيبة من كثرة إنتاجها للمر وغيره من النباتات العطرية: Cf: Irfan Shahid, Loc. Cit., CHI, p 10. والمر عبارة عن مادة صمغية تحتوي على مادة حمراء تميل إلى اللون البني ذات طعم شديد المرارة وله رائحة عطرية تخرج من سيقان هذه النباتات الطيبة مثل نبات "كومفير اطول" وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص١١٧.
التوابل	اليمن	الهند	دي لاسي اوليري، المرجع السابق، ص٨٩ ؛ نورمان بنز، المرجع السابق، ص٢٨١.	صدرت اليمن إلى مختلف العالم القديم توابلها وبهاراتها: توفيق برو، المرجع السابق، ص٢٣٩ مما جعلها محط أطماع وأنظار الدول الأجنبية التي اعتادت على استخدام هذه التوابل والبهارات في طعامها لذلك حاولوا السيطرة على اليمن من اجل تأمين حصولهم على هذه التوابل والبهارات : انظر محمد حرب فرزات، المقال السابق، دراسة تاريخية، ص١٠١.
العبيد	اليمن –	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص١٥٤.	استوردت اليمن العبيد من أفريقيا: سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				العليا، ص٣٤ وكان العبيد في اليمن يعملون في الزراعة أو في الخدمة لدى قصور تجار اليمن مما يدل على رفاهية الشعب اليمني: نينافكتور فينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص٣٠٢ ولقد ذكر العبيد في الكثير من النقوش اليمنية: الشيبه، المرجع السابق، ص٢٤٥ ، لقد اهتم اليمنيون وبالتحديد أهل سبأ بتجارة العبيد ولذلك وضعوا لها العديد من القوانين التي تنظم وتحدد الاتجار لهم وعملة البيع والشراء ووضعوا لهم الضرائب المناسبة لذلك للمزيد انظر بالتحديد، إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص٢٩٥
الكندر واللادن	ظفار	الهند	الشيبه، المرجع السابق، ص٥٢	واستنادا إلى إشارة صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري فلقد كان اللادن يجمع على يد عبيد الحكومة أو الذين كانت لهم أحكام قضائية، انظر: The Periplus, Ch. 29
اللؤلؤ	اليمن	الهند	The Periplus, Ch 36 ، إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص١٢٨.	كان اللؤلؤ يحمل من موناني قانا وعمانا على متن القوارب المخيطة المصنعة محلياً تعرف باسم "موراتا" ومن هاتين المدينتين يرسل اللؤلؤ وغيره من البضائع إلى الهند وباقي الأسواق العالمية القديمة للمزيد انظر: Ibid, Ch. 36
الذهب و الفضة	اليمن السعيدة	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص١٤٠-١٤١ ، حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٢٢ و آية ٢٣.	اشتهرت اليمن بالذهب والفضة حتى أن النبي سليمان عليه السلام كان يأخذ منها احتياجاته من هاتين المعدنيين بناءاً على نص التوراة : انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١١-١٢ وانظر أيضاً أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٩ آية ٢ وليست التوراة فقط هي الوحيدة التي تحدثت عن ذهب بلاد اليمن بل تحدث كلاً من المقدسي والهمذاني في مجمل حديثهم عن

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				ثروات جنوب الجزيرة العربية (اليمن) : انظر نينافكتور فينا، المرجع السابق، ص٣٠٦ كما يتحدث عن ثرائها بالذهب الملك اليمني سيف بني ذي يزن عندما قال (ماأصنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة) وفي هذه العبارة دلالة كبيرة على كثرة الذهب والفضة في اليمن كما تدل أيضاً على ثراء الشعب اليمني: انظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص٢٨٩ ناهيك عن حملة اليوس جالوس التي أرادوا بها الاستيلاء على تلك الثروات وخصوصاً بعدما سمع من أهل سبأ أنه كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة والأسره والموائد الصغيرة والأبنية المصنوعة من الذهب والفضة: Cf: Pliny, NH. BK. 6. 160-161
الأحجار الكريمة	اليمن	الهند	سفر الملوك الاول الإصحاح ١٠ اية ١٠-١١ ؛ سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص٢٠.	تجرت جنوب الجزيرة العربية بمختلف أنواع الاحجار الكريمة التي اشتهرت بها مثل اللازورد انظر: علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الاقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ص٨٣-٩٥، ص٧٤ والتي لفتت أنظار الرومان فحاولوا الاستيلاء عليها: Cf: Ibid, NH. BK. 6. 16-161 ; محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص٤٥

وأخيراً وفي ختام عرضنا لأهم البضائع التجارية المصدرة من اليمن إلى الهند فلابد لنا ان نسلط مزيداً من الضوء على أثر هذه التجارة على ارتفاع مستوى المعيشة والأوضاع في اليمن السعيدة التي أصبح أهلها من أشهر الشعوب العربية ثراءاً إذ ارتكزت ثرواتها على التجارة والزراعة مما أتاح لهم عيشاً هنياً وازدهاراً اقتصادياً فترة طويلة من الزمن[١٧٦].

فلقد نعم الشعب اليمني آنذاك برغد في العيش فكان القصر اليمني معلوم بالعبيد والجواري من الأحباش وكانت أوانيهم من الذهب والفضة، ويطيب بالعطور والبخور ويسكنون في أجمل المباني الفخمة[١٧٧] كل هذا بفضل التجارة مع الهند وغيرها التي كانت تصلها الشعب ذهاباً وإياباً محملة بأنفس البضائع الثمينة[١٧٨]. والآن وكما استعرضنا أهم البضائع اليمنية المصدرة للهند فلابد لنا ان نستعرض الآن أهم البضائع الهندية المنقولة إلى اليمن وهي كالآتي:

جدول بأهم البضائع المصدرة من الهند إلى اليمن

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المرجع	الملاحظات
الكافور الهندي	الهند	اليمن	هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م) ص٤٨-٤٩ ؛ أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص٦٤.	لقد احضر الكافور الهندي من الهند كأشجار وغرس في أرض اليمن في مساحات شاسعة غير محدودة واخذ ينمو فيها. Cf: Teixidor J . Loc. cit., Stnsemitica, p. 41 والكافور هي كلمة هندية أصلا بلغة أهل ملقا ولفظه عندهم كابور ' انظر الحوفي، المرجع السابق، ص١٠٣
القرفة	الهند	اليمن	محمود عرفه، المرجع السابق، ص٢٦١ ، محمد السيد عبدالغني، مصادري القرنين، مجلة المؤرخ العربي، ص١٠٧	استورد العرب القرفة من الهند ثم قاموا بتصديرها إلى دول الجوار ودول العالم التي تطلب هذا النوع من النباتات العطرية الباهظة الثمن لذلك حرص العرب على أن يتكتموا على الممر الخاص بمصدر هذه السلعة لكي نستمر نتحكم بالتجارة المربحة . مصطفى عبدالعليم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، ص ص٢٠١-٢١٣.
اللبان	الهند	اليمن	محمد السيد عبدالغني، شبه	كان اللبان يصدر من الهند إلى الجزيرة العربية

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
			الجزيرة العربية، ص١٨٢ ؛ الناصري، الرومان والبحر الأحمر، بيمبار للدراسات العليا، ص٥٤.	على الرغم من أنها كانت تزرعه وتنتجه إلا أن هذا النوع المستورد كان متميز وله أوراق عريضة. انظر: عبدالحليم نورالدين، معرفة الآثار، ص٨٥ وكان ميناء ظفار هو الذي يستقبل اللبان الهندي ثم يقوم بتوزيعه إلى جميع المناطق التي تطلبه. انظر محمود عرفه، المرجع السابق، ص٢٥٥.
الأخشاب	الهند	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص١٤٩؛ The Periplus, Ch. 36.	كانت السفن الكبيرة سواء الهندية أو اليمنية تخرج في مياه المحيط الهندي وتعود محملة بمختلف أنواع الأخشاب التي استخدمتها اليمن في مختلف الصناعات مثل خشب الأبنوس والصندل والمعروف بأصله الهندي : انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ – آية ١١ ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ص١٢ ومن المعروف أن هذا الأخشاب المجلوبة من الهند كانت تتميز باللون الأحمر. انظر فضل اليافعي، المرجع السابق، ص١٣٨ ؛ The Periplus, Ch. 36
المسك	الهند	اليمن	الحوفي، المرجع السابق، ص١٠٣.	وهو من ضمن أهم صادرات الهند إلى اليمن : انور عبدالعليم، المرجع السابق، ص٦٤ وقد ورد ذكر المسك في الشعر الجاهلي فقال عنترة: تبيت فتات المسك تحت لثامها فيزداد من أنفاسها أرج الند للمزيد انظر بالتفصيل: الحوفي، المرجع السابق، ص١٠٣.
الأحجار الكريمة	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص٤٢ ؛ جورجي زيدان، المرجع السابق، ص١٦٠.	احضرت اليمن من الهند مختلف الأحجار الكريمة مثل الياقوت والدرر والزبرجد : انظر الحوفي، المرجع السابق، ص٩٢ وانظر أيضاً ساطع محلي، طريق الحرير ووسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، السنة ١٢، العدد ٣٩-٤٠،

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
				(١٩٩١م)، ص ص٤٩-٧١، ص٥٨.
أصداف السلاحف	الهند	اليمن	نقولا زيادة، المرجع السابق، ص٣٧ ؛ شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ص١٠٣.	ان سكان اليمن احضروا الأصداف من خلال تجارتهم مع أفريقيا ثم أعادوا اليمنيون تصديرها، كما استخدموا علب المجوهرات وبعض قطع الأثاث، للمزيد من المعلومات انظر: The Periplus, Ch. 30.
التوابل	الهند	اليمن	السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م) ص٨٨	استقبلت اليمن واردات الهند من التوابل الهندية والطيوب وغيرها من السلع الهندية : محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٨٢ وانظر أيضاً أنور عبدالعليم، الملاحة، ص٦٤.
العاج	الهند	اليمن	سعد زغلول عبدالحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م)، ص١٨٨ ؛ منذر البكر، المرجع السابق، ص٣٨٢.	هناك وثيقة أرخت في منتصف القرن الثاني الميلادي عبارة عن عقد حول سلع وبضائع هندية استوردها تاجر مقيم بمصر عن طريق الجزيرة العربية كان من أهمها العاج : انظر محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص٥٥ ؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠، آية ١١-٢٢.
الطيوب	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص٤٢ ؛ Strabo, GE, 4: 25, The Periplus, Ch. 36.	لم تقتصر اليمن على نقل منتجاتهم بل شملت متاجرتهم السلع التي كانوا يجلبونها من الهند مثل العبير والنحاس وغيرها من المنتجات : الحوفي، المرجع السابق، ص٩٢ وللمزيد انظر أيضا محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٨١
السيوف الهندية	الهند	اليمن	لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٣٠٩	وصلت السيوف الهندية ذات الصناعة العالية الجودة إلى الموانئ اليمنية فكانوا يجلبون أيضاً القوائم الخاصة لصناعة السيوف من الهند أيضاً. انظر بالتفصيل محمود عرفه، المرجع السابق، ص٢٦١ ؛ السيد سالم، المرجع السابق، ص٨٨.

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الفلفل	الهند	اليمن	شسارلزريوث، المرجع السابق، ص١٥٤ ، الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص٥٤.	ويعتبر الفلفل الهندي من أجود أنواع الفلفل الأسود : انظر زيدان، المرجع السابق، ص١٦٠ ، وانظر أيضاً سعد زغلول، المرجع السابق، ص١٨٨.
ريش النعام	الهند	اليمن	نقسولا زيادة، عربيات، ص٣٧	لقد حمل التجار العرب اليمن ريش النعام من الهند وسيلان والصومال ثم نقلوها عبر البر إلى مصر وجميع موانئ البحر الأبيض المتوسط: انظر جورجي زيدان، المرجع السابق، ص١٦٠.
الفيله	الهند	اليمن	نفسه، ص ٣٧	لقد استخدم الهنود الحفر العميقة لصيد الفيله ثم تصديرها لليمن التي كانت تصدرها هي الاخرى إلى مختلف الاماكن: انظر مي العديري، حضارات، ص١٤٧
الزعفران	الهند	اليمن	عمة بن سراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب دبي، (١٩٩٧م)، ص٢٢٣.	وتعتبر من أهم صادرات الهند لليمن وهو من أجود الأنواع: جورجي زيدان، المرجع السابق، ص١٦١ ، The Periplus, Ch. 24
القطن	الهند	اليمن	م. روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص١٤٦.	يعتبر القطن من أهم السلع الهندية الواردة لجنوب الجزيرة العربية للمزيد انظر زيدان، المرجع السابق، ص١٦٠ وليس القطن وحسب ولكن ورد للجزيرة من الهند مختلف أنواع الأقمشة من الصوف والكتان الملون : للمزيد انظر رستوفتزف، المرجع السابق، ص٢٣١.
الحرير	الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 28 ، رستوفتزف، المرجع السابق، ص١٤٦.	صدرت الهند لليمن أجود أنواع الحرير الهندي على شكل لفائف حريرية: انظر محمد حرب فرزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص١٠٩ ؛ وكانت هذه اللفائف تصل إلى اليمن من طريق الهند أو الصين على خط الحرير الصيني انظر رستوفتزف، المرجع السابق، ص١٠٧ ومن المعلوم لدينا أهمية الحرير حتى

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
				أنه اعتبر كوسيلة للتبادل التجاري النقدي إلى ان ظهر لنا ورق الكاغد الحريري كعملة نقدية: انظر محمد فرزات، المقال السابق، دراسات تاريخيه، ص٩٨ لذلك استورده العرب اليمنيين على شكل نفائق ومنسوجات حريرية راقية ودقيقة الصناعه يتحدث عنها صاحب كتاب الصواف انظر: Cf: The Periplus, Ch. 31 and Cf also: 32. وانظر أيضاً أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص٦٤ وأخيراً فلقد عرفت نساء الرومان بتجميع الأقمشة الحريرية الهندية والشامية والتي كانت تصل لها من الهند عن طريق العرب اليمنيين في الجنوب: هول، المرجع السابق، ص١٧. وللمزيد من المعلومات عن الحرير الهندي انظر بالتفصيل الحوفي، المرجع السابق، ص١٠٦ وانظر أيضاً محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص٥٥.
القرنفل	الهند	اليمن	ساطع محلي، طريق الحرير، دراسات تاريخية، ص٥٨.	ارسلت الهند لليمن القرنفل الهندي الطيب الرائحة والذي استخدمه اليمن وصدره إلى معظم دول العالم القديم: هايد، المرجع السابق، ص٤٩.
الرقيق	الهند	اليمن	حمد بن سراي، المرجع السابق، ص٢٢٣.	صدرت الهند لليمن الرقيق سواءاً كانوا عبداً أو اماءاً وفي هذا إشارة واضحة إلى رفاهية الشعب اليمني وارتفاع مستوى المعيشة لديه للمزيد انظر: نقولا زيادة، عربيات، ص٣٧ وكان من شدة اهتمام أهل سبأ تعهده التجارة لهم وضعوا لها القوانين المنظمة للتجارة بها. انظر عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص٢٦٥.
النحاس	الهند	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص٤٩ ؛ The Periplus, Ch. 36	تاجر سكان اليمن مع الهند في الأواني النحاسية التي كانت تصلهم من الهند عن طريق البحر، الشيبه، المرجع السابق، ص٢٣٨ ؛ Cf: The Periplus, Ch. 36.

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الذهب	الهند	اليمن	منذر البكر، المرجع السابق، ص٣٨٢ ؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ دي لاسي اولايري، المرجع السابق، ص٩٥.	وجد معدن الذهب وبكثرة في الهند من دفعها إلى تصديره للجزيرة العربية على شكل حلي وأواني منزلية: Cf: The Periplus, Ch. 24 ؛ وانظر : مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، التراث القومي، عمان، (١٩٨٣م)، ص٣٠ وللمزيد من المعلومات انظر التوراة: حزقيال الإصحاح ١٦ آية ١٣.
الفضة	الهند	اليمن	زيدان، المرجع السابق، ص١٦١ ؛ حوراني، المرجع السابق، ص١٤٤	استخدم اليمن آنية الفضة في منازلهم من شدة ثرائهم ورفاهيتهم انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ حمد بن سراي، المرجع السابق، ص٢٢٣
اللؤلؤ	الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 36	لقد استمر اللؤلؤ الهندي بجودته فكانت تصدره للجزيرة العربية التي كانت تأخذ ماتلزمها منه وتصدر الباقي بعدها من مناطق العالم القديم: انظر منذر البكري، المرجع السابق، ص٣٨٢ ؛ شارلزورث، المرجع السابق، ص١٥٤.
القردة و الطواويس	الهند	اليمن	سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١و١٢ ؛ حوراني، المرجع السابق، ص١٤٩	صدرت الهند لليمن القرود والطواويس ولازالت القرود منتشرة في مرتفعات اليمن، حوراني، المرجع السابق، ص١٤٩.

وأخيراً بعد عرض تلك البضائع النفيسة التي تصدرها الهند لليمن لابد ان نعلم أنه بفضل تلك التجارة ارتفع دخل الشعب الهندي واليمني وأصبحتا كلتا الدولتين الهندية واليمن محط اطماع وأنظار الدول العظمى آنذاك(١٧٩).

حتى ان بليني(١٨٠) أشار إلى الحجم الضخم من البضائع التي تستوردها الإمبراطورية الرومانية من الهند وشبه الجزيرة العربية والتي تأخذ مقابلها مليون ستركه Steraca وهو مبلغ يعتبر ضخم جداً آنذاك لتغطية ترف النساء الروماتيات.

١- أثر ازدهار التجارة على المجمع اليمني:

وبعد أن تعرفنا على أهم صادرات وواردات كلاً من الهند واليمن جاء الآن دور الحديث عن صادرات وواردات من نوع آخر ألا وهي تلك المؤثرات الحضارية التي اكتسبها كلاً المنطقتين من جراء احتكاكها بالأخرى.

استفادت اليمن من موقعها الجغرافي في جنوب الجزيرة العربية فأصبحت على طريق الهند التجاري وأصبحت سفن كلاً من الهند واليمن ذهاباً وإياباً في مياه المحيط الهندي(١٨١). وهو ماتحدثت عنه المصادر الكلاسيكية وأظهرته لنا النقوش وهو أن التجار العرب من اليمن وبالأخص حضرموت كانوا يركبون سفنهم من بلادهم إلى الهند مستفيدين بذلك من اكتشاف الرياح الموسمية على يد هيبالوس - كما سلفنا -(١٨٢).

وبفضل تلك التجارة المشتركة اختلطت اليمن والهند معاً وتبادلاً الثقافة والحضارة على جميع الأصعدة فإلى جانب الازدهار التجاري الذي تولى أمر الإسهام المناسب في دعم البناء الاقتصادي، كانت العمارة الحضارية التي حققها الانفتاح الاقتصادي وتبنى أهدافها التجارية هي الحافز الرئيس لقطاع كبير من أهل هذه الدولة فقد انتفعوا كثيراً بالانفتاح الحضاري وطوعوه لحساب الانفتاح الاقتصادي، وترسيخ العلاقات التجارية المتبادلة بينهم وبين الأقطار والأمصار من حولهم بغرض الحصول على أكبر قدر ممكن من الرفاهية والرغد في العيش(١٨٣).

فمن خلال النشاط التجاري، عماد ازدهار اليمن القديم وقاعدة تمدنه دخلت كل المؤثرات الحضارية بين اليمن والهند بالعنذر المطلوب ليجدد تلك الحضارات وتساعد على نموها وتطورها(١٨٤).

ومما سبق عرضه يمكن القول ان التجارة تعتبر هي همزة الوصل بين الشعوب ورمز انتقال الحضارة الودي السلمي بينها. وأكبر دليل على مدى قوة البناء الاقتصادي اليمني أنه اعتمد على مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم الضرائب وعمليات البيع والشراء في كلاً من تمنع وقتبان اللتان حرصتا على دقة تنفيذها. من أجل الحفاظ على الأرباح المتأتية من التجارة(١٨٥).

ولسنا نشك في ان اليمنيين أثروا من مركزهم التجاري فعاش المجتمع اليمني في سعة من العيش، لم ينعم بها غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية ولاسيما كبراؤهم الذين كان لهم حظا وافراً من رفاهية العيش والتنعم في مختلف أنواع الطعام والشراب، إذ كان يطبخ في بيت

الرجل منهم عدة ألوان وأصناف من الطعام ويعمل في منازلها السكر، وتطيب أدانيهم بالعطر والبخور[١٨٦].

وكان لكلاً منهم الحشاية الخاصة به، وفي منزله الأثيق والكبير الكثير من الإماء والجواري، وعلى بابه حملة من الخدم والعبيد والمحضيات سواءاً من الهنود أو الجيوش حتى ان المؤرخ بليني يبدي حسده لليمن من ثرواتهم هذه ورفاهيتهم الواضحة في وفياتهم حين يحرقون في جنازات الموتى بخوراً بكميات هائلة يفترض إحراقه في معابد الآلهة في روما[١٨٧].

٢- الوكالات التجارية اليمنية في الهند:

وإتماماً لعملية التبادل التجاري الناجح بين القطرين كان لابد للتجار اليمنيين من اتخاذ بعض التدابير والإجراءات التي من شأنها إيصال البضائع سالمة إلى الجهتين.

ونحن في عصر السرعة الذي نعيش فيه الآن غفلنا ماكان يلاقيه الأقدمون من مخاطر عندما كانوا يرسلون البضائع بواسطة سفن صغيرة تقطع رحلات بحرية طويلة ومعرضة للعواصف والحروب والقرصنة، ولعلاج ذلك كانوا يقيمون بعض العلاقات الشخصية مع أناس من أهل هذه المناطق البعيدة، أو يرسلون مندوباً معتمداً على الشحنة المصدرة، وكان هذا المندوب عادة ابناً لأحد كبار التجار أو صديقاً أو عبداً[١٨٨].

وإتماماً لهذه العملية استقر الوكلاء اليمنيين في هذه الموانئ الهندية البعيدة لمراقبة أعمالهم وعلى مضي الزمن كونوا حلقة حول الحوض الشرقي من المحيط الهندي وزاولوا وباشروا تجارتهم فيه[١٨٩].

كون اليمنيون وكالات كبيرة في الهند في منطقة جدروزيا وينو هناك مدناً وأنشأوا أسطولاً يغدو ويروح بين الهند واليمن بأصناف المتاجر وأنواع البضائع وكونوا هناك سلطة دونها كل سلطة ونفوذاً دونه كل نفوذ. وقبضوا على زمام التجارة من خلال هذه الوكالات التجارية احتكروا غلات البلاد وزاحموا أهلها في أرزاقهم وعرفهم الهنود باسم عربتو (Arabitoe) أي العرب[١٩٠].

وبفضل هذه الوكالات التجارية وصلت الحضارة الهندية إلى كلاً من جنوب الجزيرة العربية وباقي بلاد العالم القديم[١٩١].

٣- الهجرات اليمنية للهند:

لقد فرضت العوامل الطبيعية ضوابط حددت اتجاهات الهجرات السكانية من شبه الجزيرة العربية وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت شبه الجزيرة بالأقاليم المجاور لها وكذلك في طرق بحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة، فقد اتجهت التحركات البشرية المبكرة صوب أقاليم الأمطار كما سعت في الأقطار المطلة على المحيط الهندي[١٩٢].

ويجب ان لا تغيب عنا نزعة اليمنيين إلى الهجرة حتى وان كانت طبيعة بلادهم وظروف التجارة ومركزهم التجاري في العالم القديم حتمت عليهم تلك الهجرة وكانت تحملهم على السفر الدائم فنزعتهم للخروج من بلادهم مركبه فطريقة أصلية وفي نفس الوقت مكتسبه من ظروفهم العامة[١٩٣].

فأخذت القبائل اليمنية تهاجر وتستقر خارج اليمن وخاصة على الطرق التجارية الهامة وسواء كانت هذه الهجرة راجعة إلى اضطرابات داخلية أو إلى الرغبة في المزيد من بسطة العيش وسعته أو إليهما مجمعة وإلى غيرها من الأسباب، المهم في الأمر أنه ترتب على تلك الأسباب انه نزحت قبائل يمنية كثيرة من اليمن إلى خارجه وأسست لها مستوطنات ووكالات تجارية قوية حيث استقرت(١٩٤).

وكما ذكر اجثارخديس بأن العرب اليمنيين أسسوا لهم مستوطنات تجارية في الهند نفسها(١٩٥) التي سكنوا واستقروا بها(١٩٦).

ومن خلال هذه الهجرات نستطيع ان نستنتج انه كان لها الفضل في نقل ثقافة اليمنيين للهنود والعكس الاحتكاك المباشر والذي أدى إلى انفتاح حضاري كبير منذ وقت طويل بين الحضارتين اليمنية والهندية كما أدت إلى نتيجة أخرى تمثلت في ان التحركات البشرية التي اتجهت إلى الهند استطاعت ان تعايش أنماطاً من الحضارة الهندية بل وتستوعبها لتخرج لنا بمجموعة من الأنماط الحضارية المشتركة والممزوجة في بوتقة حضارته واحدة ومن ثم تحولت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية الى ملتقى حضاري كبير.

وهناك سؤال يفرض نفسه، هل كانت هناك هجرات هندية لليمن ؟ والجواب على ذلك واضح جلي فمنطقة جنوب الجزيرة العربية كانت أرقى مناطق الجزيرة تمدنا في مدارج الحضارة وأكثرها كثافة في عدد السكان العاملين أغلبهم في التجارة(١٩٧).

تلك التجارة التي دفعت التجار الهنود الى ركوب البحر الى اليمن والمتاجرة معها بل وتكوين جاليات هندية مهاجرة الى اليمن من أجل مباشرة أعمالهم هناك فأنشئوا الوكالات التجارية في اليمن وتزوجوا وتعايشوا مع أهلها(١٩٨). ومما يؤكد ذلك اننا عثرنا على نقش في اليمن ذكر فيه أن سفيراً هندياً باسم (ده رده) كان متجهاً إلى روما ولكنه في طريق رحلته مكث فترة في حضرموت عند بعض أقاربه إبان رحلته إلى روما(١٩٩).

من هذا النقش نستنتج وجود جاليات هندية مستقرة في اليمن تربطها بالحكومة اليمنية علاقات صداقة ومودة سواءاً على مستوى الحكومات أو الأفراد.

ومن الجدير بالذكر وكنتيجة حتمية لتلك الهجرات وامتزاج المجتمعين الهندي واليمني بعضها البعض ان تنشئ روابط اجتماعية قوية مثل تبادل الفنون والعلوم ومختلف مظاهر الحضارة الزواج والمصاهرة(٢٠٠) حتى ان المسعودي في فترة متأخرة يقول (صاحبت مشايخ في المحيط الهندي ولدوا ونشأوا من ربابين ووكلاء وتجار يمنيين) وهم بالطبع من أبناء اليمن المهاجرين إلى الهند(٢٠١).

هذا ولقد عثر علماء الآثار على الكثير من النقوش السبئية والقتبانية(٢٠٢) في أقطار عربية وغير عربية بعيدة كل البعد عن اليمن ((مثل الهند))، وهي لا تحتم ان يكونوا اليمنيين غزو هذه الأقطار غزواً، وانما تظهر مقدار متواضعاً من الحقيقة وهي ان اليمنيين كان لهم في ذلك العصر وجو حقيقي طويل في هذه المناطق، كمهاجرين فاستوطنوا المناطق الجديدة وامتد

وجودهم العربي إليها.

أيضا يمكننا القول بأن النشاط التجاري اليمني كان بلا ريب الوسيلة الفاعلة والمضمونة في نقل الحضارة اليمنية إلى الهند، فمنها أخذ الهنود علوم الفلك والتنجيم والدين ومعظم معالم الحضارة والتقدم الفكري، وأنه لمن المؤكد ان الحضارة الهندية لم تكن من صنع يدها وحدها، وان الهنود لم يكونوا هم الأساس في كل مناحيها ولكنهم استطاعوا ان يتصلوا معظم حضارة اليمن وغيرها من الأمم التي اتصلوا بها، ولعل هذا النقل يعتبر احد مخلفات الحضارة والتقدم التجاري الذي أسلفنا الحديث عنه(٢٠٣).

يجب ان نفهم هنا ان اليمن لم تكن هي المصدر الوحيد لتلك الحضارة ولكنها كانت مصدراً ومستوردا أيضاً من الهند التي أمدت اليمن بمختلف مظاهر الحضارة والعلوم والفنون حتى أننا نجد ان نساء اليمن تأثرن في بعض ملابسهن بالأزياء الهندية الملونة والمطرزة والمزركشة(٢٠٤).

وأخيراً وختاماً لكل ماسبق عرضه فلقد تناولنا طبيعة العلاقة التجارية التي ربطت بين الهند واليمن وطرق التجارة بها سواءا البرية منها أو البحرية وأنواع البضائع المصدرة والموردة من كلتا الدولتين كما أوضحنا أخيراً أهم المؤثرات الحضارية سواءا كانت هندية أو يمنية ومدى تأثير وتأثر كل واحدة منها بالاخرى في مجال التجارة والعلوم والفنون وغيرها من مظاهر الحضارة المختلفة.

المصـــادر والمراجـــع

المصادر العربية:

١- القرآن الكريم.
٢- العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م).
٣- الاصطخري، (اسحق إبراهيم الفارسي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، ومحمد غربال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (١٩٦١م).
٤- الحموي، (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٧٩م).
٥- الهمذاني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، (١٩٧٧م).

المراجع العربية والمعربة:

١- إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م).
٢- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م).
٣- أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، (١٩٧٣م).
٤- أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الاسلام، جامعة حلب، دمشق، (١٩٨٠م).
٥- أحمد سوسه، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩م).
٦- أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ج٢، (١٩٦٧م).
٧- إسرائيل ولفنسوف، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م).
٨- إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٧هـ).
٩- أسمهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م).
١٠- أغناطيوس وغويدي وإبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٦م).
١١- أنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م)
١٢- برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م).
١٣- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٨٤م).
١٤- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج٢، (١٩٧٠م)
١٥- جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م).

١٦- جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٩٢م).
١٧- جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ترجمة داوود قربات، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، (١٩٨٣م).
١٨- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م).
١٩- حسين شهاب، ابن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م).
٢٠- حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م).
٢١- حمد بن سراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب، دبي، (١٩٩٧م).
٢٢- دانيال بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م).
٢٣- دتليف نلسن وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م)
٢٤ دي لاسي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى القول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م).
٢٥- ربيع القيسي وصباح الشكري، دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (١٩٨١م).
٢٦- ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م).
٢٧- سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م)
٢٨- سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م).
٢٩- سعيد زغلول عبدالحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م).
٣٠- سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م).
٣١- سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م).
٣٢- ـــ، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م).
٣٣- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م).
٣٤- شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، ومحمد خفاجه، الهيئة المصرية

العامة، القاهرة، (١٩٥٠م).
٣٥- صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سيرين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م).
٣٦- صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ).
٣٧- صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الحكومية، الكويت، (د.ت).
٣٨- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م).
٣٩- عبدالحليم نورالدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، (٢٠٠٨م).
٤٠- عبدالله الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي النوري، اليمن، (٢٠٠٠م).
٤١- فتحي أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٤٤م).
٤٢- فضل الجاثم، الحضور اليمني في الشرق الأدنى، دار علاء الدين، دمشق، (١٩٩٩م).
٤٣- فليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م.ن).
٤٤- قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م).
٤٥- كمال الصالحي، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م).
٤٦- لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م).
٤٧- مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، مطبعة آمون، القاهرة، (١٩٨٣م).
٤٨- محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٦٦م).
٤٩- ـــ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م).
٥٠- محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهدان للطباعة، اليمن، ج١، (١٩٦٨م).
٥١- محمد الشاعر، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وعصر جوستناف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٩م).
٥٢- محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).
٥٣- ـــ، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ).
٥٤- محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).
٥٥- محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية،

المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩١م).

٥٦- ـــ، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (١٩٩٩م).

٥٧- محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج٣، (١٩٧٨م).

٥٨- محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين، للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م).

٥٩- منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م).

٦٠- مي السديري، حضارات، (د.ن)، الرياض، (١٤٣١هـ).

٦١- ميخائيل روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي، ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

٦٢- نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م).

٦٣- نقولا زيادة، عربيات حضارة ولغة، (د.ن.م)، (١٩٩٤م).

٦٤- نوره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص٢٤٨.

٦٥- نينا فكتوروفينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م)

٦٦- الهادي أبو لقمة ومحمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية، بنغازي، (د.ت).

٦٧- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م).

٦٨- هيا آل ثاني، الخليج العربي في عصر ماقبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م).

٦٩- وديع بشور، سوريا قصة الحضارة، دار الفكر، (د.م)، ج١، (١٩٨٩م).

الدوريات العربية:

١- اليزبث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبترول، ترجمة محمود محمود، الدارة، الرياض، السنة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ص٢٨-٤٣.

٢- بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص١١٩-١٣٨.

٣- جروم، الجرهاء مدينة مفقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف،

الرياض، العدد ٦، ص ص٩٥-١٠٥.
٤- ساطع محلي، طريق الحرير – طريق الحوار طريق الحرير، ١٩٩١ وسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ص٤٩-٧١.
٥- سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سيمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ص٢٩-٦٨.
٦- علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ص٨٣-٩٥.
٧- فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ص١٧١-١٩١.
٨- محمد حرب فرزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص٩٦-١١٨.
٩- محمد حرب فرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصيف والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص٩٦-١١٨.
١٠- محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ص١-٣٣.
١١- مصطفى عبدالعليم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ج٢، ص ص٢٠١-٢١٣.
١٢- مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ١+٢، (٢٠١١م)
١٣- نقولا زيادة، دليل البحر الاريتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ص ص٢٥٩-٢٧٧.

المصادر الأجنبية:

١- Appian, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heiremans, Ltd, London, (1972), 4 vol.
٢- Arrian, History of Alexander and Anabasis Trans. By: E. Iliff Robson William Heinemann Ltd., London, (1946), 2 vol.
٣- Malale J., Chronographia, ed., L. Dirdrof, (SCHB), Bonn, (1831).
٤- Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warnington, William Heinemann, London, (1969), vol. 2.
٥- Polybius, The Histories, Trans. By: W. R. Paton, William

Heinemann, London, (1926).
٦- Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans., By: H. B. Dewing, William Heinemann Ltd, London, (1970), vol. 7.
٧- Quintus Curtius, Trans. By: John C. Rolfe, William Heinemann Ltd, London, (1970).
٨- Strabo, Geography, Trans. By: Horace Leonard Jeonard Jones, William Heinermann Ltd, London, (1966), vol. 8.
٩- The Periplus Maris Erythraei, Trans. By: Casson, Princeton University Press. New Jersey, (1914).

المراجع الأجنبية:

١- Albertini E., L'empire Romain, Librairie, Elixalcan, (1929).
٢- Bagot J., The Great Arabs Conquests, Hodder and Stoughton, (1960).
٣- Bell. R., Introduction to the Quran, Edinburch, At The University Press, London, (1953).
٤- Bengison H., The Greeks and the Pergians, Weidem Feld and Nicolson, London, (1964).
٥- Bowersock W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983).
٦- Burlot J., La Civilisation Islamiaue, Moorehean, A., African Terilogy, London, (1952).
٧- Cantineau J., Le Dialecte Arabe De Palmyre, Beyrouth, (1934).
٨- Ernest J., Backround of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952).
٩- Fayyaz S., As short History of Islam, London, (1960).
١٠- Fowden G., Empire to Comnon Wealt, New Jersey, (1993).
١١- Glubb J., The Great Arab Conovests, Hodde and Stoughton, (1960).
١٢- H.O. Pub, Sailing Direction for the Red Sea and Gulf of Aden, The Hydrogophie Office Under the Quthority of the Secretary of the Navy, United States, (1952).
١٣- Hannond N., Scullard, The Oxford Classical Dictionary, AHhe

Clarendon Press, Printed in Great Britain, Second Edition, (1970).
١٤- Kirk G., A short History of the Middle East, Surjeet Publication, (1981).
١٥- Leiss B., and Arnold H., Asurvey of Arab History, Cairo, (1987).
١٦- Mattingly H., Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold Publishers. Ltd, (1959).
١٧- Perry G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992).
١٨- Peter M., The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976).
١٩- Potts D., The Arabian Gulf In Antoiqwty, Clarendon Press, Oxford, (1990).
٢٠- Raoul Mclaughlin, Rome and the Distant East, Continuun UK the Tower Building 11 York Road, London, (2010).
٢١- Robinson E., A History of Rome, Met hum Educational Ltd., London, (1978)
٢٢- Schnidt G., Aconcise History of the Middle East Egypt, (1983).
٢٣- Sedillot, Histoire Des Arabs, Librairie Hachette Et, (1954).
٢٤- Sinnigen W. and Boak, A., A History of Rome, To A. D. 565, Macmillan Publishing Co., Inc, New York, (1977).
٢٥- Tenney. F., and Other, An Economic Survey of Ancient Rome, The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), Vol. IV.
٢٦- Warmington E., The Commerce Between The Roman Empire and India, Curzon Press Ltd, London, (1974).
٢٧- Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963).
٢٨- Zwemmer R., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. Wheaten Co. Ltd., Exeter, London, (1986).

الدوريات الأجنبية:

١- Bury J., and other, CAH, Cambridge, (1924), vol. I, pp. 188-203.
٢- David G., 'The Saracens and the Defense of the Arabian

Frontier", BASOR, Bulletin of the American School of Oriental,
New Haven, (1978), pp. 1-20.

Shahid J., "The Rise and Domination of the CIH, Cambridge, −٣
vol. 1, (1970).

Teixidor J., "Un Port Romain Du Desert Palmyre", Semitica, −٤
Librairie D'Amerique Et D'Orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp.
16-55.

الملاحـــــــــق

(١) بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١)، ص ص ص١١٩-١٣٨.

(٢) لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م)، ص٨٩ ؛ فتحي أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، در المعرفة الجامعية، بيروت، (١٩٩٤م)، ص٣ ؛ إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص١١٣.

(٣) العبادي أبو لقمه، محمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجاهديه، بنغازي، (د.ت)، ص٣٤.

(٤) جورج فصلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص٢٣-٢٤.

(٥) نوره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشوف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص٢٤٨.

(٦) ولمزيداً من المعلومات عن موقع اليمن وأهميته الاستراتيجية والتجارية: انظر بالتفصيل الحموي، (شهاب الدين ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (١٩٧٧م)، ج٥، ص٤٤٧-٤٤٨ ؛ الهمداني، (لسان اليمن الحسن بن أحمد)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، دار اليمامة، الرياض، (١٩٧٧م)، ص٧٣-٧٨.

(٧) Ernest Jack, Background of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952), p. 90.

(٨) Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warmington Heineran Ltd, London, (1969), Vol. 2, BK. 6. XXVI. 101 , Sedillot, Des Araps, Libranne Hachatte Et, (1954), p. 24 ;

فليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.ن)، ص١٦٣ ؛ محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص٢٤٩.

(٩) فاطمه صلاح الدين، العرب والتجارة الدوليه في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ص١٦١-١٩١، ص١٧١.

(١٠) منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م)، ص ٢٨٢ ؛

Joseph Burlot, La Civilisation Islandoue, Moore Hean A., Frican Teritogy, London, (1952), p. 8.

---

(١١)العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م)، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ٢ ؛ جورج حوراني، العرب والملاحة، ص٧٨ ؛ Peter Mansfield, The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976), p. 14

(١٢) Leiss, B. and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987), p. 30 ; Richard Beu, Introduction to the Quran, Edinburgh, At the University Press, London, (1953), p. 5.

(١٣)إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م)، ص٢٣٢ ؛ دتليف نلسن، وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م)، ص٢٧٤.

(١٤)سفر أشعياء الإصحاح ٤٣، آية ٣ ؛ سفر حزقيال الإصحاح ٣٣، آية ٤٢.

(١٥)Pliny, NH, BK VI, 26-101.

(١٦) Eugene Albertini Le'mpire Roman, Librairie, Elix Alcan (1929), p. 229.

(١٧)فاطمة صلاح الدين، المدخل لمدنق، مجلة الدراسات البردية والنقوش، ص١٨١.

(١٨)للمزيد من المعلومات عن الدولة الحميرية انظر بالتفصيل: The Periplus Maris Erythraei, Trans. by. Casson, Princeton University Press New Jersey, (1914), Chapter. 23 and cf also 36.

(١٩)فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص١٦.

(٢٠)للمزيد من المعلومات عن المصريين انظر: نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ص٩٢-١٠٠ ؛ وانظر أيضاً إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م)، ص ص٤٧٣-٥٤٦.

(٢١)ولمزيداً من المعلومات عن الاشوريين انظر بالتفصيل: حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م)، ص ص٦٧-٩٥ ؛ وانظر أيضاً: طه باقر، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م)، ص ص٤٧٣-٥٤٦.

(٢٢)محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ص٢٧٨-٢٨٢.

(٢٣)جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٢٢م)، ج١، ص١٦٠.

(٢٤) عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، اليمن، (٢٠٠٠م)، ص٢٣٦.

(٢٥) Pliny, NH, BK. VI, 32 , The Periplus, Ch. 31.

(٢٦)حوراني، المرجع السابق، ص٦٣.

(٢٧) The Periplus. Ch. 19.

(٢٨)محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (١٩٩٩م)، ص٤٤.

(٢٩) Pliny, NH. BK. XXVI. 101. ؛ دي لاسي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى العول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م)، ص٩٥. والإمبراطور تيبريوس هو الإمبراطور الثاني للإمبراطورية الرومانية تولى العرش وهو في الخمسين من عمره ولكنه تميز بالحكمة وبعد النظر ووضع ثابت له ابن أخته وابنه بالتبني جرمانكوس Germancus. لمزيد من المعلومات عن هاذين الامبراطوريين وباقي الأباطرة الإمبراطورية الرومانية انظر بالتفصيل: E. Robinson. A History of Rome, Methu n Educational Ltd., London, (1971). p. 279 Simien. G. and B. Arthur, A history of Rome to A.D. 565, Macmillan publishing Co. inc. New York, (1977). p. 226.

(٣٠) Pliny, NH. BK. XXVI. 101.

(٣١)محمود عرفه، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص٢٥٩ ؛ [illegible] حضارة [illegible] ولغة، (د.ن.م)، (١٩٩٤م)، ص٦٠.

(٣٢)صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سوريين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م)، ص١١٠.

(٣٣)وهو ملك مقدونيا: SF: Quintus Curtus, History of Alexander, Trans By: John Rolfe William Heinemann Ltd. London, (1970), BK. 1. p. 19. وهو ابن فليب الثاني أولمبياس ويعتبر الأسكندر بلاشك أكثر قادة عصره شهرة لأنه هو أول من أدخل نظام جديد في الحضارة الإغريقية: CF: N. Hannond H. Scullard, The Qufor Classical Dictionary, At the Clarendon press printed in Grent Britain, Second Edition, (1970), pp. 39-41. وللمزيد من المعلومات عن شخصية الأسكندر الاكبر انظر بالتفصيل: Arrians, Roman History, Trans By: Horace White, William Heinemann, London, (1972), 4 vols, BK. 181.

(٣٤)قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م)، ص٤٠.

(٣٥)سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م)، ص٥٧ ؛ إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص١٢٨.

(٣٦)سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ص٢٩-٦٨، ص٣٢ ؛ اليريبث موترو، الجزيرة العربية بين البخور والبترول، ترجمة محمود محمود، الدارة، الرياض، السنة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ص٢٨-٤٣، ص٣٦.

(٣٧) Strabo, op. cit., BK. XV. 1-73 , Hernann Be Ngtson, The Greeks and the Persians, Weiden Feld and Nicholson, London, (1964), p. 320; Bowersock, W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983),p. 43.

(٣٨)للمزيد من المعلومات عن هذه المراحل العسكرية انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص١٨ ؛ محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ص١-٣٣، ص٤٣ ٤٤

(٣٩)إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص١٢٨.

(٤٠) Albertini, E., L'empire Romain, Librairie, p. 229.

(٤١) Strabo, op. cit., Bk. 15.4 , David F. Graf, The Saracens and the Defense of the Arabian Frostier, American Schools of Oriental Research, Copyright, (1978), p. 3.

(٤٢)حوراني، المرجع السابق، ص٢٥ ؛ John Glubb, The Great Arab Conovests Hodde and Stoughton, p. 22.

(٤٣) Strabo, BK. 16.4.16.

(٤٤)رستوفترف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ج١، ص٤٠٥ ؛ Strabo, BK. 16.4.23 , Pliny NH, BK. V.32. 159-162 ,

(٤٥)منذر البكر، المرجع السابق، ص٤١٠ ؛ اسمهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م)، ص ص١٩٧-٢٠١.

(٤٦)فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص١٨١ ؛ Pliny, NH, BK. 6.141.

(٤٧)منذر البكر، المرجع السابق، ص٤١٠.

(٤٨)سيد الناصري، المقال السابق، سمينر للدراسات العليا، ص٣٢.

(٤٩)صالح دراكه، المرجع السابق، ص١١٠.

(٥٠)محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، ص٢٥٨ ؛ حسين شهاب، ابن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م)، ص١٤.

(٥١)سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م)، ص١٥.
وللمزيد من المعلومات عن جغرافية شبه الجزيرة الهندية انظر بالتفصيل: الاصطخري (ابن اسحاق)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد الحسيني، مراجعة: محمد غربال، الجمهورية العربية، (١٩٦١م)، ص١٩ ؛ مي السديري: حضارات، (د.ت)، الرياض، (١٤٣١هـ)، ص١٤٦.

(٥٢)قال العلامة جيان في كتابه وثائق تاريخية وجغرافية في أوريبا الشرقية (قبض العرب منذ أقدم العصور على زمام التجارة البحرية وبخاصة في الشرق فكانت سفنهم هي الوحيدة التي تجري في المحيط

الهندي، وبخاصة ماسبق بلادهم والهند وكنت لهم هناك جالية يمنية كبيرة). وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ)، ص٤٤-٤٥.

(٥٣)أنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م)، ص١٩.

(٥٤) Procopius of Caisarea, History of The Wars, Trans. By: H. B. Dewing William Heinemann Ltd , London, (1970), Vol. 7 , Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963), p. 54.

(٥٥) Pliny, NH. BK. 6 26 , The Periplus, Ch. 27 and Cf also. 32

(٥٦)مُهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ١+٢، (٢٠١١م)، ص٣٥٨ ؛ أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص٩١.

(٥٧)محمد بافقيه، مختارات، ص٢٥.

(٥٨)فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص٦. (انظر جدول مصنوع الهندية اليمنية في هذا البحث ص٣٩).

(٥٩)حوراني، المرجع السابق، ص١ ؛ دي لاسي اوليري، المرجع السابق، ص٩٣. (أنظر الخريطة رقم (٤) عن حركة الرياح.

(٦٠)نقولا زيادة، عربيات، ص٤٤ ؛ Teixidor J "Un Port Romani Du Desert Palmyre" Semitica Librairie D'Amerique Et D'orient, Paris (1984) vol. XXXIV, pp. 16-55, p. 40.

(٦١)مندر البكر، دراسات، ص٢٨٧ ؛ The Periplus, Ch. 20 – and 27.

(٦٢)محمد عبدالغني، سنة الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، مؤسسة ... ، المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩٩م)، ص٤٣ ؛ عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص٢٠ . وهناك من يقول أن هيبلاكوس Hipparchus السكندري هو أول من اكتشف الرياح الموسمية في العصر البطلمي المتأخر وأوائل العصر الروماني، للمزيد انظر منذر البكر: المرجع السابق، ص٣٩٤.

(٦٣)حوراني، المرجع السابق، ص١٦ ؛ فصل الجاثم، المرجع السابق، ص٤١٢.(أنظر الخريطة رقم (٤).

(٦٤) Procopius, History of the Ware, p. 183 ; Shahid I., The Rise and Domination of the Cambridge History of Islam, Cambridge, p. 12.

(٦٥)سيد الناصري، المقال السابق، معيار الدراسات العليا، ص٦١ ؛ The Periplus, Ch. 19.

(٦٦)هيا آل ثاني، الخليج العربي في عصر ماقبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م)، ص٢٤٢-٢٤٣ ؛

The Periplus, Ch. 57.

(٦٧) The Periplus, Ch. 57 . Pliny, NH. BK. VI. 101-106.

(٦٨)ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م)، ص١٦-١٧.

(٦٩)وقد ذكر البحارة العربي المسلم المتأخر ابن ماجد في كتابه عن علوم البحار تعبيراً صادقاً يصف لنا فهم دقيق لطبيعة الرياح الموسمية والتيارات المعاكسة في المحيط الهندي فسماه مواعيد غلق البحر وفتح البحر لمواسم السفر كما قال (إن الخروج من الهند يمر العرب أوله ٣٠ النيروز من حوزران وكتكن، ولكن أهل الأقاليم أكسونية إذا أرادوا السفر فعليهم بأخذ رياح الدبور (أي آخر الصيف) وكلاً على قدر مكانه ومركبه) للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أنور عبدالعليم، الملاحة، ص١٣٣.

(٧٠)حوراني، المرجع السابق، ص٧٠ ؛ The Periplus, Ch. 26.

(٧١)محمود عرب فريات، حوار الحضارات بين اليمن والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص٩٦-١١٨، ص١١٠ : «فقد استطاع البطالمة الإبحار من موانئهم مباشراً إلى الهند خلال أربعين يوما عن طريق أعالي البحر بدلاً من الإبحار بمحاذاة الساحل كما كان متبعاً من قبل والعودة بعد ٦ أشهر»: للمزيد انظر فصل الجائد، الحضور اليمني، ص٤١٢ ، وانظر أيضاً لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٣٢٩.

(٧٢) Pliny. NH. BK. VI. XXVI. 100-101 Glubb. J op cit p. 22.

(٧٣)نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مصر، (١٩٧٥م)، ص٢٨٠.

وللمزيد من المعلومات عن الإمبراطور فسباسيان انظر بالتفصيل: Mattingly Harold, Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold (Publishers) Ltd, London, (1959), p. 19 ؛ وانظر أيضاً سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م)، ص١٩٦.

(٧٤)مهيب كليب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص٣٥٥؛ Leiss and Arnold,op.cit p.29.

(٧٥)نينا فكتورفينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م)، ص٢٦٠ ؛ نقولا زيادة، عربيات، ص٣٧.

(٧٦)محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٧٨م)، ج٣، ص٢٩١. انظر خريطة الطرق البحرية رقم (٢).

(٧٧)محمد باقيه، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م)، ص٢١ ؛ قدري قلعجي، المرجع السابق، ص٨٠.

(٧٨)برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م)، ص١٢٥.

(٧٩)سعاد ماهر، المرجع السابق، ص٥٥ ؛ لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٣٢٤ : ومما يؤنس به في هذا المجال ماورد في القرآن الكريم في سورة يونس قوله تعالى(هو الذى يسيركم فى البر والبحر)

آية ٢٢ وفي تلك الآية حض من الله تبارك وتعالى على استخدام البحر . للمزيد انظر فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص١٧٢.

(٨٠)محمد متولي، محمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج٣، ص٢٩٩.

(٨١)مهيب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص٣٥١.

(٨٢)بيومي مهران، الحضارة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، ص٢٨٥.

(٨٣)أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص٢٠.

(٨٤)نورة النعيم، المرجع السابق، ص٢٤٧-٢٤٨ . ومما يؤيد هذا الرأي أنه تم العثور على نقش يعود إلى عهد الإمبراطور هدريان Hadrian (١١٧-١٣٨م) فيذكر فيه نقابة تجارة ومعترف بها لرئيسة من تدمر يعملون في أعالي البحار. وفي هذا دليل على انتشار إلمام العرب في شبه الجزيرة العربية سواء شماليين أو جنوبيين بعلوم البحار وإتقانهم لفن الإبحار والتجارة مع الأماكن البعيدة التي يصل إليها عن طريق السفن في البحر : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل : Tenney, Frank and Other, An Econmic Survey of Ancient Rome The Johns Hopkns Press, Baltimore, (1938), vol. IV. P, 208.

(٨٥)فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص١٨٤.

(٨٦)منذر البكري، المرجع السابق، ص[illegible] وفي [illegible] العرب [illegible] ملاحة قال طرفة بن العبد في إحدى المعلقات السبع:

عدولية [illegible] يجور بها الملاح طورا ويهتدي

للمزيد انظر منذر البكري، المرجع السابق، ص٤١٥.

(٨٧)أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص٢٨٦ ؛ النعيم، المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٨٨)اليزابيث مونرو، المقال السابق، الدارة، ص٣٦

(٨٩)برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص١٢٥ ؛ [illegible]، المرجع السابق، ص٨٢ وفي هذه السفن الصغيرة (القوارب) قال طرفة بن العبد

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

والحدوج جمع حدج وهو مراكب النساء الصغيرة والنواصف هي المراكب أو السفن الرحبة الواسعة : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص٢٤.(انظر خريطة رقم١).

(٩٠) Procopius, History of the War, p. 183 .

ومما يؤكد ذلك أنه وجدت نقوش سبئية ومعينة مكرسة لآلهة عربية في جزيرة ديلوس Delos ببحر أيجه كانت هذه الجزيرة مركزاً لتجارة الصنائع الشرقية. وهذا الاكتشاف لا يدل فقط على المدن الذي وصل إليه والتجار العرب إنما يدل أيضاً على أن العرب كانت لهم سفنهم الخاصة للمتاجرة : للمزيد بالتفصيل : فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص١٧٢.

(٩١)أنظر الخريطة رقم (١). Pliny, NH BK. 6. XX11. 14 .

سيد الناصري، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص٢٥٨.

(٩٢)مأرب، ولمزيداً من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: سفر التكوين الإصحاح ١٠ أية ٧ : Strabo, GE., BK. 16.4-16.

(٩٣)أما غزة للمزيد من المعلومات عنها انظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م)، ص١٣٢ ؛ أنظر الخريطة رقم (١).

.Pliny, NH. BK. 6.22.144

(٩٤)اغناطيوس وابراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٦م)، ص٨٨ ؛ عبدالحليم نور الدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، تقديم راهي حواس، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، (٢٠٠٨م)، ص٤٥.

(٩٥)صالح دراكه، المرجع السابق، ص١١٠-١١١ ؛ Peter Marsfald, op. cit., p. 21.

(٩٦)صدر البكر، المرجع السابق، ص٣٨٦ ؛ Strabo, GE BK 16.4.2 أما حضرموت فللمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: Strabo GE BK 1604 4 ؛ The Periplus Ch. 29 وانظر أيضاً توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، بيروت، Strabo, GE. BK.1604-4 (١٩٨٤م)، ص٧١ وللمزيد انظر سفر اشعيا الإصحاح اية ٣١ ٣٢ وأنظر أيضاً:
Potts. D., The Arabian, Gulf in Antioqon Press, Oxford, (1990), vol. 2, p. 97.

(٩٧)الجوفي، المرجع السابق، ص٩٨ ؛ وللمزيد من المعلومات عن عمان انظر بالتفصيل نوره النعيم، المرجع السابق، ص٢٥٨.

(٩٨)برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج٢، ص١٣٠ ؛ Strabo, GE. BK. 16.4 2.

(٩٩)لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص١٠٧ ؛ GE, BK. Ibid, 16.4-2.

(١٠٠) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات والبحوث اليردية، ص١٧٢ ، ودادان هي العلا حديثا اشتهر شعبها بالمتاجرة مع الأقطار المجاورة وفي أنفس وأغلى البضائع : للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ اية ٥ ، وانظر أيضا جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٠م)، ج٢، ص٢٤٣.

(١٠١) ليوكي كومي: وهو ميناء مصري يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر نال شهرة واسعة في عهد الدولة البطلمية، وهناك اختلاف حول موقع هذا الميناء الحالي وان البعض يجعله الحوراء واستند على أن الحوراء تعني البيضاء للمزيد عنها انظر بالتفصيل: أنظر الخريطة رقم (١).
Strabo, GE BK. 16.357 and cF also The Periplus, Ch. 19.

(١٠٢) محمد حرب فرزات، بين الصين ، الشام حوار الحضارات على طريق الحرير ، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩، ٤٠، ص ص٩٦ ١١٨، ص١١٣ ؛ وللمزيد من المعلومات عن رأس الحد انظر بالتفصيل: H.O. Pub, Sailing Directions For The Red

Sea and Gulf of Aden, The Hydrographic office Under the Quthority of the Secretary of the Navy, United States, (1952), pp. 267 268.

(١٠٣) Zwenner, R.S., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. Wheatın. Co, Ltd, Exeter, London, (1986), p. 260.

(١٠٤) الخطوط التجارية البحرية الهندية - اليمنية المباشرة خريطة رقم (٢) والخطوط الغير مباشرة خريطة رقم (٣).

(١٠٥) جراكس وهي المحمره حالياً على الخليج العربي: لمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: مندر البكر، دولة ميسان العربية، المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (١٩٨٦م)، المجلد ١٥، العدد ٣، ص٢٦ ؛ Pliny, NH. BK. 6.138-139.

(١٠٦) فيلكه وهي جزيرة تبعد حوالي ٢٠ كم عن بر الكويت: للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: دانيال بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م)، ص٤٠٥-٤٠٦ ؛ جروم، الجرهاء مدينة مفقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف، الرياض، العدد ٦، ص ص٩٥-١٠٥، ص٩٨.

(١٠٧) الجرهاء للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: انظر صلاح سهب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، (د.ت)، ص١١٠ ؛ Polybius, The Histories Trans. By: W. Paton William Heirman Ltd (1940), BK, XIII 9.2.4 , Strabo, GE, BK. 16.3.2.4.

(١٠٨) Pliny, NH. BK. 6.104 Warrington E The Commerce Between The Roman Empire, and India, Curzon Press Ltd, London, (1970), p. 45.

(١٠٩) جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص١٦٢. (أنظر الخريطة رقم (٣).

(١١٠) محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهدان للطباعة، اليمن، (١٩٦٨م)، ج١، ص١٥٣ ؛ فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص١٧٢ ؛ Strabo, GE. BK. 16.4.2.4

(١١١) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص٤٢-٤٣ ؛ The Periplus, Ch. 26

(١١٢) Gearge Kire, Ashort History of the Middle East, Surgeat Publiction, (1981), p. 11 , Texidor J., Lok. أنظر الخريطة رقم (٣) Cit., Semitice, p. 40 .

(١١٣) Pliny, NH. BK. 6. 101-104 وكان من شدة حرص الإمبراطورية الرومانية على خط تجارة الهند – مصر المارة بالجزيرة العربية أنها قامت بإنشاء قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة هذا الخط الملاحي الجنوبي بالنسبة له : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: سيد الناصري، البحر الأحمر والرومان، سيمنار الدراسات العليا، ص٣٣.

(١١٤) أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، (١٩٨٠م)، ص١٨٦.

(١١٥) شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس ومحمد حماجة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص١٥٢.

(١١٦) Appians, Roman History, Trans. By Horace White, William Heinemann, London, (1972), BX. V. 1-9 , Warrington, op. cit., p. 105. (٣) أنظر الخريطة رقم

(١١٧) النعيم، المرجع السابق، ص٢٥٢ ؛ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج٢، ص١٣٠.

(١١٨) محمد حرب فرزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص١١٢ ؛ Plinay, NH. BK. 6.101-104.

(١١٩) Ibid, BK. 6. 101-104.

(١٢٠) أنظر الخريطة رقم (٢)
Warrington, op. cit., p. 48-49

(١٢١) Pliny, NH. BK. 6.101-104.

(١٢٢) باوقيه، مختارات من نقوش، ص٢٨ ،٢٩ ؛ The Periplus, Ch. 32 أما عن ظفار فهي عاصمة الدولة الحميرية وتقع بالقرب من يريم الحالية وهي على مسطحة جبلية حلت محل مأرب بعد أفول نجمها التجاري: للمزيد من المعلومات عن ظفار انظر بالتفصيل أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، (١٩٦٧م)، ج٢، ص٥٧ وانظر أيضاً: The Periplus, Ch. 23.

(١٢٣) دي لاسي اوليري، المرجع السابق، ص٩٤.

(١٢٤) Rostovtzeff, M. The Social Economic History of the Hellenstic World At The Clarendon Press, Oxford (1972), vol. 2, p 1045 , قدري قلعجي، المرجع السابق، ص٨٧.

(١٢٥) النعيم، المرجع السابق، ص٢٥١-٢٥٢ ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ج١، ص٤٢.

(١٢٦) سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م)، ص١٢٨.

(١٢٧) اليزبث مونرو، المقال السابق، الدارة، ص٣٧.

(١٢٨) محمود عرفه، المرجع السابق، ص٢٦٠ ؛ نقولا زيادة، دليل البحر الاريتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، إشراف عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٩٧٩م)، ص٢٦٣.

(١٢٩) النعيم، المرجع السابق، ص٢٥٦. (أنظر الخريطة رقم (٤)أهم الموانئ اليمنية الهندية)

(١٣٠) The Periplus, Ch. 26.

(١٣١) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص١٦-١٧.

---

(١٣٢) Ibid, Ch. 26 and Cf also: 32.

(١٣٣) حوراني، المرجع السابق، ص٦٤. ؛ Ibid, Ch. 26 and Cf also: 37

(١٣٤) للمزيد من المعلومات عن مملكة أوسان انظر بالتفصيل: محمد بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ)، ص٢١-٢٤.

(١٣٥) للمزيد من المعلومات عن الحميريين انظر بالتفصيل: Ibid, BK. I. XX. 3-12 ، Malale, J., Chronographia, ed., L Dirdraf, (CSHB), Bonn, (1831), pp. 57-59.

(١٣٦) سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص٥١ ؛ Pliny, NH, BK. IV. 31.

(١٣٧) The Periplus, Ch. 26.

(١٣٨) محمد عبدالغني، المقال السابق، المؤرخ العربي، ص٥٠.

(١٣٩) (أنظر الخريطة رقم (٤) Shahed. I. Lok. Cit., CHI, p. 10 11.

(١٤٠) وهو أيضا حصن العرب وعن هذه التسمية انظر بالتفصيل: جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص١٦٠.

(١٤١) محمد عبدالغني، مصدر العربي ١ ٢ الملاحين، ص١١٠ ، Pliny, BK. XVI, 104.

(١٤٢) سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ الآية ٢٣ ٢٤.

(١٤٣) حوراني، المرجع السابق، ص٥١ ؛ وللمزيد من المعلومات عن طريق اللبان البري والذي يطلق من ميناء قنا انظر بالتفصيل: عبده الشيبة، المرجع السابق، ص١٢٠ ، Ibid, BK. XVI. 104.

(١٤٤) The Periplus, Ch. 27.

(١٤٥) وللمزيد من المعلومات عن طريقة صناعة الأطواق المشدودة بالقوارب الجلدية انظر بالتفصيل: حوراني، المرجع السابق، ص٥١ ؛

The Periplus, Ch. 27.

(١٤٦) نورة النعيم، المرجع السابق، ص٢٥٦.

(١٤٧) أنظر الخريطة رقم (٤) Ibid Ch. 31 , Strabo, GE. BK. 16.24-25.

(١٤٨) Warrington, op. cit., p. 219.

(١٤٩) الملك الغريلط ملك حضرموت وكانت له علاقات واسعة مع أنحاء الجزيرة العربية ذكر نقش انه حضرت وفود من قريش وتدمر لتهنئته بالحكم للمزيد من المعلومات انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص١٤٥ ؛ حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م)، ص٨٢ وعن أعمال هذا الملك انظر كمال الصالحي، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م)، ص١٢٢-١٢٣.

(١٥٠) The Periplus, Ch. 1 and Cf also: 35.

(١٥١) منذر البكر، المرجع السابق، ص٤١٧.

(١٥٢) سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص٥٥ ؛ Ibid, Ch. 21 and Cf also: Ch. 25.

---

(١٥٣) محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٧٩ ؛ Ibid, CH. 24.

(١٥٤) الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص٤٥ ؛ Pliny, Bk. XVI. 104.

(١٥٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص٢٨٢.

(١٥٦) The Periplus, CH. 24.

(١٥٧) فصل الجاثم، المقال السابق، ص٤١١ ؛ TeixiDor. J., Loc. Cit., Simitica, p. 40 ,

(١٥٨) The Periplus, Ch. 28-24 , Sajyid Fayyaz, A short History of Islam, London, (1960), p. 5.

(١٥٩) النعيم، المرجع السابق، ص٢٥٤-٢٥٥ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص١٩.

(١٦٠) Ibid, Ch. 21-24 , Teixi Dor, Loc. Cit., Semitica, p. 41.

(١٦١) أنظر الخريطة رقم (٤) Ibid, Ch. 25-26.

(١٦٢) Warrington, op. cit., p. 56.

(١٦٣) نقولا زيادة، المقال السابق، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، ص٣٧٤.

(١٦٤) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٤٦ ؛ صلاح البكري، تاريخ حضرموت، ص٤٢.

(١٦٥) عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص١٤٨ ؛ Teixi Dor. J., Loc. Cit., Semitica, p. 38.

(١٦٦) نوره النعيم، المرجع السابق، ص٢٦٢ (أنظر الخريطة رقم ٤)

(١٦٧) Warrington, op. cit., p 9 , Raoul Mclaughlin, Rome and the Distant East, Continuum UK The Tower Building 11 York Road, London,(2010), p. 43.

(١٦٨) The Periplus, Ch. 21.

(١٦٩) أنظر الخريطة رقم (٤) Ibid, Ch. 54 and Cf: 60.

(١٧٠) Ibid, Ch. 36 ; Teixi Dor, Loc. cit. Semitica, p. 38.

(١٧١) فصل الجاثم، المرجع السابق، ص٤١٢ ؛ Ibid, Ch. 27.

(١٧٢) Warrington, op. cit., p. 10.

(١٧٣) Pliny, NH. BK. VI. 104.

(١٧٤) حوراني، المرجع السابق، ص٨٣ ؛ The Periplus, Ch. 14.

(١٧٥) Pliny, BK. VI. 104-105.

(١٧٦) فليب حتى، خمسة آلاف سنة، ص١٦٤ : وللمزيد من المعلومات عن أثر الثروة الزراعية في ارتفاع المستوى الاقتصادي اليمني آنذاك انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبة، المرجع السابق، ص٣٩.

(١٧٧) سفر أشعياء الإصحاح ٤٥ آية ١٤

(١٧٨) الأفغاني، المرجع السابق، ص١٩ ، حسين شهاب، المرجع السابق، ص١١ وللمزيد من أهم البضائع المنقولة من وإلى اليمن والتي كانت اليمن تتاجر بها انظر بالتفصيل سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و ٢٢.

(١٧٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٣٠٧.

(١٨٠) ستركه Steraca (عملة رومانية) .Pliny, NH. BK. XIII. 84 وللمزيد من المعلومات عن ازدهار التجارة الهندية اليمنية وطمع الرومان بها انظر بالتفصيل: الحداد، المرجع السابق، ص٢٧ ؛ Teixidor, Loc. cit., Semitica, p. 20.

(١٨١) توفيق برو، المرجع السابق، ص٢٣٨ ؛ محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص١٧٠.

(١٨٢) The Periplus, Ch. 27 ؛ بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص٣٣٠.

(١٨٣) عبدالحليم نورالدين، مصرية، ص٥٩٩.

(١٨٤) محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص٢٠.

(١٨٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص٢٩٥ ؛ مهران، الحضارة العربية، ص٢٨٥.

(١٨٦) الحوفي، الحياة، ص٩٣ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص٥١.

(١٨٧) محمد عبدالغني، العلاقات بين العرب والرومان، ص٤٧ ؛ Pliny, NH. BK. XIII, 84.

(١٨٨) اليزبث مونرو، المقابل السابق، الدارة، ص٣٨-٣٩.

(١٨٩) نفسه، المقال السابق، الدارة، ص٣٨-٣٩

(١٩٠) البكري، تاريخ حضرموت، ص ص٤٤، ٤٥ ، وجذرور هي منبة واقعة بين كريلا ومصب نهر السند: للمزيد انظر: المرجع نفسه، ص٤٤.

(١٩١) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص٢٥ ؛ عبدالحليم نورالدين، مقدمه في الآثار، ص٧٥.

(١٩٢) فتحي أبو عيانة، دراسات جغرافية، ص١٦ ؛ Ahmad Anani, and other The Early History of the Gulf, p. 39.

(١٩٣) قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتب العربي، ١٩٦٥م، ص٧٨.

(١٩٤) الحداد، المرجع السابق، ص١٦٤ ؛ فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص٦ ؛ J. Wellhausen, The Arab Kingdom, and its fall. Translated By. Margaret Graham Weir, Beirut, (1963), 54.

(١٩٥) نوره النعيم، المرجع السابق، ص٢٠٧ ؛ مهيب كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص٣٣١.

(١٩٦) Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans. By. H.B. Dewing William Heman Ltd, London, 1970.Vol. 7.p. 183.

(١٩٧) أحمد سوسه، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩)، ص١٠١.

(١٩٨) إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة، ص١٥٠.

(١٩٩) بافقيه، مختارات من النقوش، ص ص٣٢٩-٣٣٠.

(٢٠٠) كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص٣٥٨ ؛ عبدالحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٩٢.

(٢٠١) جورج حوراني، المرجع السابق، ص٧ ؛

Bury J., and other, Cambridge Ancient History, Cambridge, (1924), Vol. I, pp. 188-203.

(٢٠٢) قدري قلعجي، المرجع السابق، ص٧٨.

(٢٠٣) ميلر، المرجع السابق، ص٣٠١؛ مي المديري، الحضارات، ص١٤٧.

(٢٠٤) عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص١٦٤.

أمراء البحر في عصر الدولة العربية الاسلامية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط

(١٤-١٣٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م)

د. مديحة محمد الشرقاوي (*)

مقدمـــــة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية، ودورهم في النشاط البحرى في البحر المتوسط (١٤ -١٣٢هـ/٦٣٢ -٧٤٩م) وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، سواء بالنسبة للجانب الإدارى والعسكرى من جهة، وتطور النشاط البحرى الإسلامى خلال تلك الفترة من جهة أخرى، حيث لم يحظ هذا الموضوع بشقيه بدراسة متخصصة ومستفيضه من قبل. فقد كان بناء السفن الحربية وارتياد البحر من أبرز التحديات التى واجهت العرب المسلمين، فى أثناء فتوحاتهم للعراق وبلاد فارس من جهة، وبلاد الشام ومصر وإفريقية من جهة أخرى، وذلك لوقف الإمدادات العسكرية والغذائية التى كانت تصل للفرس والروم عن طريق البحر المتوسط وقطع الطريق عليهم، حيث سيطر الفرس على موانئ وقواعد بحرية، امتدت من ميناء الأبلة، الذى يقع شمال الخليج العربى، حتى ميناء عدن، الذى يقع على مدخل البحر الأحمر، كما سيطر الروم على جزر هامة كانت تمدهم بالإمدادات العسكرية والغذائية، مثل قبرص ورودس وأرواد، تلك الجزر التى كانت شرقى حوض البحر المتوسط، وفي هذا الإطار فان تاريخ السفن وارتياد البحر من قبل العرب المسلمين يرجع الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وبالتحديد منذ سنه ١٤هـ/٦٣٥م، عندما أشارت المصادر التاريخيةإلى أن المسلمين نجحوا فى هذه السنه فى فتح ميناء الأبلة.

وقد قسمت هذا البحث الى محورين يمكن عرضهما على النحو التالى:

المحور الأول:

يتناول إمارة البحر لغة واصطلاحا، ثم مراحل تطور البحرية الاسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر، كما يتناول اختصاصات ومهام أمير البحر.

المحور الثانى:

يتناول نشاط أمراء البحر فى شرق وغرب البحر المتوسط، سواء فى العصر الراشدى او الدولة الأموية.

هذا وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

(*) باحثة حاصلة على درجة الدكتوراة.

المحور الاول :

اولاً. مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح:

الإمارة من (أمر عليهم – أمرا، وإمارة – وإمرة صار أميرا عليهم – وأمر فلانا أمرا – وإمارة وإمرة : كلفه شيئا، ويقال أمره به، وأمره اياه وأمر فلانا : أشار عليه بأمر، وأمر عليهم – أمرا وإمارة صار أميرا، وأمر عليهم – إمارة : صار أميرا وتأمر عليهم : صار أميرا (والإمارة) منصب الأمير، والإمارة جزء من الأرض يحكمه أمير، والأمر : الحال والشأن، و(الإمرة) الإمارة، يقال : تأمر فلان علينا، فحسنت إمرته والأمير : من يتولى الإمارة، والجمع أمراء (١).

أما البحر لغه فمن ابحر، وأبحر فلان : ركب البحر، والبحارة : مؤنث البحار ، والبحار : الملاح ويقال للجماعة بحارة، والبحر : الماء الواسع الكثير، والجمع أبحر وبحور، وبحار، والبحرى : الملاح، والبحرى كل منسوب إلى البحر، والبحرية عده الدول في البحر، من سفن وغواصات وطائرات وجنود، ونحو ذلك(٢).

أما في الاصطلاح، فان وظيفة أمير البحر تعني القائد العسكري الذي يتولي شئون البحر، ويكون مسئولا عن قيادة الغزوات والحملات البحرية،وقد نقلها الأوربيون منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وصارت تلفظ بالإنجليزية Admiral والفرنسية Amiral وهو ما يعرف في الوقت الحاضر باسم قائد الأسطول البحري Commander of the sea(٣).

ثانيا مراحل تطور البحرية الاسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر.

حث الإسلام علي ركوب البحر والجهاد في سبيل الله، وتحفل كتب السنة بالكثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن الرسول صلي الله عليه وسلم، تبين فضل الغزو في البحر وتدعو إليه، حيث يروي عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه قال :" من غزا في البحر غزوة في سبيل الله فقد أدي إلي طاعته كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهرب"(٤).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" لا تركب البحر إلا حاجاً، أو معتمراً، أو غازيا في سبيل الله، فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحراً"(٥)، وعن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: " المائد في البحر يصيبه القئ له أجر شهيد والغرق له أجر شهيدين"(٦)، وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسدر في البحر، كالمتشحط (٧) في دمه في سبيل الله سبحانه "(٨).

بدأ العرب المسلمون حملاتهم وغزواتهم البحرية، في منطقة الخليج العربي، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت موجهة ضد الفرس، وكانت أول حملة بحرية بقيادة هرثمة بن عرفجة البارقي الأزدي(٩) وهو من سادة قبيلة بجيلة، وخرجت تلك الحملة من إقليم البحرين باتجاه إحدي الجزر القريبة من البحرين، وذلك لتأمين الفتح الإسلامي في العراق وفارس، والسعي لقطع الإمدادات العسكرية عن الفرس، والعمل علي نشر نفوذ المسلمين في الخليج، وفى ذلك أورد البلاذري : كان العلاء بن الحضرمي(١٠)، وهو عامل عمر بن الخطاب

علي البحرين وجه هرثمة بن عرفجة البارقي(١١) من الأزد، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس ... وفي ذلك أورد بن خلدون " إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه غزو عرفجة بن هرثمة الأزدي في البحر أنكر عليه ذلك وعنفه لركوبه البحر "(١٢).

وبينما كان العرب المسلمون يتقدمون براً نحو العراق وفارس؛ أعد العلاء بن الحضرمي والي البحرين، ومعه زعماء عبد القيس، حملة بحرية من البحرين وعبروا الخليج إلى فارس، ولقد علم الفرس بهذه الحملة فنصبوا للمسلمين كميناً، ونجحوا في قطع الطريق بين المسلمين وسفنهم، وقد انفرد الطبري برواية، في أحداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م، نقلها عن سيف بن عمر، تقول: إن السبب الذي دفع العلاء ومن معه إلي ركوب البحر هو الوصول إلي فارس، والفوز بفضل السبق في فتحها عن طريق البحر،إضافة إلي ذلك فقد كان العلاء ينافس سعد بن أبي وقاص الذي هزم الفرس في القادسية، وكان يحاول الإتيان بما هو أعظم وأفضل، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها والتصدي لأعدائها من الفرس(١٣).

علي أن فشل الحملة أدي إلي عزل العلاء بن الحضرمي من منصبه، ومنع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المسلمين من ركوب البحر خوفاً علي حياتهم، لذلك توقف النشاط البحري للمسلمين فترة، ولو إلي حين ثم ما لبث أن عاد مرة أخري عندما ولي عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي(١٤) البحرين وعمان فقد أورد البلاذري:" لما ولي عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان فدوخهما واتسقت له طاعة أهلها،ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر الي فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجية وغيرهم ففتح جزيرة ابركاوان(١٥) ثم صار الي توج(١٦)، وهي من أرض أردشير خرة ومعني أردشير خرة بهاء أردشير ...(١٧).

كذلك أرسل عثمان بن أبي العاص حملات بحرية من عمان إلي المحيط الهندي لمحاربة القراصنة الهنود الذين كانوا يقطعون الطريق علي السفن الإسلامية ويهاجمون السواحل وقد أشار البلاذري الي نجاح هذه الحملات البحرية في المهام التي نيطت بها ورجوعها غانمة سالمة(١٨).

أما في البحر المتوسط: فكانت أول الحملات البحرية الإسلامية عام ٢٨هـ/٦٤٨م، عندما غزا معاوية بن أبي سفيان، والي الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ ٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م)، رضي الله عنه جزيرة قبرص من عكا في حوالي ٢٢٠ مركباً أعدت خصيصاً لهذا الغرض، وكانت تسانده من مصر حملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتكللت جهود المسلمين بالنجاح، حيث غنموا الكثير من الخيرات، وصالحوا أهل الجزيرة علي ٧٢٠٠ دينار كل عام(١٩).

يتضح مما سبق: إن الحملات والغزوات البحرية الإسلامية بدأت نشاطها في منطقة الخليج، حيث كان أول الفتح، وأن العرب المسلمين فتحوا العديد من الجزر المنتشرة في الخليج، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه نقل العرب المسلمون نشاطهم العسكري الملاحي إلي البحر المتوسط وفتحوا جزيرة

قبرص، ومن الواضح أنه كان يقود هذه الحملات البحرية المبكرة، في منطقة الخليج قادة عسكريون ممن كانت تعوزهم الخبرات الملاحية، ذلك أن معظمهم كانوا من قادة الجيوش البرية الذين تمرسوا علي خوض المعارك البرية، كما أن غالبية الجنود المشاركين في هذه الحملات من سكان البادية، الذين لم يعتادوا علي ركوب البحر، ولم يختبروا أهواله، كما أنهم لم يتقنوا بعض فنون الحروب البحرية وأساليبها. ويبدو أن العرب المسلمين استفادوا من هذه الغزوات والحملات الأولي، والتي كانت حافزا ودافعا لهم للمزيد من معرفة البحر والغوص في أعماقه، فتعلموا تدريجيا شئون القتال في البحر، وبرعوا في مجال الملاحة العسكرية، وأوصلوها إلي مستوي عال من التطور، وأتقنوا صناعة السفن الحربية، بعد أن استعانوا في بنائها بأهل البحرين وفارس والشام ومصر، واستخدموا في بنائها أنواعا من الأخشاب؛ كانت [illegible] من غابات السواحل الإفريقية والهند ولبنان وسورية وتتميز بجودة فائقة، تستطيع معها مقاومة المياه المالحة لفترت طويلة. كما أنهم عرفوا الطرق البحرية، واستخدموا في حملاتهم العديد من الأسلحة المستخدمة في الحروب البرية، ولقد أشار ابن خلدون إلي هذا في مقدمته وقال : فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة عليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوتية(٢٠) في حاجاتهم البحرية امما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها فشرهوا الى الجهاد فيه. وانشاوا السفن فيه والشواني (٢١)، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب لهذا البحر. وعلي حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس(٢٢).

ولعل هذا يفسر لنا الأسباب التي دفعت المسلمين إلي توسيع الغزوات والحملات البحرية في حوض البحر المتوسط، ومجاراة الروم البيزنطيين والفرنجة والقوط، والاشتباك معهم في العديد من المعارك البحرية، التي سنعرض لها فيما يلي: ولقد كان لطبيعة هذه المعارك من حيث أهميتها في الدفاع عن الحدود الإسلامية، وكذلك نشر الإسلام في جزر البحرالمتوسط القريبة والمجاورة للمسلمين - أثر كبير في استحداث العرب المسلمين لوظيفة أمير البحر، والتي كانت مهامها في بداية الأمر: استطلاع تقدم البيزنطيين، والرد عليهم بغارات مفاجئة، ثم تطورت هذه المهام تدريجيا، لتصبح هذه الوظيفة في العصر العباسي وظيفة مستقلة. يتولي صاحبها قيادة الأساطيل الإسلامية، والإشراف علي الجهاز البحري كله، ويطلق عليه اسم " والي البحر" ويعود تاريخ ظهور وظيفة أمير البحر، عند العرب المسلمين، إلي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من تولي هذه الوظيفة من العرب المسلمين هو: عبد الله بن قيس الجاس(٢٣).

ويؤكد الطبري هذه المعلومات بقوله" أول من غزا في (البحر المتوسط) معاوية بن أبي سفيان، زمان عثمان بن عفان،وقد كان استأذن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه فيه فلم يأذن له، فلما ولي عثمان رضى الله عنه لم يزل به معاوية،حتى عزم عثمان رضى الله عنه على ذلك بآخرة وقال :" لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم،خيرهم،فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه

ففعل، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ..."(٢٤).

ولقد ضمت حملات عبد الله الجاسي، وغزواته البحرية ضد الروم، عددا من صحابة رسول، صلى الله عليه وسلم منهم أبو أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، فقد جاء في رواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن حيي بن عبد الله المعافري بن أبي عبد الرحمن الحبلي قال : كنا في البحر وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري....(٢٥)، ومن المفيد أن نشير هنا إلى: أنه نظرا لأهمية وظيفة أمير البحر عند العرب المسلمين، فقد كانت في ذلك الحين مرتبطة إرتباطا مباشراً بالخليفة والوالي، وكان تعيين صاحبها يصدر عن الخليفة وأحياناً عن الوالي، بعد أن يأذن الخليفة، ويستمد أمير البحر منهما السلطة اللازمة للقيام بمهامه وواجباته، هذا وقد استمرت قيادة عبد الله بن قيس لأسطول بلاد الشام البحري، حوالى ٢٨ سنة، إذ تم تكليفه بهذه المهمة سنة ٢٨ هـ/٦٤٨م وظل ينهض بها حتى وفاته في بلاد الروم، سنة ٥٦هـ/٦٧٦م (٢٦).

وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية حادثة استشهاد عبد الله بن قيس في بلاد الروم، وتحدث عنها الطبري في تاريخه وقال: "خرج عبد الله في قارب طليعة، فانتهى إلى المرفى"(٢٧) من أرض الروم، وجاء اليه اناس من هذا المكان يتسولون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم إلى قريتها، فقالت للرجال: هل أدلكم على مكان عبد الله بن قيس، فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقاتلهم فاصيب وحده، وافلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يعبث بأصحابه وأصيب من المسلمين عدد كبير وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسي(٢٨)، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفتيه ؟ قالت: بصدقته؛ أعطى كما يعطي الملوك؛ ولم يقبض قبض التجار"(٢٩).

وخلال هذه الفترة التي تولى فيها عبد الله بن قيس إمارة البحر: شن العرب المسلمون من بلاد الشام ما يقرب من حوالى خمسين حملة بحرية ضد الروم البيزنطيين، لم تتعرض فيها سفنهم إلى خسائر أو نكبات، وعادت الحملات البحرية الإسلامية سالمة ظافرة منتصرة. ونستنتج من النصوص السابقة التي أوردها الطبري، أن العرب المسلمين كانوا يعتمدون في حروبهم البحرية على سياسة الهجوم المباغت في الإغارة، واعتماد طريقة الكر والفر المعروفة عندهم، والتي استخدموها في معاركهم البرية ضد الفرس والروم في فارس وبلاد الشام، كما أنهم رتبوا الجهاد البحري، ونظموا الحملات البحرية بحيث جعلوها واحدة في الشتاء وواحدة في الصيف، وجعلوا الاشتراك فيها مقصورا على المتطوعة(٣٠).

اختصاصات ومهام أمير البحر:-

على الرغم من ندرة المعلومات الواردة بالمصادر التاريخية، التي بين أيدينا، فيما يتعلق باختصاصات ومهام امير البحر، ربما مرده إلى أسباب عديدة منها: أن الوظيفة عسكرية ظهرت في بداية تأسيس الدولة العربية الإسلامية، وقبل تدوين المسلمين لتاريخهم، وكان استحداثها

من قبل العرب المسلمين في بداية الأمر لشحذ الهمم، حتى لا تخور في الدفاع عن البر عن طريق غزو البحر، ولفتح الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام ونشر الإسلام فيها، ثم تحولت هذه الوظيفة، في بداية العصر العباسي، لا سيما بعد فتح العديد من الجزر وتأمين العرب المسلمين سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط إلى وظيفة إدارية، وأصبح يتولاها وال يسمى "والي البحر" ويديرها من مكان إقامته في العاصمة، إلى والي البحر والذي أورده قدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ/٩٣٩ م) وفي كتابه "الخراج وصناعة الكتابة" للحسن بن عبد الله العباسي (ت٧١٠هـ/١٣١٠م) والمتعلق بحروب البحر، والمتضمن واجبات والي البحر عند العرب المسلمين(٣١).

ولقد تحدث الماوردي عن الإمارة على الجهاد وقال : وهي على ضربين : أحدهما ان تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب، فيعتبر فيها شروط الإمارة الخاصة، والضرب الثاني أن يفوض إلى الأمير فيها جميع أحكامها من قسم الغنائم وعقد الصلح، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة ".. (٣٢). وعليه فاننا نميل الى الظن بأن إمارة البحر كانت إمارة خاصة، ومقصورة على قيادة الحملات البحرية ورسم الخطط القتالية(٣٣).

وتتخلص أهم الاختصاصات (٣٤) المناطة بأمير البحر في عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية في الأمور التالية :

١- النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم الا أن يكون الخليفة قدرها فيذرها عليهم (٣٥).
٢- تجهيز الغزاة في سبيل الله والعناية بهم وتسهيل خروجهم إلى الجهاد(٣٦).
٣- حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل (٣٧).
٤- الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها (٣٨).
٥- جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة (٣٩).
٦- منع أصحابه من التعرض للأطفال والنساء والشيوخ وكذلك عدم التعرض للكنائس والصوامع ومن فيها (٤٠).
٧- أن يكون الإذن عليه لمن معه من الجند مبذولا والوصول اليه من ذوي الحاجات والظلمات سهلاً يسيراً (٤١).
٨- تفقد أمر المراكب المنشأة حتى يحكمها ويجود آلاتها، ويتخير الصناع لها، ويشرف على ما كان منها في الموانئ،ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في المشاتي، وهيج الرياح المانعة من الركوب فيها (٤٢).
٩- قيادة الطلائع للتحسس على أخبار الأعداء (٤٣).
١٠- الإشراف على الأسلحة والعناية بها حتى تكون جاهزة وقت الحاجة إليها (٤٤).
١١- تجديد المراكب وإكثارها وتقويتها حتى إذا تلف شيء منها وجد ما يخلفه (٤٥).

نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط في عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية.

يعد عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ت ٣٦هـ/٦٥٦م) من أشهر أمراء البحر العرب المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والشجاعة وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، ففي سنة ٢٧هـ/٦٤٧م عينه الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والياً على مصر(٤٦)، ولقد عرف عن عبد الله حبه لغزو البحر، واهتمامه ببناء الأسطول المصري، وذلك في سنة ٢٨هـ/٦٤٨م، استعمل الخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد على البحر، وأسند إليه قيادة أسطول بحري يخرج من مصر لمساعدة معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص (٤٧). كما ينقل الحميري رواية عن عبد الله بن وهب تقول: "أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أفتتح (غزا) جزيرة اقريطش (كريت) وكان غزا بامرأته قتيلة بنت عمرو(٤٨)، وإذا صحت الرواية يكون عبد الله أول من غزا من العرب المسلمين جزيرة كريت الواقعة في أقصى جنوبي بحر إيجة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وعلى يدي عبد الله بن سعد تمكن العرب المسلمون في سنة ٣١هـ/٦٥١م(٤٩)، من إلحاق هزيمة بحرية ساحقة بالروم في معركة ذات الصواري(٥٠)، وفي ذلك يقول الطبري نقلاً عن الواقدي:" أن أهل الشام خرجوا على معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبدالله بن سعد بن أبي سرح وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمين منهم بإفريقية فخرجوا في خمسمائة مركب، فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضاً حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك من صواريها"(٥١).

وينقل لنا ابن الأثير وصفا دقيقا للمعركة ويقول: "كانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤون القرآن ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم وربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياما ورجع(٥٢)، ولقد أظهر المسلمون في هذه المعركة بسالة وشجاعة فائقتين،وكان عبد الله بن سعد يتقدم المسلمين في مجاهدة البيزنطيين، ومن ذلك ما أشار إليه بن عبد الحكم من أن: " السفن كانت إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير من مركب العدو فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد الغطيفي وكان عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها، فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسة بنت حمزة وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالاً قالت علقمة صاحب السلسلة..."(٥٣).

كانت لهذه المعركة نتائج إيجابية على البحرية الإسلامية منها: كسب العرب المسلمين للمزيد من الخبرات العسكرية والمهارات القتالية، وخاصة فيما يتعلق ببناء السفن وصناعة الأسلحة البحرية الأمر الذي دفعهم أكثر من قبل إلى ركوب البحر المتوسط، والتطلع إلى ما

وراءه، ومنها أيضاً أنهم حطموا الأسطول البيزنطي وسيطروا بعد انتصارهم على الروم في هذا المعركة على البحر المتوسط وأصبحوا قوة بحرية عظيمة لا تقهر، وكان ذلك في غضون سنوات قليلة من إرتياد العرب المسلمين للبحر، ومنها كذلك توسيع دائرة الغزو البحري الإسلامي ليشمل نفوذ العرب المسلمين الجزر البعيدة والسواحل البيزنطية المتلاحمة لبلاد الشام، ثم جرأتهم فيما بعد وفتحهم للأندلس عن طريق عبورهم البحر المتوسط إلى أوروبا وتأكيداً على ما سبق فإن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) بعد تولية الخلافة استعمل جنادة بن أبي أمية الأزدي(٥٤)، على البحر وأرسله في سنة ٥٢هـ/٦٧١م إلى جزيرة رودس(٥٥) وفي سنة٥٤هـ/٦٧٣م(٥٦) أرسله في حملة بحرية مكونة من ٤٠٠٠ مجاهد و ٢٠ مركباً لفتح جزيرة أرواد، ومن التدابير التي اتخذها العرب المسلمون لضمان وصول نجاح هذه الحملة استخدام الأدلاء يحذروهم مما يتعرضهم في البحر، فقد ضمت الحملة مرتزقة من الروم البيزنطيين، من أهل أرواد، أسره العرب المسلمون قرب سواحل بلاد الشام واستخدموه ليدلهم ويحذرهم ممن يريد بهم شراً، ولقد نجح جنادة بن أمية ومن معه من العرب المسلمين، في فتح الجزيرة وصالحوا أهلها على دفع الجزية، ثم عادوا الى بلاد الشام ظافرين(٥٧). ومع أن إمارة جنادة لم تستمر لأكثر من ست سنوات(٥٨)، الا انه أهتم كثيرا بتطوير البحرية الاسلامية، وأسهم في توسيع قاعدة الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط، ومن اهم الحروب البحرية التي اوكل إلى أمير البحر جنادة بن أبي أمية الأزدي القيام بها غزو جزيرة إقريطش (كريت) في سنة ٥٤هـ/٦٧٣م ثم أرسله معاوية مرة ثانية إلى جزيرة رودس، الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، بعد أن نكث أهلها العهد الذي بينهم وبين المسلمين(٥٩).

ومممن تولى إمارة البحر في خلافة معاوية بن أبي سفيان: عقبة بن عامر الجهني(٦٠)، فقد ذكر الكندي أن معاوية استعمله على البحر، سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وأمره أن يسير من مصر إلى جزيرة رودس، وذكر الطبري أن معاوية وجه عقبة بن نافع في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م في حملة بحرية ومعه أهل مصر لكنه لم يحدد وجهة الحملة(٦١)، و أشار المقريزي كذلك إلى حمله بحرية إلى جزيرة رودس في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م أسند معاويه قيادتها الى عقبة بن عامر الجهني(٦٢).

كما أوردت المصادر أسماء عدد من القادة العرب المشهود لهم بالكفاءة العسكرية، ممن ولاهم معاوية إمارة البحر، نذكر منهم:

- معاوية بن حديج الكندي(٦٣) أول من غزا جزيرة صقلية، في أيام معاوية بن ابى سفيان (٦٤).
- موسى بن نصير: ولاه معاوية البحر وأرسله لغزو قبرص، حيث بنى فيها حصوناً للمسلمين(٦٥).
- بسر بن أبي أرطأة(٦٦) : استعمله معاوية، في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، على البحر وأرسله في حمله بحرية(٦٧).
- مالك بن هبيرة السكوني(٦٨) : غزا البحر في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م(٦٩).

- يزيد بن شجرة الرهاوي(٧٠) تولى قيادة أهل الشام في حملة بحرية في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م(٧١) ثم استعمله معاوية مرة أخرى في سنة٥٦هـ/٦٧٥ م(٧٢).
- عقبة بن نافع (٧٣) غزا البحر، في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ومعه أهل مصر(٧٤).
- فضالة بن عبيد الأنصاري(٧٥) تولى في سنة ٥٠هـ /٦٧٠م قيادة غزوة بحرية(٧٦).
- عمرو بن يزيد الجهني(٧٧) غزا البحر في سنة ٥٨هـ / ٦٧٧م(٧٨).

توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م وبعد وفاته فتر النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط وخيم الهدوء على الغزوات والحملات البحرية العربية ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العرب المسلمين فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط وهزموا ودمروا الأسطول البيزنطي وسيطروا على الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط ولكنه يرجع إلى الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية والمتمثلة بوصول يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م) إلى الخلافة ودخوله في صراع مع معارضيه ممن خرجوا عليه، وقد استمر الفتور البحري الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) الذي ما أن قضى على الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر فأولى الحملات البحرية عناية واهتمام كبيرين، ولم يغفل عن اعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط وخاصة الجزر التي لم تستقر فيها بعد أقدام المسلمين والواقعة في غرب البحر المتوسط، استأنف العرب المسلمون نشاطهم البحري بانشاء دار لصناعة السفن في تونس رغبة منهم في تقوية وتدعيم أسطولهم البحري في غرب البحر المتوسط، ويعود الفضل في قيام هذه الصناعة في المغرب العربي إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر أخاه عبد العزيز، والي مصر، بإرسال عدد كبير من أقباط مصر المتمرسين بصناعة السفن إلى تونس، كما أمر الوالي حسان بن النعمان أن يبني دار صناعة ويصنع بها المراكب ويجاهد الروم براً وبحراً(٧٩).

وكان نتيجة ذلك مباشرة العرب المسلمين، في سنة ٧٧هـ/٦٩٧م، نشاطهم البحري وقيامهم بحملة بحرية انطلقت من تونس وكان يتولى قيادتها والي إفريقية وأمير البحر حسان بن النعمان الغساني، وقد خرجت هذه الحملة لمواجهة الأسطول البيزنطي الذي جاء لاسترداد قرطاجة بعد أن فتحها المسلمون(٨٠).

ولما تولى موسى بن نصير إفريقية، في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م سعى لاتخاذ جملة من الإصلاحات والتنظيمات المتعلقة بتطوير القدرات البحرية الإسلامية، في بحر إفريقية، فأولى صناعة السفن اهتماماً كبيراً، وأمر بصناعة ١٠٠ مركب لتطوير الأسطول الإسلامي في تونس، وربط دار الصناعة، التي أسسها حسان بن النعمان بمرفأ على البحر تستخدمه السفن وتلجأ إليه إذا اشتدت الرياح، أو كلما دعتها الحاجة إلى ذلك، وقد شهدت هذه الفترة انتصارات بحرية عربية إسلامية متكررة في البحر المتوسط، لعب أمراء البحر دوراً كبيراً فيها إذ حظيت هذه الوظيفة باهتمام الوالي موسى بن نصير، فكان لا يعقدها إلا للمقربين منه والمشهود لهم بالكفاءة والمقدرة(٨١).

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، انطلقت من مصر حملة بحرية بقيادة الأمير عطاء بن أبي نافع الهذلي، ومعه مراكب أهل مصر متوجهة إلى جزيرة سردانية(٨٢) ويبدو أن هدف الحملة كان ضرب القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في الجزيرة، ولكن نتيجة سوء الأحوال المناخية: توقفت الحملة في سوسة في إفريقية ثم غادرتها بعد ذلك إلى جزيرة صقلية حيث نجحت الحملة في الإغارة على الجزيرة وأصاب المشاركون في الحملة غنائم كثيرة من الذهب والفضة، وفي طريق العودة أصابت الحملة رياح عاصفة أدت إلى غرق الأمير عطاء ومعه عدد كبير من أفراد الحملة(٨٣)، ويلاحظ المتتبع لنشاط المسلمين البحري أن هذه الكارثة كان لها أثر كبير في توقف النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط لفترة استمرت قرابة عامين ثم ما لبث أن استؤنف بعد ذلك وكان أكثر قوة مما كان عليه من قبل إذ يشير ابن قتيبة إلى حملة أخرى قامت من تونس سنة ٨٥هـ/٧٠٤م سميت "حملة الأشراف" واشترك فيها ما بين تسعمائة إلى ألف مجاهد من أهل الجند والنكاية والشرف وتولى قيادتها عبد الله بن موسى بن نصير بعد أن أمره والده موسى على البحر وسارت الحملة إلى جزيرة صقلية. وذكر ابن قتيبة أن الحملة أصابت غنائم كثيرة بلغ فيها سهم الرجل ١٠٠ دينار ذهباً(٨٤).

ولقد أولى موسى بن نصير ركوب البحر اهتماما كبيرا، وشجع الناس وخاصة الأشراف منهم على ركوب البحر، والاشتراك في الحملات البحرية تحت امرته وتحت إمرة ابنه، ووعد الناس بالفوز بالغنائم، ومما يدل على ذلك ما أشار إليه كتاب ابن قتيبة حيث يقول "ثم لما كانت خمس وثمانين أمر (موسى) الناس بالتأهب لركوب البحر، وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب، حتى إذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلا أن يرفع هو، دعا برمح فعقد لعبد الله بن موسى بن نصير، وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته، وإنما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجند والنكاية والشرف فسميت غزوة الأشراف"(٨٥).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة عبد الملك بن مروان: عياش بن أخيل(٨٦)،حيث قاد في سنة ٨٦ هـ/٧٠٥م أهل إفريقية في حملة إلى مدينة سرقوسة(٨٧)، أكبر مدن جزيرة صقلية، وبمجيء الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) إلى الخلافة شهد النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط تطوراً هاماً تمثل في مساندة أمراء البحر لقادة الجيوش البرية وحماية تقدمهم والتي بفضلها تحقق النصر للعرب المسلمين في الأندلس وغيرها من المناطق، فعصر الوليد يعتبر من أزهى العصور العربية الإسلامية إذ تمكن فيه العرب المسلمون من فتح الأندلس في الغرب وفتح السند وبلاد ما وراء النهر في الشرق، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى مناطق واسعة وامتدت الحدود الإسلامية لتصل إلى إسبانيا في الغرب والى الهند والصين في الشرق، ونستنتج من هذا تركيز النشاط البحري الإسلامي على إفريقية وأسطولها في غرب البحر الأبيض المتوسط وبناء على ذلك، أسند موسى بن نصير والي إفريقية في سنة ٨٧ هـ/٧٠٥م إمارة البحر إلى ابنه عبد الله وبعثه إلى سردانية حيث وفق في غزو قوله (٨٨)، ولما عاد ابنه ولاها موسى لعبد الله بن حذيفة الأزدي، وأرسله مرة أخرى إلى سردانية ولقد نجحت

الحملة وعادت محملة بالغنائم والسبيء(٨٩) وفي سنة (٨٩ هـ/٧٠٧م عقد موسى بن نصير لواء إمارة البحرعلى إفريقية لعبد الله بن مرة فركب عبد الله البحر ووصل إلى سردانية ونجح في الإغارة على العديد من مدنها(٩٠)، وفي هذه السنة أمر موسى ابنه عبد الله على البحر وأرسله لغزو جزيرتي ميورقة(الجزيرة الكبرى) ومينورقة (الجزيرة الصغرى) الواقعتين على مقربة من الساحل الاسباني الغربي حيث تمكن من فتحهما وعاد إلى تونس غانما(٩١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الحملات ومعها الحملات البحرية التي سيرها العرب المسلمون من إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترمي في الأساس إلى اختبار قوة البيزنطيين في غرب البحر المتوسط وتمهد السبيل لعبور العرب المسلمين البحر المتوسط الى شبه الجزيرة الأيبيرية، ويعد خالد بن كيسان من أبرز أمراء البحر في عهد الخليفة الوليد، ويبدو أن نشاطه البحري المتزايد قد أدى إلى وقوعه في الأسر، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ٩٠ هـ/٧٠٨م " أن الروم أسروا خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك"(٩٢).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة الوليد ابنه بشر بن الوليد الذي أرسله الخليفة من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية فغزاها ثم عاد بقواته إلى دمشق ووصلها بعد وفاة أبيه الوليد في سنة ٩٦هـ/٧١٤م(٩٣).

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ/٧١٤-٧١٧ م) شارك أمراء البحر في حصار القسطنطينية، واسهموا بخبراتهم إسهاماً كبيرا في تضييق الخناق على الروم، ومنع الامدادات من أن تصلهم من البحر، بل تعدى ذلك الى بث الغارات الاستطلاعية وشنها على السواحل البيزنطية وكذلك تمويل الجيوش البرية بالمون والسلاح. ومن أشهر أمراء البحر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك: الأمير عمر ابن هبيره الفزاري الذي استعمله الخليفة سليمان علي البحر لغزو الروم، ثم أرسله الى القسطنطينية لمساندة الجيش البري الذي كان يقوده مسلمة بن عبد الملك(٩٤).

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) غزا بشر بن صفوان والي إفريقية وأمير البحر في ذلك الحين، جزيرة صقلية ورجع منها بسبي كثير(٩٥) ثم استعمل بعد ذلك يزيد بن مسروق اليحصبي على البحر، وبعثه من بلاد المغرب في غزوة بحرية إلى سردانية فغزاها يزيد وعاد منها ظافراً سالماً، وفي سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م تولى إمارة البحر عمرو بن فائك الكلبي وغزا في هذه السنة البحر ورجع من غزوته منتصراً(٩٦).

واستمر أمراء البحر العرب المسلمون في مواصلة نشاطهم وجهادهم البحري ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، كما واصلوا شن غزواتهم البحرية من بلاد الشام ومن شمال إفريقية على جزيرتي صقلية وسردانية، فغزا أمير البحر محمد بن أبي كبر مولى بني جمح(٩٧) في سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م جزيرتي سرقوسة(٩٨) وسردانية من سواحل إفريقية، وفي سنة١٠٧هـ/٧٣٥م غزا المسلمون جزيرة صقلية، بقيادة أمير البحر معاوية بن هشام يعاونه ميمون بن مهران(٩٩).

وفي ١٠٩هـ/٧٢٧م تولى إمارة البحر حسان بن محمد بن أبي بكر، فغزا جزيرة سردانية(١٠٠)، مرة أخرى وعاد منها سالماً ويذكر الطبري أنه غزا البحر في هذه السنة أيضاً أمير البحر عبد الله بن عقبة الفهري(١٠١) وفي سنة ١١١هـ/٧٢٩م استعمل الخليفة هشام بن عبد المالك(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) عبد الله بن أبي مريم على البحر وأرسله من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية(١٠٢) وفي نفس السنة استعمل عبيدة بن عبد الرحمن والي افريقية في خلافة هشام بن عبد الملك، المستنير ابن الحارث على البحر وأرسله في حملة بحرية كبيرة مكونه من ١٨٠ مركباً إلى جزيرة صقلية لمحاربه الروم البيزنطيين ولكن لسوء الحظ أصابت هذه الحملة في طريق عودتها رياح عاصفة وتعرضت سفن المسلمين للغرق ولم ينج منهم إلا عدد قليل، ويصف خليفة بن خياط هذه الكارثة فيقول:" وهجم الشتاء فقفل بريح طيبة حت لجج فجاءت ريح عاصف فغرقت مراكبهم فلم يسلم منهم إلا سبعة عشر مركباً(١٠٣)، وقد أدى فشل الحملة إلى معاقبة الوالي لأميرها المستنير بن الحارث وجلده جلداً موجعاً بسبب تأخره في العودة قبل حلول الشتاء(١٠٤).

وعلى الرغم من ذلك: نشط العرب المسلمون في غزو البحر، واستمرت الغزوات والحملات البحرية، يقودها أمراء البحر في مهاجمة الروم البيزنطيين من بلاد الشام ومن موانئ إفريقية، وينقل ابن خياط رواية عن أبي خالد البصري فحواها: أنه في سنة ١٢٢هـ/٧٣٠م خرجت من إفريقية حملة بحرية بقيادة الأمير ثابت بن خثيم ووصلت إلى جزيرة صقيلة فأصابت الحملة سبايا وغنائم ثم عادت إلى افريقية سالمة(١٠٥) ثم تبعتها في العام التالي حملة بحرية أخرى تولى قيادتها عبد الملك بن قطن وتوجهت إلى جزيرة صقلية(١٠٦).

وفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م تناوب على امارة البحر في إفريقية أميران هما: عبد الله بن قطن وعبد الله بن زياد الأنصاري، وعبد الله بن قطن خرج في حملة بحرية إلى صقلية، وعبد الله بن زياد توجه إلى جزيرة سردانية، ولقد نجحت الحملتان وعادتا إلى تونس سالمتين ومحملتين بالغنائم(١٠٧).

على أنه من أبرز الأحداث التي شهدتها السنين الأخيرة، من عصر الخليفة هشام بن عبد الملك: تصدي الروم للحملات البحرية الإسلامية وخروجهم إليها في البحر المتوسط، وملاحقتهم للسفن الإسلامية وضربها بالنار الإغريقية،كما نجح الروم كذلك في أسر عدد من المجاهدين المسلمين، ومن ذلك خروجهم، في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م لحملة الأمير بكر بن سويد إلى جزيرة صقلية ورميها بالنار، ولقد أبلى أمراء البحر العرب المسلمون بلاء حسناً في التصدي للروم وهزيمتهم وتكبيدهم خسائر كبيرة، ويحدثنا خليفة بن خياط عن ذلك في أحداث سنة ١١٦هـ/٧٣٤م ويقول: " وفيها أغزى ابن الحبحاب عثمان ابن أبي عبيدة فأصاب ناحية من صقلية وقفل، فلقيته مراكب الروم في البحر، فهزمهم الله وأصابوا من المسلمين وأسروا ابني عثمان عمرا وسليمان أبا الربيع وعبدالرحمن بن زياد بن أنعم وأخاه المغيرة بن زياد، فلم يزالوا في أيدي الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب، ففدى ابني عمه وناسا من أساري المسلمين وعبد الرحمن بن زياد، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة(١٠٨).

وحاول الروم توسيع نشاطهم البحري ضد المسلمين، فهاجموا مصر في سنة١١٨هـ/٧٣٦م، فخرجت لهم، من مصر حملة بحرية بقيادة امير البحر نافع ابن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع، واصطدمت مع سفن الروم في البحر وهزمتهم وأبعدتهم عن السواحل المصرية، وكان من نتيجة هذا الهجوم أن أسرت الروم عدداً من المجاهدين المسلمين(١٠٩).

وفي سنة١٢٢هـ/٧٣٩م استعمل عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية: حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على البحر، وسيره غازياً إلى جزيرة صقلية، حيث وصل الجزيرة وأرسل ابنه عبد الرحمن إلى مدينة سرقوسة فهزم أهلها وصالحهم على دفع الجزية (١١٠).

وممن تولوا إمارة البحر، في مرحلة الضعف في البحرية الأموية: الأسود ابن بلال المحاربي الذي استعمله الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) على البحر وبعثه في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م في حملة بحرية إلى جزيرة قبرص، وأمره أن يخير أهلها بين العيش في حول المسلمين في بلاد الشام أو العيش في بلاد الروم فانقسم الناس، منهم من اختار المسلمين فنقلوا إلى بلاد الشام، ومنهم من اختار بلاد الروم، فنقلهم الأسود بن بلال إلى هناك، وللاسف لم نتمكن من العثور على معلومات عن الأسباب التي دفعت العرب المسلمين إلى إخلاء الجزيرة لكن يمكن الاستنتاج بانها كانت سببا امنية، أو ربما بسبب الفتن وتردي الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية في الدولة الاموية، في ذلك الوقت، وعدم قدرة السلطة الأموية على تأمين الحماية اللازمة لسكان الجزيرة(١١١).

الخاتمـــــة:-

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج جديرة بالاهتمام لأنها تبين بشكل واضح وجلي الدور الذي أداه أمراء البحر في تقوية النفوذ البحري للدولة الأموية، وتقيم السياسة البحرية التي اتبعها الخلفاء الأمويون في تعيين واستعمال أمراء البحر ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج على النحو التالي :-

١- مرت إمارة البحر عند العرب المسلمين بخمس مراحل مختلفة .

المرحلة الأولى :

هي مرحلة النشوء والتطور، وقد بدأت هذه المرحلة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، رضي الله عنه، وتميزت هذه الفترة بتحفظ الخليفة وتردده في ركوب الجيوش الإسلامية البحر، خوفاً على أرواح المسلمين، ومع ذلك فقد ظهر عدد من القادة والأمراء ممن كان لهم فضل السبق في قيادة الحملات الإسلامية المبكرة ذات الإمكانات المتواضعة، ومواجهة الأساطيل الساسانية في الخليج العربي، والأساطيل البيزنطية في شرق البحر المتوسط، وبسط سيادة المسلمين على سواحل بلاد الشام ومصر .

المرحلة الثانية :

هي مرحلة النشاط والقوة، واستمرت من سنة ٢٤هـ/٦٤٤م حتى سنة ٣٥هـ/٦٥٥م حيث أسهم فيها أمراء البحر في توسيع نفوذ الدولة العربية الاسلامية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وهزيمة الأسطول البيزنطي وإضعافه، وكان يرافق الأمراء في غزواتهم المبكرة من بلاد الشام ومصر، زوجاتهم وذلك حتى يهونوا على جندهم الخوف من البحر ويشجعوتهم على ارتياده.

المرحلة الثالثة :

وكانت مرحلة التفوق، واستمرت من سنة ٤١هـ/٦٦٠م وحتى سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وتمثلت أولاً: بتكثيف أمراء البحر الحملات البحرية، وتوسيع قاعدة الفتوح الإسلامية لتشمل الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام مثل: جزيرة قبرص وجزيرة أرواد وجزيرة رودس، وثانياً: بالدور الكبير الذي لعبه أمراء البحر في الحفاظ على هذه الجزر والاستماتة في سبيل الدفاع عنها.

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة انتقال النشاط البحري الإسلامي إلى غرب البحر المتوسط (٦٥-١١٤هـ/٦٨٤-٧٣٢م) حيث نجح أمراء البحر الأمويون في تأمين النفوذ العربي الإسلامي في شمال إفريقية، عن طريق شن حملات بحرية متكررة، من بلاد الشام ومن إفريقية على القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في جزيرتي صقلية وسردانية، الأمر الذي مهد السبيل لاستكمال العرب المسلمين لفتح المغرب، ومن ثم فتح الأندلس.

المرحلة الخامسة

هي مرحلة الضعف والتي بدأت من سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، واستمرت سنة ١٣١هـ/٧٤٨م وتميزت بالمواجهة مع الروم البيزنطيين الذين أخذوا يتعرضون للسفن الإسلامية في البحر

المتوسط، في الوقت الذى كانت تشهد فيه الدولة الأموية حالة من التداعي والانهيار السياسي الداخلي. وبالرغم من ذلك فقد تمكن أمراء البحر العرب المسلمون من درء الخطر البيزنطي، ونجحوا في هزيمة الأسطول البيزنطي، في غرب البحر المتوسط وأوقفوا توغله.

٢-استحدثت وظيفة أمير البحر فى عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وأول من تولاها عبد الله بن قيس الجاسى، وكان ظهورها مرافقاً لنشاط العرب المسلمين في البحر المتوسط واختص بها أهل الشام ومصر والمغرب العربى والأندلس. ولم تستخدم هذه التسمية عند غيرهم من العرب المسلمين.

٣- كانت وظيفة أمير البحر فى بلاد الشام ومصر وظيفة عسكرية ثابتة ومحددة مثل غيرها من الوظائف الأخرى كوظيفة صاحب الشرطة، وصاحب البريد، وصاحب الخراج، أما فى شمال افريقية والأندلس فكانت وظيفة أمير البحر وظيفة غير دائمة، حيث يتولى قيادتها الوالى أو من ينوب عنه، ويتم تعيين أمراء البحر عند الضرورة، وخاصة فى أثناء تجهيز الحملات البحرية للغزو الخاطف والسريع، ضد الروم البيزنطيين فى البحر المتوسط.

٤- بعد أن فتح العرب المسلمون إفريقية يقاسم أهلها من أهل الشام وأهل مصر قيادة الأساطيل الإسلامية فى البحر المتوسط فكان يتولى قيادة أهل الشام امير من الشام، ويتولى قيادة أهل مصر أمير من أهلها، ويقود أهل إفريقية (تونس) أمير للبحر من إفريقية، وبذلك كثف العرب المسلمون من غزواتهم وحملاتهم البحرية ضد الروم البيزنطيين فى الحوضين الشرقي والغربى من البحر المتوسط.

٥- كان لنشاط أمراء البحر فى العصر الأموى وحملاتهم المتكررة منذ خلافة معاوية، على جزيرتى صقلية وكريت فى البحر المتوسط أبلغ الأثر فى إضعاف تحصينات الروم وقواتهم الدفاعية في هذه الجزر، الامر الذى مهد السبيل للعرب المسلمين، فيما بعد، لفتح جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م وجزيرة كريت سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م.

الهوامــش

١. الأزهري، ابو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق : عبدالسلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ج١٥، ١٩٦٧،٦٤، ص٢٧٩. لمزيد من التفصيل عن الإمارة أنظر: الأزهري، وابن منظور،مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٣، جمهورية مصر العربية، ج١، ص٢٦-٢٧.

٢. ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب المحيط (أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط ، الطبعة الأولى ، ٧ مجلدات ، بيروت ، دار الجليل ١٩٨٨ ، ص ٩٦ . ٩٩. مزيد من التفاصيل عن البحر لغة أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج١، ص٤١-٤٢.

٣. مونتجمري وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٣م ، ص ١١٦ .

٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب ، المعجم الصغير ، تقديم وضبط : كمال يوسف الحوت، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٦م، ص ١١٢ ، الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة ، مكتبة القدسي ، دون تاريخ ، ج ٥ ص٢٨١ ، المتقي الهندي، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والافعال، المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٧٦ .

٥. أبو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي، سنن أبو داود، تركيا، ١٩٨١م ٣ج ص١٣.

٦. أبو داود ، سنن أبو داود ، ج ٣ ، ص ١٦

٧. المتشحط. شحط القتيل في الدم اضطرب،وشحطه في دمه،ويدمه جعله يضطرب ويتخبط فيه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط،ج١ص٤٩٣.

٨. ابن ماجة، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ،تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، تركيا ، ١٩٨١م ، ج٢ ص ٩٨٢.

٩. صحف البلاذري هذا الاسم والصواب هو : عرفجة بن هرثمة بن عبد العزى بن زهير بن ثعلبة بن عمرو، للمزيد أنظر ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبدالسلام هارون ، مصر دار المعارف . ١٩٨٢م ، ص ٣٦٧؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور،٧ أجزاء، مصر، دار الشعب، ١٩٧٠م،مج٤ ص٢٣.

١٠. العلاء بن الحضرمي: واسم الحضرمي عبدالله- بن عباد بن أكبرين ربيعة بن مالك ابن أكبرين عويف بن مالك بن أبي بن الصدف - وقيل: عبدالله بن عمار- وقيل. عبدالله بن ضمار- وقيل: عبدالله بن عبيدة بن ضمار بن مالك. ويقال: إن العلاء كان مجاب الدعوة وإنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها... ابن الأثير، أسد الغابة تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد، دار الشعب،ج٤ ص٧٤.

١١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان ، تحقيق، عبدالله وعمر أنيس الطباع ، بيروت، مؤسسة المعارف ، ١٩٨٧ م، ص ٥٤٤.

١٢. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، مج١، ص ٢٦٦.

١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٨٧م، مج٤ ص ٧٩.

١٤. عثمان بن أبان بن سيار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبدالله. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣ص ٥٧٩.

١٥. أبركاوان: جزيرة في البحر بينها وبين سيراف مائة وخمسون فرسخا وفيها قلاع شتى وفيها أجوان كثيرة ومستقى ومحتطب كثير، وفيها معادن الحديد، وطولها اثنا عشر فرسخا، وبينها وبين ساحل بحر فارس فرسخان. الحميري، الروض المعطار، ص٩.

١٦. ياقوت لا يوافق ما جاء في رواية البلاذري ويقول. " افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي أيام عمر بن الخطاب لما أراد غزو فارس في البحرين مر بها في طريقه ". للمزيد انظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، بيروت. دار احياء التراث، ١٩٧٩م ،ج٢ ص١٣٩.

١٧. توج: توج بفتح أوله وتشديد ثنيه مدينة بفارس شديدة الحر لانها غور من الارض ذات نخل وبناؤها بالتبن ويعمل أهلها بصناعة النسيج المطرز بالذهب، وهي مدينة صغيرة واسمها كبير وقد فتحت ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياقوت الحموي، معجم البلدن، ج٢، ص٥٦ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٤٤.

١٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٧.

١٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٨؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٤ ، ص ٢٥٨-٢٦٢؛ الكوفي، أبو محمد بن أعثم، الفتوح١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م ،مج١، ص ٣٤٧-٣٥١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد عبدالكريم، الكامل في التاريخ ، تحقيق : كارلوس تورنبير ليدن١٨٧١م ،مج٣، ص ٩٥-٩٧. Robert Browning,

The Byzantaine Empire,(Weidenfels and Nicolson, London) 1980, p.47 ostrogorsky, History of the Byzantine state, trans: Joan. Hussey, (Basil Blackwell, oxford) 1968, P .116

٢٠. النواتية: هم الملاحون الذين يقودون السفن في البحر ، أنظر ابن منظور ، لسان العرب ، مج٦، ص ٧٣٨ .

٢١. الشواني : السفن الحربية الكبيرة للمزيد أنظر: درويش النخيلي ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٤م ، ص ٨٣ .

٢٢. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر مج١، ص ٢٦٦.

٢٣. يعرف أيضاً بعبد الله بن قيس الفزاري والأنصاري للمزيد. أنظر ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق، سكينة الشهابي ، دمشق، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٦م ، مج٣٨، ص ١٦ . ١٨ .

٢٤. تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٦٠ ؛ وانظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل ، مج٣ ، ص ٩٧ .

٢٥. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٣م ج٥ ص ٤١٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مج ٣٨ ، ص١٦.

٢٦. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٨.

٢٧. عند ابن الأثير في الكامل (المرفا)

٢٨. الغمرات، هى الشدائد وهو مثل للأغلب العجلى يضرب في ... الأمور العظام والصبر عليها . أنظر الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، عيسى البابى الحلبى وشركاه ،ج٢ ص ٤١٥ .

٢٩. الطبرى، تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج٣ ، ص٩٧ .

٣٠. أغلب الظن ان تلك الخليفة كى هو الخليفة العباسى

٣١. والغالب أنه المقتدر بالله (٢٩٥ . ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ . ٩٣٢م)

٣٢. الماوردى، الحسن على بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م، ص٤٢.

٣٣. للمزيد أنظر، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م ص ٢٨ . ٥١ .

٣٤. للمزيد أنظر الماوردى ، الأحكام السلطانية . ص ٣٧ . ٣٩، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ،الأحكام السلطانية، ص ٣٩ . ٥١؛ ابن أعثم الكوفي. مج ١، ص ١٣٥٠ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدى بغداد. دار الرشيد، ١٩٨١م ، ص٤٧ . ٥٠؛ ابن جماعة الحموى، بدر الدين بن أبى اسحاق إبراهيم بن سعد الله، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد ، بغداد ، دار الوطنية للتوزيع والإعلان ، ١٩٨٣م ، ص ٣٥ ٥٢.

٣٥. الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٣٧، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٣٩.

٣٦. ابن جماعة ، مستند الأجناد ، ص٤٥.

٣٧. الماوردى ، الأحكام السلطانية ص٣٧ .

٣٨. الماوردى ، الأحكام السلطانية ص٣٨ .

٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص ٤١٣ .

٤٠. ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ١،ص ٣٥٠.

٤١. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٧.

٤٢. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٨ .
٤٣. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص٢٦١ .
٤٤. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص٤٩ .
٤٥. العباسى، الحسن بن عبدالله ، آثار الأول فى ترتيب الدول ، تحقيق، عبدالرحمن عميرة، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٩ م، ص ٢٧٠ ، ٢٧٣ .
٤٦. خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفرى ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق، أكرم ضياء العمرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٧٧ ، ص ١٥٩ .
٤٧. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص٢٦٢ .
٤٨. الحميرى، محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م، ص١٥ .
٤٩. يختلف المؤرخون فى تاريخ هذه الموقعة فالبعض منهم يرى أنها وقعت فى سنة ٣١هـ / ٦٥١م بينما يعتقد البعض الآخر أنها كانت فى سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م . أنظر خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، ١٦٨ ؛ المنبجى، أغابيوس قسطنطين (من القرن ٤هـ/١٠م) ، المنتخب من تاريخ المنبجى ، تحقيق ، عبدالسلام تدمرى ، لبنان ، دار المنصور ، ١٩٨٦م ، ص٥٩ ـ ٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج٣ ، ص ١٧١ .
٥٠. يختلف المؤرخون فى سبب تسميتها بذات الصوارى فيرجع البعض سبب التسمية إلى كثرة صوارى السفن فى هذه المعركة، بينما يرى البعض الآخر ذات الصوارى اسم المكان الذى قامت فيه المعركة ، كما يختلف المؤرخون كذلك فى تحديد مكان المعركة والذى هو فى الغالب قرب الساحل التركى الجنوبى أمام منطقة Lycia وبالقرب من موضع يسمى phoenix للمزيد أنظر، ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة، أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٩١ ؛ محمد جمال الدين على محفوظ، فجر البحرية الإسلامية، القاهرة ، دار الاعتصام، ١٩٩٧م، ص٥١ ـ ٥٥؛ إبراهيم العدوى، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، مصر، نهضة مصر، ١٩٦٣م ، ص٤٦.
٥١. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٩٠ .
٥٢. ابن الأثير ، الكامل ، مج٣ ، ص١١٨ .
٥٣. ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق شارلز تورى ، بالقاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩١م ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .
٥٤. فى أسد الغابة : جنادة ، بالهاء ، هو جناد ، بن أبى أمية الأزدى ، ثم الزهرانى ، وأسم أبى أمية مالك ، .... وكان جنادة بن أبى أمية على غزو الروم فى البحر لمعاوية ، زمن عثمان رضى الله عنه إلى أيام يزيد، إلا ما كان من ايام الفتنة وشتا فى البحر سنة ٦٧٨/٥٩. للمزيد عن سيرته انظر؛ ابن الأثير، أسد الغابة، مج١ ، ص٣٥٣؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٦ ، تحقيق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤ م، ص١١٨ ، ١٢٠ .

٥٥. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٣٠، ويذكر ابن الأثير أن فتح جزيرة رودس كان في سنة ٥٣هـ/٦٧٢ م، أنظر الكامل، مج ٣ ، ص٤٩٣ .

٥٦. البلاذري ، فتوح البلدان، ص٣٣٠، الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص ٢٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٢.

٥٧. ابن أعثم الكوفي، الفتوح ، مج١، ص ٣٦٧.

٥٨. يروي أحمد بن حنبل عن مجاهد قال كان جنادة بن أبي امية أميراً علينا في البحر ست سنين، أنظر المسند ، ج ٥ ، ص٤٣٤.

٥٩. البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٣٣٠، ياقوت، معجم البلدان، ج١ ، ص ٢٣٦.

٦٠. هو عقبة بن نافع بن عبس بن عمرو بن عدي الجهني يكنى أبا حماد، من صحابة الرسول أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وسكن في المدينة المنورة ولما ولاه معاوية مصر سار عليها وسكنها ، وتوفي بمصر سنة ٥٨هـ/٦٧٧م. للمزيد أنظر ترجمته عند ابن الأثير، أسد الغابة، مج٤ ص ٥٣، ٥٤. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٨١م ، ص ٢٧٩.

٦١. محمد بن يوسف الكندي ، كتاب الولاه وكتاب القضاه ، تحقيق، رفن كست ، بيروت ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، ١٩٨٠م ، ص ٣٧ - ٣٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

٦٢. المقريزي، تقي الدين ابو العباس بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ مج٢ ص١٩٠ .

٦٣. قال ابن الأثير : معاوية بن حديج بن جفنة السكوني ، وقيل الخولاني ، غزا إفريقية ثلاث مرات ، فأصيبت عينه في احداها ، وقيل غزا الحبشة مع ابن ابي سرح فأصيبت هناك . للمزيد أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

٦٤. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

٦٥. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مخطوط مصور ، ج١٧ ، الاردن ، دار البشير ، دون تاريخ ص ٤٠٧ .

٦٦. هو عمرو بن عويمر بن عمران يكنى أبا عبدالرحمن ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، اشترك في فتح مصر ورافق جنادة بن ابي أمية في غزواته البحرية وتوفي بالمدينة أيام معاوية ، وقيل بالشام أيام عبدالملك بن مروان ، أنظر ' ابن الأثير، اسد الغابة ، مج ١ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .

٦٧. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢١٢، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٤٠

٦٨. هو مالك بن هبيرة بن خالد الكندي السكوني ، كان أميراً لمعاوية على الجيوش للمزيد انظر ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج٥ ، ص٥٤ .

٦٩. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٥ ، ص ٢٣١، ابن الأثير ، الكامل ، مج٣ ، ص٤٥٧ .

٧٠. هو يزيد بن شجرة (الرهاوى نسبة إلى قبيلة رهاء المتفرعة من مذحج ، نزل الشام واستعمله معاوية على الجيوش الإسلامية البريةو البحرية واستشهد فى غزوة ضد الروم سنة ٥٥هـ /٦٧٤م) وقيل سنة ٥٨هـ/٦٧٧ م. للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٥، ص ٤٩٥ .

٧١. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج٥ ، ص ٢٣٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص٤٥٨ .

٧٢. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٣٠١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٥٠٣ .

٧٣. هو عقبة بن نافع بن عبدالقيس بن لقيط بن عامر بن أمية القرشى الفهرى ، ولاه عمرو بن العاص إفريقية لما كان على مصر فسار إليها وفتح أجزاء كبيرة منها كما فتح بلاد البربر ، واسس مدينة القيروان فى خلافة معاوية، وإلى عقبة يعود الفضل فى فتح السوس الأقصى، توفى عقبة فى سنة٦٣هـ ٦٨٢م للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٦٠.

٧٤. الطبري تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨.

٧٥. هو فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب الأنصاري الأوسي العمري، صحابي جليل أسلم قبل معركة أحد، شهد مع الرسول صلى الله علية وسلم معركة أحد والمعارك التي بعدها ولما فتحت بلاد الشام انتقل إليها وأقام فيها وتولى القضاء في دمشق ثم استعملة معاوية على البحر وأرسله لغزو الروم في البحر المتوسط توفي فضالة في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م للمزيد أنظر؛ ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٣٦٤.

٧٦. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣،ص ٤٦١.

٧٧. لم نعثر على ترجمة له في المصادر الإسلامية المتوفرة بين ايدينا

٧٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص ٣٠٩ ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص ٥١٥.

٧٩. البكري : عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك،ج٢، تحقيق . أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جزءان، تونس، بيت الحكمة،١٩٩٢م، ص٦٩٥، الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٦.

٨٠. اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ تحقيق : هوتسمان، جزءان، ليدن، ١٩٦٩م، ص ٢٣٧.

٨١. ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الإمامةو السياسة،ج ٢ جزءان، قم، منشورات، الشريف الرضي، ١٩٦٩م،ص ٧٠.

٨٢. سردانية في المصادر العربية القديمة وهي جزيرة سردينيا الفرنسية حاليا وتقع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط للمزيد عن هذه الجزيرة أنظر ؛ ياقوت الحموي، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣ ص ٢٠٩.

٨٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج ٢ ص ٧٠.

٨٤. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٧١.

٨٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢،ص ٧٠-٧١.

٨٦. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١؛ ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ومراجعة، ج . س . كولان وإ . ليفي بروفنسال، ٤ أجزاء، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٤٢.

٨٧. للمزيد عن مدينة سرقوقصة أنظر؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.

٨٨. لم أوفق في العثور عليها في المصادر المعنية بتاريخ جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والغالب أنها مدينة من مدن سردانية .

٨٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.

٩٠. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١ ؛ وذهب ياقوت إلى أن فتحها كان في سنة ٩٢هـ وهو على ما يبدو تاريخ استقرار العرب المسلمين فيها . انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٩.

٩١. خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.

٩٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٤٢ ؛ وديع فتحي عبد الله، علاقات السياسة بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م، ص ٧٩.

٩٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٠ ؛ الطبري، تاريخ الطبرى ج ٦، ص ٤٩٥.

٩٤. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢٣، ٥٣٠ ؛ خليفة بن خياط، ص ٣١٤ – ٣١٥ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٣٥٩، النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصر، الموسسة المصريه العامة للتأليف والطباعة والنشر، دون تاريخ،ج٢١ ص ٣٤٧-٣٤٨، الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق : محمد سعيد عمران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٨٧، A.A. VASILIEV, HISTORY OF The Byzantine empire , 2vol ,(the university of Wisconsin press, Milwaukee) 1978,p.236

٩٥. المراكشي، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩ ؛ وقارن مع النويري،نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٧.

٩٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٨-٣٣٠.

٩٧. جاء في الهامش في تاريخ خليفة بن خياط أن سرقوسة هي جزيرة قورسيقا الآن، وهي وسردانية جزيرتان متقابلتان في البحر المتوسط . انظر، ص ٣٦٦

٩٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦

٩٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.

١٠٠. الطبرى، تاريخ الطبرى، ج ٧،ص ؛ النويرى، نهاية الارب،ج٢١، ص٤٠٦.

١٠١. الطبرى، تاريخ الطبرى، ٧،ص ١٦٧ النويرى، نهاية الأرب، ج٢١،ص٤١٤.

١٠٢. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١.

١٠٣. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٦.

١٠٤. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ص٣٤٣.

١٠٥. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٥.

١٠٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.

١٠٧. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٧ ؛ انظر ايضا ابن الأثير، الكامل،مج٥،١٩١.

١٠٨. الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص ٧٩- ٨٠، المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار، مج ١، ص ٣٠٣.

١٠٩. ابن الأثير، الكامل، مج ٥، ١٩١

١١٠. الطبرى، تاريخ الطبرى، ج٢،ص٢٢٧، وأنظر ايضا المنبجى، المنتخب من تاريخ المنبجى،ص ٩٥.

المراجع والمصادر

أولاً: المصـــــادر

١- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم) ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م الكامل في التاريخ، تحقيق : كارلوس تورنبيرج،١٣ مجلداً،ليدن، ١٨٧١م.

٢- ابـن الأثيـر : أسـد الغابـة فـي معرفـة الـصحابة، تحقيـق، محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور،٧،أجزاء، الطبعة الأولى، دار الشعب، مصر ١٩٧٠م.

٣- ابن جماعة الحموي.(بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله) ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، مـستند الأجنـاد فـي آلات الجهـاد ومختـصر فـضل الجهـاد، دار الوطنيـة للتوزيـع والإعـلان، بغداد،١٩٨٣م).

٤- ابن حزم الأندلسي:(أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر،١٩٨٢م).

٥- ابن خلدون :(عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م

٦- ابن سعد: (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م، الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .

٧- ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٦)م، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : شارلز توري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م .

٨- ابن عذاري المراكشي. (أبو عبد الله محمد) كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣٢١م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة : ج . س كولان و إ ليفي بروفنسال، ٤ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

٩- ابن عساكر. (أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله) ت ٥٧١هـ/١١٧٥م، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكينه الشهابي، المجلد الثامن والثلاثون، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦م ؛ المجلد السابع عشر، مخطوط مصور، دار البشير، الأردن، دون تاريخ

١٠- ابن قتيبة الدينوري :(أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، الإمامة والسياسة، (منسوب لابن قتيبة)، جزءان، الطبعة الأخيرة، منشورات الشريف الرضي، رقم، ١٩٦٩م.

١١- ابـن قتيبـة الـدينوري: المعـارف، تحقيـق، ثـروت عكاشـة، الطبعـة الرابعـة دار المعـارف، مـصر، ١٩٨١م.

١٢- ابن ماجة :(أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨م، سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، جزءان، تركيا، ١٩٨١م.

١٣- ابن منظور : (محمد بن مكرم بن على) ت ٧١١هـ/١٣١١م، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه علـى الحـرف الأول مـن الكلمـة : يوسـف خيـاط، الطبعـة الأولـى، ٧ مجلـدات، دار الجيـل، بيروت،١٩٨٨م.

١٤- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي، الجزء الثالث عشر، دار الفكر، دمشق،١٩٨٩م.
١٥- أبو داود: (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) ت ٢٧٥هـ /٨٨٨م، سنن أبي داود، ٥ أجزاء، تركيا،١٩٨١م.
١٦- ابن يعلي الفراء الحنبلي:(محمد بن الحسين) ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
١٧- أحمد بن حنبل : ت ٢٤١ هـ/٨٥٥م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٦ أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
١٨- الأزهري:(أبو منصور محمد بن أحمد) ت ٣٧٠ هـ/٩٨٠م تهذيب اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، ١٥ جزءاً المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر،٦٤-١٩٦٧م.
١٩- البخاري. (محمد بن اسماعيل) ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م، صحيح البخاري،٨ أجزاء استنبول، ١٩٨١م.
٢٠- البكري:(عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جرعان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.
٢١- البلاذري:(أبو العباس، أحمد بن يحي بن جابر) ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م، فتوح البلدان تحقيق، عبد الله وعمر أنيس الطباع، الطبعة الأولى منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٢- الحميري: (محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م
٢٣- خليفة بن خياط: (عمر بن خياط العصفري البصري) ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م، تاريخ ابن خياط تحقيق، أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م
٢٤- الرقيق القيرواني:(أبو إسحق إبراهيم بن القاسم) ت القرن الخامس الهجري ، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق : المنجي الكعبي، رفيق المقطي، تونس، ١٩٦٨م.
٢٥- الطبرى: (محمدبن جرير) ت٣١٠هـ/٨٢٥م، تاريخ الطبرى المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم،١١جزءاً الطبعة الخامسة
دار المعارف، مصر، ١٩٨٧م.
٢٦- العباسي:(الحسن بن عبدالله) ت٧١٠هـ/١٣١٠م اثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٧- قدامة بن جعفرت ٣٢٨هـ/٩٣٩م، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي،دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
٢٨- قسطنطين السابع:(بورفيروو جنيتوس) ت ٩٥٩م إدارة الإمبراطورية البيزنطية عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٩- الكوفي:(ابو محمد بن أعثم) ت٣١٤هـ/٩٢٧م، الفتوح، ٨ اجزاء، الطبعة الأولى،الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م .

٣٠- الماوردي:(أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب) ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م الأحكام السلطانية والولايات الدينية الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٥م.
٣١ - المقريزي :(تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان طبعة بالاوفست، دار صادر بيروت، دون تاريخ
٣٢- المنبجي :(أغابيوس قسطنطين) من القرن ٤هـ/١٠م، المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م.
٣٣-الميداني:(أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م، مجمع الامثال، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،٤ أجزاء، عيسى البابي الحلبي، مصر،١٩٧٧م.
٣٤-النويري :(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م نهاية الأرب في فنون الأدب،٣١جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، دون تاريخ .
٣٥_ ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبدالله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان،٥ أجزاء، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٦-اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م، تاريخ اليعقوبي، تحقيق : هوتسما، جزءان، الطبعة الثانية،ليدن، ١٩٦٩م.

ثانياً المراجـــع

١. وفيق بركات :
فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٩٥م)

٢. فيمان جرونفيل :
التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة : حسام محي الدين الالوسي، الطبعة الثانية، مطبعة الجمهورية، بغداد،١٩٨٦م.

٣. خالد جاسم الجنابي :
تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الاموي، الطبعة الثانية دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.

٤. محمد حميد الله :
مجموعة الوثائق في العهد النبوي والخلافه الراشدة، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت،١٩٨٧م.

٥. نجدت خماش :
الشام في صدر الإسلام، من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

٦. وفيق الدقدوقي :
الجندية في عهد الدولة الاموية، مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٧. تقي الدين عارف الدوري:
صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي، دار الرشيد للنشر بغداد،١٩٨٠م.

٨. عصام سالم سيسالم:
جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٩. محمد علي الشبول:
نشأة البحرية الإسلامية في صدر الإسلام ، ابحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في اللاذقية ٢٢-٢٤نيسان ١٩٨٦م منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٩م.

١٠. أحمد مختارالعبادي والسيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية في بيروت،١٩٨١م.

١١. أحمد مختارالعبادي والسيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٦٩م.

١٢. إبراهيم أحمد العدوي:
قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٣م.

١٣. بسام العسلي :
فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٤. إسمت غنيم :
الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٧م.
١٥. على محمود فهمي :
التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة : قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٧م.
١٦. أرشيبالد لويس:
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسي، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، دون تاريخ.
١٧. محمد جمال الدين على محفوظ :
فجر البحرية الإسلامية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٧م
١٨. محمد كرد على :
خطط الشام، ٥ أجزاء الطبعة الثانية، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م.
١٨.مونتجومري وات :
فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد مين، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٠. وديع فتحي عبد الله :
العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الادنى الاسلامي، موسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
٢١. نسيم يوسف جوزيف :
تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.

وسائل الدعاية عند الفاطميين

(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

د. إبراهيم أحمد القلا (*)

مقدمـــــــة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة وسائل الدعاية عند الفاطميين، وشقيها المادى والمعنوى، منذ بداية دعوتهم فى اليمن وإفريقية، وحتى استيلائهم على مصر والشام والحجاز، وتكوين دولتهم الكبرى التى كانت تقف على قدم المساواة مع الدولة العباسية، حيث لم يحظ هذا الموضوع، من قبل، بدراسة مستفيضة ومتخصصة فى هذا الجانب المهم بالنسبة لتاريخ وتطور الدولة الفاطمية، سواء فى المشرق والمغرب. وقد قسمت هذا البحث إلى محورين ممكن عرضهم على النحو التالى:

المحور الأول: بعنوان وسائل الدعاية المعنوية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب النسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ)، وأسلوب الزهد والتقشف والعلم والتشيع، والقول بوصايا على بن أبى طالب (ﷺ)، وأسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤيد دعوتهم، والثورة ضد الحكام أو ضد النظام، والقول برجعة الإمام وتأويل الشريعة، ومن أساليبهم أسلوب التفريق بين قبائل العرب ونشر الدعوة فى الخفاء والستر والكتمان، وأسلوب استتار الإمام والقول بغيبته، وبث الدعاة وسط الجند، وأسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام، والإدعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنقذ المصريين، والاحتفال بالأعياد واتخاذ أعياد جديدة، وإيجاد اللغات غير العربية، ومن أساليبهم أيضاً: تألية الحاكم والإمام، وأسلوب التناسخ، وأسلوب قتل الغيلة، وأسلوب التأنيس والتدليس والخلع، والادعاء بأن حقهم فى الخلافة قد اغتصب منهم، ولعنهم أبا بكر وعمر وعثمان على منابرهم، وإقامة الخطبة.

أما **المحور الثانى**: وعنوانه وسائل الدعاية المادية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب ضرب العملة والسكة، ولباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية، وبناء العواصم والحواضر واتخاذ أسمائها نسبة إليهم، وإنشاء دور العلم وتعميم المذهب الشيعى، إنشاء المساجد الشيعية والأضرحة، بث الدعاة وسط الجند، إعداد الجيوش، اختيار مصر مقرا للدعوة، الاهتمام بالعمران.

هذا وأنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، وبعض الملاحق التى تخدم الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

(*) أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى.

الدولة الفاطمية إحدى الدول الشيعية القوية التى قامت في بلاد المغرب ومصر، وظلت تحكم مصر مدة قرنين من الزمان، إلى أن أسقطها صلاح الدين الأيوبي، سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١م، وأعاد مصر مرة أخرى إلى خلافة بنى العباس السنية[١].

وقد حاول الفاطميون نشر مذهبهم الشيعي بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بادئين ببلاد المغرب وصقلية واليمن، ثم مصر والشام والعراق[٢] وغيرها متخذين أساليب عديدة في دعوتهم.

وقد فتح جوهر الصقلى مصر سنة٣٥٨هـ/٩٦٩م، وأسقط الدولة الإخشيدية، كما أسقط الخطبة للخليفة العباسي المطيع لله أبو القاسم (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٥-٩٧٣م)[٣]، وأقامها للمعز لدين الله الفاطمي[٤]، وبنى مدينة القاهرة لتصبح حاضرة مصر الفاطمية[٥].

ومن بلاد المغرب واليمن ومصر، انطلق الدعاة بالدعوة الفاطمية محاولين نشرها بالأسلوب السلمي تارة، والحربي تارة أخرى، معتمدين على ضعف الخلافة العباسية، وانقسامها إلى دويلات عديدة، وملائمة البلاد التى دخلها الفاطميون كالمغرب ومصر واليمن للدعوة[٦].

ومن أساليب الفاطميين في الدعوة:

١- أسلوب النسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ).

نسب الفاطميون أنفسهم إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) فاتخذت الدولة اسمها، مدعين أنهم من نسل الحسين بن فاطمة شهيد كربلاء[٧]، فهم علويون ينسبون إلى على بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين ﷺ. مما هيأ الفرصة لاكتساب ثقة الناس، وخاصة أولئك الذين كانوا يكرهون بنى العباس من الموالى (المسلمين من غير العرب).

وادعى عبد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب[٨] وأولاده: أنهم من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق ت١٤٨هـ/٧٦٥م، أو من سلالة الإمام موسى الكاظم ت١٨٣هـ/ ٧٩٩م[٩]، وهم من أئمة الشيعة الاثنا عشرية، والذين كان الفرس وغيرهم يكنون لهم كل تقدير واحترام[١٠].

إلا أن النسب الصحيح لهؤلاء أنهم ينتسبون إلى ميمون القداح وابنه عبد الله، وهو فارسي وكان يخطط لتكوين دولة فارسية، أو دولة يهودية نسبة إليهم[١١].

وقد نقل ابن خلكان رواية تبين مبلغ إنكار المصريين صحة نسب الفاطميين، ذلك أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) صعد المنبر يوم الجمعة، أوائل خلافته في مصر، فرأى ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقاً فاذكر أبا بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بنى هاشم يقصر عنها طمع الطامع[١٢].

وقد روى الثعالبى حكاية أخرى تويد هذا الرأى إذ يقول: إن عبد الرحمن الثالث الأموى الأندلسي تلقى من العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجوه، فجاءه رد عبد الرحمن عليه: " أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام" وهذا بسبب عدم إفصاح الفاطميين عن أى نسب رسمى لهم[١٣].

٢- أسلوب الزهد والتقشف والعلم والتشيع:

وهو أسلوب اتخذته معظم الدعوات الشيعية[١٤]، ومنها الفاطمية، فحاز به عبد الله ميمون بن القداح، وعبد الله المهدى وأئمة الدعاة والخلفاء - ثقة الناس، ونجحوا في تأسيس جمعيات سرية، ثم أخذوا يعلمون الناس أسرار الدعوة التى قسموها إلى تسع درجات (وزادات فيما بعد) وكثر أنصارهم[١٥].

٣- أسلوب كتمان الدعوة وسريتها:

وهو من أشهر أساليب الدعاية عند الشيعة الإسماعيلية وكل طوائف وفرق الشيعة، وكان الداعى الفاطمى يبدأ بإظهار بعض مشكلات القرآن، حتى إذا طلب الناس منه حل هذه المشكلات؛ أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يجعلوا هذه الدعوة سراً مكتوماً، ثم يطلب منهم أن يدفعوا ضريبة مقررة تساعده على نشر مذهبه[١٦].

وإذا تم للداعي ما أراد، دخل الطالب في المرحلة الثانية، ومؤداها أن فرائض الإسلام لا تؤدى إلى مرضاة الله؛ إلا إذا كانت عن طريق الأئمة السبعة، من ولد إسماعيل ابن جعفر الصادق. فإذا وصل الطالب إلى المرحلة الرابعة، اعتقد أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، ومن تقدم هذه المرتبة لا يعلم سوى نظريات فلسفية لا تمت للاسلام بصلة، حتى يصل به الاعتقاد إلى أن الإمام هو عبد الله بن ميمون القداح، وانه بمنزلة هارون من موسى، أو بمنزلة علىّ ﷺ من محمد (ﷺ)[١٧].

٤- أسلوب شراء الناس بالمال:

من أسهل أساليب الدعوة، فقد ذكر ابن خلكان[١٨] أن جماعة من أهل السنة في مصر طعنوا في نسب المعز لدين الله واتصاله بعلي بن أبي طالب ﷺ، حتى إن الخليفة المعز لما وصل إلى مصر، اجتمع به الأشراف وسأله أحدهم، وهو ابن طباطبا: "إلى من ينتسب مولانا"، فأجابه المعز بأنه سيعقد مجمعاً يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه، حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر، سل المعز سيفه إلى النصف وقال "هذا نسبي"، ثم غمرهم بالذهب الكثير وقال "وهذا حسبي"، ومن هنا نشأ القول المأثور (سيف المعز وذهبه) للإشارة إلى بطلان الشئ أو أنه مأخوذ كرهاً[١٩].

اهتم المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) بأمر الحجاز، حيث تدخل في حسم الخلاف بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، وأرسل سراً مالاً ورجالاً سعوا بين الفريقين حتى عقدوا الصلح في المسجد الحرام، وقام المعز بأداء دية قتلى بني الحسن سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م، مما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، ولما فتح جوهر مصر، سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م بادر الحسن بن جعفر الحسني بالاستيلاء على مكة، ودعا للمعز على منابرها، وكذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وعمل المعز على تثبيت سلطته على مكة والمدينة بالأموال التي صار يرسلها إليهما، ويذكر المقريزي أنه في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م: "أنفذ المعز عسكراً وأحمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع" وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز.[٢٠]

واستطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) بفضل اهتمامه بأمر الدعوة، وإنفاقه الأموال الكثيرة لهذا الغرض أن يستميل بعض أمراء العرب أعالي العراق الى جانب الدولة الفاطمية، ففي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م اعلن حاكم الموصل " أبو الدرداء بن المسيب العقيلي " ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة في الموصل للعزيز بالله وأمر أن ينقش اسمه على الأعلام والسكة[٢١]، كما نجح الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) في استمالة قرواش ابن المقلد الملقب بمعتمد الدولة أمير بني عقيل في الموصل، فخرج عن طاعة الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠١هـ وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله وأقام الدعوة له[٢٢]، كما أمر قرواش عماله في البلاد التي كانت في حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها[٢٣]، فخطب للحاكم بأمر الله في كل من الأنبار[٢٤] والقصر[٢٥] والمدائن[٢٦] والكوفة[٢٧] والجامعين[٢٨] وغيرهم مما حمل العلويين والعباسيين المقيمين بالكوفة على الهروب إلى بغداد[٢٩].

حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التي بذلها لهم، وتقدر بخمسين ألف دينار عينا، سوى الهدايا والثياب، من أجل التخلي عن أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة ومبايعته بالخلافة وذلك سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[٣٠]، كما نجح الحاكم بأمر الله في شراء الناس بالمال .

كان دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يألون جهداً في القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م) حتى توفي، فخلفه داع جرئ يدعى عامر بن عبد الله الزواحي، كان كثير

المال والجاه، وقد استغل ماله ونفوذه في سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمال عدداً كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي، وظل يدعو للفاطميين خلال عهد الحاكم والظاهر، وأوائل عهد المستنصر بالله(٣١).

ويذكر ابن ظافر ذلك بقوله : "السبب في خفاء زورهم في إدعائهم الشرف: أن القوم كانوا وقت ابتداء ملكهم، ووقت إدعاء زورهم، لايسمعون بمنكر لأمرهم طاعن على مذهبهم إلا بادروه بالعطايا، وأتحفوه بالأموال والرغائب، وطالبوا الكف منه، فإن رفض عملوا على قتله بأنواع من الحيل والمكر التى بنى عليها مذهبهم"(٣٢).

٥- القول بوصايا على بن أبى طالب (ﷺ) وأحقيته بالخلافة:

اعتقد الشيعة أنهم وحدهم الأحق بالخلافة، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ، وكذا الخلفاء من بنى أمية، وبنى العباس، انتزعوا حق الإمامة المقدس من على ﷺ، وقد صنف العلماء الشيعة من المؤرخين الأسفار الطوال في تأييد هذه المقالة، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سلبت من على أو بعبارة أخرى اغتصبت من بيت النبى (ﷺ) (٣٣).

لا يقف الحال عند هذا الحد، فقد اشتط الغلاة من الشيعة فقالوا: إن الإمامة في بيت على ﷺ، وأن الأئمة معصومون، وإن صفات الله تعالى قد حلت فيهم وتقمصت أجسادهم، وإن من قال بغير ذلك، من الفرق الإسلامية- خارجون عن الدين: وبدللوا على ذلك بأن علياً كان أول من اعتنق الإسلام من الرجال قبل أبى بكر، وأن ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع أحد من المسلمين أن يبتله(٣٤).

٦- أسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤيد دعوتهم:

استند غلاة الشيعة، ومنهم الفاطميون، على مجموعة كبيرة من الأحاديث الموضوعة والتى تشهد لآل على كرم الله وجهه بالحق في الخلافة، ويذكرون أن على (ﷺ) جمع الناس سنة ٣٥هـ/٦٥٥م في الرحبة(٣٥) ثم قال لهم: "أنشد بالله كل إمرئ مسلم سمع رسول الله(ﷺ) يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله (ﷺ) قال : "من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه"، وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشى بن جناده قال: قال رسول الله (ﷺ): "على منى وانا من علي"، وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال: "آخى رسول الله (ﷺ) بين أصحابه فجاء على (ﷺ) تدمع عينه، فقال: يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد، فقال رسول الله (ﷺ): " أنت أخى في الدنيا والآخرة"(٣٦).

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله (ﷺ) خلف على بن أبى طالب في غزوة تبوك سنة ٩هـ/٦٣٠م فقال: "يارسول الله تخلفنى في النساء والصبيان فقال أوما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبى بعدى"(٣٧).

ومن ذلك ما عزى إلى النبى (ﷺ) أنه قال "أهل بيتى كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن عدل عنها غرق"، وفى رواية أخرى أهل بيتك كسفينة نوح، من تعلق بها نجا، ومن تخلف عنها هلك(٣٨)، وقوله أيضاً "من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد

مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة"، فهذه الأحاديث لاشك في أن الشيعة احترموها بعد موت الرسول (ﷺ) تأييداً لعقيدتهم التى كان مبناها ممالاة على وخلفائه من بعده[٣٩].

ونحن نعلم أن النبى (ﷺ) ترك مسألة الخلافة من غير أن يترك فيها وصية لأحد، وتم اختيار أبى بكر الصديق ﷺ لخلافته بطريقة ديمقراطية حيرت أهل الديمقراطية للآن[٤٠].

٧- أسلوب الثورة ضد النظام:

وقد بدأت هذه الثورات في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) فيما يسمى بالفتنة الكبرى، والتى قيل في أسبابها، أن عثمان فضل أقاربه على غيرهم في الحكم، فرفع الشيعة راية العصيان. وادعوا أن علياً عارض عثمان، والواقع يقول غير ذلك، غير أن الذي قاد الثورة سرياً هو ابن السوداء (عبد الله بن سبأ)اليهودى الذى أسلم ظاهرياً، وكان له دور خطير جداً في انقسام الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة[٤١]، وبث ابن سبأ دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون[٤٢]. ألقى ابن سبأ تعاليمه ومن ضمنها: أنه كان لله ألف نبى ووصى وكان على ﷺ وصى محمد ﷺ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية نبى الله ﷺ ووثب على وصيه. وقال إن عثمان ﷺ أخذها بغير حق وهذا وصى رسول ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالطعن على أميركم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستثير الناس، وادعوهم على هذا الأمر، فبث دعاته وكاتبهم وكاتبوه في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم من مصرهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرا أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون[٤٣].

واستغل ابن سبأ وجود معاوية بن ابى سفيان في ولاية الشام، واعتلاءه منابر المسجد الأموى وتحريض الناس على الاخذ بالثأر من قتلة عثمان: وحرض الناس تمهيداً لإسقاط خلافة عثمان(ﷺ)، وهو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة المغالية في الإسلام، وهو أول من بذر بذوره وحقق ابن سبأ غرضه من إثارة الولايات الاسلامية على عثمان وولاته فكانت الفتنة الكبرى وقتل الخليفة الثالث عثمان (ﷺ)[٤٤] مما اضعف الإسلام، وزاد كلمة المسلمين تفريقا حتى الان.

ثورة الحسين بن على ابن ابى طالب، رضى الله عنه، على يزيد بن معاوية، واستشهاد الحسين فى كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م[٤٥]. وثورة التوابين وهم جماعة من الشيعة اعترفوا بتقصيرهم وخطيئتهم فى حق الحسين بن على، حينما تركوه يواجه القتل وحده، ولذا ثاروا ضد الدولة الأموية بقيادة سليمان بن صرد، والتقى معهم عبيد الله بن زياد فى معركة يقال لها "عين الورد" هزم فيها التوابون وذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[٤٦]، وثورة زيد بن على سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م حيث خرج على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، ولكنه هزم بعد أن خذله أهل الكوفة، وإليه

تنسب جماعة الزيدية إحدى فرق الشيعة[٤٧]، وثورة يحيى بن زيد، سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، الذى استطاع الهروب من السجن وواجه نصر بن سيار في معركة عنيفة انتهت بمقتل يحيى[٤٨].

ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي سنه ٦٥ هـ/ ٦٨٤م :

وقد كثرت الثورات الشيعية في العصر الأموى منها: ثورات الكيسانية[٤٩] والمختارية: ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفى، ولد المختار في السنة الأولى، ولقب أحياناً بكيسان لأنه تلقى العلم عن كيسان، أو لأن كيسان حثه على الأخذ بثأر الحسين وعرفه بقاتليه ، ويذكر البغدادى أن كيسان كان لقباً أصيلاً للمختار[٥٠].

ادعى المختار أن محمد بن الحنفية هو الذى أرسله وأنه وزيره، ويعمل باسمه للطلب بحق آل البيت، والثأر من قاتلى الحسين وصحبه، وادعى أنه يسير على نهج القرآن وهدى الإسلام، ولكنه كان به ضلالات تبعده عن الإسلام منها: أنه كان عنده كرسى قديم قد غشاه بالديباج وزينه وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين على (ﷺ) وهو عندنا بمنزلة التابوت عند بنى إسرائيل، كما ادعى علمه بالغيب وله أسجاع يقلد بها القرآن. قتل المختار على يد مصعب بن الزبير[٥١]، وكانت مدينة الكوفة العراقية أشد المدن تأييداً وخذلاناً لهم في نفس الوقت[٥٢].

ثورة زيد بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، قامت خلال عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) والتى انتهت بهزيمته وقتله سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م[٥٣].

ثورة يحيى بن زيد بن على بن زين العابدين الذى فر إلى خراسان، وأقام بها حتى توفى هشام بن عبد الملك، وخلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) فعمد نصر بن سيار لمطاردته والتقى به في الجوزجان – إحدى قرى خراسان – فظل يقاتل حتى قتل[٥٤].

٩- أسلوب القول برجعة الإمام الغائب:

يعتقد معظم الشيعة بعودة ورجعة الإمام، وفي ذلك يقال: إن محمد الإمام الثانى عشر من أئمة الشيعة، الذى اختفى في سرداب بمدينة سامراء، أنه سيعود ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه المهدى المنتظر، واعتقدوا أنه يقيم في جبل رضوى (على مسيرة سبعة أيام من المدينة المنورة وأن عودته ستكون في هذا المكان، ويقول الشيعة: إن الإمام قد يكون مستوراً مكتوماً عن الناس خبره وقال شاعرهم كثير عزة في ذلك[٥٥]:

ألا أن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً ... برضوى [٥٦]عنده عسل وماء[٥٧].

١٠- تأويل الشريعة الإسلامية:

يعتقد ويعتمد أغلب الشيعة على أسلوب التأويل في أحكام الشريعة الإسلامية، فالدين عندهم طاعة رجل، حتى حملهم الاعتقاد على تأويل الشريعة، وأن طاعتهم ذلك الرجل ستبطل

ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كالصيام والصلاة والحج والزكاة وغيرها، بل اعتبروا الأئمة محاطين بهالة قدسية بعلوم ما وراء الطبيعة[٥٨].

١١- أسلوب التفريق بين قبائل العرب:

وهذا أسلوب اتبعته الدعوة الشيعية بعد انتقالها للعباسيين سنة ٩٨هـ/٧١٦م، حينما تنازل عنها أبو هاشم عبد الله عند الشيعة، لمحمد بن على بن عبد الله بن العباس في الحميمة، وهى قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة[٥٩]، وقد نشط العباسيون بالدعوة لآل البيت دون تحديد شخص المدعو إليه، والدعوة إلى المساواة والعدل، فدخل في طاعتهم أهل خراسان (إيران- تركمنستان – أفغانستان) حاليا على يد أبو مسلم الخراسانى الذى استطاع أن يفرق بين اليمانية والقيسية، أو بين عرب الشام وعرب اليمن، مما سهل سقوط خلافة بنى أمية وقيام دولة بنى العباس[٦٠].

١٢- أسلوب تصويرهم أمام الناس أنهم المظلومون دائماً

صور أئمة الفاطميين، وغيرهم من الشيعة للناس أنهم دائماً مظلومون، فهم قد ظلموا باستخلاف أبى بكر وعمر وعثمان ﷺ وبنى أمية وبنى العباس، بل اعتبروا أن بنى العباس قد سلبوهم الخلافة والإمامة، حينما دعوا لأنفسهم بها سنة ٩٩هـ ٧١٧م، وكتموا عن العلويين ذلك، ولما قامت الخلافة في بنى العباس، سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقامت الثورات العلوية مطالبة بحقها في الخلافة، موصين الناس أنهم أحق بها من بنى العباس الظالمين لهم[٦١].

١٣- نشر الدعوة في الخفاء والسر والكتمان:

كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين الشيعة؛ من حبس وقتل طوال العصرين الأموى والعباسى، أن عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء، والتمسوا أماكن يختفون فيها، ويتخذونها ملاجئ يدرءون بها عن أنفسهم الحبس والآلام، إلى أن تقوى دعوتهم، ثم يظهرون كلما سنحت لهم الفرصة[٦٢].

ودخل المذهب الشيعى إلى إفريقية، بصورة أكثر سرية وتنظيما، قبل وصول الداعى الإسماعيلى أبى عبد الله الشيعى، حيث وصل أول تمثل شيعى إسماعيلى إلى إفريقية في أواسط القرن الثانى الهجرى/الثامن الميلادى، قبل نحو ١٣٥عاما من وصول أبى عبد الله الشيعى إلى هناك وهى بعثة الداعيين أبى سفيان والحلوانى، حيث قدما من الشرق للاستقرار في بلاد المغرب سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وأن الذى بعثهما، فيما يقال، الإمام جعفر الصادق، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة وينشروا فضلهم[٦٣].

١٤- أسلوب استتار الإمام:

استتر أكثر أئمة الشيعة، وخاصة الفاطميون، في بلاد المغرب ومصر، وهناك أئمة يقال لهم المستورون في ذات الله تعالى [٦٤]، وذلك لدرء ما عسى أن يحيق بهم من مكروه، ولذلك اتخذوا ما يسمى بدار الهجرة في البلاد التى قاموا فيها بنشر مذهبهم، فبعضهم استتر لمدة عشر سنوات أو أكثر، ويبايعه الناس دون رؤيته[٦٥].

ومن أساليب الإسماعيلية فى التخفى والتستر: اتخاذ الدعاة عدة ألقاب فعلى سبيل المثال: تسمى المهدى عبد الله استتارا، و كان أبو عبد الله الشيعى يلقب بالمحتسب لاشتغاله بالحسبة فى البصرة[٦٦]، ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الإمامية[٦٧]، ويلقب بالأهوازى لأنه ولد فى الأهواز، والمشرقى صاحب البغلة الشهباء أو البلقاء[٦٨]، ولقبه البعض بالصنعانى مع أنه لم يمكث فى صنعاء إلا فترة وجيزة، وعرف بهذا اللقب لأنه قدم على حجيج كتامة من صنعاء[٦٩].

ونذكر أنه سبق عبد الله المهدى، مؤسس الخلافة الفاطمية فى إفريقية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م سلسلة من الأئمة المستورين من أبناء محمد بن إسماعيل، فالأئمة الذين يصلون عبد الله المهدى بمحمد بن إسماعيل – أشخاص عاشوا فى ظل ظروف يكتنفها الكثير من الغموض ، كما أن الائمة الفاطميين، فيما بعد، لم يحاولوا كشف أسمائهم، وذلك لإبطال الحملات التى شنها ضدهم أعداؤهم، أو الرد عليهم بسبب إصرارهم على عدم إذاعة أى نسب رسمى لأصولهم؛ اعتمادا على مبدأ معروف لدى الشيعة هو "عدم كشف أولئك الذين سترهم الله، وهم المستورون فى ذات الله[٧٠].

ويذكر أن المعز كان مغرماً بالنجوم والنظر فيما يقتضيه الطالع، فنظر في مولده وطالعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه، فأشار عليه ان يعمل سرداباً تحت الأرض ويتوارى فيه إلى حين جواز الوقت فعمل على ذلك، وأحضر قواده وكتابه وجعل نزار ابنه وليّ عهده من بعده، ولقبه العزيز بالله واستخلفه، ثم نزل الى سرداب اتخذه وأقام فيه سنة، وكان المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجل الفارس منهم إلى الأرض وأومأ بالسلام يشير إلى المعز فيه، ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له[٧١].

١٥- القول بغيبة الإمام:

فى شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م أنجب الإمام الحسن العسكرى، الإمام الحادى عشر عند الشيعة، ولداً أسماه محمداً، فلما توفى الحسن سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، كان ابنه فى الخامسة من عمره، فأصبح محمد الإمام الثانى عشر عند طائفة الإسماعيلية الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية الإثنا عشرية، ويقال إن محمداً دخل سرداباً فى مدينة سامراء وأمه تنظر إليه، ولكنه لم يعد، ولم يقف له أشياعه على أثر من ذلك الحين، ومن هنا تنسب للإمام الثانى عشر غيبتان: الغيبة الصغرى، وتبدأ بموت الحسن العسكرى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، والغيبة الكبرى، وتبدأ من اختفاء ابنه محمد سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م حتى الآن، ولا يزال أنصاره ينتظرونه إلى اليوم، ولهذا يعتقد الإمامية الاثنا عشرية: أن محمداً الإمام الثانى عشر سيظهر ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن ثم سمى الإمام المنتظر، وصاحب الزمان، والقائم بالأمر، والحجة[٧٢].

١٦- اختيار بلاد ملائمة للدعوة وبعيدة عن سلطة العباسيين:

اختار دعاة الدولة الفاطمية بلاد ملائمة تماماً لدعوتهم وبعيدة عن سلطة بنى العباس مثل: المغرب ومصر واليمن، كان المهدى فطناً ذكياً موهوباً، كما كان سياسياً قديراً؛ أدرك بثاقب فكرة أن بلاد اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامى فمن الصعب أن تصلح مركز لنشر الدعوة فى جميع البلاد، فاختار المغرب وهو البلد الذى نشأت فيه الدولة، وكان ملائماً تماماً لدعوتهم لبعده

أولاً عن مقر الخلافة في العراق وأهله من البربر كانوا يكنون حنقاً كبيراً على بني العباس لظلمهم لهم ووعورة تضاريسه في قيام دولة شيعية مثل دولة الأدارسة وضعف سلطة الخلافة العباسية عليهم، وانسلاخ بلاد الأندلس عن سلطانهم أيضاً[٧٣]، وكان اختيار بلاد المغرب دون غيرها من الأطراف الإسلامية لتشهد بداية الدولة الفاطمية مقصوداً وذلك لإمكانية التوجه منها لمصر بسهولة، فكانت إفريقية مدخلاً لمصر، كما كانت خراسان مدخلاً للعراق[٧٤].

أما مصر فكانت صالحة تماماً للدعوة الفاطمية لثرائها وهدوء الأمر فيها، واستتباب الأمن بها [٧٥]، هذا بجانب قربها من الأماكن المقدسة التى يهدف الفاطميون إلي فرض سيطرتهم عليها، وكانت مصر ولا تزال - بفضل موقعها الجغرافى الاستراتيجى فى قلب العالم الإسلامى، وثرواتها - أكثر البلاد صلاحية للدعوة ومركزا للدولة الفاطمية نفسها، هذا فضلا عن أن مصر أقرب إلى المشرق الذى دأب المعز وأتباعه على إخضاعه، وخاصة انها قريبة من الشام والعراق، ومما قاله المعز لمشايخه حينما رحل جوهر إلى مصر: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، لتدخلن مصر بالأردية من غير حرب، ولتنزلن في خرائب ابن طولون (يعنى مدينة القطائع) وتبنى مدينة تقهر الدنيا"[٧٦].

وهناك دليل مادى يوضح نية المعز للانتقال إلى الشرق، وإلى مصر بوجه خاص، قبل فتحها بوقت طويل، فقد وصل الينا ثلاثة دنانير فاطمية تحمل مكان الضرب مصر، مؤرخة في السنوات ٣٣٤هـ/٩٤٥م، ٣٤١هـ/٩٥٢م، و٣٥٣هـ/٩٦٤م، ضربت قبل دخول الفاطميين مصر وتأسيس القاهرة، بغرض ترويجها بواسطة الدعاة على الأفراد الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة، بالإضافة إلى طرز عمل باسم المعز عمل بمصر سنة ٣٥٥هـ,٩٦٥م[٧٧].

١٧- بث الدعاة وسط الجند:

يذكر أبو المحاسن أن أمور الديار المصرية قد اضطربت، في أواخر عصر الإخشيديين، بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وقد استمال هؤلاء الدعاة نفرا من القواد ووجوه الرعية أنفذ إليهم المعز بنوداً ففرقوها على من استجاب لهم، وأمروهم أن ينشروها إذا ما قاربت عساكره مصر[٧٨].

ولجأ الفاطميون إلى أسلوب بث دعاتهم وسط الجند المسلمين المرسلين لاحتلال مصر، أعوام ٣٠١/٣٠٢/٣٠٣/٣٠٧/٣٠٩/٣٢١/٣٢٢ هـ، وقد صادفت الدعوة الفاطمية نجاحاً عظيماً بين الجنود الذين لم يكن أغلبهم على المذهب العلوى الشيعى، لدرجة أن جموعاً كبيرة اعتنقت المذهب الشيعى قبل دخول الفواطميين مصر[٧٩].

١٨- أسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام السنيين:

لم يقتصر الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم على الدعاة فقط، بل كان لخلفائهم أيضاً نصيب وافر في تشجيع هذه الدعوة، فقد أثر عن بعضهم أنهم كانوا يرسلون كتباً يكتبونها بأيديهم ويرسلونها بتوقيعاتهم، فقد كتب الخليفة القائم الفاطمى، ٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م، قبل دخولهم مصر كتاباً خاصاً بعث به مع رسول من قبله إلى محمد بن طغج الإخشيدى حاكم مصر رغبة منه في أن تفعل سياسة اللين والمسالمة ما لم تفعله سياسة العداء والحرب، تلك السياسة

التي أخفق فيها غيره، وعن نص الكتاب (انظر ملحق رقم ١):، ويعث مثلها إلى كافور الإخشيدي وغيره من حكام مصر[٨٠] ولكنها لم تجد معهم نفعاً.

١٩- إعداد الجيوش:

لكل دعوة جيوشها المعدة لمساندتها عسكرياً، وهذا ما فعله الخلفاء الفاطميون، فقد أعد المعز لدين الله الفاطمي جيوشه لغزو مصر، والقضاء على سلطات العباسيين فيها وفي الشام، لمد نفوذهم إلى بلاد الحجاز إن لم يكن إلى أبعد منها، وقد أعد هذا الجيش بعناية فائقة من ناحية العدة والعتاد، وكذلك من الناحية النفسية، عن طريق الدعاية السياسية المنظمة التي مهد بها الفاطميون لفتح مصر، وتذكر المصادر: أن جوهر حمل معه أكثر من ألف ومائتي صندوق مليئة بالأموال غير الذهب الذي جمعه الفاطميون طوال فترة إقامتهم بإفريقية تحسباً لهذا اليوم، وحمله جوهر على ظهور الجمال على هيئة أرحية الطواحين[٨١]، وبلغت النفقة على هذا الجيش ما يقرب من ٢٤ مليون دينار. ويذكر المقريزي عن جيش الفاطميين بأنه مثل. "جمع عرفات كثرة وعدة"[٨٢] وقد تحقق هدفه بدخول قائده جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م[٨٣].

٢٠- الادعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنقذ المصريين من ظلم العباسيين وعبث ولاتهم:

كانت رسل الفاطميين التي ترسل في صور تجار وجواسيس وعلماء، تدعى أن جيوشهم ما جاءت إلا لإنقاذ المصريين من ظلم العباسيين، وعبث الحكام والولاة من الترك والإخشيديين ويبعدون عنهم خطر القرامطة والبيزنطيين[٨٤].

٢١ - بناء الحواضر والعواصم واتخاذ أسمائها نسبة إليهم:

بنى الفاطميون عواصم اتخذت أسماءهم في المغرب هي: المهدية نسبة إلى أبي عبيد الله المهدي، التي بنيت سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م[٨٥] حيث أورد التجاني عن المهدية قوله: "وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وثلثمائة...وكان أول ما ابتنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها ... وأمر بعمل باب الحديد للمدينة ... وابتنى دار الصناعة ... وأنزل المهدي جنده وخاصته فيها"[٨٦]، كما أنشأ المهدي مدينة زويلة، حيث يذكر ذلك التجاني بقوله: "وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماه بزويلة ... فكانت كالربض لمدينة المهدية"[٨٧]، والمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبو طاهر إسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) [٨٨]، وقيل إن أصل إسمها مدينة صبرة، حيث يذكر البكري ذلك بقوله: "ومدينة صبرة متصلة بالقيروان، بناها إسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسماها المنصورية ..." [٨٩] ثم بنى جوهر القاهرة لتصبح عاصمة جديدة ينتقل إليها سيده المعز لدين الله، وقيل إن اسمها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء الشيعة الذين كانوا بديار مصر، وهو كوكب يقال له القاهر، فسموها القاهرة تيمناً أنها سوف تقهر أعداءها، ونحن لا نستبعد ذلك لأن المعز كان مغرماً بالنجوم وعلومها، وقيل إنها سميت بالقاهرة لأنها تقهر من شذ عنها وحاول الخروج على أميرها[٩٠].

٢٢- إنشاء دور العلم لتعليم وتعميم المذهب الشيعي:

كانت سياسة الفاطميين الدينية تقوم على نشر عقائد الإسماعيلية، مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعي في مصر، ولا سيما في عهد الخلفاء أمثال: العزيز بالله ووزيره اليهودي يعقوب بن كلس، حيث رتب يعقوب، سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، في داره المجالس للعلماء والشعراء والفقهاء وأجرى لجميعهم الأرزاق، وكان يقرأ على الناس كتاب مختصر الفقه المعروف بالرسالة الوزيرية، وهي كتاب ألفه في فقه الإسماعيلية يتضمن ما سمعه من المعز وابنه العزيز[٩١] وبنوا الجامع الأزهر وعقدت به حلقات الدرس، ولم تقتصر حلقات الدرس الشيعي على القاهرة وحدها، وإنما امتدت إلى بقية المدن المصرية، فأقيمت فيها حتى نهاية العصر الفاطمي، حلقات للدرس لنشر المذهب الشيعي بين أهلها[٩٢]، وأنشأ الحاكم بأمر الله، سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م دار الحكمة بالقاهرة، وأطلق عليها هذه التسمية نظرا للدعوة الشيعية، لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة[٩٣]، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء وغيرهم[٩٤]، وأغلقها بدر الجمالي سنة ٥١٦هـ ١١٢٢م[٩٥].

٢٣- إنشاء المساجد والأضرحه والمشاهد الشيعيه

ومن المساجد الشيعية التي أقامها الفاطميون جامع المهدية، حيث ذكره البكري عند حديثه عن المهدية بقوله: "والجامع سبع بلاطات متقن البناء حسنة"[٩٦]، وأنشأ الخليفة الفاطمي أبو القاسم بن عبيد الله مسجدا في اجدابية، وأورد ذلك البكري عند ذكر مدينة أجدابية بقوله: "وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، وله صومعة مثمنة بديعة العمل"[٩٧]، وأيضاً جامع طرابلس الذي بناه بنو عبيد في سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م على يد خليل بن إسحق[٩٨].

لما أتم جوهر الصقلي فتح مصر وأسس القاهرة؛ لم يرى أن يفاجئ السنيين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الشيعي حتى لا يثير كراهية المصريين، لذلك وضع أساس الجامع الأزهر في يوم السبت ١٤ رمضان سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وتم بناؤه في سنتين تقريبا، وأقيمت الصلاة لأول مرة في ٧ رمضان ٣٦١هـ/٩٧١م[٩٩]، ثم بنت تغريد، زوجة المعز لدين الله، مسجدها بالقرافة سنة٣٦٦هـ/٩٧٦م، جامع الحاكم الذي بدأ العزيز بناءه خارج باب الفتوح سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وسماه جامع الخطبة، وأكمل بناءه ولده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٣م ولم يفتح رسمياً للصلاة إلا سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[١٠٠]، ثم بنى الخليفة الحاكم بأمر الله مسجد المقس وراشده، وجامعه الذي ما زال يحمل اسمه للآن، لنشر المذهب الشيعي[١٠١]، ثم بنى الخليفة الآمر بأحكام الله أمام قصره سنة ٥١٩هـ، الجامع الأقمر[١٠٢]، ثم بنى الصالح طلائع بن رزيك مسجده خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، الذي عرف باسمه للآن (جامع الصالح)[١٠٣]، والجامع الظافري الذي بناه الخليفة الفاطمي الظافر، سنة (٥٤٤هـ -)، وكان يقال له الجامع الأفخر، وسمى بجامع الفكاهنيين ، وقد بنى الظافر هذا المسجد سنة ٥٤٨هـ، وعرف بجامع الفكاهنيين لأن سوق الفاكهة كان بالقرب من بابه[١٠٤] .

أما المشاهد الشيعية فمنها :مشهد السيدة رقية، والمشهد مؤرخ بسنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م[١٠٥]، ومشهد الجعفري[١٠٦]، ومشهد السيدة عاتكة يذكر أن بناءه كان سنة ٥١٥هـ[١٠٧]، ومشهد السيدة كلثوم[١٠٨]، ومشهد السيدة نفيسة[١٠٩]، ومشهد يحيى الشبيه أنشئ سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م[١١٠].

٢٤- الاحتفال بالأعياد وإيجاد أعياد جديدة لم تكن في الإسلام:

تقرباً من المصريين شاركهم الفواطميون أعيادهم كعيد الفطر والأضحى ورأس السنة الهجرية، وغرة المحرم، وليلة الرؤية، وليلة القدر، إلا أنهم أوجدوا أعياداً جديدة لإحياء ونشر مذهبهم بالدعاية لهم، ومنها:

عيد غدير خم[١١١]: كان رسول الله (ﷺ) عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠هـ/٦٣١م نزل به وآخى بينه وبين علي بن أبي طالب (ﷺ)[١١٢]، وأول ما احتفل الشيعة بعيد الغدير في العراق سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م، في أيام معز الدولة بن بويه[١١٣]، وأول ما عمل في مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، بعد وصول المعز إليها[١١٤]، وهو عيد احتفل به المعز ولا يزال الشيعة يحتفلون به حتى اليوم، ويقول أصحابه إن علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه وليّ الرسول (ﷺ) وخليفته، لأن الرسول عندما عاد من حجة الوداع وقرب المدينة نزل بغدير خم وهو مكان يقع بين مكة والمدينة، وأمسك بيد علي وقال علي مني وأنا من علي من آذى علي فقد آذاني ومن والى عليا فقد والاني" وفي رواية أخرى من كنت مولاه فعلي مولاه[١١٥] ومن يومها أعتقد الشيعة ان علي (ﷺ) خليفة الرسول (ﷺ) وأن ابابكر وعمر وعثمان وبني أمية وبني العباس اغتصبوا حق الخلافة من علي وأبنائه[١١٦]، وقد ورد خبر غدير خم في زيادات عبد الله على مسند الإمام احمد عن علي بن الارقم قال. نزلنا مع رسول الله (ﷺ) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها جهراً، قال فخطبنا وظلل لرسول الله (ﷺ) بثوب على شجرة من الشمس فقال: الستم تعلمون، ألستم تشهدون أني أولى بكل مسلم من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللهم عادى من عاداه ووالي من والاه[١١٧].

ونلاحظ أن خبر غدير خم قد نقله عدد من الرواة الشيعة وغير الشيعة، وأما ما يستدل به الشيعة بهذه الواقعة على إثبات خلافة علي، فقد أجاب عنه الإمام ابن تيمية في منهاج السنة فقال: ليس في هذا الحديث حديث غدير خم ما يدل على أنه نص على خلافة علي إذ لم يرد به الخلافة أصلا وليس في اللفظ ما يدل عليه ولو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بيناً[١١٨]. وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني: هذه فضيلة بينة لعلي بن ابي طالب ﷺ ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) والولي والموالي في كلام العرب واحد[١١٩].

وقد عني المعز بالاحتفال بعيد الغدير عناية فائقة، وحذى حذوه الخلفاء من بعده، فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية خلال العصر الفاطمي، التي كانت تهتز لها جوانب القاهرة فرحاً وسروراً، ويقف منها السنيون موقف المتفرجين المعجبين،

لأنها كانت من عوامل تسليتهم، ويهنئ الشيعة بعضهم بعضاً، ومنهم من ينحرون كما ينحرون في الأضاحى، لأنهم يفضلون عيد الغدير على عيد الأضحى[١٢٠]، وكان الخليفة يتوجه بنفسه، في الصباح الباكر من هذا اليوم، إلى النحر ينبح بنفسه الأضاحى الكثيرة التى تفوق ما يذبح في عيد الأضحى، وهذا العيد عندهم أعظم من عيد الأضحى، كما يذبح الجزارون أعداداً كبيرة من الأضاحى من الكباش وغيرها توزع لحومها على الخاصة والمتشيعين وأنصار المذهب الفاطمي[١٢١].

يوم عاشوراء: يوم العاشر من المحرم وهو شهر مبارك يجله العرب قبل الإسلام وبعده، فقد روى عن النبى (ﷺ) أنه قال: "أيها الناس سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم، فإنه يوم عظيم مبارك، قد بارك الله فيه على آدم"[١٢٢]. ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم أنهم يصومونه، وقد روى عن الرسول (ﷺ) أنه لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسألهم عنه، فأخبروه أنه اليوم الذى أغرق الله فيه فرعون ونجا فيه موسى ومن معه، فقال (ﷺ) نحن أحق بموسى منكم[١٢٣] فصام وأمر الصحابة بصومه، وصار الخلفاء الراشدون على سنته فكانوا يصومونه، وظل الأمر على ذلك حتى كان استشهاد الحسين في كربلاء، في يوم عاشوراء سنة ٦٢هـ/٧٨١م، فتركت هذه المأساة في نفوس المسلمين آثاراً مختلفة، وتتخذه الشيعة مأتماً إلى اليوم، يبكون فيه الحسين ويظهرون أشد مظاهر الحزن لقتله[١٢٤].

وظل الشيعة يحتفلون بهذا اليوم في العصرين الأموى والعباسي، ولا يزال الشيعة في البلاد الإسلامية: كإيران والسعودية وبعض دول الخليج والعراق، إلى اليوم، يحتفلون بهذه الذكرى فيبكون الحسين، ويلبسون السواد، وتتعطل الأعمال تماماً حداداً عليه، وقد جعل الفاطميون عيد عاشوراء عيداً رسمياً من أعياد الدولة تحتفل به الحكومة والشعب احتفالا يليق وما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين، فتتعطل الأسواق، ويخرج المنشدون ويسيرون إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ويخرجون يبكون ويشقون جيوبهم ويلطمون خدودهم؛ حزناً على الحسين وآل البيت الكرام[١٢٥] ويحتجب الخليفة عن الناس في هذا اليوم، وكان من عاداتهم إقامة سماط كبير (موائد للطعام) فيها خبز الشعير والعدس والمملحات والمخللات والأجبان وعسل النحل، ويجلس الخليفة على كرسى بغير مخدة متلثماً وحوله حاشيته[١٢٦]، وإذا ما انتهى السماط طاف النواح بالقاهرة وأغلق الباعة حوانيتهم إلى ما بعد صلاة العصر، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء الإبل والبقر والغنم عند مشهد الإمام الحسين[١٢٧]، الذى يجله المسلمون عامة والشيعة خاصة إلى اليوم، ويوزعون لحومها على الفقراء والمساكين[١٢٨]، وما زال للآن يحتفل المصريون بهذا العيد ولكن ليس بطريقة الفاطميين.

ولما رأى السنة ما فعله الشيعة فى أعيادهم، جعلوا لأنفسهم عيدين لمنافستهم، فجعلوا يوم ١٨ محرم وهو يوافق مقتل مصعب بن الزبير يوم حزن يزورون فيه قبره ويبكون عليه[١٢٩]، وأقاموا عيداً آخر عرف بيوم الغار، ويوافق السادس والعشرين من ذى الحجة، وهو يوم دخول النبى (ﷺ) وأبى بكر (ﷺ) غار ثور أثناء الهجرة إلى المدينة، وجعلوا هذا اليوم سروراً لهم[١٣٠].

ليالى الوقود: وهى أربع ليال مباركة مشهورة وهى أول رجب ونصفه، وأول شعبان ونصفه[١٣١]، و يرجع الاحتفال بها إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الذى كان يطلب إلى أهل مكة أن

يوقدوا النار ليلة غرة المحرم ليهتدى الحجاج [١٣٢]، أما ليالى الوقود الأربع في العصر الفاطمي فاختلفت، فهي الليالى التى تسبق أول ومنتصف شهرى رجب وشعبان، وذلك كان الناس تبعاً لتعاليم الشيعة يصومون بعض هذين الشهرين كصومهم رمضان وكانوا يحتفلون بهذه الأيام الأربعة كما يحتفلون برمضان، وكان خطباء مساجد الأزهر والحاكم والأقمر يخطبون بين يدى الخليفة كما يخطبون على منابر مساجدهم[١٣٣].

ومن أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد: إضاءة المساجد والجوامع من الداخل والخارج كما تضاء المآذن والأسطح فتتلألأ بالأضواء الساطعة، ويحتشد الناس على مختلف طبقاتهم للتعبد ومشاهدة الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والحلوى، وما يطاف عليهم من مجامر البخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة[١٣٤]، وكانت الموائد تمد في ليالى الوقود في اروقة الجوامع والمساجد، وتحوى أصنافا مختلفة من الطعام والحلوى، وتعم الصدقات على الفقراء والمتعبدين[١٣٥].

والمناسبات الشيعية كانت كثيرة على رأسها يوم عاشوراء في ١٠ محرم، ومولد الحسين ٥ ربيع الأول، ومولد السيدة فاطمة ٢٠ جمادى الاخر، ومولد الإمام على ١٣ رجب، مولد الحسن ١٥ رمضان، مولد الإمام الحاضر. هذه الموالد الخمسة - بالإضافة إلى المولد النبوى - أطلق عليها الشيعة الموالد الستة[١٣٦].

٢٥ أسلوب إيجاد اللغات غير العربية:

من أقوى أساليب الدعوة الفاطمية نشر الدعاة وتثقيفهم، فقد كان أغلب دعاة الفاطميين من علية المثقفين، والعالمين بلغات من يدعون، سواء أكانوا من البربر أو الروم أو الفرس، وحتى لهجات القبائل، فعلى سبيل المثال: كان المعز لدين الله الفاطمي متقنا يجيد عدة لغات؛ منها اللغة الطليانية التى تعلمها فى صباه بجزيرة صقلية واللغة الصقلبية التى كانت منتشرة في هذه الجزيرة، كما عرف اللغة السودانية، واللغة الرومية والبربرية[١٣٧]، وأحكم دراستها وحذقها قراءة وكتابة، فكان يخاطب بها رسل الملوك من الروم والإيطاليين ويطالع بنفسه رسائلهم[١٣٨]، وكان ذا ولع بالعلوم ودراية بالأدب، فضلاً عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور[١٣٩]، ولم يكن اهتمام العزيز والحاكم والظاهر والمستنصر، وغيرهم، بأقل من اهتمام المعز لدين الله بالعلم والتعليم فقد نبغوا في مختلف العلوم وخاصة علم النجوم[١٤٠].

٢٦- أسلوب التقية:

وهو أخطر أساليب الدعوة الإسماعيلية خاصة والشيعة عامة، ومعنى التقية إخفاء الشئ والتظاهر أمام الناس بأمر غيره، بقولهم إن الدين لمكتوم، ومازال هذا الأسلوب وهذا المبدأ معمول به إلى الآن في كل فرق الشيعة. وتبعا لمبدأ التقية، فى كتم أسماء الأئمة، روى عن جعفر الصادق قوله: "التقية دينى ودين آبائى ومن لا تقية له فلا دين له"[١٤١]. واتخذوا أسماء مثل: مبارك وميمون وسعيد، للفأل الحسن فيها تبعا لمبدأ التقية، واستتر الأئمة وكنى الدعاة عن أسمائهم تقية عليهم بما هو لهم ويليق بهم، وكان الدعاة وقت التقية يخفون اسم الإمام وربما تسمى أحد من الدعاة بأسمائهم تقية عليهم وستراً[١٤٢].

٢٧- توجيه داعيا احتياطيا:

ومن أساليب الدعوة الإسماعيلية: توجيه داع احتياطي أو بديل مع الداعي الأصلي، لئلا يحدث به مكروه فيكون معه من يخلفه، إلى أن يأتي أمر الإمام [١٤٣]، وهذا ما حدث حين أرسل الإسماعيلية الداعيين أبا سفيان والحلواني إلى المغرب، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه على بن الفضل، أما أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه إلى المغرب عبد الله بن أبي ملاحف [١٤٤]، وقد وصل ابن أبي الملاحف الى بلاد كتامة، لكنه ما لبث أن أعيد إلى اليمن واستبدل بإبراهيم بن إسحاق الزبيري [١٤٥].

٢٨- أسلوب التشكيك في عقيدة المدعو:

أخفى الفاطميون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه، وتظاهروا أمامهم بأمور أخرى عبر تسع درجات نظموها كما يريدون: ففي الدرجة الأول يجتذبون الناس بالوعود الكاذبة عن طريق تفسير رموز الدين بقولهم: يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له لمنكرون وبه جاهرون ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف، فالإمام سر الله المكتوم بأمره المستور الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه إلا هو. ومن الأسئلة التي يسألها الداعي إلى المدعو في هذه الدرجة: ما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟، وما معنى الصراط المذكور في القرآن؟ [١٤٦]، وما إبليس وما الشيطان وما وصفه؟ وأين مستقره؟ وما يأجوج ومأجوج؟، وهاروت وماروت [١٤٧]، ولم جعلت السموات سبعاً؟ والأرض سبعاً ولما جعلت الشهور اثنا عشر شهراً، ثم يقول الداعي لمن حوله: فكروا أولاً في أنفسكم؟ أين أرواحكم، وكيف صورها؟ وأين مستقرها؟ وما أول أمرها؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) خلقت حواء من ضلع آدم؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبة دون غيره من سائر المخلوقات؟ [١٤٨]، وهكذا يشكك الداعي المدعو في أمر العقيدة، ثم يدخل في الدرجة الثانية وهي: إن فرائض الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله إلا إذا كانت عن طريق الأئمة السبعة، ثم يكاشف المدعو بقوله إن الناس قد خذلوا لأنهم لم يأخذوا عن أئمة نصبهم الله له. وبذلك يضعون أساس مبدأ الإمامة في نفس المدعو، فيتحول عن دينه أو مذهبه القديم [١٤٩].

ثم يدخل في الدرجة الثالثة: وفيها يكشف الداعي للمدعو عن العقيدة بأن الأئمة سبعة، وأن الإمام الحقيقي هو السابع الذي يعلم كل رموز الدين وسرائره، ويستدل على ذلك بأن الله تعالى جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة، وجعل الأرضين سبعة، والائمة سبعة، أولهم علي ثم الحسن فالحسين ثم علي زين العابدين بن محمد الباقر فجعفر الصادق فإسماعيل بن جعفر [١٥٠].

ثم يدخل في الدرجة الرابعة باعتقاده أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، والعياذ بالله لأنه ناطق، ثم يدخله في الدرجة الخامسة وهي: أن لكل إمام قائم حججاً متفرقين في الأرض عددهم إثنا عشر رجلاً، ويستدل على ذلك بأن البروج إثنا عشر، وأن نقباء بني إسرائيل إثنا عشر ونقباء النبي إثنا عشر، ثم يقول للمدعو إن شريعة محمد (ﷺ) تستنسخ، وإن كان فارسياً ذكره

بإذلال العرب لهم، ثم يدخله في الدرجة السادسة وفيها يفسر له شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصوم بقوله أن هذه الفرائض وضعت لشغل العامة عن خلافاتهم وتبعدهم عن الفساد، ثم يدعوه إلى طور الفلسفة، ثم يدخل في الدرجة السابعة، وفيها يعلم المدعو أن الناصب للشريعة هو النبي لا يستغني بنفسه ولابد له من أصحاب يكون أحدهم الأصل والآخر معاوناً له، ثم الدرجة الثامنة وفيها يدعى أن معجزة النبي الصادق الناطق وهو: محمد ابن إسماعيل ثم التاسعة أصبح المدعو جديراً بالتعمق في أصول المذهب الإسماعيلي(١٥١).

٢٩- أسلوب تأليب الناس بعضهم على بعض :

اتبع دعاة المذهب الفاطمي أسلوباً خاصاً في دعوتهم وهو: تأليب الناس والشعوب ضد بعضها، فإذا كان المدعو فارسيا ذكره الداعي بإذلال العرب للفرس، وأنهم هم الذين دمروا ملك فارس، وهدموا إيوان كسرى وأسقطوا الدولة الساسانية العظمى وهدموا بيوت نيرانهم، وإن كان عربياً اقاموا حقيظته ضد الفرس، وأنهم هم الذين سلبوا العرب ملكهم وتربعوا على عرش الدولة، وان كان يهودياً أو نصرانياً حدثوه بما يوافق عقيدته وميوله(١٥٢).

٣٠- تنظيم الدعوة :

أسند الفاطميون رياسة الدعوة الاسماعيلية إلى موظف كبير أطلق عليه (داعي الدعاة)، وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزى بزيه في اللباس وغيره، ويساعد داعي الدعاة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا، وله نواب ينوبون عنه في البلاد، وبذلك يعتبر الصلة بين الخليفة وبين أتباعه من الإسماعيلية. ومن أهم أعمال داعي الدعاة رياسة الدعوة الإسماعيلية، وأخذ العهد على المريدين: إما مباشرة او بواسطة نوابه في مصر وغيرها، وتدوين من يدفع من المال أكثر، ومن أشهر من تقلدوا وظيفة داعي الدعاه. أسرة ابى حنيفة النعمان المغربى، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أشهر دعاة الفاطميين(١٥٣).

٣١- تأليه الحاكم والامام :

ادعى الخلفاء الفاطميون بأن لهم قوة إلهية، فقد اعتبروا عبد الله المهدى الخالق الرازق والعياذ بالله) كما اعتقدوا في نبوته أيضاً، وهناك طائفة ثالثة تدعى أنه النبى حقاً(١٥٤) بل نادوا بلعن الانبياء، ولعن الغار ومن لاذ به، وأمروا بحرق الكعبة والمصاحف(١٥٥).

عمل الشيعة على نشر الاراء الإسماعيلية المتطرفة في كثير من النواحي وتجرأ بعض غلاة التشيع في تحليل المحرمات، والإشارة إلى عبيد الله المهدى بالألوهية، ولما استقر المهدى بالمهدية، وكان احد غلاة الشيعة وهو أحمد البلوى النخاس يقول له: "ارق إلى السماء، كم تقيم في الأرض وتمشى في الأسواق"، وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله المهدى: "إنه يعلم سركم ونجواكم"(١٥٦) .

وفي عهد المعز لدين الله وجه لأئمة المساجد والموذنين، مشدداً عليهم، بألا يؤذنون إلا بحي على خير العمل، وقراءة البسملة في أول السورة، والتسليم تسليمتين، وما إلى ذلك مما يأخذ به الإسماعيلية، بل قيل إنه ادعى النبوة، ونص من نادى فوق صومعة جامع القيروان يقول "اشهدوا أن معدا رسول الله، فارتج البلد لذلك فأرسل المعز من سكن الناس(١٥٧).

وقد ظل المعز محتجبا عن الناس، ومتخفيا عن الناس سنة كاملة، فاعتقد الناس أنه صعد إلى السماء، وبلغ من هذا الاعتقاد أن الجندى الفاطمى كان إذا رأى سحابة في السماء، ترجل وقال (السلام عليك يا أمير المؤمنين[١٥٨]).

وقد مدح ابن هانئ الأندلسي مولاه المعز بأبيات فيها صفات الألوهية والنبوة وبهذا مهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء، ومن قوله :

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ما كانت الأشياء.

ولك الجوارى المنشآت مواخرا تجرى بأمرك والرياح رخاء.

فعنت لك الأبصار وانقادت لك الأقدار واستحيت لك الأنواء.

لاتعبأن عن الزمان فإنه في راحتيك يدور حيث تشاء[١٥٩].

وقوله أيضاً:

تدعوه منتقماً عزيزاً قادراً غفار موبقة الذنوب صفوحاً

أقسمت لولا ان دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحاً

شهدت بمفخرك السموات العلى وتنزل القرآن فيك مسيحاً[١٦٠].

وقد بلغ تمجيد ابن هانئ الاندلسي للخليفة الفاطمى المعز ، أقصى حد يمكن أن نتصوره، حيث ينسب إليه الشاعر القدرة على إتيان المعجزات، فيقول :

فقد شهدت له بالمعجزات كما شهدت لله بالتوحيد والأزل[١٦١].

ولكن خلفاء الفواطميين الأول لم يفلحوا في استمالة جميع المصريين لهذه الاعتقادات وامثالها، ولذلك نرى أن عقيدة تأليه الحاكم بالله قد أثارت عليه سخط الأهلين[١٦٢]، وقد نسب الحاكم إلى نفسه الكثير من المعجزات، فقد نادى الخطباء في المساجد وبحضرة قاضى القضاة (باسم الحاكم الرحمن الرحيم) والعياذ بالله، وبذلك نسب إليه الصفات التى هى من صفات الله سبحانه وتعالى ، كما ركع له الناس في كل ولايات الدولة الفاطمية[١٦٣] قائلين (أنت الواحد الأحد ، والمحى المميت[١٦٤]).

٢٣- نظرية التناسخ :

ادعى الفواطميون وآمنوا إيماناً قوياً بنظرية تناسخ الأرواح، وأن روح الله تعالى حلت في آدم، وتدرجت حتى وصلت إلى محمد (ﷺ) ثم انتقلت إلى علىّ وأولاده، ثم وصلت إلى الحسن بن إسماعيل، وأخيرا استقرت في جسد الحاكم الذى أدعى تجسم الإله في شخصه، ولهذا كان (إذا بدا للناس في الطرقات، خروا له سجداً وقبلوا الأرض، ومن أبى كان نصيبه الموت[١٦٥]).

٣٢- أسلوب قتل الغيلة (الاغتيالات)

شكل الفاطميون فرقة خاصة عرفت باسم الفداوية الذين يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم، ويشترط فيهم التفانى في خدمة الرئيس والتضحية إلى أبعد الحدود، وأصبح هؤلاء آلات انتقام فتاكة، وخلقوا عصراً مليئاً بالخوف والفزع، وكانوا يستخدمون في قتل الأعداء (أعداء الدعوة) غدراً وغيلة[١٦٦]، وشهدت السنوات ٤٠٨هـ/١٠١٧م وحتى ٤١٠هـ/١٠١٩م، سلسلة من المصادمات والاغتيالات والقتل لمعارضى الدعوة الفاطمية[١٦٧].

٣٣- أسلوب التأنيس والتدليس والتأسيس والخلع:

فالتأنيس وهو يعنى الأمن والطمأنينة في نفوس المدعوين واتباع ميولهم، وإعطاؤهم كل ما يميلون إليه، كل حسب نزواته.

أما التدليس: وهو أن يلجأ الداعى إلى التمويه، ويدعى ادعاءات كاذبة في إغرام المريد وتشويقه وإلهاب رغبته في الدخول في الدعوة.

أما التأسيس: وهو تثبت المعلومات والحقائق التى أدلى بها الداعى للمستجيب، حتى تستقر في ذهنه ويقبل عليها ويؤمن بها.

والخلع ويقصد به إقصاء المريدين عن المذاهب السنية، نهائياً، بإسقاط الفرائض الشرعية في الإسلام، وذلك بالاستعانة بالتأويل غير المشروع[١٦٨].

٣٤- الادعاء بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم اغتصابا

على يد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، والخلفاء من بنى أمية وبنى العباس[١٦٩]، والشيعة بصفة عامة يكفرون الصحابة جمعا، لانهم من وجهة نظرهم خذلوا علياً واختاروا غيره، وبعضهم يفضل على ﷺ على محمد (ﷺ)، وبعضهم يجعل عليا ﷺ إلها، وهو الذى أرسل محمداً، وزاد بعضهم، وجعل الأئمة كلهم آلهة يظهر الله بصورتهم وينطق بلسانهم ويأخذ بأيديهم[١٧٠].

٣٥- لعنهم أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ على منابرهم:

نصب العبيديون، فى عهد الخليفة القائم بأمر الله حسيناً الأعمى السباب فى الأسواق، يسب الصحابة بأسجاع لقنها، ومن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به[١٧١]، ولما قدم عبيد الله المهدى إلى أفريقية، وتولى مقاليد الأمور فيها، حدث تصعيد خطير فى الدعوة الإسماعلية ويذكر ابن عذارى ذلك بقوله: "أظهر عبيد الله المهدى التشيع القبيح وسب أصحاب النبى ﷺ وأزواجه عدا على بن أبى طالب ﷺ ، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسى وابى ذر الغفارى، وزعم أن أصحاب النبى ﷺ ارتدوا بعهده غير هؤلاء الذين سميناهم ...[١٧٢].

كان لدخول البويهيين بغداد، سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، أثره فى ازدياد نفوذ الشيعة فى دولة الخلافة العباسية السنية، ونتيجة لذلك تجرأ الشيعة سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م، وقاموا بالكتابة على أبواب المساجد ببغداد لعنة معاوية ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك[١٧٣] – ويقصدون أبا بكر ﷺ –[١٧٤]، ومن أخرج العباس من الشورى – ويقصدون عمر بن الخطاب ﷺ –، ولعنة من نفى أبا ذر الغفارى[١٧٥] – ويقصدون عثمان بن عفان ﷺ –، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده

(١٧٦) – يقصدون مروان بن الحكم–، ولما ثار السنيون لذلك قاموا بإزالة هذه الكتابة فأشير على معز الدولة البويهي أن يكتب بدلاً منها: "لعن الله الظالمين لآل رسول الله" ولا يصرح إلا بلعن معاوية فقط(١٧٧)، وللآن يلعن أبو بكر وعمر بالذات على منابر الشيعة.

٣٦- ضرب العملة والسكة:

لما كان الفاطميون من الشيعة؛ فإن عملتهم كانت بالضرورة تحمل صفتهم المذهبية الشيعية فيما عدا ما يشير من نصوصها إلى شهادة التوحيد أو إلى الرسول (ﷺ). وقد أقدم الداعي أبو عبد الله الشيعي بعد استيلائه على رقادة(١٧٨) على عدة إجراءات إدارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعية الناشئة وكان منها تعيين أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي، ناظرا للسكة ونقش فيها: "الحمد لله رب العالمين" وسميت بالعملة السيدية(١٧٩)، واهتم الداعي الشيعي بإحلال العناصر الشيعية على العملة ونقش على وجهها: "بلغت حجة الله" وعلى الظهر "تفرق أعداء الله"(١٨٠)، وضرب الدينار باسم الخليفة الفاطمي دون الخليفة العباسي وهذا ما فعله جوهر الصقلي عند دخوله مصر مباشرة حينما أمر بقطع الخطبة للعباسيين على كافة منابر مصر، وأمر بضرب العملة باسم الخليفة الفاطمي، فضرب على احد وجهيها (باسم مولاى المعز) وفي الوجه الاخر(المعز لدين الله أمير المؤمنين ومحمد رسول الله (ﷺ) (١٨١)، وذكر المقريزي أنه ضرب على أحد وجهيها: "دعى الإمام معد بتوحيد الإله الصمد" وفي السطر الثاني (المعز لدين الله أمير المؤمنين) وفي السطر الثالث (باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)، وضرب على الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين)(١٨٢). (انظر الشكل)

الوجـه :

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين.

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

الظهـر :

باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

دعى الإمام معد لتوحيد الإله الصمد.

أمير المؤمنين المعز لدين الله.

تشير الكتابات على الدينار إلى رسالة محمد وإلى تمجيد على "أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين" كما يظهر لقب المعز الإمام وأمير المؤمنين(١٨٣).

٣٧- لباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية:

أزال المعز السواد – شعار العباسيين – وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض – شعار الفاطميين(١٨٤)، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة، وكان من العادات المألوفة عند أهل السنة(١٨٥).

٣٨- إقامة الخطبة:

من الإجراءات المذهبية التى اتخذها أبو عبد الله الشيعي، في بلاد المغرب، أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة، وامر في الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء، وأمر بالآذان بحي على خير العمل، وأسقط من آذان الفجر عبارة الصلاة خير من النوم، وأمر بإسقاط صلاة التراويح[١٨٦].

أقام جوهر الصقلي الخطبة للمعز في الجامع الأزهر وغيره من مساجد مصر وكانت فكرته وخطبته ترمي إلى بث الدعوة الفاطمية باسم الفاطميين[١٨٧]، وقد أدخل عبارات مثل: (اللهم صلى على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، وسليل العترة الهادية المهدية، عبد الله الإمام معد أبي تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافة الأئمة الراشدين، اللهم ارفع درجته، وأعلى كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته وصحبته، واجعل الرشاد في موافقته، وورثه مشارق الأرض ومغاربها، فقد امتعض لدينك.... ودرس الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك، فأعد للجهاد عدته وأخذ لكل خطب أهبته فسير الجيوش لنصرتك، وأنفق عليها الأموال، وبذل المجهود في رضاك.... فانتصر الله جيوشه التى سيرها.... اللهم اجعل راياته عالية مشهورة، وعساكره غالبة منصورة، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك واقية عليه)، ثم زادوا في الآذان (بحى على خير العمل) ثم قرئت البسملة بصوت مرتفع[١٨٨]، وأمر الفاطميون أن يقال في الخطبة. "اللهم صلى على محمد النبى المصطفى وعلى علىّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم صلى على الائمة الطاهرين أباء أمير المؤمنين المعز لدين الله، الهادين المهديين[١٨٩].

وأقام "قرواش بن المقلد" أمير بني عقيل في الموصل الخطبة للخليفة الفاطمي في رابع المحرم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[١٩٠] (انظر الملحق رقم ٢)

٣٩- الاهتمام بالعمران الداخلي:

وخاصة أمور الزراعة والصناعة والتجارة، فنظموا الرى وأصلحوا الجسور، وقد عرفت مصر بثروتها الهائلة في عهدهم، وقامت فيها مصانع للنسيج وغيره[١٩١]، كان العمران كثيراً ووسائله كثيرة والدور فخمة تصل إلى عشرة طبقات يسكنها الخلفاء، أما الشعب فإنه يمتلك داره وحوانيته ومصانعه[١٩٢].

وهكذا بلغت الدعوة الفاطمية إلى اتباعها بهذه الأساليب، ولكن الشيء العجيب أنه: لم يتشيع المصريون بالصورة والدرجة التى كان يتمناها الفاطميون، حتى عندما سقطت الخلافة الفاطمية في مصر، ٥٦٧هـ/١١٧١م، لم يتناطح عليها عنزان كما ذكر المؤرخون.

ملاحــق البحــث

ملحق رقم ١ :

نص خطاب الإمام المعز لدين الله الفاطمي إلى محمد بن طغج الإخشيدي:

"قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجز لي في عقد الدين وما جرا به الرسم من سياسة أنصار يستجنبون وضمنت رقعتي مالم يطلع على أحد من كتابي وذوي المكانة عندي، وأرجو أن تريك صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على ميلي إليك وإيثاري لك ورغبتي في مشاطرتك ما حوته يميني واحتوى عليه ملكي، وليس يتوجه لك العسر في التخلف عن إجابتي لأنك قد استغرقت مجهودك في مناصحة قوم لايرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك لم يعتقد منهم أحد حسن المكافئة ولا جميل المجازاة، وليس ينبغي لك أن تعدل عن منهج من نصحك وإيثار من آثرك إلى من يجهل موضعك ويضيع حسن سعيك، وإذا تدبرت هذا الأمر علمت أن الذي يحملني على التطاطي لك وقبول الميسور منك إنما هو الرغبة فيك، وأنت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته والله يريك حسن الاختيار في جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل."(١٩٣)

ملحق رقم ٢ :

نص خطبة الجمعة في الموصل للحاكم بأمر الله، في ربيع المحرم سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م(١٩٤) :

"... اللهم وصلى على وليك الأزهر وصديقك الأكبر على بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين، اللهم وصلى على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر، اللهم صلى على الامام المهدى بك والذى بلغ أمرك وأظهر حجتك ونهض بالعدل فى بلادك. اللهم وصلى على القائم بأمرك والمنصور بنصرك اللذين بذلا نفوسهما فى رضائك وجاهدا اعدائك، اللهم وصلى على المعز لدينك المجاهد فى سبيلك .. اللهم وصلى على العزيز بك الذى مهدت به البلاد وهديت به العباد. اللهم وأجعل نوامى صلواتك وزواكى بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الأمان وصاحب الدعوة العلوية، والملة النبوية، عبدك ووليك المنصور أبى على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين. كما صليت على آبائه الراشدين. اللهم وفقنا لطاعته واجمعنا على كلمتة ودعوته، اللهم وأعنه على ما وليته وأحفظه فيما استرعيته ... وانصر جيوشة وأعلى أعلامه فى مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شى قدير

الخاتمـــــة :

وإذا كنا قد انتهينا من الحديث عن النقاط التى حددناها لمعالجة هذا البحث، وإخراجه على هذا النحو، فإنه لجدير بنا أن نختمه بالإشارة إلى بعض النتائج التى يمكن أن نستخلص منه، وهذه النتائج يمكن أن نجملها فى نقاط محددة، وذلك على النحو التالى:

- استخدم الفاطميون وسائل عديدة ومتنوعة ما بين مادية ومعنوية فى سبيل نشر دعوتهم.
- استخدموا أيضاً الأساليب السلمية تارة والأساليب الحربية تارة أخرى.
- تخير الفاطميون أماكن نشر دعوتهم، بعد دراسة متأنية دلت على ذكائهم وتوفيقهم فى ذلك باختيار اليمن والمغرب ومصر.
- نجح الفاطميون فى اتخاذ أسلوب الستر والكتمان، والترغيب والترهيب، فى سبيل نشر دعوتهم فى بادئ الأمر حتى صارت لهم قوة فأعلنوها.
- اختار الفاطميون دعاتهم بدقة وكانوا يرسلون مع كل داع داعيا آخر إحتياطياً وكان ذلك سبب نجاح دعوتهم.
- أنفقوا الكثير من الأموال فى سبيل تحقيق هدفهم سواء لشراء أفكار المريدين، أو لإعداد الجيوش.
- اعتمدوا على بعض الأحاديث النبوية التى اعتقدوا أنها تعد مبايعة للإمام على، ولكنها لم تكن مبايعة.
- اهتموا بالاحتفالات الدينية الشيعية، وأنفقوا خلالها الكثير من الأموال والهدايا، لإرضاء الناس وكسب ودهم.
- تبين من البحث أن الفاطميين أنشأوا العديد من المدن والعواصم التى تنسب إليهم، واتخذوها حاضرة لهم، كما أنشأوا العديد من المساجد والأضرحة والمشاهد، لنشر المذهب الشيعى.
- اهتموا بالنواحى العمرانية من خلال نهضة البلاد فى النواحى الاقتصادية وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصـــادر :

ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبى الكرم) ت٦٣٠هـ.
- الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، ١٩٨٧م.

ابن أيبك الدوادارى: (أبو بكر عبد الله بن أيبك) ت بعد ٧٣٦هـ.
- كنز الدرر وجامع الغرر المسمى "الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.

الاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي) ت ٣٤٦هـ.
- المسالك والممالك، طبعة ليدن، ١٩٧٢م.

البخارى: (محمد بن إسماعيل)
- صحيح البخارى، طبعة مصطفى ديب البغى، ط٤، دار ابن كثير واليمامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٨٦٥.

البكرى: (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ.
- المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، نشر دى سلان، الجزائر، ١٨٥٧م.
- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.

الترمذى: (محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى) ت٢٧٩هـ
- سنن الترمذى تحقيق احمد شاكر واخرين، ط٣، مطبعة الحلبى القاهرة، ١٣٩٨هـ.

التجانى:
- رحلة التجانى (تونس – طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م.

الثعالبى: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) ت ٤٢٩هـ.
- يتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م

ابن الجوزى: (أبو الفرج عبد الرحمن بن على البغدادى) ت ٥٩٧هـ
- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م.

الحميرى: (محمد بن عبد المنعم) ت ٩٠٠ هـ.
- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن حنبل: (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل) ت ٢٤١هـ.
- المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط٤، القاهرة، ١٩٥٤م.

ابن حوقل: (أبو القاسم محمد البغدادى النصيبى) ت٣٨٠هـ.
- المسالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دى جويه ١٨٧٠م.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم) ت٦٨١هـ
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
أبو داود: (سليمان بن الأشعث)
- سنن أبي داود، ط محمد محي الدين عبد المحي، المكتبة الإسلامية، استانبول، د.ت.
ابن سعد: (محمد بن سعد كاتب الواقدى)
- الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت
ابن سعيد: (على بن سعيد المغربى) ت ٦٨٥هـ
- المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقى ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م.
السيوطى: (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين) ت٩١١هـ.
- تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م .
أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسى) ت ٦٥٥هـ.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمى أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.
ابن شداد: (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع) ت ٦٣٢هـ
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م.
الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨هـ
- الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
الصفدى: (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ
- الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، النشرات الإسلامية (٦) استامبول- بيروت، ١٩٤٩-١٩٨٨م.
ابن الصيرفي: (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن سليمان) ت ٥٤٢هـ.
- القانون فى ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة.
الطبرى: (أبو جعفر محمد بن جرير) ت٣١٠هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م.
ابن الطوير: (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القهرى) ت ٦١٧هـ

- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م.

ابن ظافر: (جمال الدين أبو الحسن بن منصور الأزدي) ت ٦١٢هـ

- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق على عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.

ابن عذارى المراكشي:

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م

أبو الفدا: (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢هـ

- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) ت٦٨٢هـ.

- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م.

القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.

ابن ماجة: (محمد بن يزيد القزويني)

- سنن ابن ماجة، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت

ابن المأمون: (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) ت ٥٨٨هـ

- نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م

أبو المحاسن: (جمال الدين يوسف بن تغري بردى) ت ٨٧٤هـ

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.

المسبحي: (الأمير المختار عز الملك محمد بن أحمد) ت ٤٢٠هـ

- أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد و تيارى بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م

المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين) ت٣٤٦هـ

- مروج الذهب، ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م.
- التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت.

مسلم: (مسلم بن الحجاج القشيري)

- صحيح مسلم، ط محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٣هـ.

المقريزي: (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ

- المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- إتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ.
ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف) ت ٦٧٧هـ.
- المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
النسائي: (أحمد بن شعيب)
سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، ط عبدالفتاح أبوغدة، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
النوبختي: (أبو محمد بن موسى بن الحسن) ت ٣١٠هـ.
- كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتر، استامبول، ١٩٣١م.
النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم الحموي) ت ٦٩٧هـ.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٣م.
ابن هانئ الأندلسي:
- ديوان ابن هانى، بيروت، ١٣٢٦هـ.
هبة الله الشيرازي: (المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي) ت ٤٧٠هـ
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.
ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ.
- السيرة النبوية، تعليق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)
هلال الصابئ: (أبو الحسن الهلال بن المحسن) ت ٤٤٨هـ.
- كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.
ابن الوردي: (زين الدين بن عمر) ت ٧٤٩هـ.
- تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
ياقوت الحموي: (شهاب الدين بن عبد الله الحموي) ت ٦٢٦هـ.
- معجم البلدان، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
يحيى بن سعيد الأنطاكي: ت ٤٥٨هـ.
- تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م.
اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ.

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

ثانياً المراجع العربية:

إبراهيم جلال:
- المعز لدين الله وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٩٦٣م

إبراهيم حركات:
- السياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م

إبراهيم سلمان الكروي:
- البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م

أحمد الشامي:
- الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م

أحمد أمين:
- ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م

أحمد صادق سعد:
- تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م.

أحمد عبد اللطيف:
- المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م

أحمد فكري:
- مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م

أيمن فؤاد سيد:
- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م

بدر عبد الرحمن محمد:
- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٩م.

حسن إبراهيم حسن:
- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م
- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨١م

حسن عبد الوهاب:
- تاريخ المساجد الأثرية،١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م

حورية سلام:
- الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م
خطاب عطية علي:
- التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت.
سعاد ماهر:
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
سيدة كاشف:
- مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م
شحاتة عيسى إبراهيم:
- القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م
الشيخ محمد الخضري:
- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.
عبد الله كامل موسى:
- الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية.
عبد الحليم عويس:
- قضية النسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م
عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي:
- المسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١م
عبد المنعم سلطان:
- المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة
عبد المنعم ماجد:
- الحاكم بأمر الله المفترى عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة
- الدولة الفاطمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م
- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧٨م
عصام الدين عبد الرءوف الفقي:
- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م

عطية القوصى :
- تاريخ وحضارة مصر الفاطمية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ٢٠١٢م
فلهوزن:
- أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى، القاهرة، ١٩٥٨م.
كريسويل:
- قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م
كى لسترنج:
بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.
محمد أبو الفرج العش:
- مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة.
محمد بركات البيلى:
- التشيع فى بلاد المغرب الإسلامى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى التاسع الهجرى) ندوة إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص١٩٩٧م.
محمد جمال الدين سرور:
- النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤م
- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٦م
- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥م
- الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٠م.
محمد حمدى المناوى:
- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة
محمد عبد الفتاح عليان:
- تاريخ الخلفاء الراشدين، دارسات وبحوث، ط٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م
محمد كامل حسين:
- طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861

Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952
Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairate Hachette 1966.[١٥٥]

الحواشـــــــي

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ق٢، جـ١، ص٤٩٣، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٤٤، ٤٥، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٣م، جـ١، ص١٣٧-١٣٩، أبو الفدا. المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، جـ٢، ص٥٠، ٥١.

([2]) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨١م، ص٥٧.

([3]) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣١٩-٣٢١.

([4]) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص١١٠.

([5]) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١١٥.

([6]) عصام الدين عبد الرءوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٩-١٠.

([7]) عبد الحليم عويس: قضية النسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٣-١٤.

([8]) عبد المنعم ماجد: الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٥.

([9]) المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، جـ٤، ص٥٢٣، المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، جـ١، ص٤٦.

([10]) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٥٩-٦١.

([11]) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج٥ ص٧٥ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٠٣-١٠٥، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٦١، محمد بركات البيلي: التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٠، إبراهيم جلال: المعز لدين الله وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١١.

(12) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٢٠٠، أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص١١٦،٧٧،٧٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٦٩.

(13) الثعالبي: يتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، جـ١، ص٢٢٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص١٠٠.

(14) الشيعة: أصل معنى اللفظ أنصار، وقد أطلقت أول الأمر على أتباع على بن أبى طالب ﷺ بعد وفاته، يقول الأشعرى: "قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا علياً وقدموه على سائر الصحابة لمزاياه الشخصية أو لاعتقادهم بحقه الوراثى فى خلافة المسلمين" ثم أطلقت الشيعة اسماً للحزب الذى يشايع أبناء على رضى الله عنهم يقول: "بالإرث فى الحكم وتحول هذا الرأى بعد كربلاء من رأى سياسى نظرى إلى عقيدة إيمانية وحدث ما بين الشيعة على اختلاف فرقها وقد ظهرت فرق عديدة للشيعة يمكن تقسيمها إلى قسمين: فرق المعتدلين وهى ترى أن الإمامة بالنص، وأنها فى آل على ومن هؤلاء الزيدية أنصار زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

فرق المغالاة: وهى عديدة وأهم منابعها الكوفة والبصرة، وقد غالوا وتطرقوا رغم تبرأ آل البيت منهم وأهم هذه الفرق السبئية والمختارية والكيسانية والرافضة والخطابية الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٢٨-٣٠، حورية سلام: الحركات المعارضة للخلافة العباسية فى بلاد الحجاز خلال العصر العباسى الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧١، هامش ٢.

(15) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٦١.

(16) هبة الله الشيرازى: سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٣، ١٨، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، جـ١، ص١٧٧-١٨١.

(17) السيوطى: تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص١٥٢.

(18) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص١٠١.

(19) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص١٠٦، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر المسمى "الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألمانى للآثار، القاهرة، ١٩٦١م، جـ٦، ص١٤٦.

(20) المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص١٧٢، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٥.

(21) ابن خلكان: وفيات، جـ٣، ص٥٢-٥٤، أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص١٢١.

(22) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧، ص٢٤٨، ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٨٣، بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص٨١.

(23) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٨٣، ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردى، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، جـ١، ص٢٢٢، الدواداري: الدرة المضيئة، ص٢٨٣.

(24) الأنبار: إحدى المدن العراقية تقع على الفرات وهي من المدن الآهلة. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م ، ص١٧.

(25) القصر: مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة وتعرف بقصر ابن هبيرة وهى قريبة من نهر الفرات، وهى من أعمر نواحي السواد. ابن حوقل: المسالك والممالك صورة الارض طبعة بيروت، دى جويه ١٨٧٠م، ص٢١٨.

(26) المدائن: تقع على بعد سبعة فراسخ جنوب بغداد بالقرب منها قبر سلمان الفارسي، كانت مدينة صغيرة آهلة. لسترنج: بلدان الخلافة، ص٥٩.

(27) الكوفة: تقع على الجانب الغربى لنهر الفرات وهى فى حجم البصرة. لسترنج: بلدان، ص١٠١.

(28) الجامعين: مدينة على نهر الفرات تقع على طريق بغداد الكوفة وتعتبر أساس مدينة الحلة التى بنيت فى مقابلها على ضفة الفرات الغربية. ياقوت. معجم البلدى، جـ٢، ص١٠-١١.

(29) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧، ص٢٥١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة الإعليمى للمطبوعات، بيروت، د.ت، جـ٢، ص٤٤٢.

(30) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٢٨٨، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب، ص١٨-١٩.

(31) جمال سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٧٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب، ص٧٥.

(32) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص٩١.

(33) الشهرستاني. الملل والنحل، تحريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، جـ٢، ص١١، حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٣٠-٣١، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٠، إبراهيم حركات. السياسة والمجتمع في العصر الأموى، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م، ص٢٩٦.

(34) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م، جـ١، ص٩٢٣، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص١٥٢.

(35) الرحبة: هى قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة، والرحب بالضم في اللغة السعة، والرحب بالفتح الواسع، والرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادى القرى والأصل فى الرحبة الفضاء بين أفنية البيوت أو القوم والمسجد. ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٣

(36) أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٨٤، ١١٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥١، إبراهيم سلمان الكروي. البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م، ص١٨٤.

(37) ابن هشام: السيرة النبوية، تعليق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، جـ٢، ص١٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، جـ٣، ص١٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٠، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، جـ١، ص٥٢.

(38) الرواة عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبو ذر وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك روى بأسانيد ضعيفة. ابن حجر: أسئلة وأجوبة ، ص٥٧، ابن القيسراني: ذخيرة الحفاظ، جـ٢، ص٢١٣٠.

(39) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٩٦، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، جـ١، ص٥٢.

(40) النوبختي: كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتر، استامبول، ١٩٣١م، ص٢٠، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٠.

(41) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، جـ٢، ص١٦٢-١٧٥، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط٣، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م، ص٣٠٠-٣٠٣.

(42) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٣٠٦.

(43) الشيخ محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(44) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٣٥، حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٣٠.

(45) الطبري. تاريخه، جـ٥، ص٣٤٧، ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٦٦.

(46) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٦٢، محمد جمال الدين سرورو: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣٩، ١٤٠، محمد الخضري: تاريخ الدولة الأموية، ص٣٣٦.

(47) الطبري: تاريخه، جـ٧، ص١٨٠، ابن الطقطقي: الفخري، ص١٠٥.

(48) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٠٨، حربية سلام: الحركات المعارضة، ص٢٥، محمد الخضري. تاريخ الدولة الأموية، ص٣٤٠.

(49) الكيسانية: تنسب الطائفة الكيسانية إلى كيسان مولى على بن أبى طالب ﷺ الذى قتل في موقعة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، وهم الذين ساعدوا محمد بن على المعروف بابن الحنفية وقالوا بغيبته ورجعته وتضامنوا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فدعوا لمحمد بن الحنفية بالإمام المهدى المنتظر. البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٢٧، الشهرستاني. الملل والنحل، جـ١، ص١٩٦، ابراهيم حركات: السياسة والمجتمع، ص٢٩٧، ٢٩٨.

(50) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٢٦.

(51) الشهرستاني: الملل، جـ١، ص١٢٢-١٢٣.

(52) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٣١-٣٣، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص٢٧-٣٢.

(53) الطبري: تاريخه، جـ٥، ص٤٨٨، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٨٩، ٩٠، فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢٥٧-٢٥٨.

(54) الطبري: تاريخه، جـ٥، ص٥٣٦-٥٣٨، جمال سرور: الحياة السياسية، ص١٥١-١٥٢.

(55) محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢٨١، ٢٨٢، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٤٩.

(56) رضوى: جبل قريب من ينبع ذو شعاب وبه أودية ومياة كثيرة وأشجار. الاصطخري: المسالك والممالك، طبعة ليدن، ١٩٧٢م، ص٢١، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٨.

(57) النوبختي: فرق الشيعة، ص٢٠.

(58) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م، جـ٨، ص٣٣٨.

(59) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، جـ٥، ص٢١٦.

(60) أحمد الشامي: الدولة الاسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٣-١٤.

(61) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية، ص٢٥-٢٧

(62) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، النشرات الإسلامية (٦)، استانبول، ١٩٤٩م، جـ١٧، ص٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٧٧، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٣٤-٣٥.

(63) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٣١، النويري: نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق. حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، جـ٢٨، ص٧٤.، محمد الخضري: الدولة العباسية، ص٢٨٤.

(64) المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، جـ٤، ص٥٢٤.

(65) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١١، البيلي: التشيع، ص٢٩، محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ص١١٣.

(66) ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٣١.

(67) ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٣٤.

(68) البيلي : التشيع، ص٦٥.

(69) ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢١٧.

(70) ابن أيبك: كنز الدرر، جـ٦، ص١٤٧؛ الصفدي: الوافي، جـ١٧، ص٤٢، أبو المحاسن :النجوم ج٥ ص ٧٦ .

(71) أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص٧٠.

(72) النوبختي: فرق الشيعة، ص٣٤، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٢١.

(73) المقريزي: اتعاظ، جـ١، ص٢١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص١٠٥،١٠٤، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص٢٩،٣٠.

(74) محمد بركات البيلي: إستيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص١٩٩٧م، ص١٠٠-١٠١.

(75) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص١١٨.

(76) ابن خلكان: وفيات، جـ١، ص٤٨، سرور سياسة الفاطميين الخارجية، ص١٦٧.

(77) محمد أبو الفرج العش: مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة، ص٩١١، ٩١٢، ٩٤٨، ٩٤٧، Miles,G, Fatimid coins p 51

(78) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٨٩، أبو المحاسن: النجوم، جـ٣، ص٣٣٦.

(79) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٨٩.

(80) النوبختي: فرق الشيعة، ص٢٣، ابن سعيد. المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٣٥-٣٦، سيدة كشف: مصر في عصر الاخشيدين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣١١، ٣١٠، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص٨٩-٩٠.

(81) أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص٢٩، ٤١.

(82) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٣٥٣، المقريزي: اتعاظ، جـ١، ص٩٧، ١٠١.

(83) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٩٤، المقريزي: اتعاظ، جـ١، ص١١٣، أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص٢٩-٤١، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، جـ٣، ص٣٤٥.

(84) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص١١١، أحمد عبد اللطيف: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٤٥-٤٨، يوسف العش: الخلافة العباسية، ص٢١١.

(85) المهدية: أسسها الخليفة المهدي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص٦١٢، ابراهيم جلال: المعز لدين الله، ص٩.

(86) التجاني: رحلة التجاني (تونس – طرابلس، ٧٠٦–٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ٣٢٠–٣٢٤، عبد الله كامل موسى: الفاطميون واثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الافاق العربية، ص٤٢.

(87) التجاني: رحلته، ص٢٢٠.

(88) المنصورية: أسسها الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤–٣٤١هـ/٩٤٥–٩٥٢م) وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م في الموضع الذى دارت فيه الواقعة بينه وبين أبى يزيد بن مخلد بن كيداد التى بدأت بوادرها سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م في أواخر عهد المهدى على مقربة من القيروان واتخذها حاضرة له. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دى سلان، الجزائر، ١٨٥٧م، ص٢٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص٦١١، البيلي: التشيع، ص١٢٨، يوسف العش: الخلافة، ص٢٠٩.

(89) البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فن ليوفن، وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، جـ٢، ص٦٧٦.

(90) البكري: المغرب، ص٢٥، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص٩٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص٦٨.

(91) ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ص٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٧، ص٣٠.

(92) سرور: قيام الدولة الفاطمية في مصر، ص٧١، أيمن فؤاد سيد. الدولة الفاطمية، ص٥٧٣، ٥٩٠.

(93) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٢٨.

(94) المسبحي: أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٢٢.

(95) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٤٥٩.

(96) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٦٨٣.

(97) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٦٥١.

(98) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٦٨٣.

(99) كريسويل: قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٦.

(100) المسبحي: أخبار مصر، جـ٢، ص٢٧٧، أحمد فكري: مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، جـ١، ص٨٣–٨٥.

(101) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص١٢٣–١٢٨.

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairate Hachette 1966. P.103.

(102) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٩١، المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٩٠، أبو المحاسن: النجوم، جـ٥، ص١٧٣.

(103) جامع الصالح: الذي بناه خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وهو آخر المساجد الجامعة التي أقامها الفاطميون في مصر. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٩٠، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص٦٢٠، شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٠٦-١١٠، أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ص١١٠-١٢١، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م، ص٩٧-١٠٥.

(104) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٩٣.

(105) سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون خمسة اجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، جـ١، ص٢٩٩.

(106) Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952 PP. 228.229.

(107) سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ٢، ص١٢٠، عبد الله كامل: الفاطميون، ص٢١١.

(108) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٤٢

(109) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٣٦.

(110) عبد الله كامل: الفاطميون، ص٢٠٩، Creswell K. A.C: The Muslim P.266,267.

(111) غدير خم: نسبة إلى خم وهي موضع بين مكة والمدينة، وهو وادي عند الجحفة على بعد ثلاثة أميال بين مكة والمدينة ويسمونه اليوم الغربة به غدير وحوله شجر كثير، يقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ كيلومتر، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير. ياقوت: معجم البلدان، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت)، جـ٢، ص٣٧١، سرور: الدولة الفاطمية في مصر، هامش٢، ص٨٠.

(112) أحمد بن حنبل: المسند، ص٩٥٠، ٩٥٢، ٩٦١.

(113) ابن الأثير: الكامل. ج٨، ص٥٤٩، إبراهيم الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص١٨٤، Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861, p.574.

(114) المسبحي: أخبار مصر، ص٨٥.

(115) الطبراني: المعجم الكبير، جـ٥، ص١٧١-١٧٢، الألباني: السلسلة الصحيحة، جـ٤، ص٣٣٥.

(116) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ٢، ص١٦٧، ابن خلكان: وفيات، جـ٢، ص١٣٦، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، جـ١، ص١٤٩، عبد المنعم ماجد: نظم، جـ٢، ص١٢٦.

(117) أحمد بن حنبل: المسند، جـ٤، ص٣٧٢، ابن ماجة: سنن ابن ماجة، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت، جـ١، ص٤٣، الترمذي: سنن الترمذي، جـ٥، ص٢٥٧، إسناد صحيح.

(118) ابن تيمية: منهاج السنة، جـ٤، ص٨٤-٨٥.

(119) أبو داود: سنن أبي داوود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول، د.ت

(120) أبو المحاسن: النجوم، جـ٥، ص١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، جـ١، ص٥٢.

(121) عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة، ص١٥٧-١٥٩.

(122) أبو داود: المتن باب صوم عاشوراء، ص٦٥.

(123) انظر الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرين. ط٣، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ، انظر البخاري: صحيحه، طبعة مصطفى ديب البغا، ط٤، دار ابن كثير واليمامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٨٦٥.

(124) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٤٣١، أبو المحاسن: النجوم، جـ٥، ص١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص١٢٨.

Muir: The Caliphate, p. 573.

(125) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٩٨.

(126) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٤٢٧.

(127) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٤٢٧.

(128) أبو المحاسن: النجوم، جـ٥، ص١٥٣، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص١٥٥.

(129) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٥، النويري: نهاية، جـ٢٣، ص٢١١.

(130) هلال الصابي: كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م، جـ٨، ص٣٧١، ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٥٥.

(131) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٢،٨٣.

(132) ماجد: نظم الفاطميين، جـ٢، ص١٢٠.

(133) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٧٦، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣، ص٤٦٦.

(134) المقريزي: الخطط، جـ١، ص١٦٥.

(135) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص١٣٤-١٣٥.

(136) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، ص٦٢، ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص٢١٧، المقريزي: المقفى الكبير، جـ٦، ص٤٨٤.

(137) المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص٥٩، ٦١، ٦٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص٢٦.

(138) خطاب عطية علي: التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت، ص٦٧، ٦٨، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص٣٠.

(139) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٩٣.

(140) خطاب عطية علي: التعليم في مصر، ص٦٨.

(141) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية، ص١٠٤، هامش ١، البيلي: التشيع، ص١٤٤.

(142) Ivanow: The Alleged founder of Ismailism, Bombay, 1946, p. 152.

(143) البيلي: التشيع، ص٦٧.

(144) المقريزي: المقفى، ص٢٣، البيلي: التشيع، ص٦٧.

(145) البيلي: التشيع، ص٦٨.

(146) يشير بذلك إلى قوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين نعمت عليهم" الفاتحة آية ٥ و ٦.

(147) يشير إلى ما ورد في سورة البقرة بقوله تعالى: "وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"آية ١٠٢.

(148) المقريزي: الخطط، جـ١، ص٣٩٣.

(149) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٣٤١.

(150) محمد بركات البيلي: التشيع، ص٣٩-٤٠.

(151) لمزيد من التفصيل راجع الشهرستاني: الملل والنحل، البغدادي: الفرق بين الفرق، النوبختي: كتاب فرق الشيعة.

(152) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١١٠، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفطمية، ص٣٤٣.

(153) المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص٥-٧، ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٣٦، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص٥٤.

(154) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٢٣٣، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله المفترى عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص٥٤.

(155) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م، جـ٦، ص٢١١.

(156) البيلي: التشيع، ص١٢٧.

(157) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م، جـ١، ص٢٨٢-٢٨٥.

(158) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٣٣٩، المقريزي: اتعاظ، جـ٢، ص٢٣١.
(159) ابن هانئ الأندلسي: ديوان ابن هانئ، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص١١.
(160) ابن هانئ: ديوانه، ص٧-١١.
(161) ابن هانئ: ديوانه، ص١٦٤.
(162) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٣٢٩.
(163) أبو المحاسن: النجوم، جـ٢، ص٣٠٩.
(164) عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، ص٥٩.
(165) أبو المحاسن: النجوم، جـ٢، ٣٠٩، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص١١٧.
(166) المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ١، ص٦٦-٦٨، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٣٧٠.
(167) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م، ص٢٢٣، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٩٦.
(168) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٣٧٠.
(169) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص١٢٥، Muir: The Caliphate, p 574.
(170) الشهرستاني: الملل، جـ١، ص١٥٦، ١٦٠، ١٦٨.
(171) البيلي: التشيع، ص١٢٩.
(172) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ١، ص١٥٩، البيلي: التشيع، ص١١٣.
(173) فدك: تقع بالقرب من المدينة المنورة على مسيرة يومين. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٣٨.
(174) الطبري: تاريخه، جـ٣، ص١٥، ٢٠٨.
(175) المسعودي: التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت، ص٢٥٥.
(176) أبو المحاسن: النجوم، جـ٣، ص٣٣٢، البيلي: التشيع، ص١٤٣.
(177) أبو المحاسن: النجوم، جـ٣، ص٣٣٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤٠٠، إبراهيم سلمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص١٨٣.
(178) رقادة: أنشأها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م وهي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة القيروان. البكري: المسالك، جـ٢، ص٦٧٩.
(179) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ١، ص١٥١.
(180) المقريزي: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، جـ١، ص٦٤، البيلي. التشيع. ص٨٧.
(181) المقريزي: اتعاظ، جـ١، ص١١٦.
(182) المقريزي: اتعاظ، جـ١، ص١١٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص١١٨، البيلي: التشيع، ص١٤٥.

(183) عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي: المسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٤٨.

(184) أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص١٣٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص٦٧، عطية القوصي : تاريخ وحضارة مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠١٢ م، ص ٦١ .

(185) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١١، ص٢٢٥، حسن إبراهيم حسن. الفاطميون في مصر، ص١١٩، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص١٤٣.

(186) ابن عذارى: البيان، المغرب، جـ١، ص١٥١، البيلى: التشيع، ص٨٧.

(187) ابن خلكان: وفيات، جـ١، ص١٤٩.

(188) المقريزى: اتعاظ، جـ١، ص١٣٧، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص١٢١، البيلى: التشيع ، ص ١٤٥

(189) ابن خلكان: وفيات، جـ١، ص٣٧٦، النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٣١، الصفدى: الوافى، جـ١١، ص٢٢٥، المقريزى: المقفى الكبير، جـ٣، ص١٠١، أبو المحاسن: النجوم، جـ٤، ص٣٢، عطية القوصي : تاريخ وحضارة مصر ، ص ٦١ .

(190) بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية ص ٨١،٨٢.

(191) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص١١٤، أحمد صادق سعد: تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٨٣.

(192) يوسف العش: الخلافة العباسية، ص١١٤.

(193) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٣٧.

(194) أبو المحاسن: النجوم ، ج٤، ص٢٢٤-٢٢٧، ابن الجوزى: المنتظم، ح٧، ص ٢٤٩-٢٥١.

الخنجر نموذج لتطور صناعة السلاح فى الأندلس
دراسة آثارية فنية لنماذج الخناجر الأندلسية ومستلزماتها

د. حنان عبد الفتاح مطاوع (*)

أدوات الحرب فى الأندلس وعوامل إزدهارها :

حرص المسلمون فى الأندلس منذ البداية على أن تكون لديهم قوة عسكرية مرهوبة الجانب، يخشى بأسها ويخطب ودها أعدائهم فى الداخل والخارج، وبهذا المفهوم بذلوا جهداً كبيراً لتسليح جيوشهم تسليحا جيداً، بكل أنواع الأدوات الحربية اللازمة لها والتى أخذت فى الإزدهار، بصورة واضحة، فى فترات القوة والإزدهار. حيث نشطت صناعة السلاح فى الأندلس، وتعددت مصادر الحصول عليها منذ عصر الدولة الأموية (١٣٨هـ-٣١٦هـ) (٧٥٥م-٩٧٨م) وما تلاه من عصور حتى نهاية عصر بنى نصر (٦٣٥هـ/ ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨م - ١٤٩٢م) وغدت أدوات الحرب تصدر من الأندلس إلى جميع أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء[١].

وقد ساعد على إزدهار صناعة أدوات الحرب فى الاندلس، وولع الأندلسيون بها، عوامل كثيرة من أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لتلك الصناعة ببلاد الأندلس، لاسيما معدن الحديد والفولاذ المخصصين لصناعة السيوف والخناجر والنصال والزرديات.

فمن بين أهم المناطق التى اشتهرت بغزاره إنتاج هذين المعدنيين: جبال مدينة طرطله[٢]، قرية فريش الواقعة بالقرب من قرطبه[٣]، وكورة البيره بغرناطة[٤] وحصن قسنطينة[٥]، وفى جبال إشبيليه[٦]، وجبال البرانس قرب فحص البلوط[٧] وجبال المرية[٨] وبنفس القدر من الثراء توافرت أيضا المواد المساعدة التى تدخل فى صناعة أدوات الحرب مثل: الأخشاب التى اشتهرت بانتاجها مدينة طرطوشة[٩] وشلطيش[١٠].

فضلا عن الأحجار الكريمة التى تستخدم فى ترصيعها وتزيينها، والتى كانت توجد بكثرة فى العديد من مناطق الأندلس : مثل اللازورد بمدينة لورقه[١١]، وجبل شلير[١٢]، والياقوت بحصن مونت ميور بكورة مالقه[١٣] وبقريه ناشره بالقرب من بجانه[١٤] وحجر البجادى[١٥] بمدينة لشبونه[١٦] وحجر الشادنج أو الشاذنج[١٧]، بجبال قرطبة[١٨]، وحجر المرقشيثا الذهبية بجبل أبذه[١٩]، ولأن بلاد الأندلس كانت غنية بكل هذه الأنواع من الأحجار الكريمة فقد شاع استخدامها فى زخرفة أدوات الحرب، لاسيما والخناجر وأدوات الخيل[٢٠]، أما بقية المواد الأخرى المساعدة التى لم تكن تتوافر ببلاد الأندلس، فكان يتم استيرادها بكميات كبيرة مثل: العاج الذى كان يدخل فى صناعة مقابض السيوف والخناجر وبعض أنواع أسلحة الزينة. وكان يتم استيراده من بلاد المغرب، وساحل غانا بالسودان.

(*) أستاذ مساعد الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

وكذلك ساعد على تطور أدوات الحرب بالأندلس وفره الصناع المهره من الأندلسيين، ممن أظهروا قدره فائقة على الاستفادة من المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة التى أولوها عناية خاصة بسبب إهتمام الأندلسيون بها، ومنافعها فى الحرب والسلم، وهو ما عبر عنه المقرى فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (وأما آلات الحرب من الترس والرماح والسروج والجم (اللجم أو الألجم) والدروع والمغافر، فأكثر همم أهل الأندلس كانت مصروفه في هذا الشأن[٢١]، وثمة ملاحظة هامة وهى: أن هذا الاهتمام بأدوات الحرب قد دفع صناع السلاح الأندلسيين إلى تطويرها، وقد اتخذ هذا الاهتمام مظاهر عديدة منها:

(١) الحرص على إقامة دور صناعة متخصصة لأدوات الحرب وإصلاح ما تداعى منها، على نحو ما فعله الأمير الأموى عبد الرحمن الأوسط من ترميم دار صناعة السلاح بمدينة طليطلة عام (٢٠٧هـ/٨٢٢م)[٢٢].

وظلت هذه الدار تؤدى دورها فى إنتاج أدوات الحرب حتى نهاية عصر الطوائف، وحققت فى هذا المجال مزيداً من الإزدهار والتطور، حتى أصبح إنتاجها يقدم كهدايا من قبل الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ/٣٦٦هـ/ ٩٦١م – ٩٧٦م) إلى ملوك قشتالة[٢٣]. بل كان يصدر فى عصر الطوائف(٤٢٢هـ/٤٨٤هـ/١٠٣١م – ١٠٩١م) إلى كل أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية[٢٤].

وقد امتدح ابن سعيد وفرة انتاج دار صناعة هذه المدينة من السلاح وتنوعه وجودته بقوله (كان يصنع فيها من آلات الحرب العجائب)[٢٥]، وفى عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/٣١٦هـ/٩١٢م -٩٢٨م) شيد العديد من دور الصناعة فى كثير من مدن الأندلس، كان من بينها دار بمدينة الزهراء تخصصت فى انتاج الات الحرب والحلى والزينة، وغير ذلك من المهن[٢٦].

وتعتبر دار صناعة السلاح التى أقامها المنصور بن أبى عامر (٣٧١هـ/٣٩٣هـ/ ٩٨١م-١٠٠٢م) بقصره المعروف بقصر العامرية، من أهم إن لم تكن أهم دور صناعة السلاح فى الأندلس، نظراً لما كان يتوافر لهذه الدار من إمكانات تفوق غيرها من دور الصناعة الأخرى، فهذه الإمكانات كانت من الوفرة والتنوع بحيث كان لكل نوع من الأسلحة قسم أودار تخصصت فى إنتاجه.

ويعبر المؤرخون العرب عن هذا الإزدهار فيما كتبوه عن هذه الدار، فابن الخطيب يشير إلى أنه كان بها دار مخصصة لصناعة التروس عرفت بدار التراسين[٢٧] كان يزيد إنتاجها فى العام الواحد عن ثلاثة عشر الف، كما كان بنفس الدار دار أخرى لصناعة القسى كان إنتاجها فى العام ما يقرب من اثنى عشر ألف[٢٨]. وكان لكل دار طائفة حرفية لها معلم يعرف بشيخ الصنعه يتولى تمثيلهم، ويعتبر مسئولا أمام المعلم الأكبر أو كبير المعلمين الذى يقيم بمدينتى قرطبة والزهراء[٢٩] وفى مدينة مرسيه حظيت صناعة السلاح بمكانة كبيرة عبر عنها المقرى فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (يصنع فيها من آلات الجندى ما يبهر العقول)[٣٠].

وقد كانت تلك الصناعة مصدرا أساسياً لثروتها، فوفرة إنتاجها من السلاح فتح أمام أهالى هذه المدينة أفاقا واسعة للعمل التجارى فى قطاع التصدير، فكانت أدوات الحرب تعالج

وتصنع بها، قبل تصديرها إلى معظم البلدان لاسيما أفريقية، حيث أشار المقرى إلى ذلك بقوله (وفيها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها)[٣١].

وقد أخذت بعض المدن شيئا فشيئا تحتل مركز الصدارة فى إنتاج نوع واحد من الأسلحة تشتهر به، ومن ذلك على سبيل المثال: مدينة المرية التى ذاع صيتها فى صناعة السيوف الجود السود[٣٢] ومدينة برذيل التى عرفت سيوفها بالبرذليات المشهورة بالجودة[٣٣]. كما اشتهرت إشبيلية بسقى الفولاذ الأشبيلى الشهير الذى كانت تُصنع منه الدروع وتجافيف الخيل، وفى مدينة وشقه بالثغر الأعلى كانت تصنع الدروع والبيضات[٣٤].

ومثل هذه المدن التى كانت تشتهر بصناعة نوع معين من الأسلحة كان يوجد بها أماكن للتدريب عليها مثل: سبته التى اشتهرت بصناعة القسي، وكان بها أربع وأربعون مرمى لرمى السهام[٣٥].

٣- جرى حكام الأندلس، منذ عصر الدولة الأموية، على إقامة دور لحفظ أدوات الحرب عرفت بدار أو خزانة السلاح مثل: الدار التى أقامها الأمير عبد الرحمن الأوسط بمدينة قرمونه[٣٦]، ودار أخرى في غرناطة من عصر المرابطين، ودار بمدينة إشبيليه[٣٧].

وكان يتولى الإشراف على تلك الخزائن أحد كبار موظفى الدولة الثقاه، ممن كان على درايه بأنواع الأسلحة ليعرف ما توافر منها وما نقص. ويقدم تقريرا بمحتويات مخازن السلاح ويدون فى سجلات ديوان العسكرية[٣٨] يطلع عليه الحاكم او الخليفة بشكل دورى، حتى لا يخرج إلى الحرب إلا بعد أن يتأكد من اكتمال كل انواع السلاح والعدة[٣٩].

٤- كانت أدوات الحرب من أفضل الهدايا بين الحكام وكبار رجال الدولة، سواء أُهديت لهم أو هادوا بها المقربين إليهم لكسب ولائهم، فعبد الرحمن الناصر كان يخلع على وزرائه- أمثال أحمد بن عبد الملك بن سعد-انواعا متعددة من الات الحرب أحصاها ابن خلدون بقوله (والعده ثمانمائه من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب، وألف ترس سلطانية، ومائة ألف سهم من من النبال البارعة الصنعه).

كما هادى الخليفة عبد الرحمن الناصر أمراء البربر، بالعدوة المغربية، بكثير من تلك الآلات الحربية، أمثال موسى بن أبى العافية، ووفقا لما ذكره ابن حيان كان من بين محتويات تلك الهداية (أربعة بنود من غرائب السلاح)[٤٠].

ولقد واصل الخليفة الحكم المستنصر سياسة اصطناع وجوه أمراء المغرب، فارسل مع الخازن أحمد بن محمد لعدد كبير منهم فى جيش غالب بن عبدالرحمن - مجموعة هدايا معظمها من آلآت الحرب، مع كتاب موضح فيه إسم كل شخص وتفاصيل محتويات هديته[٤١].

وبهذه المناسبة، يجدر بنا أن نشير إلى أن من بين العوامل التى ساعدت على بلوغ أدوات الحرب فى الأندلس، أوج إزدهارها، أنها كانت من مظاهر التعبير عن الأبهه والفخامة والتفوق العسكرى، فالباحث فى تاريخ الأندلس يستطيع أن يلاحظ بوضوح أهميتها فى الاحتفالات والمراسيم والعروض العسكرية والاستقبالات الرسمية، حيث كان يرتديها كبار الوزراء والفتيان والأكابر والكتاب والخصيان الصقالبة، وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، عند استقبال الخلفاء والإحتفال بقدومهم[٤٢].

وجرت العادة أن يقوم حكام الأندلس بإستعراض أدوات الحرب أثناء الاحتفال باستقبال سفراء وحكام الدول المجاورة، لاسيما ملوك إسبانيا المسيحية، وذلك من أجل استعراض القوة العسكرية وبث الرعب فى نفوسهم . ويستدل على ذلك مما ورد فى المصادر العربية من أوصاف تفصيلية لمواكب استقبال زيارات السفراء والملوك المسيحيين، بقصر قرطبة وقصور الزهراء والزاهرة(٤٣).

٥- من العوامل التى ساعدت على ازدهار صناعة السلاح فى الأندلس: تعدد مصادر الحصول عليها فلم يكتفوا بما كان يصنع منها محليا ويباع ويشترى من أسواق خاصة بها، فرغم إشارة المؤرخين بمهارة الأندلسيين فى صناعة أدوات الحرب(٤٤) كما سبق الإشارة، لم يترددوا فى شراء الأسلحة الجديدة من إسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها، أو من الأسواق المشرقية والهندية، حيث وردت إشارات عديدة عن تسلح الجيش الأندلسى بمثل هذه الأسلحة المشتراه من الخارج(٤٥) رغم ما كان يفرض أحيانا من حظر لبيع، أو نقل هذه الأسلحة، بين الطرفين الإسلامى الأندلس والإسبانى النصرانى(٤٦).

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن إزدهار صناعة أدوات الحرب والعناية بها، فى مختلف مدن الأندلس، كان ضرورة فرضها تاريخ الأندلس الحافل بالثورات والحروب المتتابعة، فضلا عن جنوح أهل الأندلس، لاسيما فى عصر الطوائف إلى الخروج على السلطة مما كان له أكبر الأثر فى اعتماد كل مدينة فى الدفاع عن نفسها. ونستدل على ذلك من قول القلقشندى بأن مدينة غرناطة حققت تقدما فى صناعة السلاح مكنتها من الدفاع عن نفسها وزيادة مناعتها(٤٧).

وبعد هذا العرض لعوامل ازدهار صناعة ادوات الحرب فى الأندلس، يجدر بنا أن نفرق بين أنواعها التى كانت تستخدم فى ميادين الحرب، والمستخدمة للزينة، أو كانت تقدم كهدايا.

ومع أن إثبات هذا الفرق بالأساليب التاريخية المعتادة لا يخلو من صعوبة؛ إلا أنه من خلال الإشارات التى وردت بشأن النوع الثانى المستخدم فى الزينة؛ يمكن إثبات هذا الفرق، فألآت الحرب التى كانت تستخدم فى أيام البروز والمواكب والإهداء تتميز بخفه وزنها، والمبالغة فى زخرفتها وتحليتها بخطوط الذهب والفضه وترصيعها بالأحجار الكريمة، وتطلق المصادر العربية على هذا النوع من أدوات الحرب اسم: تجافيف أو تخافيف الزينة والسلطانية أو الخاصة(٤٨) ومنها السيوف الحالية(٤٩) والسيوف المرصعه العمود بالجواهر المثمنة والحراب المزينة العصى بأنابيب الفضه والبيضات المذهبة(٥٠).

بينما الأسلحة المستخدمة فى ميدان الحرب يراعى فيها: أن تكون قوية الشكل غليظة المظهر خالية من الزخرفة، بحيث تتناسب وطبيعة الوظيفة التى تؤديها.

وقبل أن نختم الحديث عن عوامل إزدهار صناعة أدوات الحرب الأندلسية، نود الإشارة إلى أننا لا نكاد نرى فنا من الفنون الصناعية الأندلسية أكدت المصادر الأندلسية على أنه قد تأثرت أشكاله بالفنون الصناعية المسيحية المعاصرة مثلما حدث فى فنون صناعة أدوات الحرب، ونستدل على ذلك من إشارة ابن الخطيب: وزيهم (أهل الأندلس) شبه زى اقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج إسباغ الدروع وتعليق الترسه وحفا البيضات واتخاذ عراض الأسنه وبشاعه

قرابيس السروج واستركاب حمله الريات خلفه كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهره يعرف بها)[٥١].

ويشير المقرى فى هذا الصدد أيضا بقوله (وكثيرا ما يتزين سلاطنيهم وأجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم وأقبيتهم كأقبيتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس[٥٢] والرماح[٥٣] الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس قسى[٥٤] العرب بل يعدون قسى الأفرنج للمحاصرات فى البلاد أو تكون للرجاله عند المصافقه للحرب[٥٥].

ولا يؤخذ من هذا أن تلك الآلات الحربية المسيحية كانت تعتبر مقياسا، أو كان صناع الأندلس يتخذونها نماذج يقلدونها مسرفين فى هذا التقليد، بل على العكس نجد أن صناع الآت الحرب الأندلسيين فيما بعد منذ عصر بني نصر، قد اتخذوا لأنفسهم أساليب وأنواعا تختلف عن نظائرها المسيحية ولا ترجع فى شيء إلى الأساليب المسيحية الموروثة من مجموعات الأسلحة التى غنموها من القوط فى بداية الفتح الإسلامى، أو فى أثناء الحروب الجهادية الطويلة التى خاضها المسلمون في الأندلس ضد النصارى الأسبان، ويؤيد ذلك ما ذكره إبن الخطيب أيضا، في موضع أخر، عن التجديد الذى أحدثه صناع السلاح فى عصر بنى نصر بقوله (ثم عدلوا الأن عن هذا الذى ذكرناه إلى الجواشن[٥٦] المختصرة والبيضات المرهفات والسروج العربية، والبيت اللمطية[٥٧] والأسل العطفية[٥٨].

الخناجر الأندلسية :

تعريف الخنجر وإستخداماته:

الخنجر سلاح قاطع صغير اشبه بسيف مصغر، ولكنه أكثر وأسهل فى الحمل والاستخدام، إذ يحمله المحارب فى منطقته أو حزامه أو تحت ثيابه، فإذا التحم بعدوه يطعنه به خلسه[٥٩]. والخنجر من أقدم الأسلحة التى إستخدمها الإنسان فى الدفاع عن نفسه، فهو من الأسلحة الدفاعية التى عرفها العرب منذ جاهليتهم، ويعتبر سلاحا شخصيا أكثر من كونه رئيسيا فى المعارك، وهى أسبق في الظهور من السيوف وأقدم إستخداما، وكانت بعض المجاهدات، فى العصور الأولى، يحملن الخنجر فى الغزوات تحت ثيابهن للدفاع عن أنفسهن.

وبصفه عامة، إرتبط الخنجر، منذ قرون طويلة، بعادات الشعوب وتقاليدهم وتراثهم المنقول، ويعد رمزاً للرجولة، كما أن نوع الخنجر، فى بعض البلدان مثل اليمن، يدل على المكانة الإجتماعية لصاحبه، وما تزال الخناجر، حتى يومنا هذا، من مستلزمات المظهر الخارجي فى بعض المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحا فهى حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حاملها ومكانته[٦٠]، ومع أن الخنجر من ملحقات السيف لأنه من فصيلته، إلا أنه عكس السيف فقد إرتبط فى الأذهار بالخيانة والغدر، حيث اغتيل به العديد من الشخصيات الهامة فى صدر الإسلام، ومن ذلك خنجر ابو لؤلؤه المجوسى الذى قتل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو يصلى.

أجـزاء الخنجـر:

يتكون الخنجر عادة من جزءين رئيسيين هما: رئاسة الخنجر أو قائمه ونصله، وللقائم والنصل عناصر مهمة لا يكاد خنجر عادة يخلو منها، وخاصة إذا كان من الخناجر الأصيلة إضافة إلى غمد الخنجر أو قرابة ويتكون قائم الخنجر أو رئاسته من المقبض، وهو مقبض كف الضارب أو الطاعن أو مكان قبضه اليد، والقبيعة وهى الحديدة التى تلبس أعلى المقبض وتسمى القلة أحيانا، إذا كانت مستديرة أو كروية، كما تسمى فى بعض المصادر الأندلسية بالقرون الجاموسية[٦١]. ويفصل النصل عن رئاسة الخنجر وقائمه الواقية وهى حديدة المقبض المعترضة على فم الغمد؛ لوقاية يد المحارب من الإصابة وطعنات الخصم.

وقد أوليت مقابض الخناجر عناية خاصة، حيث صنعت من مواد ثمينة مثل قرن وحيد القرن، وعاج القفمة، وعاج الفيل، والذهب والفضه.

أما النصل فهو حديدة الخنجر، ويصنع فى الغالب من الفولاذ أو البرونز، وتتميز الخناجر الجيدة الأصيلة باحتواء نصولها على ما يعرف بالأثر أو الجوهر الفاخر[٦٢] وهو مصطلح استخدم لبيان ظاهرة الخطوط المتداخلة المتباينة الأشكال والأوضاع على صفحات النصول، فهى خطوط ناعمة متداخلة على شكل النسيج الشبكى، أو على شكل تقسيم خطوط النصل إلى مسافات قصيرة متساوية، او شكل عقد متناسقة متقاربة متلاصقة، وأحيانا تكون على شكل خطوط عريضة تشكل بقعا مستديرة او مستطيلة، أو خطوط متعرجة أو متوازية.

ويرجع هذا الاختلاف الى التغير فى نسب الشوائب الداخلة فى الخليط الفولاذى للنصل، والتى تدرس كمياته بدقه كالكربون والمغنسيوم والسيلسيوم والكبريت والفسفور وبعض المواد العضوية، أو إلى اختلاف فى الطرق الحرارية من إسقاء واحماء وتبطين وتحكم فى درجات حرارة كل منها[٦٣] وبخلاف الجوهر تمتاز صفحات النصول بإشتمالها على: (١) شطوب أو قنوات تحفر في متونها وفائدتها ان تجعل الخنجر اكثر ليونة (٢) حد الخنجر أو حرفه، وهو جزء النصل القاطع، وما بين حد الخنجر الجزء البارز فى وسط نصله شفرتا الخنجر أو حرفاه المرتفعان، ثم المضرب وهو حد الخنجر أو الموضع الذى يطعن به (٣) السنبك وهو طرف نصل الخنجر.

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال مكونات الخنجر فى جزئيين رئيسيين هما: المقبض والنصل، ولكل منهما عناصر مهمة لا يكاد خنجر يخلو من معظمها، وبذلك فإن الخنجر أشبه فى تكوينه بالسيف، فهو صوره مصغره له.

أغمـاد الخناجـر :

يكون للخنجر فى العادة قراب أو أجفان أو أغماد **Scabards** تحفظ فيها، يطلق عليها ابن حيان الغلائف[٦٤] وهى عبارة عن جراب من الخشب، فى الغالب، مغطى بالحرير أو القطيفة أو الجلد أو المعدن، ويعرف الجزء الذى يلبس منها فى قائم الخنجر باسم المسفن، وهى جلده مصنوعة بشكل جيد، زودتنا بعض المصادر بأوصاف تنم عن نوعها مثل: غمد سفن[٦٥] وسفن حوت بنصل[٦٦] وفى نهاية أغماد الخناجر من أسفل: جلدة مفرغة مزينة تنتهى عادة بحديدة

ملبسه فيها يطلق عليها النعل[٦٧] ويبطن الغمد من الداخل أحيانا بجلود تعرف بالحلل، ويرصع من الخارج بحلي مستديرة على شكل حلقات أو شراشيب من المواد النسيجية، كالقطن أو الكتان أو الحرير، التى كانت تستخدم فى تزيين الأسلحة وأدوات الخيل[٦٨].

الخناجر الأندلسية:

وإذا كان المؤرخون قد أشادوا بمهارة الأندلسيين فى صناعة كل أدوات الحرب، كما سبق الإشارة، حتى قيل عنهم "بأنهم تركيون فى معاناه الحروب ومعالجات آلاتها والنظر فى مهماتها"[٦٩] كما أسهبوا فى وصف أنواعها وأشكالها، فيما عدا الخناجر، فمن الطبيعى أن يكون لأهل الأندلس نفس المهارة فى مجال صناعة وزخرفة الخناجر التى تنوعت تنوعاً كبيراً، وأوليت مقابضها ونصولها وأغمادها عناية شديدة، ويبرهن على ذلك مصدران: الأول تاريخى والثانى مادى، أما التاريخى فهو وصف وحيد نادر، للمؤرخ القرطبى ابن حيان لمحتويات الهدية التى بعث بها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى عامله على المغرب أبى موسى بن العافية وكان من بينها أربعة خناجر، وذلك بقوله (وكان فى هذه الهدية من غرائب السلاح أربعة بنود بند رابع أحمر مكتوب بالفضة فى جوانبه الثلاث كتاب عريض وفيها سيفان وهلالان مذهبان مذوقان وأربعة قرون للضرب (أى خناجر) جاموسية مجرعه الاطراف الضيقة غلافها بيباج وعلقها أديم أحمر ولكل واحد منها أربع حلقات فضة للعلاق حليه، أحدهما فضه مذهبة ملوزة بلوز أبيض بصنيفتين مذهبتين مشمع الطرف الاضيق فيه أربع حلق فضة وحليه الثانى فضة بصور وحليه الثالث فضة منقشة مشمعة وحلية الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة)[٧٠].

ويؤكد المقرى أيضا على: أن تلك الخناجر كانت مما يهادى بها من قبل كبار رجال الدولة للخليفة، كتعبير عن ولائهم وطاعتهم، حيث أشار إلى ان الحاجب أبا جعفر المصحفى بعث منها إلى الخليفة الحكم المستنصر خمسة وعشرين قرنا مذهبة من قرون الجاموس[٧١].

ويعتبر عصر الموحدين العصر الذهبى لصناعة الخناجر الحربية، حيث أشار البيذق إلى أنها كانت من الأسلحة التى استعملها الجيش فى عصر الموحدين[٧٢]، وإذا كنا نأسف على إختفاء كل هذه الخناجر، والتى وردت بعض الإشارات عنها فى المصادر التاريخية، ولم يصل إلينا منها أى أثر مادى؛ فإن ما نقله ابن حيان عنها هو أصدق صورة وضعت عنها، فبفضل هذا الوصف الدقيق نستطيع أن نتصور ما كانت عليه – صناعة الخناجر الأندلسية وزخارفها من روعه وجمال، منذ عصر الدولة الأموية، لاسيما وأن هذا الوصف لمؤرخ معاصر، ولذلك فقد جاء شاملا دقيقا، يسهل من خلاله التعرف على بعض الأنماط الزخرفية للخناجر ووسائل تنفيذها. فالوصف يكاد ينطق بكل التفاصيل الزخرفية التى كانت تكسو مكونات تلك الخناجر، حيث يذكر أن أطرافها (أى الموضع الذى يطعن بـه) كانت محزوزة بحزوز بارزة مجزعة، وأن أغمادها أو أغلافها كانت مكسوة بأجود أنواع الديباج والحرير، ومحلاة بدلايات على شكل حلقات مصنوعة من مواد ثمنية من الفضة الخالصة والفضة المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة، والمنقوشة بالتوريقات النباتية وصور الكائنات الحية.

كما نستنتج، من الوصف نفسه، أن الصناع الذين اهتموا أجزاء تلك الخناجر قد صنعوا لها علاقات من الفضة، لتحمل منها عن طريق أشرطه من قماش الحرير القرمزى.

وبخلاف ما ذكره ابن حيان والمقرى عن الخناجر، فى عصر الدولة الأموية، تصمت المصادر العربية عن ذكر شيء آخر يتعلق بها، سواء في عصر الدولة الأموية أو ما تلاه من عصور، ويزيد الأمر غموضا أننا لا نجد رسوما لها في المخطوطات والرسوم الجدارية، أو على الفنون التطبيقية الأندلسية، ولكن النماذج التى وصلت إلينا منها، برغم قلتها، تكفى لإعطاء صورة واضحة لما كانت عليه مكونات وأشكال الخناجر، سواء فى عصر الدولة الأموية، أو ما تلاه من عصور .

والنماذج التى وصلت إلينا من الخناجر الأندلسية يبلغ عددها ستة خناجر، كلها محفوظة فى متاحف إسبانيا التى قمت بزيارتها، وفى تتبعى لتلك المجموعة ودراستى الشخصية لها فى أماكن حفظها: لاحظت أنها تنتمى إلى فترات زمنية مختلفة، تبدأ بعصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بنى نصر.

أولا نماذج الخناجر المؤرخه بالفترة من عصر الخلافة وحتى نهاية عصر المرابطين

لم يصل إلينا من خناجر هذه الفترة سوى نموذجين.

(١) **النموذج الأول(لوحة ١)**

عبارة عن خنجر نصله مصنوع من البرونز عثر عليه بمدينة أنبيرة، محفوظ فى المتحف الأثرى بغرناطة تحت رقم ٨٢٧، ومؤرخ بأواخر القرن ٤هـ/١٠م وبداية القرن ٥هـ/١١م، ولهذا الخنجر مقبض طوله ١٠سم يتكون من واقية قوامها قطعة من البرونز مستطيلة المقطع مسطحه الجوانب، يتصل بها رأسيا عن طريق اللحام قضيب (رئاسة الخنجر أو قائمة) ملفوف إسطوانى المقطع، ويتوسط بدن هذا القضيب، أو القائم، انبعاج مخروطي يمثل محورا مركزيا لموضع قبضة اليد (مقبض كف الضارب) وينتهى هذا القائم، أو القضيب، بقبعة تتميز ببساطة تشكيلها الفنى، فهى تتكون من لوح برونزى مصبوب، جوانبه ملفوفة بحيث تشكل مخروطا مقطوعا.

وتخلو جميع أجزاء هذا المقبض من أى زخارف، باستثناء القضيب الذى يصل بين القبعة والواقية، فقد ازدان بدنه بزخارف هندسية بسيطة، عبارة عن لفائف دائرية منفذة بأسلوب الحز، الذى يعد أقدم طرق زخرفه المعادن الأندلسية وأكثرها انتشارا فى الفترة المنسوب إليها بقايا هذا الخنجر[٧٣].

(٢) **النموذج الثانى (لوحة ٢)**

خنجر عثر عليه بمدينة غرناطة وحفظ فى متحفها الأثرى، تحت رقم ٨٢٨، طول نصله ٢٥سم، وطول مقبضه ١٢سم، ويبلغ طول هذا الخنجر بما فى ذلك مقبضه، ٣٧سم ويتألف من نصل ومقبض، والنصل مستقيم طوله ٢٥سم مصنوع من الفولاذ، له شفرتان، وينتهى بطرف مدبب (سنبك) مستدق البدن.

أما المقبض فمصنوع من البرونز، ويتصل في قالب واحد بالنصل، عن طريق واقيته المحزوزة بلفائف دائرية متراكبة ملساء، مركب عليها قبعته المشكلة في هيئة كالن حى أشبه ببطتين رؤوسهما مستديرة، وأبدانهما التي تمثل مقبض كف الضارب (موضع قبضته اليد) مضغوطة في شكل كروي منبعج الجوانب، والتي تسمى (قله) ويخلو مقبض ونصل هذا الخنجر من أية زخارف، مما يشير إلى أنه كان من نوع الخناجر الحربية التي شاع استخدامها في عصر الموحدين، كما سبق الإشارة.

ويؤرخ المتحف هذا النموذج بالقرن ٥-٦/١١-١٢م، أي أواخر عصر الطوائف وبداية العصر المغربي الأندلسي (عصر دولتي المرابطين والموحدين).

ثانيا نماذج الخناجر المؤرخه في الفترة من عصر الموحدين وبداية عصر بني نصر :

ما وصل إلينا من خناجر هذه الفترة نموذج (لوحة ٣).

وقد عثر عليه بمدينة إشبيلية، ومحفوظ حالياً في المتحف الوطني بمدريد، تحت رقم ٨٤/٤٦٠، ويؤرخه المتحف بالقرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، أي أنه يرجع إلى نهاية عصر الموحدين، وبداية عصر بني نصر.

ويتسم الخنجر بجلال الشكل وجمال النسب، ويعبر عن مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية، حيث دخلت عليه بعض التعديلات التي أفقدته بساطة الخناجر السابقة عليه – ويلاحظ هذا التطور في شكل النصل والمقبض بأجزائه المختلفة .

فبالنسبة للنصل نلاحظ أنه طويل ومستقيم، ينتهي بسنبك عبارة عن طرف شديد التدبب، ويتحول قبل هذا الطرف إلى نصل ذو حدين عليه شطبة واحدة كما يلاحظ أيضا بأن هذا النصل يتضخم إلى حدٍ ما في أعلاة، لاسيما عند ما يُعرف بسفن الخنجر الذي يدخل في القائم. ثم يميل متن الخنجر وجانباه (حصيرته) إلى النحافة وحتى حدية، ليتحول عند طرفه المدبب (السنبك) إلى ما يشبه رأس الإبرة، وهذه الخصائص تجعل هذا الخنجر سلاحا جيدا للقطع والطعن معا.

أما المقبض فبرغم أن الصانع قد شكله مع النصل في قالب واحد، على غرار النماذج السابقة إلا أن الجديد الذي نلحظه هنا هو التطور الذي طرأ على حجم المقبض ككل، إذ زاد طوله زيادة ملحوظة، مع العناية بتجزئة عناصره، فالواقية صبت مع نهاية النصل، وتشكلت من بدن أسطواني يتصل به في قطعة واحدة رقبة ناقوسية، بحيث اتخذت الواقية في مجموعها شكل زهرية، ويلي الواقية موضع قبضة اليد (مقبض كف اليد) التي تتجه رأسيا بحيث تصل بين الواقية والقبيعة، وقد عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض على نحو رائع، ففي كل من طرفيه بدن كروي مركب فيه رقبة ناقوسية، بحيث يتخذ كل منهما شكل قلة، إحداهما مقلوبة والأخرى معدولة يصل بينهما إطار رقيق يتألف من قرصين دائريين، بينهما قرص أوسط مسنم، بحيث تظهر في مجموعها على شكل حبات المسبحة التي تزين محاور رؤوس التيجان.

أما عن قبيعة هذا الخنجر، التي تعد من العناصر الهامة في تكوين مقابض الخناجر، فقد اهتم بها الفنانون الأندلسيون، وحرصوا على تنويع أشكالها. إذ ما لبثت أن تطورت هنا واتخذت طابعاً أو طرازاً له ذاتيته، منذ القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، إلى أن بلغ غاية التطور في

عصر بنى نصر، فمما يلفت النظر فى طراز هذه القبعة أنها تشكلت من قطعة مستطيلة أرضيتها مجوفة وجوانبها القصيرة مقصوصة فى شكل آذان ربع دائرية ذوات أطراف مدببة.

ويطلق على هذا الطراز من الخناجر ذوات القبيعات المشكلة على هذا النحو فى المصطلح الإسبانى: اسم (punales de oreyas) بمعنى الخناجر ذوات الآذان[٧٤].

وهذا الطراز من الخناجر سوف يتابع انتشاره فيما بعد عصرالموحدين فى الأندلس، ومنذ بداية عصر بنى نصر إلى نهاية هذا العصر وبداية القرن ١٠-١١هـ/١٥-١٦م، ولكن بشكل أكثر تطوراً، بحيث يمثل آخر مراحل التطور التى مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية ذات الآذان التى بدأ يظهر الطابع الزخرفى فى تشكيل مقابضها وتقسيم أبدانها بدقة بالغة، ثم اتجهت فى تطورها نحو مزيد من الزخرفة بحيث غلبت فكرة الحلية على فكرة التبسيط، وهذا ما سوف نلمسه فى بقية الأمثلة الإسلامية والمسيحية التى صنعت على غرارها، حيث تحول شكل آذان القبيعة إلى قرصين أسطوانيين منفرجين متقاربين من أسفل ومتباعدين من أعلى[٧٥].

وقد أكدت المدونات المسيحية على أن الخناجر التى صنعت على هذا الطراز، خلال هذه الفترة الطويلة فى الأندلس، تندرج فى ثلاث مجموعات أولها وأقدمها يرجع إلى عصر بنى نصر، أما المجموعة الثانية والثالثة فقد اتفقت الآراء على أنها صنعت فى العصر المسيحى، ولكنها اختلفت بشأن مكان صناعتها فى إسبانيا المسيحية، أم فى مدينة فينسيا الإيطالية(لوحة٨-٩-١٠) [٧٦]

ثالثا نماذج الخناجر الأندلسية المؤرخة منذ بداية عصر بنى نصر وحتى نهايته:

تضم هذه المجموعة ثلاثة خناجر (لوحة ٤، ٥، ٦، ٧) كانت قد غنمتها الجيوش المسيحية من السلطان أبي عبدالله فى موقعه اليسانه، واثنان من تلك الخناجر كانت بحوزه الكونتيثه باجيا Condesa de Behague أحدهما كان محفوظا فى أكاديمية السلاح الملكى بمدريد، ثم نقل إلى متحف المتروبلتان فى نيويورك، والثانى محفوظ فى متحف بلنسية دى دون خوان.. أما الثالث فمحفوظ حاليا بالقصر الملكى فى مدريد.

الخنجران الأول والثانى من تلك المجموعة :

تضم هذه المجموعة خنجرين متشابهين إلى حد التطابق (لوحة ٤، ٥) فكلاهما مصنوع من الفولاذ المذهب؛ الذى اصطلح على تسميته، فى المصادر العربية الأندلسية، باسم طلاء الذهب الإبريز أو المذهب[٧٧]. وفيه يتم تذهيب السطح المعدنى بعد عملية التشكيل مباشرة. وقبل نقش الزخارف عليه، ومن شأن هذا الأسلوب أن يحدث تباينا لونيا بين اللون الذهبى لسطح التحفه وبين الزخارف المحفورة على المعدن الأصلى، فضلا عن إكسابها لونا براقاً وحماية التحفه من الصدأ وينفذ هذا الأسلوب بطرق ثلاثة هى:

(١) عمل رقائق من معدن الذهب تثبت على المعدن الأصلى، إما بالطرق أو اللصق بمادة لاصقه مثل الصمغ أو الغراء.

(٢) طريقة التذهيب بواسطة النار أو الحرق.

(٣) طريقة التذهيب بدعك أوحك السطح المعدني للتحفة بنوع من الأحجار يعرف بحجر الشادنه أو حجر الطلق[٧٨] اشتهرت به مدينة قرطبة كما سبق الإشارة بحيث يكسب التحفة لونا ذهبيا طبيعيا[٧٩].

أجـزاء الخنجرين

يتكون كل منهما من نصل قصير ومتن ضيق، وهما من النوع المستقيم ذى الحدين، وتتميز صفحتا النصل باشتمالهما على شطبة واحدة ممتدة بطول النصل، وتبرز عن أرضيته فى إنحناء مقعر. بحيث تكون ما يعرف بالعير، أى الجزء الناشز فى وسط نصل الخنجر أو السيف وغيريه، أى حرفاه المرتفعان، وقد ترتب على ذلك أن ظهر النصل كما لو كان هيكلا مكونا من أوتار أو ضلوع بارزة، تقوم على أرضيته المسطحه فى أعلاها والمستدقة أدناها، على نحو يذكر ببعض أنصال سيوف عصر بنى نصر ذات الشطبة الواحدة[٨٠].

وينتهى النصل بكل من الخنجرين بسنبك عبارة عن طرف مدبب شديد التحدب، أما المقبض فواقيته ملبسه فى أعلى النصل؛ عند الجزء الذي يعرف بالسيلان الذى يدخل فى القائم والنصل، وقد شكلت من إطار مجوف مضلع السطح فى تموج نصف دائرى بتوسطه حليه دقيقة تمتد فى أعلاه وأسفله، بحيث تبدو فى شكل ذراع ينتهى بكف. ومثل هذه الحلية شاع ظهورها على بعض واجهات العمائر فى عصر بنى نصر[٨١] وهى بمثابة تمائم أو تعاويذ أو شارات سحرية لها دلالات رمزية، ربما كان الغرض منها تحصين الخنجر من الحسد والسوء أو الضياع، ولكى تؤدى عملها فى يد صاحبها على خير وجه، وقد ظهرت مثل هذه الشارات أو التمائم فى الأندلس منذ عصر دولة المرابطين والموحدين[٨٢].

ولهذه الواقية قرص أسطوانى مجوف مصبوب مع موضع قبضة اليد، بحيث يدور مع حركة معظم اليد أثناء الطعن، ويتألف مقبض كف الضارب من أنواح معدنية، عبارة عن لوحين رأسيين يجمعهما لوح أوسط يملأ الفراغ الواقع بينهما. بحيث تظهر الألواح الثلاثة كقطعة واحدة مثبته بواسطة مسامير صغيرة بالغة الدقة يطلق عليها (القتير) أى رؤوس المسامير التى فى قبضه الخنجر. ومن الواضح أن تلك المسامير، المستخدمة كوسيلة تثبيت وتقوية، قد أضيفت إلى بدن المقبض بعد عملية تجميعه وصبه.

ويتوج قمة كل طرف من أطراف اللوحين الرأسيين، فى كلا النموذجين، قرص دائرى أرضيته مقعرة قليلا، بحيث يظهران معا فى شكل أذنان يرتفعان بشكل ملحوظ عن ساق قبضه اليد، يتقاربان من أدنى ويتباعدان من أعلى فى إنفراج واضح، بحيث يمثلان قبيعة الخنجر، ويعبران عن طراز الخناجر ذات الآذان punales de orejas . أما عن زخارف هذين الخنجريين، فقد تركزت فى أجزاء المقبض دون النصل، حيث تظهر فى اللوح الأوسط من موضع قبضه اليد، وعلى جوانب الواقية وفى الأوجة الداخلية لأذان القبيعة، وكلها منفذة بأسلوب الحفر الغائر على ارضيه مطروقة[٨٣] برقائق من الذهب تم صهرها على السطح الفولاذى عن طريق التسخين إذ تظهر آثار هذه الطريقة الفنية فى الأجزاء البالية من المقبض .

وتتكون الزخارف من توريقات نباتية قوامها أزهار خماسية البتلات، محصورة داخل سيقان ملفوفة، فضلاً عن تصاميم هندسية تبدو فى شكل صلبان محززو، وأخرى فى شكل

حرف T ، ويتخلل كل هذه الزخارف الموزعة فى الأوجة الداخلية لآذان القبيعة وموضع قبضه اليد وفى الإطار المضلع للواقية – شعار بنى نصر الكتابى (لا غالب إلا الله تعالى) وتتميز كل هذه الزخارف بشدة تقصيرها وتداخل خطوطها، بحيث يصعب على غير المدقق تمييز أبعادها الحقيقة خاصة وقد تداخل معها أسلوب التذهيب الذى جعل من المتعذر أحياناً تميز العنصر المحفور من المذهب، وتلك سمة من سمات زخارف المعادن في عصر بنى نصر..

الخنجر الثالث من المجموعة:

أما عن الخنجر الثالث من مجموعة الخناجر النصرية ذوات الآذان، فهو أروع الخناجر الأندلسية التى وصلت إلينا، وأفضلها احتفاظاً بمظهرها الأصلى. إذ كان بحوزة حاكم مدينة قرطبة دون ديجو فرنانديث Don dego FernaNmdez الذى غنمه فى موقعه اللسيانه، عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، من جيش السلطان أبى عبدالله، ثم أهداه إلى القديس Viana ، ومنه انتقل إلى قاعه السلاح في متحف القصر الملكى بمدريد، حيث حفظ فى المتحف المذكور تحت رقم G ٣٦١ (لوحة ٦).

ويبلغ طول هذا الخنجر، بما فى ذلك مقبضه، ٣٥سم ولا يزال هذا الخنجر محتفظا بجرابه أو غمده الذى يبلغ طوله ٢٥.١ سم (لوحة ٦) وبرغم وجود أوجه شبه وثيقة بين هذا الخنجر والخنجرين السابقين، سواء من حيث نوع المعدن المصنوع منه وهو الفولاذ المذهب، أو من حيث تكوينه العام، إلا أنه قد تميز عنهما بعدة خصائص فنية تمثل أقصى ما وصلت إليه صناعة الخناجر، فى عصر بنى نصر، من تطور ويزداد هذا التطور وضوحاً فى شكل المقبض المصنوع من الفولاذ المكسو بالخشب المطعم بالعاج. وقد تم تثبيت الخشب على الفولاذ بواسطة مسامير من البرونز، بطريقة التجميع أو التركيب(١).

وتختلف مكونات هذا المقبض جوهرياً عن النموذجين السابقين، ليس فقط من حيث تعدد مادة صناعته، ولكن ايضا من حيث اسلوب التشكيل؛ برغم إحتفاظ قمته أو قبيعته بشكل الأذنين، فقد رتبت أجزاؤه بحيث تمتد امتداداً رأسيا، روعى فيه عنصر المتانة والجمال من ناحية، والتقليل من مكونات كل جزء من أجزاء المقبض، من ناحية أخرى.

فالواقيه تتكون من قطعة واحدة فى شكل مخروط هرمى قاعدته أسطوانية، وبدنه مسحوب فى انحناء مقعر نحو الداخل، بحيث تتخذ الواقية فى مجموعها شكلا يقربها من شكل الكأس أو الناقوس.

وينتصف قمه القاعدة الأسطوانية للواقية موضع قبضة اليد، التى تشبه الى حد كبير نظائرها فى النموذجين السابقين، وإن تميزت عنهما بشدة استطالتها وبدنها الانسيابى الممشوق مضلع الجوانب مسطح الأوجه، مع ملاحظة شدة تفلطحه عند منتصفه، وهو ما يمثل تطورا فى شكل ساق موضع قبضة اليد، التى يشبه طرفها العلوى عنق المزهريات الفخارية الخزفية التى ترجع إلى عصر بنى نصر.

أما عن قبيعة هذا المقبض، فبرغم أنها تحاكى من حيث الشكل نظائرها السابقة، إلا أن الأذنين قد انتصبا فى وضع رأسى منتظم، يتوسطه فراغ ضيق، بحيث يتخذان صورة جديدة تختلف عن صورتها المنفرجة فى آذان النموذجين السابقين. ومن شأن هذا التكوين أن يتيح

عنصر المتانة والثبات، وهو اتجاه التزم به الصانع فى تشكيل كل أجزاء المقبض المصنوع لأول مرة بطريقة التجميع من العاج والفولاذ والخشب.

زخارف المقبض : لوحة (٧)

أما عن زخارف هذا المقبض فقد تطورت، فبعد أن كانت فى الأمثلة السابقة بسيطة أخذت هنا تتعقد وتمتلئ بها جميع أجزائه، فهى ذات طابع ملكى تستجيب إستجابة واضحة لما كانت عليه زخارف عصر بنى نصر، التى تميزت بتعدد عناصرها وتداخلها فيما بينها، سعيا لشغل الفراغات العارية، فبرغم أن الزخارف النباتية تحتل مكان الصدارة فى زخرفة أجزاء هذا المقبض، إلا أنها تنوعت فيما بينها، حيث عمد الفنان إلى تقسيم مسطحات أوجه المقبض إلى أشرطة أو حشوات، زينها بتشكيلات زخرفية متنوعة، على نحو يثير الإعجاب، بكل جزء من أجزاء المقبض.

زخارف الواقية : (لوحة ٧)

ازدان وجها بدنها المقعر بزخارف نباتية محورة، قوامها زهرتان متراكبتان فى تدابر أشبه بزهرتى لوتس تنبثان من برعم دائرى، ويبدو الطابع التجريدى واضحا فى شكل البتلات التى تحولت في الزهرة السفلى الى بتلات رمحية مدببة. ويظهر فى الفراغ الذى يعلو البرعم الدائرى رؤوس المسامير البرونزية، المستخدمة فى تثبت الخشب على البدن الفولاذى للمقبض.

أما عن الوجه السفلى للقرص الإسطوانى الذى يعلو الواقية، فيزدان بسيقان نباتية مزدوجة، تنتهى برؤوس مدببه وخطافيه، تمتد فى خطوط منكسرة ومتموجة، بحيث تثبت مدى البراعة الفائقة فى الاستعانة بالساق كعنصر أساسى فى الزخرفة (النباتية، دون أن ينبثق منها أية توريقات أو أزهار نباتية.

زخارف موضع قبضه اليد (لوحة ٧)

أما الجزء الثانى من المقبض، وهو موضع قبضه اليد، فتعتمد زخارفه على حشوات متنوعة موزعة حتى نهايته، وتضم تلك الحشوات وحدات من عناصر نباتية قوامها توريقات تنبثق من فروع متموجة، وثمار وأزهار تملؤ ما يتخلف من فراغات، ومن هذه التشكيلات النباتية تبرز الساق المحورية الممثلة لشجرة الحياة، ومنها تخرج فروع ملتفة متداخلة، راعى الفنان فيها تطبيق التماثل في توزيعها، مما جعلها تبدو كما لو كانت متكررة، وهى فى حقيقتها متباينة حيث عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض إلى قطاعين متباينين: العلوى إزدان بأزهار لوتس ثلاثية الشحمات، تدل فى رسمها على التطور الذى طرأ عليها فى عصر بنى نصر[٨٥] ومن أبرز ملامح هذا التطور، الذى يبعدها عن أصولها المصرية القديمة استطالة الشحمة الثالثة العلوية وتحويلها أحيانا إلى شحمة رمحيه محدبه الرأس، بالغ الفنان فى شدة إلتفافها، واتسمت حركاتها بالرشاقة، بحيث تعانقت أحيانا رؤوس زهرتين معا، على نحو يذكر بمثيلاتها فى زخارف المنسوجات النصرية، والحشوات الجصية بقصور الحمراء.

وتنبت تلك الأزهار من ساق نباتية ملفوفة، تخرج من ساق محورية تذكر بشجرة الحياة، تتوزع على جانبيها أزهار اللوتس متقابلة، تطبيقا لنظرية التناسق والتماثل التى التزم بها الفنان المسلم فى رسم شجرة الحياة المنقولة عن الفن الساسانى والرومانى والبيزنطى[٨٦].

أما القطاع السفلى من المقبض، فمقسم إلى ست حشوات، ثلاثة بكل وجه، تزدان الحشوتان الجانبيتان بزخارف نباتية قوامها أنصاف مراوح نخيلية، تتألف من فصين يمتد أحدهما فى إستطالة واضحة عن الآخر، يتوسطها برعم مركزى يظهر أحياناً، ويختفى أحياناً أخرى، وينبت الفصان من ساق نحيفة متموجة، تتصل ببراعم دقيقة، وتمثل هذه الصورة أقصى ما بلغته أنصاف المراوح النخيلية فى الفنون النصرية من تطور، حيث صغرت أحجامها واشتدت فصوصها نحافة بحيث تثير بشكلها الذى أصبحت عليه وكأنها سنابل قمح، أو أجنحة طيور صغيرة تثير إعجاب الناظر المتأمل فى تكوينها.

أما عن الحشوة الوسطى من هذا القطاع، فيتوجها محارة نباتية مفصصة تتخذ شكل مروحيا رشيقا أسطوانيا تقريبا على نحو تدريجي، ينتج من تدرجها شكل يشبه شعاع الشمس، وتقوم هذه المحارة على إطار من عناصر هندسية تؤلف فى مجموعها خطوط معقوفة، منها ما نفذ على شكل حرفي L أو حرف S أو رقم ٨ .

زخارف القبيعة (لوحة ٧)

تعتمد أيضا في زخارفها على العناصر النباتية كموضوع رئيسي، وتتألف هذه العناصر من أوراق عنب خماسية البتلات [٨٧] تنبت من سيقان مستقيمة منفوفة تشبه تعاريش العنب هذا بالإضافة إلى أشكال من أوراق الاكنتش التى تنوعت أشكالها واتخذت صورتين: الاولى تميزت بانثناتها، بحيث أصبحت تشبه المراوح النخيلية، والثانية تألفت من ثلاث شحمات[٨٨].

وقد تم توزيع الموضوع النباتى فى تماثل، على جانبي القبيعة، بحيث يلتقى الجانبان من أعلى عند ثمرة أناناس. ويتوسط الموضوع النباتي تشكيل هندسي قوامه دائرة تحصر بداخلها خطوطا مجدولة، وتنتهى الدائرة من أعلى بخطوط مزدوجة معقودة الطرف، تحصر بداخلها ثمرة الأناناس سالفة الذكر .

النصـــل :

نصل هذا الخنجر مصنوع من الفولاذ المذهب، يبلغ طوله ١٩ سم، وهو نصل عريض مستقيم يتميز باستطالته وانتهائه برأس مفلطحه تشبه قط قلم البوص، حين يقطع رأسه غرضا فى بريه، بحيث يتحول قبيل نهايته إلى نصل ذى حدين.

ويعد هذا النصل فريدا من نوعه بين أنصال الخناجر الأندلسية التى وصلت إلينا حيث طرأ تطور واضح فى شكله وزخرفته، وإمتاز بجماله ودقة تنفيذ عناصره، مع إبرازها فى صورة جديدة تختلف عن نظائرها السابقة، وقد تمثل ذلك فيما يلى :

(١) إشتمل النصل على شطبتين: واحدة عريضة على شكل قناة عميقة شديدة الانحدار تمتد من أعلى النصل حتى بداية الثلث الأخير منه والشطبة الثانية عريضة عميقة ولكنها قصيرة، تمتد فى مبلان النصل، أى سطحه الذى يدخل فى الواقية، لمسافة لا تتجاوز ٣سم، وقد نتج عن ذلك وجود خطوط رقيعة مذهبه ومفصصة، كونت ضلوعاً أو أوتاراً متقاربية تبرز بروزاً طفيفاً، عكس نظائرها فى النموذجين السابقين.

(٢) تحمل صفحتا النصل خطوطا دقيقة متداخلة متباينة فى تموجات هندسية، بحيث ترسم شكلا أشبه بعقود مفصصة، تحصر بينها بقعا مختلفة الأشكال والأوضاع، ألوانها رمادية تميل إلى اللون الأبيض الفاتح، تؤلف فى مجموعها جوهر النصل الذى تشكل من خطوط ناعمة على شكل النسيج، على نحو يذكر بشكل الجوهر الدمشقى الذى شاع ظهوره على أنصال السيوف الإسلامية(٨٩).

زخارف النصل :

الجديد الذى نلحظة هنا: أن الفنان على غير المألوف فى أمثله الخناجر الأندلسية، إهتم بزخرفة نصل هذا الخنجر، بحيث يكاد يكون الوحيد، بين الأنصال الأندلسية، الذى يتميز بأن صحفته منقوشة بزخارف تجمع بين الانسجام والتنوع، ما بين عناصر نباتية وهندسية وكتابية، حيث حفر على سطحه الفولاذى المذهب أزهار لوتس محصورة داخل أشرطه دقيقة، يعلوها ويدنوها نص كتابى بخط الثلث الأندلسى(٩٠) يصعب قرأته وتطابع فى هذا النص الذى يملأ صفحتى النصل عبارات مديح وإطراء متكررة، نصها (السلامة – العز القائم – السعد القائم – العز القائم – السعد الدائم – السلامة) مع توقيع صانعه ويدعى (رضوان).

وبالتدقيق فى حروف هذا النص نلاحظ أنها تتسم بقصرها وامتدادها فى زوايا حادة يابسه، على نحو يقربها من حروف الخط الكوفى البسيط، بحيث تحاكى على هذا النحو نظائرها على سيف أندلسى، محفوظ فى المتحف الحربى بمدريد، ينسب إلى السلطان أبى عبدالله(٩١).

الجــراب (الجفن – الغمد – القراب):

لهذا الخنجر جراب طوله ٢٥.١ سم، مصنوع من الخشب المصفح بأسلاك من البرونز ومغطى بالجلد، وقد عمد الصانع إلى تقوية الجراب وتحليته بقطعتين: الأولى من أعلاه عند الجزء الذى يلبس منه فى قائم الخنجر، المعروف باسم السفن، برقبة عبارة عن إطار مجوف يتخذ شكلاً مخروطياً منتظماً بدنه، مصنوع من الخشب المبطن من الداخل بالجلد، فيما يعرف باسم الحلل والمصفح من الخارج بالفولاذ المكفت بالفضه، زخارفه عبارة عن حلقات دائرية موزعة بالتناوب على مسافات منتظمة، واحدة تضم شعار بنى نصر الكتابى (لا غالب إلا الله) والأخرى تملوها زهره زنبق.

أما القطعة الثانية فملبسه فى نهاية الجراب من أسفل، وهى عبارة عن جلدة مفرغة تعرف بالعزيقة، تأخذ نفس شكل نهاية النصل، مصفحة بالفولاذ ومكفتة بالفضة، فى شكل فصوص متراكبة تشبه حبات اللؤلؤ، ويشغل ما بين الفصوص ويتصل بها أسلاك مجدولة من البرونز المذهب تحصر بينها زخارف نباتية وهندسية، يغلب عليها الطابع التجريدى، تدور فى جميع الإتجاهات، بحيث لا تترك فراغاً دون أن تملأه، ويتعذر على غير المدقق تمييز شكلها الحقيقى.

ويستلفت النظر، فى زخارف هذا الجزء من الجراب، وجود سلكه ملفوفة من البرونز فى شكل دبلة، بداخلها صورة كائن حى ذات طابع تجريدى اشبه بشكل النسر .

أما عن بدن الجراب المرئى، المحصور ما بين رقبته وعزيقته والمصنوع من الخشب المكسو بالجلد، فقد ازدان بتوريقات نباتية محورة، قوامها أزهار زنبق وأنصاف مراوح نخيلية

متراكبة، في أوضاع متقابلة ومتدابرة، موزعة داخل أشرطة رأسية عريضة تتناوب مع أخرى ضيقة، زخارفها هندسية، قوامها أشرطة مجدولة.

ولهذا الجراب علاقة من حبل مفتول من خيوط الكتان[٩٢] يتدلى منه شرابة من خيوط الحرير[٩٣] تشبه ذوابه الطربوش، ويبدو الشكل العام لهذه العلاقة على نحو يقربها من شكل الفرنشة في الستائر الحديثة .

بعض مستلزمات الخناجر الأندلسية (لوحة ١١-١٢)

إذا كان الخنجر يعد أحيانا للقتال، فهناك عدة أنواع أخرى من الخناجر استخدمت ولازالت تستخدم، لأغراض أخرى غير القتال، منها خناجر الزينة التي كانت من مستلزمات المظهر الخارجي في المجتمعات الإسلامية، ففضلا عن كونها سلاحاً شخصياً، فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حاملها ومكانته، من خلال مقابضها وأغمادها المصنوعة من مواد ثمينة.

واستكمالا للمظهر الخارجي، لمن يحمل هذا النوع من الخناجر، أعدت لها حمائل عبارة عن أحزمة تدور حول الوسط أو الأكتاف، يعلق فيها معاليق عبارة عن جعب في شكل حقائب من الجلد المطعم بخيوط الفضة والذهب، إذ كان الخنجر لشخصيه كبيرة، وكانت هذه الحقائب تستخدم في أغراض أخرى غير حمل الخنجر، منها حفظ المتعلقات الشخصية بصاحب الخنجر ومنها المصحف والغمد، وتميزت أحزمة تلك الخناجر، او بالأحرى حقائبها، باشتمالها على إبزيمات معدنية غالبا ما تكون من الحديد المذهب.

وفي رأى أحد مؤرخي الفن: أن الصناع الاندلسيون قد تفننوا في صناعة مثل هذه الأحزمة ومعاليقها، في نهاية عصر بني نصر، اى منذ اواخر القرن ٩هـ/١٥م[٩٤]. وللأسف أن نماذج هذا النوع من الأحزمة ومعاليقها قد ضاعت مع نهب الفتن والحروب التي سقطت على أثارها مملكة غرناطة، آخر معاقل دولة الإسلام في الأندلس ولم يبق شاهدا عليها سوى حزام من عصر بني نصر محفوظ في المتحف الحربي بالقصر الملكي بمدريد، وهو مصنوع من الجلد، طوله ١١٠.٤سم، تزينه أسلاك من الفضة موزعة في صفوف أفقيه منقوطة متوازية، وعليه كتابة نسخية بخط الثلث الأندلسي في سطر واحد نطالع فيها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب إلا الله تعالى) محصور داخل خراطيش بطاقيه سداسية الشكل، ويملؤ الفراغ الواقع بين تلك الأسلاك والشعار الكتابي؛ توريقات نباتية أشبه بزهرة الزنبق، وينتهي طرفا الحزام بإبزيم من البرونز المذهب يتخذ في الطرف الأيسر شكل حلقة بيضية مصنوعة من سلك سميك، مركبة في قطعة معدنية قاعدية ينتصفها الإبزيم، وفي الطرف الآخر الأيمن عبارة عن قطعة قاعدية مربعة مسطحة، يدخل فيها الطرف الآخر من الإبزيم .

ويسترعي النظر وجود إبزيم آخر مصنوع من البرونز المذهب أيضا، استخدم كنقطة وصل بين أجزاء الشريط الحزامي وكسمه زخرفيه إضافية، ومعلق بهذا الحزام جعبه حجمها ١٢.٥سم × ١١.١سم، مصنوعة من الجلد ومرصعة بأسلاك من الفضة، تتقاطع وتتشابك فتؤلف إطارات تبدو من الخارج في هيئة حبيبات مجدولة، ومن الداخل في هيئة خطوط أو صفوف من سلكين متجاورين، وتحصر تلك الإطارات بداخلها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب

(إلا الله)، ونلاحظ فى كتابة هذا الشعار مدى التطور فى حجم الحروف، فهى تتميز بالمبالغة فى كبر حجمها، لتصبح عنصراً زخرفياً بحتاً، فضلاً عن إسباغ بعض القيم الجمالية عليها، عن طريق تزويدها بتوريقات نباتية تتفرع من نهايتها أحياناً، أو تملأ الفراغات الواقعة بينها، ونلمس ذلك على سبيل المثال والتخصيص فى حرف (الباء) فى كلمة (غالب)، فقد بالغ الخطاط فى مدها أفقياً أسفل حروف الكلمة جهة اليمين، وزودها بتوريق نباتى قوامة أنصاف مرواح نخيلية ذات فصين، كما أضفى على حروف الكلمة حيوية وأسبغ عليها جمالا حين وصل بين حرف اللام وحرف الباء بنفس التوريق النباتى.

ومن الملاحظات التى يمكن أن نستخلصها من هذا النقش؛ أنه موزع على سطرين أحدهما مقلوب يقرأ فى عكس اتجاه الآخر، ونص الأول جهة اليمين كلمة (ولا غالب) ونص الثانى (إلا الله تعالى) وعلى ظهر الجعبة صورة أصابع اليد الخمسة، التى شاع ظهورها فى معظم واجهات عمائر بنى نصر، والتى تمثل، فى رأى أحد مؤرخو الفن، كف السيدة فاطمة وكرمز إلى البركة وتحصين تلك الحقيبه وما بداخلها من السوء والضياع[٩٥] وتعليل وجودها ربما الإشادة بالتحفة التي تزيدها جمالاً وصناعة[٩٦].

وجميع هذه الزخارف، سواء على الحزام أو جعبته، ظهرت مجسمة ومنفذة بأسلوب الترصيع؛ الذى يعد من أبدع وأمير الوسائل الفنية التى أقبل الصناع، فى عصر بنى نصر، على الاستعانة بها بقصد الزخرفة.

خاتمـــــة

من خلال دراسة هذا الموضوع نستخلص بعض النتائج أهمها:

(١) أن ازدهار صناعة السلاح، بوجه عام في الأندلس؛ كان ثمرة عوامل كثيرة أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لها، وعناية حكام الأندلس بتلك الصناعة، والتي إتخذت عدة مظاهر منها: تعدد مصادر الحصول على أدوات الحرب، وإقامة دور لصناعتها في مختلف مدن الأندلس .

(٢) أثبتت الدراسة أن الصانع الأندلسي، لاسيما في الفترة النصرية، وضع بصمته على كافة منتجات السلاح الأندلسي، حتى انه من النظرة الأولي لأى من هذه المنتجات؛ ندرك أصولها الأندلسية لتميزها عن غيرها.

(٣) في مجال دراسة الخناجر: أكدت الدراسة على أن عصر بنى نصر هو العصر الذهبى لصناعة الخناجر الدفاعية أو الحربية، فى حين أصبح فى نهاية هذا العصر سلاحاً شخصيا للزينة والإهداء، أكثر من كونه سلاحاً رئيسياً يستخدم فى المعارك.

(٤) تمثل الخناجر التى تناولتها بالدراسة، معظم الخناجر الأندلسية التى وصلت إلينا حتى الآن، والبالغ عددها ستة خناجر ، معظمها ينشر لاول مرة، وكلها محفوظة فى متاحف إسبانيا، وقد قمت بدراستها عن قرب، فى اماكن حفظها بتلك المتاحف.

(٥) كان من نتائج الدراسة التحليلية، والمقارنة بين أمثلة الخناجر الأندلسية، الخروج بأن بعضها يشترك فى سمات فنية واحدة تقريبا، والبعض الآخر انفرد بسمات فنية لا نجدها فى غيرها من الخناجر ، لاسيما فى عصر بنى نصر ، الذى كان نقطة تحول فى كثير من السمات الفنية المتعلقة بمكونات الخناجر، وأساليب صناعتها وزخارفها.

فهــرس اللوحات :

١) لوحـة (١) : خنجر أندلسى عثر عليه بمدينة ألبيرة، محفوظ فى المتحف الأثرى بغرناطة مؤرخ فى أواخر القرن ٤هـ/١٠م وبداية القرن ٥هـ/١١م (تصوير الباحثة).
٢) لوحة (٢) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينـة غرناطـة، ومحفوظ حاليا فى متحفها الأثرى مؤرخ فى القرن ٥هـ/١١م ٦هـ/١٢م- (تصوير الباحثة)
٣) لوحة (٣) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة أشبيلية، ومحفوظ حاليا فى المتحف الوطنى بمدريد مؤرخ فى القرن ٧ هـ - ٨هـ / ١٣م- ١٤م (تصوير الباحثة)..
٤) لوحـة (٤) : خنجر أندلسى مـن عصر بنـى نـصر، محفـوظ فـى متحـف المتروبوليتان فـى نيويورك - (عن توريس بلباس).
٥) لوحة (٥) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد - (عن توريس بلباس).
٦) لوحة (٦، ٧) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى القصر الملكى الحربى فى مدريد - (تصوير الباحثة)
٧) لوحة (٨، ٩، ١٠) : نماذج من الخناجر الأندلسية المقلدة فى العصر المسيحى فى إسبانيا وإيطاليا - (عن فرنانديث جونثالث).
٨) لوحة (١١، ١٢) مستلزمات حفظ الخنجر الأندلسى وتشتمل على الحزام والحقيبـة، محفوظان حاليا فى المتحف الملكى بمدريد - (تصوير الباحثة).

ARCHIVI

القرن الرابع الهجري – السادس الهجري (١١م) (تصوير الباحث)

[illegible]
الهجري – الثامن الهجري (١٣م–١٤م) (تصوير الباحث)

[illegible]
في نيويورك (عن – توريس بلباس)

[illegible] سنسبه دي دون خوان في مدريد
[illegible]

[illegible]
(تصوير الباحث)

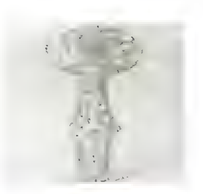

(عن – فرنديت جونثالث)

لوحة (٩) نموذج للخنجر [illegible] في متحف [illegible]

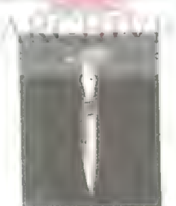

لوحة (١٠) نموذج للخنجر الاندلسي المقلد في العصر [illegible] محفوظ في متحف [illegible]
(عن - فرنانديث جونثالث)

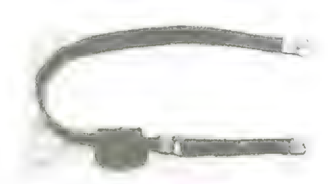

لوحة (١١) [illegible] حفظ الحجر الإسلامي محفوظة في متحف القصر الملكي الحربي بمدريد
(تصوير الباحث)

لوحة (١٢) صورة توضيحية لحقيبة حفظ الحجر
المحفوظة في متحف القصر الملكي الحربي بمدريد
(تصوير الباحث)

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية :

١) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عنان – القاهرة – ١٩٧٢ .

٢) ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبدالله) كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام – القسم الثاني – الخاص بإسبانيا الإسلامية – تحقيق – ليفي بروفنسال الطبعة الثانية – بيروت ١٩٥٦.

٣) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي) : كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس – القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن – جـ٥، نشرها بدور شالميتا – كورينطي – محمود صبح – نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط – مدريد – ١٩٧٩

٤) ابن حيان : ابى مروان بن حيان حلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الاندلس- قطعة خاصة بالحكم المستنصر – نشر عبد الرحمن الحجي – بيروت – ١٩٨٣.

٥) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – دار الكتاب – بلبنان – ١٩٨٣

٦) ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى) : كتاب الجغرافية تحقيق : إسماعيل العربي – بيروت – ١٩٧٠.

٧) ابن سعيد المغربي (على بن موسى) المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف . القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٦٤ .

٨) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة، تحقيق عبد الوهاب التازي – دار الغرب – بيروت – ١٩٨٧.

٩) ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق اويثي ميراند – محمد بن تاويت وإبراهيم الكتاني – تطوان – ١٩٦٠

١٠) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب) : قطعة من كتاب فرحه الأنفس من تاريخ الأندلس، نشر وتحقيق – لطفي عبد البديع – مجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد الأول – جـ٢– نوفمبر ١٩٥٥

١١) ابن هذيل (على بن عبدالرحمن): حلية الفرسان وشعار الشجعان – تحقيق محمد عبدالغني حسن – دار المعارف – القاهرة – ١٩٤٩.

١٢) الإدريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز): صفه المغرب والأندلس من كتاب نزهه المشتاق في إختراق الآفاق – نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد – بدون تاريخ

١٣) الانصاري السبتي (محمد بن القاسم) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار – تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٦٩ .

١٤) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك – تحقيق عبد الرحمن الحجي – بيروت ١٩٦٨

١٥) البيذق (أبو بكر على الصنهاجي): أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين – تحقيق عبد الوهاب منصور – الرباط – ١٩٧١.

١٦) البيرونى (محمد بن أحمد) : كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر – القاهرة – بدون تاريخ
١٧) الحميرى (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق - إحسان عباس – مكتبة لبنان – الطبعة الثانية – ١٩٨٤.
١٨) الزهرى (أبو عبدالله محمد بن ابى بكر) : كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق – منشورات مجلة الدراسات الشرقية – دمشق – ١٩٦٨ .
١٩) شيخ الربوه (شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى طالب الأنصارى الدمشقى): نخبه الدهر فى عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد – مصورة عن طبعة ليبنج ١٩٢٣.
٢٠) القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – نشر دار الشرق العربى – بيروت – بدون تاريخ .
٢١) القلصادى (أبى الحسن على القلصادى) : رحلة القلصادى – تحقيق محمد أبو الأجفان – تونس – ١٩٧٨.
٢٢) القلقشندى (أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، مجموعة تراثنا – بدون تاريخ.
٢٣) مؤلف مجهول / الحلل الموشيه فى ذكر الأخبار المراكشيه – تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه – الدار البيضاء – ١٩٧٩.
٢٤) مؤلف مجهول : خزانه السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبين والمماليك – تحقيق نبيل عبدالعزيز – مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٩٨٧.
٢٥) مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار – تحقيق سعد زغلول عبد الحميد – مطبعة جامعة الإسكندرية – ١٩٥٨.
٢٦) المقرى (أحمد بن محمد): نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق: إحسان عباس – بيروت – ١٩٦٨.

ثانيا : المراجع العربية :

١) أحمد الطوخى – مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر – مؤسسة شباب الجامعة – ١٩٩٧ .
٢) أحمد فكرى – مساجد القاهرة ومدارسها – دار المعارف المصرية –١٩٦٩
٣) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الاندلس – منشأة المعارف – الإسكندرية – ٢٠٠٠م.
٤) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدروع – نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – ١٤٢٢هـ
٥) بلال عبد الوهاب الرفاعى – الخط العربى (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٠.
٦) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة – ١٩٨٦ .
٧) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس – مؤسسة شباب الجامعة – إسكندرية – ١٩٩٨ .
٨) صبحى عبد المجيد إدريس – أسلحة الجيش وأدواته فى عصر الموحدين – مجلة كلية التربية بكفر الشيخ – العدد الأول – السنة السادسة – ٢٠٠٦م .

٩) عبد الرحمن زكى – النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية – مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد – المجلد الخامس – العدد ١-٢-١٩٥٧ م /١٣٧٧هـ.
١٠) عبد الرحمن زكى . الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ – المكتبة الثقافية – عدد ١٠٨ – مايو – ١٦٤.
١١) عبد المجيد نعنعى: الإسلام فى طليطلة – دار النهضة – بيروت – بدون تاريخ
١٢) عمر أغا – ملامح من تطور الخط العربى – مجلة كلية الآداب – العدد ١٨
١٣) فريد شافعى: العمارة العربية فى عصر الولاة (٣١هـ – ٣٥٨هـ) (٦٣١م – ٩٦٩م) – نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة – ١٩٧٠.
١٤) كمال عنانى : السيوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية – مجلة المؤرخ العربى – عدد ١٣ – مجلد ١ – ٢٠٠٥م.
١٥) محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٥٦
١٦) محمود فيصل الرفاعى: الأسلحة الخفيفة فى التراث العربى الإسلامى، مجله آفاق الثقافية والتراث الإماراتية عدد – ٧ – ١٩٩٤
١٧) يوسف ذى النون، خط الثلث ومراجع الفن الإسلامى – مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية – دار الفكر – دمشق ١٩٨٩

ثالثا : المراجع الأجنبية المعربة :

١) أوليفيا كونستبل : التجارة والتجار فى الأندلس – ترجمة فيصل عبدالله – مكتبة العبيكان – الرياض – ٢٠٠٠م.
٢) جروهمان – النسخ والثلث – ترجمة غانم محمود – مجلة المورد، العدد الرابع – بغداد – ١٩٨٦.
٣) ليفى بروفنسال – محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها – ترجمة محمد الهادى شعيرة –عبد الحميد العبادى– مطبوعات جامعة الإسكندرية – ١٩٥١.

رابعا : الرسائل العلمية :

١) حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر – مخطوط رسالة دكتوراه – ١٩٩٦.
٢) كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين – مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – ١٩٨٥.

خامسا : المراجع الأجنبية :

1) Allouche, (I,s): La vieeconomique et social a Grenada, Melange d'Historie et d'Archeol ogia d'occident Musulman, 1, II, 1954.
2) Basilio pavon (Maldonado): arte simbalo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985
3) Bernis (CARMEN): trajesy modas en l'a espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artesy artistas Madrid . 1979

4) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqurlalogio de Granada, Revista, Awraqs 1981

5) Etting Hausen (R): Notes in the luster are of spain, Ars opientalis, I, Washington, 1954.

6) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antiguedades vol-5 Madrid 1875

7) Golvin (Lucien) Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960

8) Gomez (Emillio Garcia) . Armas En las anales de Al – Hakam, II, Al Andalus v , XXXII, Madrid , 1967.

9) Labarta (ANA): Procescos contra Moriscas val encian, al quantra, vol,I, 1980.

10) Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, procedings of the royal society of arts , October, 1941

11) Migeon (Gaston) Manuel d'art Musulman les plastiques et industrielles , T, I, Paris 1927.

12) Soler (Alvaro) Ear dagger scabbard knife, belt , pouch , and case, Al – Andalus the art of islamic spain , new york 1992.

13) Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932

14) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jneta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943

15) Torres Balbas (Leoplade) : ARs Hispaniae , T. IV art Al Mahade, arte Nasari, art Mudejar, Madrid , 1949.

16) Torres Balbas : (leoplado) : plazas, zocosy tiendas de las ciudades Hispanomuslmans AL – Andalus – Vol , XII , 1947

هوامش البحث :

(١) المقرى (أحمد بن محمد). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق، احسان عباس – بيروت ١٩٦٨ – جـ١، ص٢٠١، ٢٠٢.

Torres Balbas (Leoplado): Ars Hipaniae t iv, art Almohade, arte Nasari arte Mudejar, Madrid, 1949.

(٢) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب – تحقيق شوقي ضيف القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٦٤ – جـ٢، ص١٩٠.

(٣) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن تاريخ الأندلس نشر وتحقيق – لطفي عبد البديع – مجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد الأول – جـ٢- نوفمبر ١٩٥٥ ص٢٩٠ .

(٤) نفس المصدر: ص ٢٨٣

(٥) الادريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز): صفه المغرب والأندلس من كتاب نزهه المشتاق فى إختراق الآفاق – نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد بدون تاريخ جـ٢ – ص٥٧٤.

(٦) الزهري (أبو عبدالله محمد بن ابى بكر) : كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق – منشورات مجلة الدراسات الشرقية – دمشق – ١٩٦٨، ص٨٨.

(٧) شيخ الربوه (شمس الدين ابى عبيدالله محمد بن أبي طالب الأنصري الدمشقي): نخبه الدهر فى عجائب البر والبحر، مكتبة لمثنى ببغداد – مصورة عن طبعة ليبج ١٩٢٣ – ص٢٤٢ .

(٨) الأدريسي : المصدر السابق – ص٥٦٢.

(٩) نفس المصدر: ص٥٥٥، (الزهري: المصدر السابق، ص١٠٣).

(١٠) الحميرى (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار فى خبر الأقطار – تحقيق إحسان عباس – مكتبة لبنان – الطبعة الثانية – ١٩٨٤ – ص٣٤٤ .

(١١) البكرى (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجى – بيروت ١٩٦٨ ص١٢٧ – المقرى : المصدر السابق – جـ١، ص١٤٢

(١٢) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة فى أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عنان – القاهرة – ١٩٧٢ – جـ١، ص٩٨.

(١٣) ابن غالب: المصدر السابق ص٣٠٨، ٣٠٩، المقرى : المصدر السابق، جـ١، ص١٤٢، ١٤٣.

(١٤) البكرى : المصدر السابق ص١٢٨، ابن غالب: نفسه – ص٣٠٩.

(١٥) أصل هذا الحجر فى الفارسية بيجادة وهو حجر كريم يشبه الياقوت وأجوده ما إشتدت حمرته وكثر بريقه (عبدالرحمن زكى: الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ – المكتبة الثقافية – عدد١٠٨، مايو ١٩٦٤ ص١٠٤ – ١٠٦.

(١٦) البكرى: المصدر السابق – ص١٢٨، القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – نشر دار الشرق العربى – بيروت بدون تاريخ – ص٤٩٧.

(١٧) يسمى هذا الحجر بالحجر الذى يقطع الدم وله إستخدامات عديدة منها أنه يستخدم فى التذهيب – البيرونى (محمد بن أحمد): كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر – القاهرة – بدون تاريخ – ص٢١٧.

(١٨) البكرى : المصدر السابق – ص٢٨ .

(١٩) المرقشيتا حجارة صلبة مفصصه وهى أنواع أجودها الذهبية وأرداها الحديدية والدنبقية (كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين – مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الأداب – جامعة الإسكندرية ١٩٨٥ – ص٢٢٢، حاشية (٥) .

(٢٠) **Imamuddin (S.M.) : the Economic of History of spain under the umayyed, Dacc 1963 , pp.167-168**

ولمزيد من التفاصيل حول الأحجار الكريمة بالأندلس راجع: كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق ص٢٢٠-٢٢٢، حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر مخطوط رسالة دكتوراه – جامعة الإسكندرية – ١٩٩٦ ص٣٦-٣٧.

(٢١) المقرى: المصدر السابق جـ١، ص٢٠٢.

(٢٢) **Migeon (Gaston) . Manuel d'art Musulman les Arts plastiques et industrielles , T, I, Paris, 1927, p.412**

(٢٣) **Migeon : Op cit , p.413**

(٢٤) عبد المجيد نيعنع: الإسلام فى طليطلة – دار النهضة – بيروت – بدون تاريخ – ص٢٢٣.

(٢٥) ابن سعيد : المصدر السابق – جـ٢ – ص٩١

(٢٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – دار الكتاب بلبنان – ١٩٨٣ – جـ٧– ص٣١٢ .

(٢٧) ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبدالله): كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام – القسم الثانى – الخاص بإسبانيا الإسلامية – تحقيق – ليفى بروفنسال الطبعة الثانية – بيروت ١٩٥٦، ص١٠١

(٢٨) المقرى: المصدر السابق جـ١، ص٥٨٥.

(٢٩) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص١٠١.

(٣٠) المقرى: المصدر السابق جـ١ ص٢٠١، ٢٠٢، الزهرى: كتاب الجغرافية: ص٨٢

(٣١) المقري : المصدر السابق، جـ١، ص٢٠٢

(٣٢) نفس المصدر، جـ١، ص٢٠٢

(٣٣) صبحى عبد المجيد إدريس – أسلحة الجيش وأدواته فى عصر الموحدين – مجلة كلية التربية بكفر الشيخ – العدد الأول – السنة السادسة ٢٠٠٦م – ص٥ .

(٣٤) الأنصارى السبتى (محمد بن القاسم): إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار – تحقيق عبد الوهاب منصور – الرباط – ١٩٦٩– ص٥١.

(٣٥) الحميرى : المصدر السابق ص٤٦١.

(٣٦) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة.

(٣٧) ابن عذارى – البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب – جـ٣ – ص١٨٥ .

(٣٨) كان هذا الديوان يعرف بديوان العسكرية أو التمييز وكان من بين من تولى زمامة هذا الديوان أبو عبدالله بن محسن كاتب الديوان فى عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدى: ابن صاحب الصلاة نفس المصدر – ص٣٤٧

(٣٩) لمزيد من التفاصيل راجع: محمد المتوني – ورقات من حضارة المرينيين – الرباط – ١٩٩٦ ص٨٥ ، صبحى عبد المجيد إدريس: المرجع السابق – ص٩ .

(٤٠) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبى) : كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس – القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن – جـ٥، نشرها بدرو شالميتا – كورينطى – محمود صبح – نشر المعهد الإسبانى العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط – مدريد – ١٩٧٩ ص٣٥٣.

(٤١) ابن حيان: أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس وقطعة خاصة بالحكم المستنصر – نشر عبد الرحمن الحجى – بيروت – ١٩٨٣ – ص١١٦–١١٧.

(٤٢) ابن حيان : المصدر السابق – القطعة الخاصة بعصر الحكم – ص١٩٦، ١٩٨، ١٩٩

(٤٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص٧٣–٨٤، حيث الإشارة فيما نقله عن ابن حيان إلى حفل الاستقبال الرسمي الذى اقامة المنصور بن ابى عامر بقصر الزاهرة بمناسبة زيارة صهره شانجه (سانشو) ملك نافارا سنة ٣٨٢هـ وذلك بقوله (توصل الملك شانجه لثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢هـ وأركب المنصور الجيوش والمطوعه لتلقيه من دخوله الى قصر الزاهره فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة حتى بهت الذى كفر وراى من وفود المسلمين وبهه اسلحتهم وجمال زيهم وكثرة عددهم ما لم يكن ظاننا أن الدنيا تجمعه .. ولا الخزائن تكنفه.. وصار بين صفى حدين حقافى الطريق أميالا ما ثم إلا الدروع السابرية والجواش المذهبة والأبطال قد لبسوا والواعد واسبغوا الحلق وعلقوا الدرق وخلفهم صفوف الرماه مشدودا عليها المناطق المذهبه والملك الرومى يقلب الطرف قد غشى قلبه ذعرا .

(٤٤) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس – منشأة المعارف – الإسكندرية ٢٠٠٠م – ص٤٢ .

(٤٥) راجع على سبيل المثال: ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى) : كتاب الجغرافية تحقيق : إسماعيل العربى – بيروت ١٩٧٠ – ص١٣٩.

المقرى : المصدر السابق – جـ١ – ص٢٠٢، السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس – مؤسسة شباب الجامعة – إسكندرية ١٩٩٨ – ص٥٧، كمال عنانى: السيوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية – بحث بمجلة المؤرخ العربى عدد ١٣ – مجلد ١ – ٢٠٠٥م – ص٢٨١، مختار العبادى – المرجع السابق ص٤٣ .

(٤٦) أوليفيا كونستيل : التجارة والتجار فى الأندلس – ترجمة فيصل عبدالله – مكتبة العبيكان – الرياض – ٢٠٠٠م – ص٢٠٨، ٣٤٧، صبحى عبد المجيد أدريس – المرجع السابق – ص٧

(٤٧) القلصادى (أبى الحسن على القلصادى) : رحلة القلصادى – تحقيق محمد أبو الأجفان – تونس ١٩٧٨ – ص١٧

(٤٨) ابن حيان : المصدر السابق – تحقيق عبدالرحمن الحجى ، ص٤٩، ١٩٧، ١٩٨

(٤٩) نفس المصدر : ص٧٩، ١٩٩

(٥٠) نفس المصدر : ص٥١

يرجع الاتصال بين الفنون الجميلة وأنواع السلاح إلى أقدم العصور، فقد اعتاد الناس منذ أيام بدايتهم الأولى أن ينقشوا على نصال أسلحتهم الرسوم والزخارف الجميلة والطلاسم والكتابات البديعة، ولعل هذه الشعوب قد لجأت إلى تحلية سلاحها بالنقوش والزخارف لإعتقادها فى سلطانها السحرى أو لعوامل دينية أخرى فضلا عما لها من أثر جميل – راجع:

Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, procedings of the royal society of arts, No.4599, Vol. LXXXIX , October, 1941, p.740

وكذلك راجع أحمد تيمور وزكى محمد حسن – التصوير عند العرب – ١٩٤٢ – ص٣٠

وكذلك راجع- عبد الرحمن زكى – النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية – مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد – المجلد الخامس – العدد ١-٢-١٩٥٧ م /١٣٧٧م – ص٢٢٧

(٥١) ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة فى أخبار غرناطة – المجلد الأول ص١٣٦

(٥٢) الترس من أسلحة الدفاع ويستخدمها المحارب فى اثناء ضربات السيوف ونحوها ويصنع من الحديد أو الخشب أو عيدان تضم إلى بعضها بواسطة خيط من القطن (مؤلف مجهول : خزانة السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك – تحقيق نبيل عبدالعزيز – مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٩٨٧ – ص٥٦ .

(٥٣) الرماح من أسلحة الهجوم الفردى وتصنع من عيدان الخشب أو الخيزران ويتراوح طولها ما بين ثلاثة إلى عشرة أذرع ويركب فى نهايتها نصل فولا ذى قاطع مدبب يطعن به (أحمد مختار العبادى: المرجع السابق ص٤٤، صبحى عبد المجيد: المرجع السابق ص١١.

وقد اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة الرماح الطويلة وعرفت فى المصادر العربية بأسماء عديدة منها العوالى والسمر (راجع: مؤلف مجهول / الحلل الموشيه فى ذكر الأخبار المراكشيه – تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامه – الدار البيضاء – ١٩٧٩ – ص١١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص١٧٧ .

(٥٤) القسى من أدوات الرمى وهى مقوسة كالهلال وتصنع من أعواد الخشب اللين والمتين ويشد فيها وتر من الجلد أو العصب الذى يكون بعنق البعير وترمى بالسهام والنبال (صبحى عبد المجيد – المرجع السابق – ص١١) والقسى عدة أنواعها أهمها نوعين قوس اليد التى تستعمل باليد وهى القسى العربية وتتميز بسرعتها فى الرمى. أما النوع الثانى فيعرف بقوس الرجل الأفرنجية وهى تدفع

بالرجلين ولذلك فهي أنسب للراجل منها للفارس لأنها أنكى من قوس اليد في حصار القلاع وعلى المراكب البحرية (ابن القيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن ابى بكر) : الفروسية، مكتبة عاطف – القاهرة – بدون تاريخ – ص١٤٠، ابن هذيل (على بن عبدالرحمن): حلية الفرسان وشعار الشجعان – تحقيق محمد عبدالغنى حسن – دار المعارف – القاهرة ١٩٤٩ ص٢١١.

Gomez (Emilho Garcia) : Armas enlos an las de Al – Hakam, II, Al andalus v , XXXII, Madrid , 1967 , p.165 .

(٥٥) المقرى : المصدر السابق جـ١، ص٢٢٣.

(٥٦) الجواشن من أسلحة الوقاية التي يستخدمها المحارب فى حماية جسده فضلا على أنها تستخدم فى تلقى ضربات السيوف والسهام ونحوها وهى تصنع من زرد الحديد في شكل حلقات متداخله بينها صفائح مستطيلة لتقويتها وتوضع فى الغالب على الصدر.

Garcia Gomez, Op cit , p.166

العبادى : المرجع السابق ، ص٤٥، ٤٦

(٥٧) استخدم الأندلسيون أعضادا أو قرابا لحفظ بعض أدوات الحرب كانت تصنع من الخشب وتغطى بنوع من الجلد اللمطى نسبة إلى حيوان اللمط الذى كان يعيش فى صحراء إفريقيا (مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار – تحقيق سعد زغلول عبد الحميد – مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ – ص٢١٤) .

(٥٨) ابن الخطيب : الإحاطة جـ ١، ص١٣٦]

(٥٩) محمود فيصل الرفاعى الأسلحة الحديثة فى التراث العربى الإسلامى، مجله آفاق الثقافية والتراث الإماراتية – عدد ٧ – ١٩٩٤ ص ٤٨.

(٦٠) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدروع – نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – ١٤٢٢هـ – ص٢٩

(٦١) ابن حيان : المقتبس – جـ٥ – نشر بدرو شالميتا ص ٣٥٢

(٦٢) المقرى – نفح الطيب – الجزء الأول – ص٣٨٢ .

Garcia Gomez : Op cit p,164

(٦٣) الأسلحة الإسلامية : المرجع السابق ص١٦

(٦٤) ابن حيان: نشر بدرو شالميتا – ص٣٥٢

(٦٥) ابن حيان: المقتبس – نشر الحجى – ص١٣٢

(٦٦) ابن حيان : نفسه – نشر بدرو شالميتا – جـ٥ – ص٢٦٨، ٢٦٩

(٦٧) ابن حيان : المصدر السابق جـ٥، ص٢٦٨

(٦٨) البيذق (أبو بكر على الصنهاجي): أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين – تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٧١ – ص٨٤.

(٦٩) المقرى: نفح الطيب – جـ٣ – ص١٥١ .

(٧٠) ابن حيان: المقتبس جـ٥ – ص٣٥٣

(٧١) المقرى: المصدر السابق- جـ ص٣٨٢.
(٧٢) البيذق: أخبار المهدى - ص٦٥، ٧٩
(٧٣) تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أسلوب الحز قد تمثل على معظم المعادن الأندلسية منذ أوائل عصر الدولة الأموية مثل التحف المصنوعة من الرصاص كالطلاسم ومن البرونز كالتماثيل وفي الشماعد وتفافيج الثريات البرونزية غير أنه في أواخر هذ العصر تراجع الإقبال على استخدام أسلوب الحز حيث نشهده فقط على بعض التحف البرونزية مثل القنانى واستمر الأمر كذلك حتى تلاشى استخدام هذا الأسلوب في عصر بني نصر: حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بنى الأحمر (١٣٨هـ - ٨٩٨هـ) (٧١٢م - ١٤٩٢م) مخطوط رسالة الدكتوراة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ - ص٣٩٥ - ٣٩٨.

(74) Torres Balbas : Ars Hispaniae p.234

(75) Torres Balbas : Ars Hipaniae , p.234

(٧٦) في عام ٨٨٨هـ/ ١٣٨٣م وقع السلطان الغرناطي أبو عبدالله محمداً أسيراً في يد الأسبان بعد هزيمته في موقعه الليسانه التي دارت بين المسلمين والنصارى ثم أطلقوا سراحة بعد أن قضى في أسرة ببلاط الملكين الكاثوليكيين فرنند وإيزابيلا ثلاثة أعوام ثم عاد إلى غرناطة بعد أن أمنو عليه كل شروطهم. وربما أخذ منه سلاحه وثيابه الملكية يومئذ عنوا لظفر النصارى وتذكارا من هذا الأسير الملكى (راجع : مولف مجهول - نبذه العصر في أخبار ملوك بنى نصر أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المعرب، تحقيق الفريد البستاني - وترجمة كار لوس كيروس - العرائشى - ١٩٤٠م- ص١٠-١٢، عبد الحميد العبادى - المجمل في تاريخ الاندلس - القاهرة - ١٩٥٨- ص١٩٢، محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٦ - ص٢٦٤

(٧٧) المقرى : نفح الطيب - جـ١، ص٤٦٤
(٧٨) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦ - ص١٤٦
(٧٩) من بين المعادن الأندلسية التى شاع تذهيبها البرونز والفضة والنحاس والفولاذ وذلك بالطريقة الثانية والثالثة في عصر الخلافة وعصر الطوائف وعصر بنى نصر وإن كان في كل عصر من تلك العصور ساد تذهيب نوع معين من المواد المعدنية فمعدن الفضه شاع تذهيبه في أواخر عصر الخلافة وعصر الطوائف ثم بدأ ينحصر ظهور الفضة المذهبه منذ عصر المرابطين وحتى نهاية عصر بنى نصر وحل محلها في تلك الفترة البرونز المذهب .
حنان عبد الفتاح مطاوع : المرجع السابق ص ٤١٠، ٤١١

(80) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jineta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943, p.162

(81) Cossan (Le Barande): Le cabinet d'armes de Maurie de Talleyrand, perigord Duc, de Dimo, Paris ,1901 , p.43

Basilio (pavon Maldonad): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985, p.434

(82) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueologio de Granada, Revista, Awraqs1981--p.p.143-147

(٨٣) من أساليب زخرفة المعادن أسلوب الطرق الذى يبدأ بقطع الصفائح حسب شكل التحفة ثم توضع الصفيحة على قالب خشبى أعدت فيه الزخارف المطلوبة سواء كانت بارزة أو غائرة ثم يدق أو يضغط ضغطاً شديداً على الصفيحة المراد زخرفتها بحيث تأخذ شكل الزخارف المنفذة على القالب الخشبى (سعاد ماهر : الفنون الإسلامية : ص١٥٢)، وقد تنوعت وسائل تنفيذ هذا الأسلوب على المعادن الأندلسية حيث نفذت زخارفها المطروقة بطريقتين الأولى إتسمت خطوطها بشدة بروزها وشكلها المقبب وأبدانها المشدوخة المنفذة فوق أرضية من خطوط زجزاجية دقيقة للغاية أما الطريقة الثانية فتختلف عن الأولى فى أن الزخارف أصبحت أقل عمقاً وأكثر تسطحاً بحيث فقدت شكلها المسنم وظهرت متعددة الشدوخ.

حنان عبد الفتاح مطاوع: المرجع السابق. ص٣٩٩

(٨٤) لقى أسلوب التركيب أو التجميع رواجا كبيرا فى صناعة التحف المعدنية منذ القرن ٤هـ وحتى القرن ٦هـ/١٠م -١٢م وتقوم هذه الطريقة فى جوهرها على تحديد شكل التحفة بواسطة نماذج وقوالب مصبوبة من البرونز او اللاطون يتم تركيبها اما بطريقة اللحام أو الضغط أو المسامير التى يخصص لها أثناء عملية الصب تجويف نافذة وقد ظهرت هذه الطريقة الأخيرة خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م وإن كنا نلاحظ أنه فى القرن ٥هـ اقتصر استخدامها على تثبيت بعض أجزاء التحف المشكلة فى صورة كائنات حية فى حين تتطور فى القرن ٦هـ/١٢م فتستخدم فى تجميع كافة أجزاء التحفة وقد تجلت هذه الطريقة المتطورة بصفة خاصة فى التحف المصنوعة من اللاطون (النحاس الأصفر) وواصلت استخدامها فى عصر بنى نصر، ولكن يجدر بالتنوية أن الفنان كان يعمد فى إخفاء المسامير المستخدمة كدعامة إقرار وتثبيت إلى تغطيتها بواسطة زخارف مخرمة .

راجع حنان مطاوع – المرجع السابق ص٣٢٠ .

(٨٥) حظيت زهرة اللوتس بقبول واسع النطاق لدى الفنان الأندلسى منذ العصر الأموى وحتى نهاية عصر بنى نصر وانفردت دون غيرها من الازهار بطابع مميز يتسم بالدقة فى الأداء وخضعت لقانون التطور أثناء مواصلة نشاطها فى مجال الزخرفة النباتية فكانت أشكالها وصورها تتطور فى سرعة جعلتها تختلف عن أصولها المصرية والقوطية والساسانية والرومانية والبيزنطية المشتقة من أصولها المصرية .

Maldonado (Basilio pavon): el arte Hispano Musulman en su decoracion Floral, Madrid, 1981 . table VIII .

(٨٦) تعد شجرة الحياة من العناصر الزخرفية التى لعبت دوراً كبيراً فى الزخرفة النباتية الإسلامية عامة والأندلسية بصفة خاصة، ويرجع استخدام هذا العنصر الزخرفى إلى أصول قديمة للغاية، فقد لعبت دورا كبيرا فى فنون المشرق حيث ظهر لها نماذج فى زخارف الفن الرومانى والبيزنطى والقوطى،

ومن المعروف أن موضوع شجرة الحياة يرجع فى حقيقته إلى أصول ساسانية حيث تمتعت هذه الشجرة فيه بمكانه سامية : راجع :

Golvin (Lucien) : Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960 , p.175

(٨٧) تعد ورقة العنب من العناصر النباتية الهامة التى كثر استخدامها فى الزخرفة الإسلامية منذ نشأة الفن الإسلامى، ولقد شاع استخدامها فى الفنون الشرقية حيث عرفها الفن الإغريقى والرومانى والبيزنطى :

راجع: فريد شافعى: العمارة العربية فى عصر الولاة (٣١هـ – ٣٥٨هـ) (٩٣٦م – ٩٦٩م) – نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة – ١٩٧٠ – ص٩٥، ولكنها لم تلبث أن تطورت تطوراً أبعدها عن صورتها فاختلفت أشكالها وتنوعت صورها وخضعت لعملية الإستنباط الإسلامية التى تعتمد على حيوية الملكات الفكرية عند العرب – راجع : أحمد فكرى – مساجد القاهرة ومدارسها – دار المعارف المصرية –١٩٦٩ – ص٣٨

وقد عنى بها الفنان الأندلسى عناية كبيرة اذ أضاف إليها الحزوز والتفصيلات العديدة التى تتمثل فى أشكال الثمار والبراعم وظهرت احمل نماذجها فى زخارف العلب العاجية والأفاريز والطرر التى تحيط بالعقود :

Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932 , p.96

(٨٨) شاع استخدام ورقة الاكنتش (شوكة اليهود) فى الفن الإسلامى الأندلسى منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ثم اختفت عن الانظار خلال العصر المغربى الأندلسى لتظهر مرة أخرى على إستحياء فى الفن النصرى حيث يمثل مقبض هذا الخنجر أروع امثلتها.

(٨٩) تنقسم الجواهر إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى الجوهر الدمشقى والفارسى والهندى لكل نوع منها عدد من الأنواع، وكان الأوربيون قد شاهدوا أثناء الحروب الصليبية النصول الإسلامية المجوهره فى أسواق دمشق، وكان من بينها النصول الدمشقية والفارسية والهندية غير أنهم أطلقوا اسم الجوهر الدمشقى Wave Damask على كل هذه الجواهر ظنا منهم أنها تصنع جميعا بدمشق، ولكن لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة سمات خاصة يتميز بها، فالجوهر الدمشقى يتسم بكثرة تموجاته التى تشبه البقع الهندسية المحكمة وألوانه المائلة إلى البياض وعدم قابليته للصدأ وليدانته وتركيبه الذى يتألف من حبوب ناعمة متقاربية المسام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض كما أنه إذا طرق نصله ظهر فيه الجوهر حسنا عكس الأنواع الأخرى فإنه كثيراً ما يمحى: راجع الأسلحة الإسلامية– معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص١٦–١٨ .

(٩٠) يعتبر خط الثلث من أهم الخطوط المدورة وقد سمى بهذا الاسم لانه ثلث الطومار الذى تقدر مساحته بأربعة وعشرون شعره من شعر البرذون والثلث يقدر بثمانى شعرات وهو نوع من أنواع الخطوط اللينة – راجع بلال عبد الوهاب الرفاعى – الخط العربى (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٠ – ص٧٥ ؛ غير أن حجمه الكبير لم يجعله مناسبا لكتابة

النصوص والمؤلفات، ولذا اقتصر استخدامه على كتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية والبسملة ونقوش واجهات العمائر والمباني والتحف الفنية – راجع جروهمان – النسخ والثلث – ترجمة غانم محمود – مجلة المورد، العدد الرابع – بغداد ١٩٨٦ ، ص١١٣-١١٤، وكذلك راجع: يوسف ذى النون، خط الثلث ومراجع الفن الإسلامي – مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية – دار الفكر – دمشق ١٩٨٩– ص١٠٧-١٠٩، وقد أطلق الخط الثلث الأندلسي على خطوط المغرب والأندلس تمييزاً له عن خط الثلث المشرقي لما تعرض له من تحويرات جمالية على يد الخطاط الأندلسي بأسلوب مخالف للأسلوب المشرقي – راجع عمر آغا – ملامح من تطور الخط العربي – مجلة كلية الآداب – العدد ١٨ – ص٨٠، ولعل ما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره المقرى نقلا عن ابن غالب من أن أهل الأندلس كانت لهم خطوط مخصوصة لهم ورونق وترتيب يشهد لصاحبه بحسن الخط والتجويد – المقرى – نفح الطيب جـ٣– ص١٥١

(91) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antiguedades, vol5, Madrid 1875, p.390

(٩٢) من المعروف أن مدينة غرناطة قد اشتهرت بنسج الكتان بل كان كتانها أجود من كتان مصر يستدل على ذلك بقول الحميرى الذى أشار فيه إلى مدى جوده كتان غرناطه عن مصر (الذى يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل إلى اقاصى بلاد المسلمين) راجع الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميرى) صفه جزيرة الأندلس منتخبه من الروض المعطار فى خبر الأقطار – نشر ليفى بروفنسال – القاهرة ١٩٣٨ – ص٢٤

(٩٣) تقدمت صناعة الحرير فى مملكة غرناطة تقدما كبيرا لاسيما فى غرناطة العاصمة التى يمتدح ابن الخطيب حريرها ويذكر أنه لا يمكن مقارنته الا بحرير العراق الذى رغم تلك المقارنة كان الأخير يقل عنه رقة ولدونة وعتاقة راجع ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) – اللمحة البدرية فى الدولة النصرية – صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب – القاهرة ١٣٤٧ – ص١٣، أحمد الطوخى – مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر – مؤسسة شباب الجامعة – ١٩٩٧ – ص٣٠٥ وكذلك راجع :

Allouche (i.s) : la vie economique et social a Grenada, Melanges d'Historie et d'Archeologia de l'occident Musulman , I, II, 1954, p.9

(94) Bernis (CARMEN): trajes y modas en la espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artesy artistas Madrid , 1979 , p.79

من المعروف أن غرناطة قد ورثت عن قرطبة فن الصناعات الجلدية لاسيما فى مدينة المرية – وكانت مالقة متخصصة فى إنتاج الأغشية والحزم والمدورات، راجع . القلقشندى (أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء – مجموعة تراثنا، الجزء الخامس ص٢١٩، وكان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم – ليفى بروفنسال – محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ترجمة محمد الهادى شعيره – مراجعة عبد الحميد العبادى– مطبوعات جامعة الإسكندرية – ١٩٥١ ص٦٦ وكذلك راجع :

Torres Balbas (leopoldo) : plazas, zocos y tiendas de las ciudades Hispanomuslmans AL – Andalus – Vol , XII , 1947 , Fasc 2, p.459

(95) Soler Alvaro : Ear dagger scabbraed knife, belt , pouch , and case Al – Andalus the art of is lamic spain , new york 1992 p.292

(٩٦) تجدر الإشارة هنا إلى أن مجمل ما وصلنا عن ما يعرف بيد فاطمة **La mano de fatima** على العمارة والفنون الأندلسية يشوبه الغموض وذلك لاختلاف الآراء حولها فبعض الباحثين يرى أن لها مدلولا دينى في الفكر الإسلامي من حيث أنها تقى من شرور الحسد والأمراض لاسيما منذ عصر الموحدين الذى شاعت فيه تلك الزخرفة فى حين يرى البعض الآخر بأنها ترمز للفظ الجلاله حيث تشبه فى رسمها الحروف التى تتألف منها ومن ثم فهى شكل من أشكال الكتابة الرمزية التى لها علاقة بالدين

Labarta (ANA) : procescos contra Moriscas, Vlenciano AL Quantra vol, I , 1980, pp. 129-138

Etting Hausen (R) : Notes On the lusterware of spain , ars orientalis I was hington, 1954, p.152

معركة الصنبرة أحداث ونتائج
(٥٠٧هـ/١١١٣م)

د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي (*)

مقدمـــــة

شهد تاريخ الحملات الصليبية - الذي امتد لمدة قرنين من الزمان (من أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري / من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) - كثيرا من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها - بإذن الله - للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

والحقيقة أن الصليبيين قد نجحوا في غزو الاراضي الإسلامية في فلسطين وبلاد الشام بسهولة، ويعود نجاحهم في المقام الأول، إلى حالة التمزق السياسي والضعف العسكري الذي كانت تعاني منه أقوى خلافتين، فقد كانت منطقة الشرق الاسلامي منقسمة، في ولائها الديني والسياسي، مابين خلافتين متناحرتين، وهما الخلافة العباسية السنية في بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وفي ظل هذا الانقسام السياسي، وغياب الوحدة الإسلامية. تمكن الصليبيون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى من تأسيس أربع كيانات صليبية وهي: الرها، وأنطاكية، ومملكة بيت المقدس، وطرابلس.

وبعد هذه الصدمة التي هزت أركان العالم الإسلامي؛ ظهرت أصوات إسلامية تنادي بضرورة توحيد الجبهة الإسلامية كحجر أساس لمواجهة العدوان الصليبي، وفي مقدمتهم: مودود بن التونتكين أمير الموصل (٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م)، حيث كان له دوره الرائد في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، إذ قام بالدعوة للوحدة الإسلامية وتسيان الخلافات الداخلية بين الأمراء المسلمين، رغبة في دفع الخطر الصليبي.

فقام بتوجيه حملتين ضد الصليبيين: الأولى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م، والثانية عام ٥٠٥هـ/١١١١م. وبالرغم من أنه لم يكتب لتلك الحملتين إلا نجاحا محدودا، إلا أنها أسفرت عن توطيد العلاقات بين مودود وطغتكين أمير دمشق (٤٩٧-٥٢٢هـ/١١٠٣-١١٢٧م).

وهذا مما شجع الأخير في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لطلب النجدة من مودود ضد بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠٠-١١١٨م) ملك بيت المقدس الذي اشتدت هجماته على دمشق، وقد سارع مودود بالخروج بجيشه من الموصل.

(*) أستاذ مساعد التاريخ الوسيط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

ولما علم طغتكين بخروج مودود سارع للقائه عند سلمية، وتوجهوا جميعا إلى طبرية. والتقت القوات الإسلامية بالقوات الصليبية حول طبرية، عند جسر الصنبرة في محرم سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وكان بلدوين قد استنجد بروجر صاحب أنطاكية (٥٠٦-٥١٣هـ/١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch، وبونز صاحب طرابلس (٥٠٦-٥٣١هـ/١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripoli، فاستجابا سريعا وقدما لنجدته، فحدثت موقعة الصنبرة الحاسمة، وانتهت بهزيمة الصليبيين، وقتل عدد كبير من رجالهم، ووقوع الملك بلدوين في الأسر، ولكنه لم يعرف فأخذ سلاحه، وأطلق أسره. وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عدد كبير من الصليبيين، فاستولى المسلمون على أموالهم وسلاحهم.

ومن خلال هذا البحث سنقف على تفاصيل أحداث معركة الصنبرة ومقدماتها ونتائجها، على الجانبين الإسلامي والصليبي، إذ تعد هذه المعركة بمثابة صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

حكم مودود للموصل وحملاته ضد الصليبيين :

عهد السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (٤٩٨ – ٥١١هـ / ١١٠٤ – ١١١٧م) بأمر الموصل إلى الأمير شرف الدين مودود بن التونتكين (٥٠٢ – ٥٠٧هـ / ١١٠٨ – ١١١٧م) في صفر عام (٥٠٢ هـ / ١١٠٨م)[١].

ومنذ ذلك الحين أخذ دوره يتضح في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكانت البداية الواضحة لذلك؛ عندما تلقى مودود الأوامر من السلطان محمد بن ملكشاه يدعوه للجهاد ضد الصليبيين بدءاً من الرها، وأمده ببعض القوات، كما أمر سقمان القطبي (٤٩٥ – ٤٩٨هـ / ١١٠١ – ١١٠٤م) صاحب خلاط[٢] وميافارقين[٣]، وإيلغازي بن أرتق صاحب ماردين[٤] (٥٠٢ – ٥١٦هـ / ١١٠٨ – ١١٢٢م). إضافة لذلك فإن السلطان محمد طلب من أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين (٤٩٧ – ٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م) أن ينضم لهذا الجيش، فاشترط أن تكون إمرة الجهاد له، لكن شرطه لم ينل القبول[٥].

وتعلل الباحثة ذلك من وجهة نظرها بعدة أمور :

- تخوف السلطان محمد بن ملكشاه من اشتداد نفوذ طغتكين، مع ظهور بوادر ميله للتقارب مع الصليبيين.
- من الأفضل أن تكون الموصل هي نقطة انطلاق القوات؛ بحكم موقعها واتصالها ببلاد الجزيرة.
- استغلال الحماس الديني والسياسي لدى مودود، لأنه حديث التولي للموصل.
- خشية السلطان محمد بن ملكشاه من تطلع طغتكين لضم الموصل إلى دمشق؛ إذا ما انتصرت القوات المتحالفة.

وبالرغم من عدم قبول شرط طغتكين؛ إلا أنه قدم بقواته لمساندة القوات الإسلامية[٦].

وقرروا التوجه بهذا الجيش نحو الرها، وذلك لخطورة موقعها بالنسبة للجزيرة[٧] فضلاً عن أن الباحثة ترى أن السلطان محمد يهدف إلى معاقبة جاولي سقاوو (٥٠٠ – ٥٠٢هـ / ١١٠٦ – ١١٠٨م) – الحاكم السابق للموصل – نظراً لتحالفه مع الصليبيين ضده، وفي الوقت ذاته الضغط على الصليبيين بالسيطرة على الرها ذات الأهمية الكبرى لهم.

ولما قامت القوات الإسلامية المتحالفة بحصار الرها، في شوال ٥٠٣هـ/١١٠٩م، أسرع أميرها بلدوين برج Baldwin of Bourg (٥٠٢-٥١١هـ/١١٠٨-١١١٨م) بطلب النجدة العاجلة من الملك بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠٠-١١١٨م) ملك بيت المقدس. فقدم الملك الصليبي لنجدتهم من بيروت ومعه تانكرد صاحب أنطاكية Tancred (٤٩٨-٥٠٦ هـ/١١٠٤-١١١٢م). وريموند الصنجيلي صاحب طرابلس Raymond of st. Gilles (٤٩٦-٤٩٩هـ/١١٠٢-١١٠٥م) وهذا مما أعطى الجيش الصليبي الضخامة في العدد.

ولذا رأى مودود أنه من الأفضل الانسحاب عن الرها، حتى يقابلوا الصليبيين بعيداً عن الحصون في المناطق المكشوفة، لكن معظم الصليبيين لم يلاحقوهم، بل اكتفوا أن رفع المسلمون حصارهم عن الرها. وذلك لأنهم فطنوا لخطة مودود[٨]، ومن وجهة نظر الباحثة أن الملك بلدوين الأول كان مشغولاً بمشروعه الخاص بالسيطرة على مدن الساحل الشامي.

وبالرغم من عدم وجود نتيجة حاسمة لحملة مودود السابقة، إلا أنها لفتت الأنظار إلى أهمية الجبهة الإسلامية الموحدة في تحقيق النصر أمام الأعداء وأن اتخاذ الخطة العسكرية المناسبة كفيل بتحقيق النصر.

وعادت القوات الإسلامية لديارها. أما الصليبيون فإنهم اخذوا، في طريق عودتهم، في تخريب البلاد الإسلامية التابعة لحلب، وفرضوا على رضوان بن تتش صاحب حلب (٤٨٨-٥٠٧هـ/١٠٩٥-١١١٣م) جزية سنوية مقدارها اثنان وثلاثون ألف دينار[٩]، يحملها إليهم مع خيول وثياب، مقابل أن يوقفوا أذاهم عن حلب، وفرضوا الجزية على شيزر[١٠] وحماة وصيدا[١١].

وبالرغم من تعهد الأمراء المسلمين بدفع الجزية المفروضة عليهم؛ إلا أن الصليبيين لم يتوقفوا عن مهاجمة حلب، بل استولوا على قلعة الأثارب[١٢] التابعة لها[١٣].

لذا توجه أهل حلب إلى الخليفة العباسي المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) يطلبون منه وقف العدوان الصليبي[١٤]، وتزامن ذلك مع وصول رسل الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (٤٧٣-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م) إلى السلطان محمد ملكشاه؛ تطلب منه نفس الطلب[١٥].

وفي الحقيقة أن وفادة الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان لم يكن غرضها محبة المسلمين أو الدفاع عنهم، إنما جاءت بعد خلافات نشبت بين زعماء الروم والفرنج على امتلاك بعض الإمارات في ساحل الشام؛ كان الروم اشترطوها على الفرنج عندما سمحوا لهم بالعبور من بلادهم في الحملة الأولى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م. فأراد الروم من هذه الوفادة أن يضربوا المسلمين بالفرنجة، وإشغالهم ببعضهم، فيستأثروا بالإمارات التي يطلبونها[١٦].

وإزاء هذه الاستغاثة؛ طلب السلطان محمد بن ملكشاه من مودود أن يخرج بجيشه لجهاد الصليبيين، وطلب أيضاً من الأمراء، في الشام والجزيرة، أن ينضموا لجيش مودود، فانضم لـه أحمد يل صاحب مراغة[١٧]، وأبو الهيجاء صاحب إربل[١٨].

وسقمان القطبي صاحب خلاط[١٩] وتبريز، فضلاً عن طغتكين صاحب دمشق[٢٠].

ويلاحظ هنا الرابطة الفعلية الجغرافية والتاريخية بين شمال الشام وشمال العراق، فهما امتداد واقعي لكل منهما، ناهيك عن أن الموصل وحلب مثلا خطاً دفاعياً استراتيجياً، فأي خطر خارجي تتعرض له حلب، سيؤثر بصورة أو بأخرى على شقيقتها الموصل، وهذا يكشف لنا عن حقيقة محورية وهي: أن غاية آمال الصليبيين أن يتعاملوا مع المسلمين ككيانات صغيرة هشة، منعزلة غير مترابطة، أما الآن فقد وضحت خاصية جغرافية وتاريخية مهمة في صورة ارتباط المدن الإسلامية أمام الشعور بالخطر الخارجي الداهم[٢١].

على أية حال سارت هذه الجيوش بقيادة مودود أوائل سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م، نحو الرها وفرضوا الحصار عليها، لكن قوة تحصينها واحتوائها على الأسلحة، وطول مدة الحصار، أجبرت مودود أن يفك الحصار عنها، والزحف نحو سروج[٢٢] وحصارها ورداً على ذلك: قام الصليبيون بمهاجمة حلب[٢٣]، فاتجه المسلمون إلى حصار حصن تل باشر[٢٤] دون أي نتيجة حاسمة لصالحهم[٢٥].

وقد تعددت أسباب فشل مودود في السيطرة على تل باشر منها :

- تزامن حصار تل باشر مع محاصرة تانكرد أمير أنطاكية لحلب، فطلب النجدة من المسلمين، فاقترح أحمد يل أمير مراغة رفع الحصار عن تل باشر والتوجه لإنقاذ حلب.
- يرى ابن القلانسي أن جوسلين، صاحب تل باشر، قد أرسل الى الأمير أحمد يل يلاطفه بمال وهدية، وسأله الرحيل عن الحصن.
- مرض سقمان القطبي وبرسق بن برسق، فانسحب كل منهما عائداً لبلاده[٢٦].

ومهما يكن من أمر، وسبب، فمن وجهة نظر الباحثة أن بقاء حلب في ظل الحكم الإسلامي خير من التفكير في السيطرة على تل باشر.

لكن مما يؤسف له، أن رضوان ماإن علم بقدوم النجدات الإسلامية حتى أغلق أبواب حلب دونهم. ولعله كان يخشى من سيطرة مودود على حلب فيفقد سلطته. فضلاً عن ذلك قام رضوان بالقبض على بعض أعيان حلب ممن شك في ولائهم له واحتجزهم في القلعة، وأوكل مهمة حماية حلب إلى جنده وأتباعه من الباطنية.

وقام بمصالحة تانكرد صاحب أنطاكية، وتحالف معه ضد القوات الإسلامية، وقام رضوان بتحريض اللصوص على مهاجمة معسكر القوات الإسلامية، ونهب من يجدونه من الجنود في النواحي المتطرفة منه[٢٧].

إن موقف رضوان السابق يعتبر موقفاً عدائياً، وذلك بإفساد حصار القوات الإسلامية وإنقاذ القوى الصليبية من ضياع هذه المدينة وسقوطها في أيديهم، وذلك بطلبه منهم، واستعجاله لهم في التقدم إلى حلب[٢٨].

ونتيجة لأعمال رضوان السابقة، قرر مودود الانسحاب بقواته عن حلب، والسير بها نحو معرة النعمان[٢٩] لقتال الصليبيين. لكن طغتكين بدأت تراوده المخاوف على دمشق من أن يسيطر عليها مودود، فشرع في مهادنة الفرنج سراً[٣٠].

وهكذا أدى التفكير في المصالح الشخصية إلى تفكك القوة الإسلامية، وكان المفروض أن يقدم كافة الأمراء والحكام، في ذلك الحين مصلحة الإسلام والمسلمين على مصالحهم الخاصة[٣١].

بعد ذلك خرجت القوات الصليبية، بقيادة بلدوين الأول، تسانده قوات طرابلس وأنطاكية والرها قرب أفامية[٣٢] أي في الجزء الأوسط من حوض نهر العاصي، فسار ابن منقذ صاحب شيزر إلى مودود وطغتكين وشجعهما على قتال الصليبيين، فرحلوا إلى شيزر، فقام المسلمون بالغارات الخاطفة عليهم، ولذا تراجع الصليبيون إلى أفامية[٣٣]. ثم عاد طغتكين إلى دمشق ومودود إلى الموصل.

وقد استأنف مودود جهاده ضد الصليبيين، فقام عام ٥٠٦هـ/١١١٢م، بحملة بمفرده لاسترداد الرها لكنه فشل، ولذا توجه نحو سروج، لكن جوسلين Joscelin صاحب تل باشر والرها (٥٠٦–٥٢٥هـ/١١١٢–١١٣١م) نجح في التصدي له وهزيمته[٣٤].

من العرض السابق لجهاد مودود قبيل معركة الصنبرة يلاحظ عدة أمور :

- عدم وجود جيش نظامي متحد من الأمراء المسلمين لجهاد الصليبيين.
- لم ترد أي إشارة عن وجود خطة تنظيمية لمقاومة العدوان الصليبي.
- أن تدعيم الجيش الإسلامي وقوته تعتمد بشكل رئيس على ما يصله من إمدادات.
- أن أمد حملات مودود قصير لا يتجاوز الشهرين.
- أن أسلوب حربه للصليبيين يعتمد على الحصار والغارات السريعة الخاطفة.
- أن الخلافات بين الأمراء المسلمين كثيراً ما تخذل مودود، وتجعل نتيجة حملاته محدودة الأثر.
- أن قادة الجهاد الإسلامي لا يلبثون أمداً طويلاً خارج بلادهم، فبعد تحقيق أي نصر يعودون سريعاً لبلادهم، وذلك تحسباً لقدوم أي غارة صليبية مفاجأة على بلادهم.

ولكل ما سبق لم تسفر الحملات الأولى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م و ٥٠٥هـ/١١١١م عن نتيجة حاسمة لأن الفرنجة حاربوا متحدين بقيادة بلدوين الأول ملك القدس، ولأن الجبهة الإسلامية لم تكن صلبة كما كانت تظهر[٣٥].

الملك بلدوين الأول ومعركة الصنبرة :

تعرضت دمشق في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لهجمات صليبية[٣٦]، ولذا استنجد طغتكين بحليفه مودود. فقام الأخير بدوره بطلب النجدات العاجلة من أمراء المسلمين بالجزيرة.

فلما سمع طغتكين بذلك خرج بقواته والتقى بالقوات الإسلامية عند بلدة سلمية[٣٧]، ومنها توجهوا صوب بحيرة طبرية، لكنهم فشلوا في ذلك بسبب قوة حصانتها، فزحفوا نحو الأقحوانة[٣٨] وعسكروا في جزيرة بين جسرين غرب بحيرة طبرية[٣٩].

ولما علم بلدوين بهذا الزحف الإسلامي، وكان محاصراً لعكا، عرض في البداية على طغتكين المسالمة والموادعة مقابل أن يمنحه بلدوين حصن ثمانين وجبل عاملة، ونظير ذلك يمنح طغتكين الصليبيين حصن الحبيس الذي في السواد ونصف السواد. وبموجب معاهدة السلام هذه يتوقف بلدوين عن الهجوم على أراضي دمشق، ويتوقف طغتكين عن مهاجمة أعمال الفرنج، ويترك التحالف مع مودود. لكن طغتكين رفض هذا العرض وظل منضماً لجيش مودود[٤٠].

ومن وجهة نظر الباحثة فان بلدوين كان يهدف من وراء هذا العرض الي تحقيق الأمور التالية:

- ضرب تحالف جيش دمشق مع الموصل.
- إضعاف جيش مودود إذا ما انسحب منه أقوى حليف.
- تفرغ بلدوين لحصار عكا، لأنه يتطلع للسيطرة على مدن الساحل الشامي.

وإزاء فشل بلدوين في التفاوض مع طغتكين فقد اضطر لترك حصار عكا، والتوجه بجيشه لصد قوات مودود، وفي الوقت ذاته طلب سرعة النجدة والإمداد من روجر الصقلي حاكم أنطاكية Roger prince of Antioch (٥٠٦ - ٥١٣هـ/١١١٢ - ١١١٨م) وبونز كونت طرابلس Bons count of the Tripoli (٥٠٧ - ٥٢١هـ/١١١٣ - ١١٢٧م)، لكن بلدوين لم ينتظر وصولهم بل سارع بالخروج بجيشه فوصل إلى جسر الصنبرة[٤١] جنوبي غربي بحيرة طبرية[٤٢]، وهناك أعد له مودود خطة عسكرية محكمة تتلخص في : أن يقيم المسلمون خيامهم في الجزيرة، ثم يرسلوا عدداً من الجند بحدود ألفين لكن يخرج منهم خمسمائة لمهاجمة الصليبيين.

ولذا تبادر إلى الملك بلدوين أن عدد الجند قليل، فجد مسرعاً نحوهم، وتظاهر الجند المسلمون بالهزيمة والتراجع نحو الجزيرة، لكن كانت المفاجأة أن خرج ألفان من جند المسلمين من كمينهم. وهذا الأمر قد غير موازين المعركة لصالح المسلمين، إذ شنوا هجوما عنيفا على الصليبيين[٤٣].

وقد تكللت هذه الخطة بنجاح، إذ أدت إلى وقوع عدد من المشاة في أيدي المسلمين، حتى إن بلدوين نفسه هرب من الأسر بصعوبة[٤٤]، فضلاً عن غرق عدد من الجند في نهر الأردن وبحيرة طبرية، حتى قدرهم المؤرخين بألف ومائتين من المشاة، وثلاثين من الفرسان[٤٥].

وعبر مؤرخي الحروب الصليبية عن هذه الهزيمة بكل ألم، حيث قال فوشيه الشارتري : «يا له من حزن عميق !! ففي ذلك اليوم جلبت علينا خطايانا الكبيرة عارا عظيماً»[٤٦]. ووصفها ابن القلانسي بقوله : «وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب منها أياما حتى صفت منه ورافت »[٤٧].

وقال وليم الصوري : «جرت مذبحة مروعة في صفوف الهاربين، حتى أن الملك ذاته ألقى بطمه الذي كان في يده إلى الأرض، وكانت نجاته هو إحدى المعجزات. وهكذا استولى العدو على مخيمنا، وعوقبنا على خطايانا»(٤٨).

من القراءة التحليلية للباحثة للنصوص السابقة يتضح لنا عدة أمور :

- عظم الهزيمة التي لحقت بالصليبيين وكثرة قتل جنودهم، حتى وصفت أرض المعركة بالمذبحة المروعة.
- تعجب واستنكار فوشيه للمصيبة العظمى التي حلت بهم.
- عجز الصليبيون عن الصمود بأرض المعركة، ولذا ولوا هاربين وفي مقدمتهم ملكهم.
- اليأس الكبير الذي سيطر على الصليبيين، لذا اعتبروا نجاة ملكهم بلدوين الأول من القتل وهروبه من المعجزات الخوارق.
- الأثر النفسي الأليم الذي تركته هذه المعركة في نفوس الصليبيين حيث سطرت في أنفسهم الحزن العميق، وهذا دلالة واضحة على انهيار روحهم المعنوية.
- استيلاء المسلمين على المخيم الصليبي وخيمة بلدوين وما فيها من أثاث وأواني فضية.
- اتفاق وليم وفوشيه أن هذه الهزيمة المنكرة، والمذبحة المروعة، قد حلت بهم كنوع من عقاب الرب لهم، لأنهم غرقوا في الخطايا والاثام.
- كثرة القتلى في الجيش الصليبي، حتى إنها أثرت في صلاحية مياه البحيرة للشرب.
- جرح عدد كبير من جنود الجيش الصليبي.
- أن سرعة فرار الصليبيين من أرض المعركة، نتيجة للذعر الشديد، أدى إلى غرق عدد كبير منهم في البحيرة.

ولنا أن نقف على أسباب هزيمة الصليبيين في معركة الصنبرة، فإن ذلك من وجهة نظر الباحثة يتمثل في عدة نقاط، وهي:

- عدم وضع بلدوين لأي خطة عسكرية لمواجهة الجيش الإسلامي، بل كان هجومه مفاجئا وعشوائيا، كما وصف : «واندفاعه ضد العدو بطريقة عشوائية متهورة»(٤٩).
- توجه بلدوين من عكا مباشرة نحو الصنبرة، دون أن يعطي جيشه فرصة للراحة وتجهيز العتاد، قبل الانتقال لجبهة أخرى.
- استعجال بلدوين بالمسير نحو الصنبرة، دون انتظار وصول قوات روجر ويونز. حيث قال وليم الصوري : «ويرجع السبب في هذه النكبة إلى الملك الذي لم يطق صبراً حتى تصل إليه النجدة اطمئناناً منه إلى شجاعته الذاتية»(٥٠). ومن وجهة نظر الباحثة أن استعجاله بالمسير بسبب خوفه من سرعة تقدم الجيوش الإسلامية، مما يعد نذيرا بتطلعهم لاسترداد بيت المقدس.
- عدم انتباه بلدوين لطبوغرافية أرض المعركة، حيث قال الشارتري : «وقد أدانوا عدم فطنة الملك»(٥١).
- فشل خطة بلدوين في ضرب التحالف الإسلامي، فلم ينجح عرضه في استمالة طغتكين لجانبه.

- لم يترك حامية عسكرية لحماية مؤخرة الجيش من أي هجوم مفاجئ.

أما بالنسبة للمسلمين فإن أسباب النصر لديهم تمثلت فيما يلي :

- اتحاد قوات الموصل مع دمشق.
- انتظار مودود لوصول النجدات الإسلامية وضمها إلى جيشه.
- حسن اختيار المناطق المحصنة، حيث تمركزوا في ناحية طبرية، وفي هذه المنطقة عسكروا عند جسر الصنبرة في الجزيرة الآمنة، كما قال عنها الشارتري : «وكانت آمنة جداً بحيث أن أي أحد يتخذ موقعه هناك لا يمكن مهاجمته، بفضل المداخل الضيقة المؤدية إلى الجسور»[٥٢].
- استخدام الخطة العسكرية المناسبة، والتي اعتمدت على عنصر المفاجأة للجيش الصليبي، بظهور بقية جنود مودود بعد ملاحقة بلدوين لهم.

وأهم النتائج لهذه المعركة :

- أنها أدت إلى ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، ولفتت أنظارهم إلى أهمية الوحدة الإسلامية في تحقيق النصر على الصليبيين، وأن جهاد مودود كان بمثابة الفجر المشرق الذي ينبئ عن بناء الجبهة الإسلامية الموحدة.
- أسهمت في تأكيد المودة ووحدة الهدف والمصير بين أمراء المسلمين، بشمال الشام والجزيرة، مع إخوانهم في العراق ووسط بلاد الشام[٥٣].
- أن عصر مودود – رغم قصره – أصبح نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي، خلال تلك المرحلة المبكرة، فقد صارت فكرة الجهاد حقيقة واقعة؛ جعلت مملكة بيت المقدس تركز قواها للدفاع عن حدودها الشمالية، فاقتصر بلدوين الأول، خلال السنوات الباقية من عمره، على الدفع عن الكيان الصليبي[٥٤].

وعن الأحداث بعد هذه المعركة: فإنه وصلت قوات روجر وبونز، وهذه القوات جددت الأمل في نفوس الصليبيين، لكن الهزيمة التي أصابت جيش بلدوين فرضت عليهما اللجوء إلى القتال غير المباشر، فقاموا بالاحتماء بمرتفعات غرب مدينة طبرية. فقام المسلمون برميهم بالنشاب، وقطعوا عنهم الميرة، لكنهم استمروا على نفس أسلوبهم في القتال. ولم يحسم هذا القتال بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين[٥٥].

ومما زاد الأمر سوءاً شدة حرارة الصيف[٥٦]، ولذا استخدم المسلمون أسلوبا آخر في القتال وهو الغارات الخاطفة، وذلك بغرض الضغط على قوات أنطاكية وطرابلس، حتى يضطروا للانسحاب، وحتى يحصلوا على غنائم يتقوى به الجيش الإسلامي، فساروا إلى بيسان[٥٧] ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس[٥٨]، كما زحفت حامية عسقلان الفاطمية على بيت المقدس، وهذا مما يضعف الجبهة الصليبية عندما تتنوع عليها أماكن الضرب الإسلامية، وتمكنت الحامية الفاطمية من الوصول إلى أسوار مدينة القدس الخارجية، وأشعلوا النيران في المحاصيل هناك. لكنهم ما لبثوا أن انسحبوا عائدين إلى عسقلان[٥٩].

ومن الواضح أنه لو كانت هناك عندئذ خطة شاملة توحد جهود القوى الإسلامية، لأمكن أن تقوم الدولة الفاطمية بعمل حربي كبير يهدد الصليبيين تهديداً خطيراً ويجعلهم بين نارين[١٠] كمن وقع بين السندان والمطرقة.

أما بالنسبة لمودود، فقد قرر العودة بقواته إلى بلاده، لأنهم مكثوا فترة شهرين دون تحقيق أي نصر يحسم الموقف، خاصة أن وصول الحجاج من بلاد ما وراء البحار، أدى إلى زيادة عدد الجيش الصليبي، بالإضافة إلى صمود رجال أنطاكية[١١]

ولكن ماسبق أذن مودود لحلفائه بالعودة إلى بلادهم، لحلول الشتاء، كي يأخذوا فترة من الراحة، ويجتمعوا به في الربيع القادم، لكن مودود مالبث أن قتل على يد أحد الباطنية في جامع دمشق [١٢].

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث المعنون معركة الصنبرة أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م. فمن خلال هذه الدراسة توصلت للنتائج التالية:

- لعبت الموصل دوراً كبيرا في تزعم مشروع الجهاد ضد الصليبيين، ودعوة أمراء الشام والجزيرة للمشاركة معهم.
- لما اتضح دور الموصل الرائد للجهاد، استغاث بهم أهل حلب عام ٥٠٥هـ/١١١١م، لدفع الخطر الصليبي عنهم.
- قاد شرف الدين مودود أعظم أدوار الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الفترة (٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨- ١١١٣م).
- إن تقديم بعض الأمراء المسلمين مصالحهم الشخصية على الصالح العام، كما فعل رضوان بن تتش وقف حجر عثرة لإتمام الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- إن الدولة العباسية، بالرغم من ضعفها إلا أنها ظلت الحارس الحامي للمسلمين، فدائما تصل للخليفة العباسي رسل الاستغاثة، وطلب النجدة ضد العدوان الصليبي.
- أوضحت الدراسة أهمية ارتباط المدن الإسلامية، كوحدة واحدة، أمام الشعور بالخطر الصليبي المشترك، ونبذ الخلافات الداخلية بينهم.
- أوضحت الدراسة أهمية تكامل الجهود بين الخليفة العباسي، وأمراء الدويلات الإسلامية المستقلة، في دفع الخطر الصليبي.
- أهمية تحقيق الوحدة بين شمال الشام والعراق لدفع الخطر الصليبي.
- كشفت الدراسة عن مدى حنكة مودود السياسية والعسكرية، في خطواته وقراراته أثناء قيادته للعديد من الحملات ضد الصليبيين.
- أثبتت الدراسة أن المكان والخطة لهم دور كبير في تحديد مصير أي معركة.
- كشفت الدراسة عن أهمية مراعاة قائد المعركة للجند في أخذ رأيهم بعد المعركة؛ بالاستمرار في الجهاد أو العودة لموطنهم.
- اتضح دور الباطنية العدائي ضد المسلمين، فكثيرا ما قاموا باغتيال قادة الجهاد الإسلامي مثل مودود عام ٥٠٧هـ/١١١٣م.

المصـــادر والمراجـــع

أولاً : المصادر العربية والمعربة

- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.
  - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١٩٦٣م.
  - الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م.
  - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م.
  - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.
  - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- أبو شامة : شهاب الدين محمد، ٦٥٥هـ/١٢٦٧م.
  - الروضتين في أخبار الدولتين، ٢ج، دار الجيل، بيروت، د(ت).
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم. ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الاول- القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،١٩٩١م.
- ابن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، ت ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
  - تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م
  - زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط١٩٥١م.
- العظيمي : محمد بن علي العظيمي الحلبي، ٥٥٦هـ/١١٦١م.
  - تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.
- أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.
  - تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
  - المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- فوشيه الشارتري :
- الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.
- ابن القلانسي : أبو يعلى حمزة بن القلانسي، ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

– ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت).
– ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م.
– البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
– ابن الوردي : أبو حفص زين الدين، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م.
– تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
وليم الصوري : – الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
– ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م.
– معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم محمد المزيني :
– إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٣ ٢٠٠٣م.
احمد عطية :
– القاموس الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،١٩٦٣م.
إرشيد يوسف راشد:
– سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
– ارنست باركر :
– الحروب الصليبية ،ترجمة السيد الباز العريني ،دار النهضة العربية ،بيروت.
– رينيه جروسيه
– الحروب الصليبية، ترجمة ،حمد أبيش، دار قتيبة، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.
– ستيفن رنسيمان
– تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
سعيد أحمد برجاوي :
– الحروب الصليبية في المشرق. دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
سعيد عبد الفتاح عاشور :
– الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م.
عصام عبد الرؤوف الفقي :
– بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٧٥م.
علية عبد السميع الجنزوري :
– إمارة الرها الصليبية، ط القاهرة، ١٩٧٥ م.
عماد الدين خليل :
– الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
فايد حماد عاشور :
– جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

محمود سعيد عمران
- تاريخ الحروب الصليبية ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،٢٠٠٦م.
مسفر سالم الغامدي :
- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.
محمد مؤنس عوض :
-الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
موضي عبد الله السرحان :
- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، دار الأوفست، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
- هانس ماير
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط ١٩٩٠م.
هنادي السيد محمود :
- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

الهوامـــش

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، جـ١٠، صـ ٤٥٧ – ٤٥٩، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، صـ ١٦٠، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م، صـ ١٧٣، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ٢، صـ ٤٣.

(2) خلاط : قصبة أرمينية الوسطى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م٢، صـ ٢٤١.

(3) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر، الحموي : معجم البلدان، م٤، صـ ٣٤٩.

(4) ماردين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة، الحموي : معجم البلدان، م٤، صـ ١٩٤.

(5) ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، جـ٢، صـ ٢٦٩، ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط٣، ١٩٩٣م، جـ٢، صـ ١٨٧.

(6) ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٦٩ – ١٧٠.

(7) ابن العديم : زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٥٤، علية الجنزوري . إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م، صـ ١٣٧.

(8) ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٦٩ – ١٧٠، ابن العديم : زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٦٥، محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢٠٠٦م، صـ ٤٥، هنادي السيد محمود : مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٩٩، ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، صـ ١٨٨.

(9) أبو الفدا : المختصر، جـ٢، صـ ٤٤، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، صـ ٢٠.

(10) شيزر : قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم. الحموي : معجم البلدان، م٣، صـ١٧١.

(11) ابن الأثير : الكامل، ج١٠، صـ ٤٨٢، ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٦٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، صـ ١٥٦.

(12) الأثارب: قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية. الحموي: معجم البلدان، م١، صـ ٨٠.

(13) ابن القلانسي: ذيل، صـ ١٧٣، العظيمي: تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م، صـ ٣٦٥.

(14) ابن القلانسي: ذيل، صـ ١٧٣، ابن العديم: زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٥٧ – ١٥٨، أرنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، صـ ١٥٤.

(15) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٤٨٣.

(16) إرشيد يوسف : سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، صـ ١٢١.

(17) مراغة: بلدة مشهورة من أعظم بلاد أذربيجان، الحموي: معجم البلدان، م٤، صـ ٢٣٨، أبو الفدا: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، صـ ٣٩٩.

(18) إربل : مدينة حصينة تعد من أعمال الموصل، الحموي : معجم البلدان، م١، صـ ١١٦.

(19) تبريز : أشهر مدن أذربيجان وهي ذات أسوار محكمة، الحموي : معجم البلدان، م١، صـ ٤٣٠، أحمد عطية : القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، جـ١، صـ ٦١.

(20) ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، صـ ١٨، ابن العديم : زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٥٨، ابن خلدون : العبر، بيروت، ط١٩٧٦م، جـ٥، صـ ٤١، ابن كثير : البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، جـ١٢، صـ ١٨٥، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ٥، صـ ١٩٩.

(21) محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، صـ ١٥٣.

(22) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر، الحموي : معجم البلدان، م٣، صـ ٤٣.

(23) ابن الأثير : الكامل، جـ١٠، صـ ٤٩٥، ابن خلدون : العبر، م٥، صـ ٤١.

(24) تل باشر : قلعة حصينة وكوره واسعة في شمالي حلب. الحموي : معجم البلدان، م١، صـ ٤٥١.

(25) ابن العديم : زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٥٨ ،ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى زكريا عبادة ، الجزء الأول – القسم الثاني ،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،١٩٩١م ،ص ١٠٣، عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م،ص٢٢٣.

(26) ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٧٥.

(27) ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٧٥، ابن العديم : زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٥٩، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، صـ ١٩٧.

(28) إبراهيم محمد المزيني . إمارة حلب، الحميضي، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، صـ ١٢٥.

(29) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. الحموي : معجم البلدان، م٤، صـ ٢٨٧.

(30) ابن الأثير : الكامل، جـ١٠، صـ ٤٨٧، عصام الفقي : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، صـ ١٤٤.

(31) فايد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، صـ ١٥٥.

(32) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكوره من كور حمص. الحموي: معجم البلدان، م١، صـ١٨٣.

(33) ابن الأثير : الكامل، جـ١٠، صـ ٤٨٧.

(34) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، صـ ١٧٣، ابن خلدون: العبر، جـ٥، صـ ٤١، مسفر الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات، جدة، ١٩٨٦م، صـ ١٤٥.

(35) هانس ماير : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، ليبيا، ١٩٩٠م، صـ ١١٤.

(36) ابن القلانسي : ذيل، صـ ١٨٤، ابن الأثير : الكامل، ج١٠، صـ ٤٩٥.

(37) سلمية : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص، الحموي : معجم البلدان، م٣، صـ ٦١.

(38) الأقحوانة : موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ جزيرة طبرية، الحموي : معجم البلدان، م١، صد ١٨٨.

(39) ابن الأثير : الباهر، صد ٨١، ابن العديم : زبدة الحلب، جـ٢، صد ١٦٣، ابن خلدون : العبر، ج٥، صد ٤٢.

(40) ابن القلانسي : ذيل، صد ١٨٤.

(41) الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لقبة أفيق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، الحموي: معجم البلدان: م٣، صد٢٠٣.

(42) ابن الأثير : الكامل، جـ١٠، صد ٤٩٦، ابن القلانسي : ذيل، صد ١٨٥.

(43) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م، صد ٢٤٨، موضي السرحان : بيروت تحت الحكم الصليبي، ط١، ٢٠٠١م، الرياض، صد٩٠، أبو شامة : الروضتين، دار الجيل، بيروت، جـ١، صد ٢٧.

(44) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، رنيه كروسيه : الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أيبش ن دار قتيبة، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٥٧.

(45) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٤٨، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العمة، القاهرة، ١٩٩٤م، جـ٢، صد ٣٠١.

(46) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٤٨.

(47) ابن القلانسي : ذيل، صد ١٨٥.

(48) وليم الصوري : الحروب الصليبية، جـ٢، صد ٣٠١.

(49) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٤٩

(50) وليم الصوري : الحروب الصليبية، جـ٢، صد ٣٠١.

(51) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٤٩.

(52) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٤٨.

(53) مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين، صد ١٤٨ – ١٤٩.

(54) هنادي السيد : مملكة بيت المقدس الصليبية، صد ١٠٤ – ١٠٥.

(55) ابن الأثير : الكامل، جـ١٠، صد ٤٩٦، وليم الصوري : الحروب الصليبية جـ٢، صد ٣٠١.

(56) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٥٠.

(57) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي، الحموي : معجم البلدان، م١، صد ٤١٤.

(58) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٥٠، وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٢، صد ٣٠٢.

(59) فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي، صد ٢٥٠، وليم الصوري : الحروب الصليبية، جـ٢، صد ٣٠٢.

(60) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م، جـ١، صد ٢٦٠.

(61) فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي، صد٢٥١–٢٥٢، وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، صد ٣٠٣، سعيد برجاوي:الحروب الصليبية في الشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، صد ٢٢٨.

(62) العظيمي: تاريخ حلب، صـ ٣٦٦، وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، صـ ٣٠٣ ،ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٧، ص١٢٣.عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص٢٢٦.

مدارس أسيوط في العصر المملوكي

د. محمد أحمد محمد أحمد الكردوسي (*)

أولاً: ظهور المدارس في أسيوط

من الثابت والمعروف، لدى كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، أن المدارس ظهرت في مصر لأول مرة مع بدايات العقد الرابع من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في العصر الفاطمي، وأنها أنشئت في الأصل للدعوة للمذهب السنّي، وكان في طليعتها مدرستان سنيتان تأسستا بالإسكندرية[١].

وهناك من الباحثين من يُقر بوجود المدارس في أسيوط منذ ذلك العصر، فيقول الدكتور محمد زغلول سلاّم[٢]: إن الخليفة الفائز[٣] الفاطمي بنى بأسيوط مدرسة عُرفت باسمه "الفائزية"، تولى التدريس بها بعض الشيوخ والعلماء. ويرى باحث آخر أن سبب بنائها إنما جاء تمشيا مع رغبة الخلفاء الفاطميين في بناء المدارس بصعيد مصر، بعدما أخذ المذهب الشيعي ينتشر في تلك البلاد، حتى اعتنق أعداد كبيرة من أهلها هذا المذهب[٤].

وليس لدينا في الواقع من المادة المصدرية ما يجعلنا نقطع بأن الخليفة الفائز الفاطمي بنى مدرسة بأسيوط، أو حتى إن المدارس ظهرت أساسا في أسيوط في العصر الفاطمي، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماما من أية إشارات تفيد بوجود مدارس في أسيوط في ذلك العصر. ويبدو أن ما أورده الدكتور سلاّم، بخصوص مؤسس الفائزية، كان رأيا استنتاجيًا ارتكز فيه على مسمى المدرسة نفسه، حيث اعتبر تسميتها بالفائزية أمرا يشير إلى الخليفة الفائز الفاطمي، والمدهش أنه أورد ذلك في كتابيه: الأدب في العصر الأيوبي، والأدب في العصر المملوكي، في حين لم يشر إلى ذلك في كتابه المُعَنْون بالأدب في العصر الفاطمي، وكل ما أورده في ذلك الكتاب الأخير بخصوص وجود مدارس في أسيوط في ذلك العصر: أنه نقل عن الوطواط[٥] قوله: "مدينة أسيوط على غربي النيل، بلد فرح بهج، خطر، جليل، به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس...". ومعلوم أن الوطواط (أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن عليّ) لم يعش في العصر الفاطمي، حيث ولد سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م وتوفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م.

ولهذا فإن القول بأن الخليفة الفائز الفاطمي هو باني المدرسة الفائزية؛ قول بحاجة إلى تدقيق ومراجعة، فالخليفة الفائز، المشار إليه، ولي الخلافة في الخامسة من عمره، ولم تزد فترة

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة أسيوط.

خلافته عن ست سنين ونصف (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م)، ومات وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وست أيام، أي أنه كان طفلا صغيرا[٦].

ولو أضفنا إلى ذلك ما اعترى هذا الطفل من اضطراب عقلي عند توليه الخلافة، ما شهدنا على أنه باني تلك المدرسة. وسبب ذلك الاضطراب كما يقول المقريزي[٧]: "إن أباه لما قُتل وبكّر عباس (أي الوزير أبو الفضل عباس) إلى القصر وفحص عن الخليفة الظافر وقتل أخويه وابن عمه لينفي عن نفسه وابنه التهمة، واستدعى ابن الظافر هذا وحمله على كتفه وله من العمر نحو الخمس سنين، ووقف به في صحن القاعة وأمر الأمراء فدخلوا عليه. فلما مثلوا بالقاعة قال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قُتل أبوه وعماه، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل. فقالوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل وداخله من تلك الصيحة، مع ما شاهده من رؤية عمه والخدام وهم في دمائهم ما خبل عقله، وبال على كتف عباس، فسيّروه إلى أمه؛ وأقام مختلا يُصرع وجدته تكفله".

هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تكن المدارس قد انتشرت في مصر في تلك الآونة، ومن المستبعد أن تكون أسيوط قد شهدت بطبيعة الحال بناء مدارس فيها في العصر الفاطمي، فمن المعلوم أن المدارس وإن كانت ظهرت في مصر مع أواخر العصر الفاطمي؛ إلا أنها لم تأخذ في الانتشار إلا بعد قيام الدولة الأيوبية، حيث عمد سلاطينها إلى الإكثار من بناء المدارس، لنشر المذهب السنّي ومحاربة المذهب الشيعي، وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أنشأ عدة مدارس بالفسطاط والقاهرة، ثم اقتدى به أولاده، وأمراؤه، في بنائها "بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر"[٨].

وبناء على ما سبق، لا نميل إلى الأخذ بالقول إن المدارس ظهرت في أسيوط منذ العصر الفاطمي، والأرجح أن ذلك كان في العصر الأيوبي؛ الذي جاء مقرونا بانتشار المدارس في ربوع مصر شمالا وجنوبا. ويقف معنا شاهدا ودليلا على صحة ذلك، تلك الإشارات المتفرقة التي دلت على وجود مدارس في أسيوط في العصر الأيوبي، لعل أبرزها ما ورد بخصوص المدرسة "الفائزية"، حول قيام العالم المغربي "نجم الدين أبو نصر الأموي المعروف بالقصري"[٩] بالتدريس فيها بأواخر العصر الأيوبي وبدايات العصر المملوكي؛ وذلك بعد أن ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العلم، فسافر إلى تونس وأقام بها مدة، ثم قدم دمشق وتفقه بها، ودخل حماة وبغداد ودرّس بها[١٠]، ثم انتهى مطافه العلمي بدخول الديار المصرية سنة ٦٤٣هـ[١١]/١٢٤٥م، حيث حط رحاله بمدينة أسيوط ودرّس بمدرستها "الفائزية"، ثم عُين قاضيا لها، وظل بها إلى أن تُوفي سنة ٦٦٣هـ[١٢]/١٢٦٥م.

وليس ثمة شك في أن مثل تلك الإشارات المصدرية الواردة بخصوص التدريس بالمدرسة الفائزية بأسيوط، في تلك الفترة، تحملنا على التسليم بوجود مدارس في أسيوط في العصر الأيوبي، لكن مما يؤسف له أننا لم نعثر، في المصادر التي بين أيدينا، على ما يدلنا على بداية ظهور المدارس في أسيوط خلال ذلك العصر، أو حتى ما يُعرّفنا إن كانت المدرسة الفائزية هي

أول مدرسة بُنيت في أسيوط أم لا ؟ والأدهى من ذلك: أن تلك المصادر لم تشر حتى إلى مؤسس الفائزية نفسها .

وعلى الرغم من هذا، وبحكم أن المدرسة الفائزية تعتبر أقدم مدرسة في أسيوط وردت إشارات إليها في المصادر التي بين أيدينا حتى الآن، أرى من الأهمية بمكان محاولة معرفة مؤسسها بطريق الاستنتاج. ولنبدأ ذلك بتحديد الإطار الزمني الذي تأسست فيه فائزية أسيوط، ولبكن هو الفترة المحصورة بين سنتيّ ٥٨٩هـ/١١٩٣م و٦٤٣هـ/١٢٤٥م، فالأولى تمثل . فيما نراه صحيحا . الحد الأدنى لتاريخ تأسيس الفائزية، بوصفها السنة التي أنهت حكم السلطان صلاح الدين، ومن المستبعد بناء تلك المدرسة في عهده، والأجدر أن تكون بُنيت في عهد خلفائه، وذلك استنادا إلى ما أورده المقريزي[١٣] من أن السلطان صلاح الدين أنشأ عدة مدارس بالفسطاط والقاهرة، ثم اقتدى به من بعده أولاده، وأمراؤه، "في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر"، أما السنة الثانية فيمكن اعتبارها الحد الأقصى لتاريخ تأسيس هذه المدرسة، ولا يمكن أن يكون بناؤها بعده، لأنه في تلك السنة جاء العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي إلى مصر، ودرس بالمدرسة المذكورة بأسيوط[١٤]، وهذا معناه أنها كانت موجودة بالفعل في تلك السنة.

وبالتنقيب في المصادر، عبر الإطار الزمني الذي تم تحديده آنفًا، لم يصادفنا غير رجلين من الممكن أن يُنسب لأحدهما تأسيس الفائزية بأسيوط، وذلك من حيث مُسمّاها، ومن حيث وجود علاقة لكلا الرجلين بالصعيد، الأول منهما هو: الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م)، وكان يربطه بالصعيد تلك الاقطاعات[١٥] التي أقطعها له والده هناك، والتي تمثلت في إقطاعه "الأعمال القوصية"[١٦]، وإن كان وجود تلك الاقطاعات في الأعمال القوصية يجعلنا نستبعد نسبة الفائزية اليه، فلو كانت تلك الاقطاعات في السيوطية لكان من السهل علينا قول ذلك.

أما الرجل الثاني فهو: الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد، الفائزي، الذي خدم الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل كاتبًا، ونُسب إليه بالفائزي، ثم خدم من بعده السلطان "الكامل" ثم ولده "الصالح نجم الدين أيوب"، وتدرج في الوظائف حتى صار وزيرا للسلطان "المعز أيبك التركماني" سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م مع بداية دولة المماليك البحرية. ولما قُتل المعز، باشر الوزارة لابنه "المنصور عليّ" أياما، ثم قَبض عليه سيف الدين "قطز" مدبر دولة المنصور وصادره، وسجنه، فمات في حبسه مخنوقًا سنة ٦٥٥هـ[١٧]/١٢٥٧م.

وذاك الرجل الثاني نتوقع، بنسبة كبيرة، أن فائزية أسيوط تُنسب إليه، والذي حدا بنا إلى ذلك التوقع، فضلا عن مُسمّاها، ما لمسناه في سيرته من وطيد علاقة كانت تربطه بأسيوط، فهو أسيوطيّ النشأة والهوى، والمتتبع لسيرته في المصادر يمكنه أن يلمس ذلك، فقد ورد عنه أنه كان من جملة نصارى صعيد مصر، وعمل كاتبا على المصايد بأسيوط[١٨]، ثم قدم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة، ثم وُلي بعض أعمال ديار مصر[١٩]، وهذه الأخيرة لم تفصح عنها المصادر، وقد يكون من بينها أسيوط، أو غيرها، من أعمال الوجه القبلي القريبة

منها. وربما تتأكد لنا علاقته الوطيدة بأسيوط والصعيد، في صورة أوضح، بعد توليه الوزارة وخروجه على رأس العساكر إلى تلك البلاد لمحاربة بعض الأمراء الخارجين على الدولة هناك[٢٠].

زد على ذلك: أن هذا الرجل كان عنده حسن تدبير، وسمو نفس، وأريحية، وكرم طباع[٢١]، كثير الصدقات والبر والصلات[٢٢]، فأولى اهتماما بالإنشاء والتعمير بدافع فعل الخيرات، سواء قبل توليته الوزارة أو بعدها، فيما يُجسّده لنا تلك المدرسة التي بناها بمصر (الفسطاط) سنة ٦٣٦هـ[٢٣]/١٢٣٨م أو ٦٣٧هـ[٢٤]/١٢٣٩م، والتي نسبت إليه بالفائزية، وكذلك القيسارية التي أنشأها بالقاهرة[٢٥]، والتي وُسمت على اسمه بقيسارية الفائزي، وهذا يجعلنا نزيد في ترجيحنا، إلى حد التأكيد مرة أخرى، على توقعنا أن فائزية أسيوط تنسب إليه، وأنها كانت من بين منشآته المعمارية الخيرية التي بناها قبل أن يلي الوزارة، فقد سبق وأسلفنا أن تلك المدرسة كانت موجودة بالفعل سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م.

وغاية القول، إن وجود المدرسة الفائزية بأسيوط في تلك الآونة، يُعدّ مؤشرا على كون أسيوط واحدة من الأعمال أو البلدان التي حظيت بظهور المدارس فيها منذ العصر الأيوبي، لاسيما وأنها كانت، وما زالت، واحدة من أبرز الحواضر المصرية في الصعيد.

ثانيا: أشهر مدارس أسيوط في العصر المملوكي

سار سلاطين المماليك، وأمراؤهم وأتباعهم، على نهج أساتذتهم الأيوبيين في بناء المدارس[٢٦]، وشهدت مصر في عصرهم ازدهارا غير مسبوق في الحركة المدرسية، حيث أكثر السلاطين والأمراء، وأصحاب اليسار من الأعيان وغيرهم، من تشييد المدارس في الوجهين البحري والقبلي[٢٧]. وبلغ من انتشار المدارس في الوجه القبلي أنه كان من الميسور على تلك المدارس استيعاب أعداد الطلبة، بما في ذلك الوافدين على هذه البلاد من طلاب العلم[٢٨]. وكانت أسيوط واحدة من بلاد الوجه القبلي التي تميزت بمدارسها في تلك العصر، وقد وردت بالمصادر إشارات دلت على انتشار المدارس بها زمن المماليك، منها مثلا قول الوطواط[٢٩]: "مدينة أسيوط على غربي النيل، بلد ... به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس"، وقول ابن دقماق[٣٠]: "وبها عدة مدارس"، وقول القلقشندي[٣١]: "وبها مساجد ومدارس".

والمحاولة تنصب هنا على تتبع أشهر مدارس أسيوط التي وردت مسمياتها عبر إشارات مصدرية أو مرجعية، مع تفنيد هذه الأخيرة على أضواء الأولى وعلى ما لدينا من معطيات واقعية، من خلال ما قمنا به من زيارات ميدانية لمنطقة أسيوط القديمة، فذلك كله يساعدنا في رسم صورة واضحة لتلك المدارس، من حيث نشأتها وموقعها وتطورها، وهي في الحقيقة مجموعة مدارس لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى تركيز اهتمام مؤرخي العصر المملوكي على مدارس العاصمة المملوكية، دون التطرق إلى مدارس الأقاليم، لدرجة أن كثيرا منها لم يحظ حتى بذكر أسمائها في المصادر. وعلى أية حال فلنفسح المجال هنا للتعرف على أشهر مدارس أسيوط زمن المماليك.

١ - المدرسة الفائزية

تُعد المدرسة الفائزية من أشهر مدارس أسيوط وأقدمها، أنشأها شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي في أواخر العصر الأيوبي على نحو ما أسلفنا، واستمرت تلك المدرسة تؤدي رسالتها العلمية والثقافية زمن المماليك. وكان مبناها[٣٢] يقع أمام الجامع العمري[٣٣] أو المسجد الأموي[٣٤]، أو الجامع الكبير كما اصطلح الناس على تسميته.

وممن تولى التدريس بها في العصر المملوكي؛ الشيخ نجم الدين أبو نصر الأموي، وظل يُدرّس بها إلى أن توفي بأسيوط سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، وكان يُدرّس فيها الفقه على مذهب الشافعي، والأصول والنحو والعروض والحكمة والمنطق[٣٥] وإشارات ابن سينا[٣٦].

وممن أُسند إليه تدريسها أيضا، الصلاح الحسني السيوطي، محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مظهر (٧٨٣-٨٥٦هـ/١٣٨١-١٤٥٢م)، الذي أورد عنه السخاوي[٣٧] أنه ولد ونشأ بأسيوط، وقرأ القرآن وتلقى تعاليمه الأولى بها، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس على أيدي علمائها، ثم عاد إلى أسيوط وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، فلقي تركيا سكرانا فراجعه كلاما فطغى عليه فقتله، فانتقل بأهله إلى القاهرة فقطنها، وبرع في كثير من العلوم والفنون، وكتب الخط الحسن ونسخ به الكثير لنفسه ولغيره، وكان يقتات منه لتخليه عن الوظائف الدنيوية، لكنه وُلّي بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م تدريس مدارس بأسيوط ونظرها، وكان من بينها المدرسة الفائزية، "فلم يتم له ذلك، فاستمر منقطعا عن الاقتيات بالكتابة إلى أن بنى قراقجا الحسنى[٣٨] مدرسة ... وجعله خطيبها وإمامها وكفاهُ مؤونة كبيرة".

وتستوقفنا هنا العبارة الأخيرة الواردة في كلام السخاوي - سالف الذكر- لأنها تدل على أنه على الرغم من إسناد تدريس المدرسة الفائزية، وبعض المدارس الأخرى بأسيوط، إلى الصلاح الحسني بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، إلا أنه لم يقم بالتدريس في تلك المدارس بالفعل، كما ظنّ بعض الباحثين[٣٩]، ولو كان الصلاح الحسني قد مارس مهنة التدريس بها، أو النظر عليها، لرأينا على الأقل إشارة إلى ذلك بكتب التراجم التي وردت بها تفاصيل عن حياته العلمية والعملية، منذ ولادته بأسيوط وحتى وفاته بالقاهرة[٤٠]. والراجح أنه تم تنحيته عن هذه المدارس قبل أن يتوجه إليها، وهذا ما توضحه بجلاء عبارة "فلم يتم له ذلك" الواردة في كلام السخاوي، وقد يكون سبب ذلك سعي غيره من العلماء لتولي تلك المدارس بدلا منه، بوصفها من المدارس المتميزة في صعيد مصر، مستغلين عزوفه عن الوظائف الدنيوية، وتخوفه مما قد يجابهه من مشكلات عند عودته لأسيوط، بسبب قتله رجلا تركيا فيها منذ زمن مضى.

٢ - المدرسة الشريفية

أنشأها زين الدين محمد بن أبي بكر علي بن محمود الجعفري، المتوفى سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، وهو من أبناء أسيوط، وأحد قضاتها المشهورين، تفقه على الدمنهوري[٤١]، وكتب الخط الحسن، وشارك في الفضائل، وبنى بأسيوط المدرسة المذكورة، ونسبت إليه[٤٢] بالشريفية لانتمائه إلى السادة الأشراف (آل البيت)، كما هو واضح من اسم الجعفري الوارد في

نسبه. ويزداد ذلك وضوحا عندما نعلم أنه ابن عم شرف الدين عبد الوهاب، والد جلال الدين، الشريف الجعفري الزَّيْنبي الأسيوطي[٤٣].

يقول ابن حجر العسقلاني[٤٤] عن زين الدين مؤسس تلك المدرسة: إنه زين الدين بن الناظر الأسيوطي، وهذا القول بحاجة إلى مراجعه، لأن ابن الناظر الأسيوطي رجل آخر غير زين الدين، وعاش في فترة لاحقة له، وربما حدث خطأ أو خلط بين الرجلين من كون اسم كل منهما محمد بن أبي بكر، لأن ابن الناظر كما يقول عنه السخاوي[٤٥]هو "مُحمَّد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن عبد الغفار بن يحيى بن إسماعيل، الشريف الحسني المغربي، الفاسي الأصل، الصعيدي المالكي، نزيل الحجاز ويلقب أبوه بالناظر. ولد في يوم الجمعة سابع عشر جُمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، في نواحي الصَّعيد من بلاد مصر وربي في نواحي أسيوط من بلاد الصعيد ... وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين ... وارتحل لدمشق في سنة أربع وأربعين ... ثمَّ عاد لمصر وركب البحر من القصير، في سنة ثمان وأربعين، فدخل لبندر يَنْبع، فاتصل بصاحبها الشريف معزى، فجهزه للحج، ثمَّ زار النَّبي صلى الله عَليْه وَسلم، وأقام عند معزى، يُقرئ أولاده، إلى أن لقيه البقاعي في ربيع الآخر من التي بعدها ... وما علمت شيئا من خبره بعد ذلك".

أما عن موقع المدرسة الشريفية بأسيوط، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماما من أية إشارات إليه، ونتوقع أنها كانت بدرب الشريفة، الذي من الواضح أنه سُمي كذلك لوجودها به، وهو درب مشهور ومعروف بأسيوط القديمة، وبه مسجد صغير يعرف بمسجد الشريفة، بُني مكان المدرسة الشريفية، وبمرور الزمن دَرَج الناس على تسميته بمسجد الشريفة بدلا من الشريفية[٤٦].

وممن أسند إليه تدريس تلك المدرسة، الصَّلاح الحسني السيوطي، مُحمَّد بن أبي بكر بن عليّ بن حسن بن مطهر، وكان ذلك بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، عندما أسند إليه تدريسها مع مدارس أخرى بأسيوط[٤٧]، لكن لسوء الحظ لم يتمّ له التدريس بتلك المدارس، كما سبق وأوضحنا في سياق الحديث عن المدرسة الفائزية.

ومن بين مُدرسيها المشهورين في العصر المملوكي، جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، المتوفى سنة (٨٤٧هـ[٤٨]/١٤٤٣م)، ووالده ابن عم زين الدين مؤسس تلك المدرسة كما أسلفنا. ومما يجب ذكره هنا، أن جلال الدين هذا ليس هو جلال الدين الأبْشيهي، كما اعتقده أحد الباحثين[٤٩]، لأن جلال الدين الأبْشيهي هو الجلال أبو الفضل بن البدر بن فتح الدين أبي الفتح، الشافعي، نزيل القاهرة[٥٠]، ولم يرد عنه أنه دَرّس بأسيوط أو حتى زارها من الأصل.

وهناك من يعتبر أن الشيخ شرف الدين شارح المنارات (ت٨٤٧هـ/١٤٤٣م) تولى التدريس بتلك المدرسة[٥١]، لكن تلك المقولة بحاجة إلى مراجعة[٥٢]، لأن شرف الدين المذكور لم يُدرِّس بها إطلاقا، وهو من علماء قُريم[٥٣]، وتوفي بمدينة أدرنة[٥٤] التركية.

٣ـ المدرسة الخضيرية:

تُعد تلك المدرسة من بين المدارس التي عُرفت بأسيوط في العصر المملوكي، أوردها السخاوي[٥٥] تحت مسمى "البدرية الخُضيرية"، وتبعه في ذلك علي مبارك في خططه[٥٦]. وهناك

من المؤرخين المحدثين من قسم ذلك المسمى نصفين، معتبرين أن البدرية مدرسة، والخُضيرية مدرسة أخرى[٥٧]، والراجح أنهما مدرسة واحدة عرفت بالخُضيرية وبالبدرية، كما هو ثابت بالمصادر، وإن كانت شهرتها بالخُضيرية أوسع وأعم.

وليس لدينا في الواقع أية معلومات عن سبب تسميتها بالبدرية، أما بخصوص تسميتها بالخُضيرية وفيما يتعلق بتاريخ إنشائها، فيرى أحد الباحثين – من خلال مطالعته لعدد من حجج الوقف الخاصة بتلك المدرسة في العصر العثماني – أنها وردت في الوثائق تارة مسبوقة بكلمة مسجد، وتارة مسبوقة بكلمة مدرسة، ويُرجح أن مبناها كان مسجداً مخصصاً للصلوات الخمس، ومدرسة لتعليم علوم القرآن واللغة، خاصة وأن الخُضيرية، إحدى الطرق الصوفية التي كانت موجودة بمصر في العصر العثماني، قد اتخذت من هذا المسجد مقراً لها[٥٨].

وهو بذلك يؤصّل لتلك المدرسة من حيث النشأة والتسمية على أنها تعود إلى العصر العثماني، مستندا في ذلك، على حد قوله، إلى أن أقدم ذكر لها، في حجج الوقف الخاصة بها، يرجع إلى ١٩رجب سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م، حيث تشير حجة مؤرخة بهذا التاريخ إلى قطعة أرض مقدارها ثمانية قراريط، موقوفة على مسجد الخُضيرية[٥٩].

والحقيقة أن تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي، وليس إلى العصر العثماني، فقد يكون استدل هو، بوصفه متخصصا في علم الآثار، من خلال مبناها على ما يوحي بأنها عثمانية الشكل من حيث طرازها المعماري، لكن هذا قد يكون من جراء إضافات أو تجديدات طرأت على مبناها زمن العثمانيين، لكنها هي في الأصل مملوكية، وهي مدرسة وليست مسجدا، وقد أوردها السخاوي في كتابه الضوء اللامع[٦٠] على أساس أنها مدرسة كما ذكرنا آنفا. وربما أطلق عليها مسجد من جراء التشابه الكبير ما بين المسجد والمدرسة، نتيجة تأثر عمارة المدارس بعمارة المساجد والجوامع في العصر المملوكي، والذي لم يقف عند حد تخطيطها فحسب، وإنما أيضا في انتقال بعض الوحدات والعناصر من المساجد والجوامع إلى المدارس، مثل: المئذنة والمنبر، ودكة المُبلِّغ أو المُؤذن، وخلوة الخطيب وكرسي المصحف[٦١] لدرجة أن من المدارس ما كان على شكل المسجد تماما، ومن هنا وجدنا المدرسة الخُضيرية يطلق عليها، في الوثائق العثمانية، كلمة مسجد في بعض الأحيان.

وعلى أية حال فما دامت تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي؛ فنرجح أن بانيها أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، العالم الجليل، صاحب التآليف والتصانيف المشهورة، لاسيما وأن أجداده كان يُطلق عليهم الخُضيرية أو الخضرية، ويتضح هذا بجلاء عند قراءة ترجمته لنفسه، أو لوالده كمال الدين أبو بكر (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، في أكثر من مؤلَّف له[٦٢]، لاسيما في كتابيه "حسن المحاضرة" و"التحدث بنعمة الله"، وعلى وجه الخصوص الكتاب الثاني منهما، الذي وضعه السيوطي ليتحدث فيه عن نفسه وعن نسبه وعائلته وبلد والده، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بحياته، والذي علمنا من خلاله، ومن غيره، معلومات تفيد بأن جدّه الأعلى الشيخ همام الدين الهمام الخُضيري، وهو الجدّ الثامن له[٦٣]، تعود نسبته بالخُضيري إلى محلة ببغداد، تعرف بالخُضيرية أو الخضرية[٦٤]، على حد قول

الشيخ جلال الدين السيوطي، خاصة وأنه سمع من مصدر موثوق به، عن والده، أن جدّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق[٦٥].

ولو ربطنا ذلك بما ساقه السيوطي[٦٦] في موضع لاحق في ثنايا ترجمته لوالده، لتبين لنا بالفعل أن أحد أجداده هو باني المدرسة الخُضيرية بأسيوط، إذ يقول عقب انتهائه من الحديث عن جدّه الهمام الخُضيري: "وأما من دون جدي المذكور من أجدادي، فقد كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من وُلي القضاء بأسيوط، ومنهم من وُلي الحسبة بها، ومنهم من كان في صحبة الأمير شيخو[٦٧]، وبنى مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافا، ويحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البنّاء الذي بنى مدرسته بالصليبة[٦٨] أن يذهب معه إلى أسيوط فيبني له مدرسة نظيرها، فأجابه إلى ذلك...".

وثمة أمور ثلاثة مهمة يمكن استيحاؤها، أو استلهامها، من النص السابق الذي أورده السيوطي: أولها تاريخ بناء المدرسة الخُضيرية، والذي يمكن أن تحصره بين سنتيّ ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م و٧٥٨هـ/١٣٥٧م، فلا يعقل أن تكون تلك المدرسة بُنيت قبل السنة الأولى، لأنها السنة التي بُنيت فيها مدرسة أو خانقاه شيخو[٦٩]، والتي على شاكلتها بنيت الخُضيرية، كما لا يمكن أن تكون بُنيت، على وجه الترجيح، بعد سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، لأنها السنة التي قُتل فيها الأمير شيخو[٧٠]، والبنّاء الذي بنى المدرسة ذهب إلى أسيوط بأمر منه.

والأمر الثاني الذي يمكن استلهامه من النص ذاته: أن باني المدرسة الخُضيرية بأسيوط، وهو أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، كان على اتصال بالأمير شيخو، وأن ثمة علاقة ربطت بينهما وساهمت في استجابة الأمير شيخو لإرسال البنّاء معه إلى أسيوط، ولا نستبعد أن يكون سفر الأمير شيخو إلى أسيوط، ونزوله بها مع أواخر سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وأوائل سنة٧٥٥هـ/١٣٥٤م، للقضاء على ثورات العربان هناك[٧١] قد لعب دورا فاعلا في ربط أواصر الصلة بين الرجلين، حيث استقبله أهل أسيوط وأطلعوه على أمور العرب وعلى أعدادهم، ومدى عزمهم على المحاربة[٧٢]، ومن دون شك أن جدّ الشيخ جلال الدين المشار إليه، كان من بين المستقبلين للأمير شيخو بأسيوط، وكيف لا ؟ ! وهو يُعد واحدًا من علية القوم بأسيوط، ومن وجهائها[٧٣] الذين عملوا بالتجارة[٧٤].

أما ثالث أمر يعكسه النص المذكور، ولا يقل أهمية عن سابقيه، أن المدرسة الخُضيرية بأسيوط بُنيت على نمق المدرسة أو الخانقاة الشيخونية بالقاهرة، وهذا في حد ذاته يعكس أن مدارس أسيوط في العصر المملوكي، كانت تُبنى على غرار مدارس العاصمة، الأمر الذي يجعلنا في مسيس الحاجة هنا إلى توجيه دعوة لعلماء الآثار، وعلى الأخص للمصريين منهم، لبذل مزيد من الجهود العلمية المتأنية، لكشف النقاب عن مثل تلك المدرسة بأسيوط وغيرها، ومحاولة تقديم الدراسات الأثرية اللائقة بها، التي يمكن أن نَطّلع من خلالها على أوصاف تلك المدارس جملة وتفصيلا، لاسيما وأنها كانت على شاكلة مدارس العاصمة من حيث مبانيها وملحقاتها، ومن المؤكد أنه روعي عند بنائها الأغراض التعليمية، بحيث اشتملت على مواضع للتدريس، وخزانة للكتب، وأماكن للصلاة، ومساكن للطلبة وللموظفين. وذاك أمر لم تنفرد به مدارس أسيوط، وإنما كان من الأمور المرعية عند تشييد مدارس صعيد مصر بصفة عامة[٧٥]، والمطلع

على ما كتبه الأُدفوي[٧٦] (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، في العصر المملوكي، يصادف وسط كتاباته إشارات إلى مثل هذه الأمور.

وعن موقع المدرسة الخُضيرية بأسيوط: فإنها كانت تقع بمنطقة الخُضيرية (أو الخضرية[٧٧]) جنوب غرب مدينة أسيوط، وتطل واجهتها الغربية على شارع الخُضيرية، وواجهتها الشمالية على شارع الطويجي[٧٨].

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية، في أسيوط، طوال العصر المملوكي، بل وبعد ذلك في العصر العثماني، وقد حفلت سجلات وقائع محكمة أسيوط الشرعية، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، بالكثير من حجج الوقف الخاصة بها[٧٩] خلال ذلك العصر الأخير.

وممن أسند إليه تدريسها ونظرها في العصر المملوكي: الصلاح الحسني السيوطي، الذي وُليها هي والشريفية والفائزية، وكان ذلك بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، لكن لم يتم له التدريس بتلك المدارس[٨٠] كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٤- مدارس أخرى :

إلى جانب المدارس السابقة، وجدت مدارس أخرى في أسيوط، وفي بعض توابعها في العصر المملوكي، وقد ورد ذكرها عرضا في المصادر والمراجع، ولم نقف حتى على مسمياتها، والأمانة العلمية تقتضي هنا إعطاء لمحة سريعة عنها، لأن عدم ورود تفصيلات عنها في المصادر والمراجع، تصريحا أو تلميحا، لا يُعنى بالضرورة أنها لم تكن من المدارس المعروفة في العصر المملوكي، فمن المؤكد أنها كانت تُعرف لدى الدارسين آنذاك أو حتى على الأقل داخل الوسط الإقليمي الواقعة في إطاره، ومن المؤكد أيضا أنها أسهمت مع نظيراتها من المدارس المشهورة سالفة الذكر، في تنشيط الحركة المعرفية والثقافية في أسيوط في ذلك العصر، لكنها لم تحظ بتسليط الأضواء عليها عبر الكتابات التاريخية أو الأثرية أو غيرهما، الأمر الذي ضاعت معه حتى مسمياتها نفسها.

ومن هذه المدارس: مدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي، وهو ذلك المسجد المشهور الذي يقع بشارع القيسارية، وعلمنا أن ثمة مدرسة كانت هناك مما أورده سيد علي الطويجي[٨١] في سياق مقدمة كتابه الذي كتبه عن أسيوط في العصر الحديث (سنة١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، إذ يقول عن أسيوط: "ولو لم أكن منها لتمنيت أن أكون منها، وقد سبقني أبي وجدي، فجدي آثرها على بلده السليمانية عاصمة الموصل، فأدى بها ثقافة علمية، تدريس اللغة التركية، بمدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال، وكذا فقه الحنفية والحديث النبوي، وقد ذكر (ذلك) جدي أحمد في سند رسمي صادر من السيد أحمد رافع عفيف الدين، والسيد محمد عبد الرحيم عفيف الدين سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م".

وبمطالعة ما كُتب في المراجع حول مسجد سيدي جلال، الذي كانت بمكانه المدرسة المذكورة، وجدنا عثمان فيض الله[٨٢] يقول عنه: إنه كان يسمى قديما باسم مسجد الجمصي نسبة إلى أحد أهالي بلدة حِمص بالشام، والذي قدم إلى أسيوط واستوطن به مدة، ولقد جُدد المسجد عدة مرات، في العصر الحديث، بإشراف وزارة الأوقاف، ويقول عنه سيد علي الطويجي،

نقلا عن أحمد باشا تيمور: إنه عُرف بمسجد سيدي جلال عند العامة، وبمسجد الجمْصي عند أهل العلم، وإن نسبته إلى الجمْصي عند الخاصة ربما كانت لتجديده أو لتوليه الإمامة أو التدريس فيه أو النظر عليه، وليُحقق ذلك، فكله مبني على الظن والاحتمال[٨٣].

وبناء عليه، حاولت تحقيق تلك النسبة من خلال تقصي المعلومات الواردة بالمصادر المملوكية، عن كل من لُقب بالجمْصي، فتبين لي أن الجمْصي، الذي نسب إليه ذلك المسجد بأسيوط قبل أن يُعرف بمسجد سيدي جلال، هو الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن الحسن، القرشي المخزومي الحمصي، ثم القاهري الشافعي، ويعرف بابن الحمصي (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م)، فهذا الرجل ورد عنه بالمصادر: أنه وُلي قضاء أسيوط سنة ٨٢٥هـ[٨٤]/١٤٢٢م، وأقام في قضائها مدة طويلة، وعمّر بها جامعا[٨٥]، فمن المؤكد أنه هو الجامع أو المسجد المذكور الذي نسب إليه، والذي لا نعلم على وجه اليقين هل كان جامعا بالفعل، كما قال السخاوي، أم كان مدرسة كما اعتبره الطويجي؟ وإن كنت أميل إلى الأخذ برأي الأخير، وخاصة في ظل الخلط الذي كان سائدا، في عصر المماليك الجراكسة، بين كل من المسجد أو الجامع، والمدرسة، والخانقاة، فمن المعروف أن المدرسة أصبحت زمن المماليك مكان عبادة ودرس، وكان أهم ما يميزها عن المسجد: مساكن الطلبة التي كانت تلحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب والمدرسون[٨٦].

وهذه المساكن من الصعب علينا، بالطبع، معرفة وجودها من عدمه في المكان الذي نحن بصدد الحديث عنه، أو حتى معرفة أوصاف المبنى الذي كان قائما هناك؛ من حيث تكوينه وعناصره المعمارية، فقد هُدم ذلك المبنى، وأقيم مكانه المسجد المعروف حاليا بمسجد سيدي جلال، والذي طرأت عليه تغييرات وتجديدات لم تُبق للمبنى القديم معالم أثرية مادية، كما لم يسجلها التاريخ، فضاعت تلك المعالم، وذهب معها الرسم والاسم.

ومهما يكن من أمر فقد اتخذ القاضي سراج الدين الحمصي من ذلك المكان الذي بناه بأسيوط سواء كان مدرسة، وهوالأرجح، أو جامعا اتخذ منه مكانا للتدريس، وممن تتلمذ على يديه فيه: والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، قبل انتقاله إلى القاهرة[٨٧].

ولعل ارتباط اسم والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بذلك المكان، وتخرجه منه يفسر لنا نسبة المسجد، الذي حل مكان المدرسة إلى الشيخ جلال الدين السيوطي، وذلك من الأمور المهمة التي يجب التنبيه إليها وتصحيحها هنا، لأنها من الأخطاء الشائعة بين الناس إلى الآن، ومما يزيد في خطورتها أن تلك النسبة لم تقف عند حد المسجد، بل انسحبت كذلك على الضريح الموجود بالمسجد، فقيل إنه قبر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وصار ذلك من الأمور المُسلّم بها، مع أن الشيخ جلال الدين السيوطي لم يأت إلى أسيوط ولم يرها، كما روى ذلك بنفسه، في قوله عن أسيوط: "وقد أفردت لها تاريخا حسنا في مجلد لطيف[٨٨]، اقتداء بمن أفرد من المُحدّثين لبلده تاريخا، مع أني لم أرها إلى الآن، فإني إنما ولدت بمدينة مصر، ولم أسافر إليها البتة، وإنما فعلت ذلك لكونها بلد الوالد والأجداد"[٨٩]. وقد حقق أحمد تيمور قبر الإمام السيوطي وموضعه بالقاهرة ونقل عنه سيد علي الطويجي[٩٠] قوله: إن في مدينة أسيوط مسجدا يعرف بجامع سيدي جلال الدين السيوطي وبه ضريح تزعم العامة جهلا أنه

ضريحه، إلى أن قال: والذي أراه أن ذلك الضريح هو المكان الذي كان يدرس به كمال الدين أبو بكر والد الإمام جلال الدين السيوطي قبل انتقاله إلى القاهرة، فنسبة المسجد إلى السيوطي إنما هي لوالده لا للمدفون في الضريح، فمن توالي الأيام ظنّوه أنه السيوطي، مع أنه مكان أبيه.

ويمكن أن نضيف هنا: أن ذلك الضريح إنما هو للشيخ همام الدين الهمام الخُضيري، وهو الجد الأعلى للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وذلك استنادا إلى ما قاله السيوطي[٩١] عن جده هذا: إنه كان أحد مشايخ الصوفية وأرباب الأحوال والولايات" إلى أن قال: "ولجدنا هذا ضريح بأسيوط يُزار ويُتبرك به".

فمن المؤكد أنه هو ذلك الضريح، ولما بنى السراج الحمصي بجواره المدرسة أو المسجد، عرف أولا بمسجد الحمصي، ثم صار يطلق على ذلك المسجد اسم السيوطي، نسبة إلى والد الشيخ جلال الدين الذي تعلم به، ونُسب كذلك الضريح إلى السيوطي على اعتبار أنه لجده، ثم مع مرور الزمن، وغموض الحقيقة، نُسب المسجد والضريح إلى جلال الدين السيوطي نفسه لشهرته. وربما وجود هذا الضريح بالمسجد يجعلنا نعود لنؤكد، من جديد، على أن ذلك المكان الذي غتره الحمصي إنما هو في الغالب مدرسة وليس مسجدا. ذلك لأن المدرسة لم تكن في عديد من الحالات، في ذلك العصر، بناءً مستقلا قائما بذاته، وإنما كانت جزءا ملحقا بالقبة المدفون بها أحد الأشخاص[٩٢].

وعلى كل حال، لم يقتصر وجود المدارس في أسيوط على المدارس آنفة الذكر، أو بمعنى آخر لم يقف عند حد مدينة أسيوط بوصفها قاعدة أو مركزا للأعمال السيوطية، وإنما وُجدت المدارس أيضا في بعض المدن الأخرى التابعة لذلك الإقليم. وإن كنا لم نحظ في المصادر بإشارات كافية عن تلك المدارس، فيكفي للتدليل على وجودها، على سبيل المثال، ما أورده ابن دقماق[٩٣] (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) في سياق وصفه لمدينة بوتيج[٩٤]، التي كانت ، وما زالت ، إحدى المدن التابعة لأسيوط، إذ يقول عنها: "وهي مدينة على ضفة النيل الغربية بعيدة عن النيل قليل، وبها جامع كبير قديم وبها مدارس...".

ويمكن الاستدلال من وجود تلك المدارس في مدينة أبوتيج على المكانة التي تبوأتها تلك المدينة كواحدة من المراكز العلمية المهمة بصعيد مصر في العصر المملوكي[٩٥]، وقد وردت بمصادر ذلك العصر إشارات إلى أسماء علماء وفقهاء نشئوا بتلك المدينة وتلقوا تعليمهم بمراكزها التعليمية[٩٦].

وصفوة القول: إن وجود هذه المدارس في أسيوط وفي بعض توابعها، في العصر المملوكي، يعكس وجود حركة مدرسية، ونهضة تعليمية، واسعة النطاق داخل الإقليم الأسيوطي في تلك الآونة.

ثالثا الحياة التعليمية في مدارس أسيوط في العصر المملوكي.

كانت مدارس أسيوط، وغيرها من المدارس، في العصر المملوكي تُمثّل المرحلة العليا من مراحل التعليم آنذاك، أو بمعنى آخر كانت عبارة عن كُليّات إسلامية عالية، يلتحق بها الطلاب لإتمام الدراسة. ويكون الالتحاق بها، في الغالب، عقب سن البلوغ بعد الانتهاء من مرحلة

التعليم الأولي بالكتاتيب (أو الابتدائية[٩٧]). فمن الثابت والمعروف: أن الطفل كان يلتحق بالكُتَّاب أو المكتب وعمره سبعة أعوام، وإن كان كثير من الآباء، في العصر المملوكي، يلحقون أبناءهم به في سن أقل، ليستريحوا من تعبهم، وليس من أجل القراءة[٩٨]. ويستمر الطالب في المكتب متنقلا بين حلقاته: من حفظ للقرآن، أو سماع للحديث أو تعلم للفقه، أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط، حتى سن البلوغ، ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروق له، ليلتحق بإحدى حلقاتها، وإن لم يرغب فينصرف لشؤون الحياة[٩٩].

وعندما يلتحق الطالب بالمدرسة ينخرط في حياة تعليمية مفعمة بتلقي معارف مختلفة وعلوم متنوعة، وقد شهدت المدارس بصعيد مصر، بما فيها مدارس أسيوط، ذلك التنوع فيما كانت تقدمه لأبنائها من العلوم والمجالات المعرفية المختلفة، فكان يُدرس بها آنذ العلوم الدينية، كالفقه والأصول والحديث والتفسير والقراءات، فضلا عن العلوم اللغوية، كالنحو والصرف والبلاغة، كما اتسع المجال فيها لتدريس العلوم العقلية، كالفلسفة والمنطق، وكذلك العلوم العملية، كالطب والكيمياء والفلك والهندسة[١٠٠].

ولدينا من الشواهد ما يمكن الاستناد إليه للتدليل على التنوع المعرفي داخل مدارس أسيوط المملوكية، وأول هذه الشواهد: أن المدرسة الفائزية كان يُدرس فيها، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي: الفقه على مذهب الشافعي، والأصول، والنحو، والعروض، والحكمة، والمنطق[١٠١] والأدب والشعر[١٠٢].

ومن الشواهد المثبتة لذلك، أيضا، أن السير الذاتية الواردة في ثنايا المصادر لبعض العلماء الذين تلقوا تعاليمهم، أو بعضا منها، في أسيوط زمن المماليك، حوت في سياقها معلومات تفيد بذلك التنوع في العلوم والتخصصات التي سادت الوسط التعليمي في أسيوط وغيرها، ليس في عصر المماليك البحرية فحسب، وإنما كذلك في عصر المماليك الجراكسة، ويمكننا من خلال نظرات سريعة في مثل هذه السير، التأكد من ذلك، فعلى سبيل المثال: أورد جلال الدين السيوطي[١٠٣] في سيرة والده كمال الدِّين أبي بكر السيوطي أنه "ولد في أول القرن (أي التاسع الهجري) تقريبًا، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، وبرع في الفقه والأصلين، والنحو والصرف، والمعاني والبيان، والفرائض والحساب بأنواعه، والمنطق، والوثائق".

وبمطالعة سيرة أخرى، مثل سيرة الشريف الحسني، مُحمَّد بن أبي بكر بن أحْمد بن إسْماعيل بن عبد الوَهَّاب، الملقب أبوهُ بالناظر، يمكننا التأكيد على ما سبق، بل إن هذه السيرة تمدنا بتفاصيل أدق عن التخصصات والعلوم التي كانت تُدرّس بأسيوط، في العصر المملوكي، لأنها تفيد في معرفة أشهر الكتب والمؤلفات والمتون المعتمدة أو "الكراريس" التي كان المتعلمون ملزمين بحفظها، وعرضها على مشايخهم قبل أن يأخذوا معهم في مباحثها وبسط قواعدها، إذ ورد في ثنايا تلك السيرة أن صاحبها "ولد في يوم الجمعة سابع عشر جُمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في نواحي الصعيد من بلاد مصر ورُبي في نواحي أسيوط من بلاد الصعيد فقرأ بها القرآن وتلا به لأبي عمرو على مؤدبه الشريف محمد بن أحمد بن علي التلمساني، وحفظ العمدة[١٠٤]، وأربعي النَّوَوِيّ (في الحديث)، والرسالة (في أصول الفقه للإمام الشافعي رحمه الله)، وأكثر المخْتصر الفرعيين (في الفقه)، وجمع جمع الجوامع (في أصول الفقه)،

وألفية ابن مالك (في النحو)، والملحة[١٠٥]، والجرومية[١٠٦] وتصريف العزى[١٠٧]، والرحبية[١٠٨] في الفرائض، وإيساغوجي[١٠٩](في المنطق)، والنفحة الوردية (في النحو لعمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، والبعض من المفصل (في النحو للزمخشري)، والحاجبية (في النحو والصرف لابن الحاجب)، وأكثر ناظر العين[١١٠]، والصدقات في علم الهيئة (أي الفلك)، وألفية العراقي[١١١]، والشاطبيتين[١١٢]، والساوية[١١٣] في العروض، وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين..."[١١٤].

وفي الإطار ذاته: يمكن أن نأخذ من سيرة محمد بن أحمد بن عليّ بن عبد الخالق، الشمس الأسيوطي المنهاجي، شاهدا جديدا على صحة كلامنا، حيث يقول السخاوي[١١٥] في سياق تلك السيرة: "ولد كما قال لي في جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وقيل سنة عشر بأسيوط، ونشأ بها فحفظ القُرآن عند سعد الدّين الواحي وغيره، والعمدة، وأربعي النووي، والشاطبية والمنهاج الفرعي والأصلي، وسطور الإعلام في معرفة الإيمان والإسلام[١١٦] للحمصي، فيما زعمه". ثم يستطرد السخاوي بعد ذلك بكلام عن هذا الرجل، يفيد أنه عرض محفوظاته وتلقى تعليمه في علوم الفقه والنحو والحديث والقراءات والأدب، على مشايخ وعلماء بالقاهرة وأسيوط.

وعلى كل حال، ففي ظل هذا التنوع في العلوم والمجالات المعرفية، كان الطلبة في المدارس يختارون العلوم التي يدرسونها، وكثيراً ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العالية[١١٧].

وتكشف لنا الحياة التعليمية في مدارس أسيوط، في العصر المملوكي، عن وجود مدرسين أو أساتذة ومشايخ بارزين بتلك المدارس، عكفوا على تدريس صنوف العلوم بها، وساهموا من خلال مؤلفاتهم التي وضعوها في تلك العلوم، ومن خلال قيامهم بشرحها وتدريسها، مع غيرها من مؤلفات سابقيهم من العلماء أو المعاصرين لهم، في نشر الثقافة والمعرفة بأسيوط في ذلك العصر، وتخريج جيل من العلماء المتميزين، كانوا على شاكلتهم. فجابوا كثيرا من مدن مصر وغيرها، تاركين بها بصمات واضحة في المجالين؛ العلمي والمعرفي، جاعلين بذلك من مدارس أسيوط ومؤسساتها التعليمية الأخرى، رافدا مهما من روافد التعليم في مصر في تلك الآونة، وليس أدل على ذلك مما أورده السيوطي في كتابه المُعنْوَن بـ "التحدث بنعمة الله"[١١٨]، عن كثير من أسماء العلماء الخارجين من أسيوط أو المنسوبين إليها، والذين يحمل كل منهم في اسمه لقب السيوطي أو الأسيوطي، فمنهم رواة للحديث النبوي ومسندون، ومنهم أدباء ونحاة وشعراء وأولياء، وغير ذلك، ومن المؤكد أن من بين هؤلاء العلماء من دَرَس أو دَرّس بالمدارس الأسيوطية، وللتدليل على ذلك يكفينا في مجال الحديث، على سبيل المثال لا الحصر، ودون الخوض في ذكر تفاصيل أو أسماء، أن نأخذ من كلام السيوطي في هذا الصدد قوله: "وقد خرج من أسيوط ونُسب إليها خلائق من رواة الحديث ... ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والحُفّاظ".

ولنعرض هنا نماذج لبعض المدرسين الذين شغلوا وظائف التدريس في مدارس أسيوط، زمن المماليك، للتعرف على جوانب من حياتهم العلمية والتعليمية، ومكانتهم العلمية الرفيعة التي وصلوا إليها، ومدى مساهماتهم في حركة التعليم ونشر الثقافة في العصر المملوكي.

وأول أولئك المدرسين: العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي، الفتح بن موسى بن حماد، المعروف بالقصْري، وهو من العلماء الذين اضطلعوا بالتدريس بالمدرسة الفائزية بأسيوط، ومن قضاتها المشهورين، وتناولنا التعريف به من قبل(١١٩)، وبطوافه في كثير من بلدان العالم الإسلامي طلبا للعلم، وانتهاء ذلك المطاف بدخوله مصر سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، ثم استقراره في أسيوط لحين وفاته بها سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م. ويبقى أن نشير هنا إلى مؤلفاته، والتي من أشهرها؛ نظم المفصل(١٢٠) للزمخشري في النحو، ونظم كتاب الإشارات (أي الإشارات والتنبيهات في الحكمة) لابن سينا، ونظم السيرة لابن هشام(١٢١) المسمى بـ "الوصول إلى السول في نظم سيرة الرسول"(١٢٢)، وهو على قافية رائية في اثني عشر ألف بيت(١٢٣)، وله أيضا منظومة في العروض(١٢٤).

ومن المدرسين والعلماء الأجلاء الذين دَرّسوا بأسيوط أيضا: الحسن بن عبد الرحيم بن الأثير، القرشي، محيي الدين الأرمنتي، الفقيه الشافعي، الذي أورده الأدفوي ضمن من ترجم لهم في كتابه(١٢٥)، وقال عنه: إنه "كان من العلماء الصالحين الفقهاء العاملين، وتولى التدريس بمدينة أسيوط، وأقام سنين يُدرّس بها، وسافر من أسيوط، فتوفي في الطريق، وحمل إلى مصر، ودفن بسفح الجبل المقطم، وكان ممن يتبرك الناس به ويقصدون الدعاء منه". وكانت وفاته في سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م.

ومنهم أيضا: تقي الدين يحيى بن عبد الرحيم بن الأثير الأرمنتي، الذي يصفه الأدفوي(١٢٦) بقوله: "كان من الفقهاء الشافعية المشاركين، درّس بمدرسة سيوط سنين كثيرة، وتولى الحكم بإطفيح(١٢٧) وبمنفلوط (إحدى مراكز أسيوط حاليا)، وسيرته فيه حميدة، وهو من بيت علم ورياسة، وجلالة ونفاسة، وحكم وعدالة، وسيادة وأصالة، ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي بمدينة سيوط سنة ثمان وسبعمائة".

وجدير بالملاحظة هنا أن الأدفوي في ترجمته لتقي الدين المذكور؛ لم يوضح لنا في أي مدرسة كان يُدرس، ونتوقع أنه كان يدرس بالفائزية، حيث لم تكن الشريفية أو الخضيرية أنشئتا بعد، وربما كانت الفائزية هي المدرسة الوحيدة في أسيوط وقت تدريسه بها، ولهذا نقرأ في كلام الأدفوي عبارة "درّس بمدرسة سيوط". فلو كان بأسيوط مدارس غيرها ما وصفها الأدفوي بأنها مدرسة أسيوط.

ومن كبار المدرسين كذلك: جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، الشريف الجعفري الزّيْنبي الأسيوطي، مدرس المدرسة الشريفية بأسيوط، وكان ممن أسند لهم الحكم أو القضاء بها مدة، وتوفي سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م). وقد سبق التعريف به في سياق الحديث عن المدرسة الشريفية.

ولا يغيب عن البال هنا: الشيخ كمال الدين أبو بكر الخضيري السيوطي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، والد الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الذي يقول عنه ولده(١٢٨): إنه "اشتغل بالعلم ببلده أسيوط وولي بها القضاء قبل قدومه إلى القاهرة". ونتوقع أنه درس بأسيوط بالمدرسة التي كانت مكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي حاليا، وهو المكان الذي تتلمذ فيه على يد القاضي سراج الدين الحمصي، كما سبق ذكره.

ومصادر العصر المملوكي المتأخرة، وما بعده، تحمل في طياتها مادة علمية غزيرة، ترجم فيها أصحابها لشخصية هذا العالم الجليل[١٢٩] ومن بين تلك التراجم نسوق مقتطفات من ترجمة ابنه له في كتاب "التحدث بنعمة الله"، ففيها الكفاية للتعرف على مشواره العلمي، ومكانته العلمية، وبالتالي؛ مكانة خريجي مدارس أسيوط، وإسهاماتهم في إثراء الحياة العلمية في العصر المملوكي.

يقول السيوطي[١٣٠]عن والده: "كان مولد والدي بأسيوط في أوائل القرن تقريبا ... واشتغل بالعلم ببلده، وولي بها الحكم نيابة. وقدم القاهرة سنة نيف وعشرين، فسمع صحيح مسلم على الحافظ ابن حجر، في سبع وعشرين. وكتب له الشيخ برهان الدين بن خضر[١٣١] ... ولازم العلامة شمس الدين القاياتي[١٣٢] فأخذ عنه الكثير في الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والبيان والمنطق، وأجازه بتدريس هذه الفنون كلها في سنة تسع وعشرين. وأخذ عن الشيخ باكير علم المعاني والبيان. وتلا على الشيخ محمد الجيلاني، وبرع في الفنون وتصدى للتدريس والإفتاء زمانا. وكتب الخط المنسوب الفائق. ونبغ في فن الإنشاء والبراعة والترسل والتوثيقات نهاية أذعن له فيها أهل عصره قاطبة، وانعقد الإجماع على انفراده بهذا الفن في عصره. وكان الأكابر من أهل هذا الفن يخضعون له ويأتون إليه ... وللوالد تعاليق وفوائد ضاعت. ولم أقف عليها. ومما رأيته من تعاليقه حواش على "شرح الألفية" لابن المصنف ... وحاشية على "العضد". ورسالة في اعراب قول "المنهاج": "وما ضبب بذهب أو فضة". وحواش على "أدب القضاء" للغزي، وأجوبة اعتراضات ابن المقري على "الحاوي". وأخذ عن الوالد جماعة فضلاء وانتفعوا به...".

والملاحظ من خلال النماذج السابقة ومن غيرها من الأمثلة . منعنا الخوف من الإطالة ذكرها هنا . لبعض المدرسين بمدارس أسيوط، في العصر المملوكي، أنهم كانوا يشغلون بجانب وظائفهم التدريسية وظائف القضاء و"النيابة في الحكم"[١٣٣].

كما نلاحظ أيضا: أن المدرسين بمدارس أسيوط لم يكونوا كلهم من أبناء أسيوط، وإنما كان منهم علماء من البلاد المصرية الأخرى من الصعيد ومن الوجه البحري، بل كان من بينهم علماء غير مصريين، منهم من كان من المغرب مثل الفتح بن موسى بن حماد، ومنهم من كان من الشام مثل سراج الدين الحمصي، وهذا أمر طبيعي في ظل اعتبار مدن العالم الإسلامي مدينة واحدة، يحق للعالم وللمتعلم التنقل بينها جميعا، بل والاستقرار بأي منها، ما دام يجد بها ما يشبع شيئا من نهمه العلمي على أيدي علمائها، أو تقديم ما ينفع طلاب مدارسها، دونما وجود عوائق أو عقبات تحول دون ذلك العطاء العلمي.

وفي ظل هذه الحرية في الحركة العلمية والتعليمية، داخل العالم الإسلامي في تلك العصور، لم يأل الطلبة في مدارس أسيوط جهدا في تحصيل العلم، سواء من المدرسين والعلماء القاطنين بها، أو حتى من العلماء وطلاب العلم الغرباء النازلين بها عبر رحلاتهم وأسفارهم، إذ كان نزول أمثال هؤلاء بالمدارس يعطي الفرصة لطلاب المدرسة لمناقشة ومناظرة القادم إليهم، ويُوسِّع آفاق المتعلم للاطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته، ويحبب إليهم الرحلة، وكل ما يثري الحركة العلمية[١٣٤]، وفي هذا الصدد يمدنا السخاوي[١٣٥] بمثال في غاية الروعة عن:

مُحَمّد بن أحمد، الأسيوطي المنهاجي، الذي تلقى نصيبا من تعليمه بأسيوط ثم أكمله بالقاهرة، إذ يقول عنه: "وأخذ عن الشهاب السخاوي[١٣٦] القادم عليهم أسيوط: مجموع الكلائي[١٣٧] والملحة، وقيل الشهاب العجيمي[١٣٨] وهو الذي سمعته منه".

لكن هذا ليس معناه أن يبقى الطالب في أسيوط قابعا في مدارسها، وإنما كان من الأمور المتعارف عليها في الحياة التعليمية آنذاك: أن يُيمم طالب العلم وجهه شطرَ أي بلد به عالم أو شيخ نال من الشهرة العلمية ما يستحق السفر إليه للنهل من علمه، وبناء عليه كان طالب العلم يجول في مختلف البلاد، والأقطار ليسمع من مشاهير العلماء فيها[١٣٩].

ويمكن استخلاص بعض الأمثلة على هذا الترحال والتنقل بين البلاد طلبا للعلم ويقصد الاستفادة والإفادة العلمية، مما سطره لنا أصحاب كتب التراجم في العصر المملوكي، ومن ذلك مثلا: ما ورد عن يوسف بن أبي محمد بن أبي البركات، السيوطي (ت٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، الذي يقول عنه الأدفوي[١٤٠]: "...اشتغل بالفقه في بلده وبمصر، وناب في الحكم بيوتيج وطما[١٤١] وغيرهما من بلاد سيوط، ثم توجه إلى مصر واشتغل بها"، ثم يستكمل الأدفوي سيرته بكلام يفهم منه أنه شغل وظائف القضاء والتدريس ببعض بلاد الصعيد؛ كقوص وأرمنت وإسنا وأدفو وأسوان.

وهناك عبد الرحمن بن عنبر بن عليّ بن أحمد بن يعقوب، الزين العثماني البوتيجي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، الذي تلقى شطرا من تعليمه الأولى بمدينة أبوتيج، ثم سافر إلى القاهرة مع أبيه في سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وعرض علي بعض علمائها، في سنة ٧٩٦هـ/١٤٩٤م وأجازوا له، ثم قطن القاهرة[١٤٢].

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك: أن الصلاح الحسني السيوطي، مُحَمّد بن أبي بكر (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، بعد أن تلقى تعليمه الأولى بأسيوط، انتقل به والده إلى القاهرة، ليعرض كتاب "العمدة" على الشيخ الزين العراقيّ، وبعد أن تأكد الشيخ من إلمامه به، كتب له إجازة، ثم عاد مع والده إلى أسيوط، وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وبعدها انتقل بأهله إلى القاهرة فقطنها، ونهل من علم علمائها، وبرع في كثير من العلوم والفنون، ثم أسند له بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، تدريس بعض المدارس بأسيوط، ولكن لم يتمّ له ذلك[١٤٣]، كما سبقت الإشارة إليه في موضع متقدم من هذا البحث.

وهناك أيضا محمد بن أحمد، الأسيوطي المنهاجي، وكذلك كمال الدين أبو بكر الخضيري والد الإمام جلال الدين السيوطي، اللذان تلقيا شطرا من تعليمهما بأسيوط، ثم اتجها إلى القاهرة فحصّلا كثيرا من المعارف والعلوم على أيدي علمائها[١٤٤].

وعلى أية حال، فمن الأمور المهم ذكرها هنا، والتي أماطت الحياة التعليمية في مدارس أسيوط اللثام عنها: أن تلك المدارس ضمت في نظامها التعليمي "معيدين"، بوصفهم طرفا معاونا للمدرسين أو الأساتذة، وهو ذلك النظام المعمول به حاليًا في نظم التعليم الحديثة بالجامعات العربية والأجنبية على حد سواء. ومن الذين شغلوا وظيفة الإعادة بأسيوط: أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن، الأسفوني، السيوطي المولد والمنشأ، والذي يقول عنه الأدفوي[١٤٥]: إنه كان فقيها فاضلا متدينا، تولى الحكم بأبي تيج، وتولى إسنا، وأعاد بمدرسة أسيوط، وتوفي سنة

اثنتين وعشرين وسبعمائة، وجدُ أبيه من أسفون[١٤٦]، وأقام جدّه بها، وانتقل إلى سيوط، وتأهل بها".

وكان هؤلاء المعيدون يقومون بدور مهم في العملية التعليمية، من خلال جلوسهم مع الطلبة قبل الدرس أو بعده، لمساعدتهم على استذكار دروسهم ومراجعتها، ليستوعبوها ويفهموها[١٤٧]، فضلا عن تشجيع المتعلمين على طلب العلم وحثهم على تحصيله، والمعيد بهذا يساعد المدرس في أداء عمله ويوفر عليه بذل الجهد والوقت لإعادة شرح بعض الدروس، لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، وكأن القصد من قيام المعيد بمهمة الإعادة: المحافظة على وقت المعلم وعلى احترامه ومكانته، وتخفيف الجهد عنه وعن المتعلمين معا، والمساهمة في إعداد المعيد وتهيئته للقيام بوظيفة المدرس مستقبلا[١٤٨].

وعن عملية التعلم أو طرق التدريس المتبعة في مدارس أسيوط في العصر المملوكي: فلم تسعفنا المصادر في الحصول على توصيف لها، لكن يمكن القول، بوجه عام، إنها لم تخرج عمّا كان مألوفا أو معهودا في كافة المدارس، خلال العصر المملوكي، من التفاف الطلبة بقاعة التدريس حول أستاذهم، في صورة مجالس أو حلقات تدريسية، مستمعين لما يلقيه على مسامعهم، وما يقرأه زملاؤهم من الكتب المختلفة ليتم التباحث فيه[١٤٩]، فمن المعروف أن التدريس بالمدارس في تلك العصور، وما قبلها، عادة ما كان يعتمد على الإلقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه، وكان هناك تنظيم مطبق في قاعات التدريس بغية العمل والإفادة[١٥٠].

وبخصوص مواعيد الدراسة بتلك المدارس: فمن المؤكد أنها لم تخرج عن إطار التقليد المعمول به في العصر المملوكي، والذي حددته وثائق الوقف بدقة تامة، وهو أن اليوم الدراسي كان ممتدا من طلوع الشمس إلى أذان العصر، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب إمكانات المكان، وحسب ظروفه، خلال اليوم الدراسي، أما أيام الدراسة فكانت تتراوح ما بين ثلاثة أيام وخمسة أيام، من كل أسبوع، حسب شرط الواقف، وكان هناك إجازات سنوية يحددها الواقف، وتتفق في الغالب والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة، سواء كانت فرضا أم سنة[١٥١].

ولم تخل الحياة المدرسية في أسيوط، كشأن كافة المدارس زمن المماليك، من ضروب الترويح عن النفس، فأقيمت بالمدارس، بين حين وآخر، حفلات لمختلف المناسبات العلمية، كختم البخاري، أو الانتهاء من تصنيف كتاب، وجرت العادة أن يقوم الداعي بإحضار الأطعمة من الحلوى والفاكهة، ويجلس الطلبة والشيوخ ومعهم الأعيان والقضاة، حيث يمضون بعض الوقت في أحاديث ومناقشات علمية مفيدة، وربما صرفت المدرسة على الحفل من أوقافها[١٥٢].

وكان إذا أتمّ الطالب دراسته، يحصل من شيخه على إجازة (الشهادة حاليا)، وهي بمثابة ورقة كتابية يجيزه شيخه من خلالها بالفتيا والتدريس، يذكر فيها اسم الطالب ومذهبه وتاريخ الإجازة واسم مجيزها وغير ذلك[١٥٣]، وهذا النوع من الإجازات يكون غالبا في تخصص بأكمله أو أكثر، ومن الأمثلة عليها ما ورد ببعض المصادر: من تلك الإشارات التي تفيد منح الشيخ سليمان البوتيجي[١٥٤]، المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م بأسيوط، إجازات لعلماء من الصعيد في

علم القراءات[١٥٥]. ولم تقتصر الإجازات آنذاك على هذا النوع، وإنما وجدت أنواع أخرى من الإجازات عرفها المعاصرون، منها الإجازة "بعراضة الكتب"، فإذا حفظ الطالب كتابا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو، أو غيره من الفنون، يعرضه على أحد مشايخ العصر، فيختبره فيه، ويستقرأه في عدة مواضع متفرقة منه، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم؛ استدل من ذلك على حفظه للكتاب، وكتب له إجازة بذلك[١٥٦]، ومن أمثلة هذا النوع: تلك الإجازة التي حصل عليها الصلاح الحسني السيوطي (ت٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، من الشيخ، الزين العراقي، عندما عرض عليه كتاب "العمدة"، وأجازه له[١٥٧].

وهناك أيضا الإجازة بالمرويات[١٥٨] ويمكن أن نسميها الإجازة الحديثية أو إجازة الرواية، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه بالرواية عن طريقه، وتكون بالسماع، أو أن الطالب قرأ على شيخه متنا من المتون، أو كتابا من كتب الحديث، فيجيزه بروايته، وأتوقع أن ذلك النوع من الإجازات كان يمنح بكثرة في أسيوط في تلك العصور، لاسيما وأنها خرج منها ونُسب إليها كثير من رواة الحديث، ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والحُفّاظ[١٥٩]. الأمر الذي يعكس معه توفر قاعدة علمية في أسيوط في هذا المجال منذ فترة قد تكون سابقة، لدرجة أن وجد بها نساء حافظات، كنّ يمنحن مثل هذه الإجازات، نخص بالذكر منهن هنا: ستّ الشّام بنت أبي صالح رَوَاحَة بن عليّ بن الحسين بن رواحة، التي عاشت في القرن السابع الهجري، وسمعت من أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة الأربعين البلدانية للسِّلَفي[١٦٠]، وغير ذلك، وحدّثت عنه، وكانت تجيز بالرواية عنها، ويُقال لها شامية[١٦١].

وقبل أن نطوي الحديث عن الحياة التعليمية في مدارس أسيوط المملوكية؛ بقيَ أن نؤكد على أن الأوقاف كانت هي مصدر التمويل الأساسي، الرصين والمستديم، للصرف على هذه المدارس وضمان استمرار العملية التعليمية بها، فمن الثابت تاريخيًا أن الأوقاف في العصر المملوكي هي التي ثبتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها[١٦٢]، وكان الريع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة، شهريا أو سنويا، نقدا أو عينا، هو ضمان استمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة، بالإضافة إلى الأصناف العينية التي تصرف لهم يوميا، فضلا عن المخصصات السنوية لهم في المواسم والأعياد[١٦٣]، وكل ذلك بالطبع حسب شروط الواقف.

ونتوقع أنه: ما من مدرسة بأسيوط، زمن المماليك، إلا وخُصصت لها أوقاف معينة من قِبل مؤسسها للصرف على شئونها، وإن كنّا، لسوء الحظ، لم نعثر حتى الآن على وثائق أو حجج وقف نستدل منها على ذلك الأمر، إلا أن ما ذكره السيوطي[١٦٤] عن أحد أجداده من أنه: "كان في صحبة الأمير شيخو، وبني مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافا". لخير شاهد على أن نظام الوقف على المدارس كان معمولا به، في أسيوط، في العصر المملوكي.

ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما أورده السخاوي[١٦٥] عن الشيخ الصلاح الحسني السيوطي، محمد بن أبي بكر (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) من أنه: ولي بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م تدريس "مدارس بأسيوط وهي: الشريفية والفائزية والبدرية الخضيرية ونظرها، فلم يتم له ذلك". فمعنى توليه نظر تلك المدارس، أي نظر أوقافها والإشراف عليها، وهذا يعكس أن تلك المدارس

خصصت لها أوقاف للصرف عليها، كما يعكس، معه أيضا، أن الإشراف على المدرسة لم يوضع، في كل الأحوال تحت تصرف المشرف على الوقف أو صاحبه، وإنما كان يعهد بذلك أحيانا لبعض المدرسين، فيجمع المدرس بذلك بين التدريس وبين نظر الأوقاف الموقوفة على المدرسة، أو بمعنى أدق: بين وظيفتي الإشراف العلمي والإداري[١٦٦] على المدرسة. وهذا أمر طبيعي وكان متبعا في كثير من مدارس مصر المماليكية[١٦٧].

وختامًا: يمكن القول بناء على ذلك الطرح العلمي: إن مدارس أسيوط كانت في أوج نهضتها العلمية خلال العصر المملوكي، وإنها كانت بمثابة كُليّات إسلامية عالية ساهمت بشكل أو بآخر في تخريج أجيال من العلماء، كان لهم باع طويل في تنشيط الحركة العلمية والمدرسية، ونشر الثقافة العربية والإسلامية خلال ذلك العصر، ويكفي أن تلك المدارس ظلت في صيرورة عطائها كمنارات للعلم ببلاد الصعيد، خلال العصر الجراكسي، على الرغم مما مُنيت به بلاد الصعيد، خلال ذلك العصر، من تدهور في الحياة الثقافية وإغلاق الكثير من دور العلم بها، نتيجة الفتن والاضطرابات التي كانت تموج بها تلك البلاد من جراء ثورات العربان، فضلا عما أصاب البلاد من مجاعات وأوبئة وطواعين، وغير ذلك من مؤثرات سلبية على الحركة التعليمية[١٦٨]. والمدقق في صفحات ذلك البحث؛ يجد أن كثيرا من المعلومات الواردة في ثناياه، عن الحياة التعليمية وعن العلماء بتلك المدارس، إنما تعود إلى العصر الجراكسي، الأمر الذي يحمل معه التأكيد، من جديد، على النهضة العلمية بتلك المدارس طوال العصر المملوكي.

الهوامــش

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج٣ ص٤١٧ . القلقشندي: صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م ج١٠ص٤٥٨، ٤٥٩. جمال الدين الشيال: أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مقال منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد (١١)، ١٩٥٧م، ص ١٣، ١٤ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م، ص١٢١، ١٣٧. أيمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية" الذي تضمن أبحاث "ندوة المدارس في مصر الإسلامية" التي عُقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية في أبريل ١٩٩١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ، ص١١٦، ١١٧ .

Lane Poole (S.):A history of Egypt in the middle ages, London 1924, p.188.

(٢) الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص١٨١ . الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى (٦٤٨هـ - ٧٨٣هـ)، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية) منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص١٣٣

(٣) هو الخليفة الفائز بنصر الله: عيسى أبو القاسم بن الخليفة الظافر بأمر الله .

(٤) نصر جمعة محمد نصر: الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م، ص٩٩، ١٠٠.

(٥) الوطواط: من مباهج الفكر ومناهج العبر "صفحات من جغرافية مصر"، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م، ص٩٤. محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص١١٤.

(٦) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م، ج٣ ص٢٣٨.

(٧) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣ ص٢٣٩.

(٨) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أو (الخطط المقريزية)، مكتبة الآداب، القاهرة (د. ت)، ج٤ ص١٩٢، ١٩٣.

(٩) هو فَتْح بن مُوسَى بن حمَّاد بن عبد الله بن عَلِيّ بن عِيسَى، ولد سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م بالجزيرة الخضراء بالأندلس، وعُرِف بالقَصْري لأن والده نقله إلى قصر ابن عبد الكريم المعروف بقصر كتامة

وعمره مقدار خمس سنين، فنشأ بالقصر، فلهذا نسب إليه (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج٢ ص٣٢٧، ٣٢٨ . الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ج٤٩ ص١٥٣، ١٥٤). وسوف يتم استكمال الترجمة لحياة ذلك الرجل وإسهاماته العلمية في جزء لاحق من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١٠) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م، مج ٢ ص٥١٨، ٥١٩ ـ ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج٨ ص٣٤٨. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٧٩م، ج٢ ص١٨٥ـ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، (د. ت)، ج٢ ص٢٤٢.

(١١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢ ص٣٢٨.

(١٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م، ص٢٣٣ . الحسيني. صلة التكملة لوفيات النقلة، مج٢ ص٥١٨ . اليونيني: ذيل مرآة الزمن، ج٢ ص٣٢٨ـ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٩ ص١٥٤. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨ص٣٤٨ـ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج٢ ص٢٩ـ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٢ ص١٨٥ـ السيوطي: بغية الوعاة، ج٢ ص٢٤٢ وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ج١ ص٣٥٨.

(١٣) الخطط، ج٤ ص١٩٢، ١٩٣.

(١٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢ ص٣٢٨.

(١٥) ساد نظام الإقطاع مصر في عصر الأيوبيين، وصارت أراضي مصر كلها تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده، وكانت الاقطاعات توزع على المقطعين مقابل خدمات مدنية يؤديها المقطع في إقطاعه، فضلا عن الخدمات الحربية التي يلتزم بها (محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٨٧، ص٥١).

(١٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ج٢٩ ص٨٥. والأعمال القوصية المذكورة كانت عملا متسعا ينتهي آخره إلى أسوان آخر الديار المصرية في البر الشرقي والغربي، ويضم عدة مدن وقرى بالصعيد الأعلى، ومقر ولايته مدينة قوص الواقعة على الشط الشرقي للنيل (العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٣م، ج٣ ص٤٩٩ـ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣ ص٤٠٠، ٤٠١).

(١٧) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢٧ ص١٦٣، ١٦٤.

(١٨) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩ ص٤٥٩ ـ المقريزي: الخطط، ج٣ ص١٤٥.

(١٩) المقريزي: الخطط، ج٣ ص١٤٥.

(٢٠) المقريزي: الخطط، ج٣ ص١٤٦ والسلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ص٤٨٧ وج٤ ص١٩١: ١٩٤.

(٢١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١ ص٨٠ ـ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٨ ص٢٢٠ـ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج٧ ص٥٥.

(٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية، دار التقوى، القاهرة ١٩٩٩م، ج١٣ ص٢٠١.

(٢٣) المقريزي: الخطط، ج٤ ص١٩٦.

(٢٤) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٩، ج٤ ص٩٢.

(٢٥) المقريزي: الخطط، ج٣ ص١٤٥.

(٢٦) المقريزي: الخطط، ج٤ ص١٩٣.

(٢٧) مصطفى عبد الله محمد شيحة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، بحث نُشر بكتاب "تاريخ المدارس في مصر الإسلامية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٢م، ص٤٢٦.

(٢٨) محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٢٩) من مباهج الفكر ومناهج العبر "صفحات من جغرافية مصر"، ص٩٤.

(٣٠) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥ ص٢٢.

(٣١) صبح الأعشى، ج٣ ص٤٠٠.

(٣٢) اعتبر الدكتور ضياء محمد جاد الكريم مبنى الفاتزية ضمن الآثار الدارسة، وأدرجه ضمن القائمة التي أعدها بهذا الخصوص في ملاحق كتاب (تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج٤ (الآثار

الإسلامية والقبطية)، أسيوط ٢٠٠٨م، ص٢٤٠) وعندما زرت المكان الذي كانت به المدرسة، تبين لي من سؤال القاطنين هناك أن مبناها كان قائما حتى سنة ٢٠٠٦م حيث شب فيه حريق، فأهمل، ثم هدم بعد ذلك، ويعاد الآن بناؤه تحت مسمى "مجمع الفائزية"، ولحسن الحظ عثرت على صور فوتوغرافية لهذا المبنى قبل أن يُهدم، التقطها الشيخ حسن سيد حسن اليدّاك، إمام الجامع الكبير (الأموي)، وحصلت منه - مشكوراً - على نسخة منها، وأدرجت بعضها كملحق لهذا البحث، خشية ضياعها، خاصة وأنها لم تحظ بالنشر من قبل، وكإسهامة للفت نظر المهتمين بعلم الآثار إلى مثل تلك المعالم الأثرية المهملة، التي تحتاج عناية ودراسات متأنية لإماطة اللثام عن كثير من جوانبها الغامضة.

(٣٣) يقع هذا الجامع في وسط مدينة أسيوط تقريباً ويطل بواجهته الشرقية على شارع المحضر، وتطل واجهته الشمالية الغربية على شارع الجامع الكبير، ويشتمل جداره الجنوبي على فتحة باب تفضي إلى الميضأة التي تطل على شارع كوم الغزاة، وأسماء ذلك الجامع تدل على أنه من أوائل الجوامع التي أنشئت بمدينة أسيوط (ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج٤ ص١٧).

(٣٤) سيد علي الطويجي السيوطي مجمل تاريخ حاضرة الصعيد أسيوط، ج١ (المقال الموجز في مدينة أسيوط)، المطبعة الفاروقية بأسيوط، ١٩٤٩م، ص٢. وعن سبب تسمية ذلك المسجد بالأموي، فلم أحظ بأية إشارة إليها في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، والذي يتبادر إلى الذهن من تلك التسمية أنها مرتبطة ببنائه أو تجديده في العصر الأموي، وحسب ظنّي أن الأمر ليس كذلك، والأرجح أنه سمي بها في العصر المملوكي، نسبة إلى العالم الجليل نجم الدين أبو نصر الأموي الذي درّس زمانا بالمدرسة الفائزية أمام ذلك المسجد، ثم عُين قاضيًا لأسيوط (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢ ص٣٢٨) ومن غير المستبعد أنه ولي إمامة ذلك المسجد والنظر عليه، فاشتهر ذلك المسجد بالأموي نسبة إليه.

(٣٥) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢ ص٢٤٢ . محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)، ص١٣٣.

(٣٦) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسيوط، ص٢ .

(٣٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د. ت)، ج٧ ص١٧٨ . التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية، بولاق ١٨٩٦م، ص٤١١، ٤١٢.

(٣٨) هو الأمير قراقجا الحسني الظاهري برقوق، رقي في الرتب إلى أن استقر به الظاهر رأس نوبة النوب في سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ثم نقله فيها إلى الأخورية الكبرى، فأقام فيها سنين، وكان دَيِّنا متواضعا عفيفا، مات سنة٨٥٣هـ/١٤٤٩م بالطاعون (السخاوي: الضوء اللامع، ج٦ ص٢١٦).

(٣٩) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسيوط، ص٤ . ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٤٥ . كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسيوط في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، نُشر ضمن تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، أسيوط ٢٠٠٨م، ص٣٢٣.

(٤٠) انظر؛ السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٤٠، ١٤١- ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز فياض، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٠م، ج١ ص٦٠- خير الدين الزركلي، الأعلام، "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج٦ ص٥٧.

(٤١) هو سراج الدين أبو حفص، عمر بن محمد بن علي بن فتوح، الدمنهوري، مولده بعد سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، برع في النحو والقراءات والحديث والفقه، وكان جامعا للعلوم، درّس وأفتى، وحدث عنه أبو اليمن البصري، مات سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م (السيوطي: بغية الوعاة، ج٢ ص٢٢٣. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ج٨ ص٢٩٤).

(٤٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة١٩٩٨،ج١ ص٢٠٧ - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨ ص٤٦٩).

(٤٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤ ص٢٢٣- السخاوي: الضوء اللامع، ج١١ ص١٥٥. وعن لقب الجعفري الزَّيْنبي، يقول المقريزي: إن العشيرة المعروفة ببني ثعلب التي نزلت بحرجة مير من أعمال سيوط، هم من الجعافرة الزيانبة أولاد علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرف بنو علي هذا بالزيانبة؛ لأن أمه السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، ويقال: فيمن هو في بني ثعلب؛ الثعلبي الجعفري الزينبي (المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، مصر ١٩١٦م، ص٣٩، ٤٠).

(٤٤) إنباء الغمر، ج٤ ص٢٢٣.

(٤٥) الضوء اللامع، ج٧ ص١٥٤، ١٥٥.

(٤٦) بنيت ذلك الاستنتاج من خلال زياراتي لذلك المكان، وعرفت من الناس هناك أنه كان يوجد به فعلا مسجد أو زاوية قديمة هُدمت وبُني مكانها مسجد يسمونه مسجد الشريفة، وهم يعتقدون أن الشريفة هذه كانت ست صالحة، ومنهم من يقول إنها الست خضرة الشريفة، وهناك ضريح لها بغرفة أعلى المسجد، وهو من دون شك اعتقاد خاطئ، والذي يقرأ تاريخ أسيوط خلال فترات لاحقة على العصر المملوكي يمكن له تبين صحة ما توصلنا إليه من استنتاج، فعلى سبيل المثال يقول عثمان فيض الله عند حديثه عن أسرة الخازندار: رب هذه الأسرة هو الحاج حسن الخازندار، وعُين في هذه الوظيفة في عهد محمد علي باشا، وكان منزله في صقع من مدينة أسيوط كان ينزل به الحكام والأشراف ويسمى درب الشريفة (حارة الخازندار الآن) ولا يزل البيت القديم قائما إلى اليوم . أي سنة ١٩٤٠م . (انظر: مدينة أسيوط "بحث في بيئتها بين الماضي والحاضر"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م، ص١٨٩).

(٤٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٧٨.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤ ص٢٢٣. السخاوي: التبر المسبوك، ص٨٦ والضوء اللامع، ج١١ص١٥٥، ١٥٦

(٤٩) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢٤٤، ٢٤٥. قد يكون السبب الذي جعل الدكتور ماهر يقول: إنه هو جلال الدين الأبشيهي أنه تعجّل في نقل أول اسم أورده السخاوي ضمن مجموعة أشخاص حوت أسماؤهم اسم جلال الدين، وكان من بينهم ابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري مدرس الشريفية بأسيوط، فالتبس الأمر على الدكتور الكريم واعتبر أن مدرس الشريفية هو جلال الدين الأبشيهي. حيث يقول السخاوي في ذلك: "(جلال الدين) بن الأبشيهي في الأبشيهي، وابن الأسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي، وابن الأمانة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان، وابن السيرجي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يوسف، وابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري الزينبي الأسيوطي مدرس الشريفية بأسيوط وهي من إنشاء ابن عم أبيه زين الدين، وكان قد ولي الحكم بها مرة، مات سنة سبع وأربعين، وابن الملقن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن أبي الحسن و..... و..... و...... الخ" (الضوء اللامع، ج١١ ص١٥٥، ١٥٦).

(٥٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج٩ ص٢٤٤.

(٥١) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢٤٥.

(٥٢) في تقديري أن الذي حدا بالدكتور ماهر إلى القول بهذا؛ تصوره للعبارة التي اختتم بها السخاوي كلامه عن جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، في ثنايا كتابه التبر المسبوك (ص٨٦. وكرر الكلام نفسه في الضوء اللامع، ج١١ ص١٥٥) والذي اعتمد عليه الدكتور ماهر في توثيق مقولته هذه، على أنها عبارة موصولة بترجمة شرف الدين شارح المنار الذي ترجم له السخاوي عقب ترجمته لجلال الدين مباشرة في الصفحة ذاتها، فتلك العبارة يقول فيها السخاوي "وكان قد وَلِي الحكم بها مرة". أي بأسيوط . وهنا ينتهي كلامه عن جلال الدين، وهذا هو الطبيعي، وللتحقق منه يمكن مراجعة كتاب إنباء الغمر (ابن حجر العسقلاني، ج٤ ص٢٢٣) وهو المصدر الذي نقل عنه السخاوي أصلا العبارة المذكورة. لكن الدكتور ماهر قرأها موصولة بما بعدها، فصارت العبارة حسب قراءته وكأنها تقول: ووُلي الحكم بها مرة شرف الدين شارح المنار. الأمر الذي عكس لديه أن شرف الدين وُلي التدريس بالمدرسة الشريفية، مع أن هذا أمر لم يحدث.

(٥٣) المقصود بها إقليم شبه جزيرة القرم، وتقع جنوب أوكرانيا على البحر الأسود.

(٥٤) أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج٢ ص١٤٢.

(٥٥) الضوء اللامع، ج٧ ص١٧٨.

(٥٦) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ج١٢ ص١٠٧.

(٥٧) محيي الدين الطعمي: الذهب المنقوط في تاريخ أعيان أسيوط، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٨م، ص١١٩ . ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢٤٥.

(٥٨) ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج٤ ص٦٤ .

(٥٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج٤ ص٦٤ .

(٦٠) ج٧ ص١٧٨.

(٦١) محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، بحث نُشر بكتاب "تاريخ المدارس في مصر الإسلامية"، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢٧٧.

(٦٢) انظر: بغية الوعاة، ج١ص٤٧٢. التحدث بنعمة الله، تحقيق اليزابث ماري سارتين، القاهرة ١٩٧٢م، ص٥: ١١. حسن المحاضرة، ج١ ص٢٨٩، ٢٩٠، ٣٨٠، ٣٨١ . نظم العقيان، ص٩٥.

(٦٣) لأن والده هو كمال الدّين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدّين محمد بن سابق الدّين أبي بكر بن فخر الدّين عثمان بن ناصر الدّين محمد بن سيف الدّين خضر بن نجم الدّين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدّين محمد بن الشيخ همام الدّين الهمام الخضيري. وهذا النسب ورد في صداق لابن عم والده، نور الدين علي بن جمال الدين عبد الله بن سابق الدين أبي بكر (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٥).

(٦٤) يقول ابن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) عن الخُضيرية إنها: محلة كانت ببغداد، في الجانب الشرقي، وكأنها المحلّة التي يسمّونها الآن الخضرية، مجاور مشهد الإمام أبي حنيفة، ويعرف بسوق خضير. (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت١٩٩٢م، ج١ ص٤٧٢).

(٦٥) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥، ٦ . حسن المحاضرة، ج١ ص٢٩٠.

(٦٦) التحدث بنعمة الله، ص٧ . حسن المحاضرة، ج١ ص٢٩٠.

(٦٧) هو سيف الدين شيخو العمري، اشتراه الناصر محمد بن قلاوون وجعله من مماليكه فعرف بالناصري، تدرج في المناصب إلى أن صار من كبار رجال الدولة، وعُين في وظيفة رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م في سلطنة الناصر حسن الثانية، ولقب بالأمير الكبير، وقتل سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م (المقريزي. الخطط، ج٤ ص١١٣-١١٥. السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢ ص ١١٥، ٢٣٣).

(٦٨) يقصد بتلك المدرسة خانقاة شيخو التي بخط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو (المقريزي: الخطط، ج٤ ص٢٨٣ والسلوك، ج٤ ص٢١٩. السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢ ص٢٣٣).

(٦٩) المقريزي: الخطط، ج٤ ص٢٨٣ والسلوك، ج٤ ص٢١٩.

(٧٠) المقريزي: الخطط، ج٤ ص١١٥.

(٧١) المقريزي: الخطط، ج٤ ص١١٤ والسلوك، ج٤ ص١٩١: ١٩٤.

(٧٢) المقريزي: السلوك، ج٤ ص١٩٣.

(٧٣) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٧ .

(٧٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١ ص٢٩٠.

(٧٥) محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص٢٥٥، ٢٦١.

(٧٦) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م. على سبيل المثال لا الحصر ورد في تلك الكتاب (ص٥٨٠) أن خزانة الكتب بالمدرسة النجيبية بمدينة قوص كانت تحتوي على جملة كتب، من بينها كتاب يقع في ثلاثين مجلد .

(٧٧) عثمان فيض الله: مدينة أسيوط "بحث في بيئتها بين الماضي والحاضر"، ص٩٢.

(٧٨) زرت المنطقة التي كانت بها المدرسة الخضيرية، ووجدت تلك المدرسة قد هُدمت، ويبنى الآن مكانها مسجد يسمونه مسجد الخضري أو الخضيري. ولحسن الحظ فقد احتفظ لنا الدكتور ضياء محمد جاد الكريم بصور لمدرسة أو مسجد . على حد قوله . الخضيرية قبل أن تُهدم، ونشرها في كتاب تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، وللاطلاع عليها انظر الكتاب المذكور، ج٤ ص٦٥، ٦٦.

(٧٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج٤ ص٦٧ .

(٨٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٧٨ . علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١٢ ص١٠٧.

(٨١) المقال الموجز في مدينة أسيوط، ص١ .

(٨٢) عثمان فيض الله: مدينة أسيوط "بحث في بيئته بين الماضي والحاضر"، ص٢٠٩.

(٨٣) سيد علي الطويجي: ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، مطبعة المنير بأسيوط، ط١، ١٩٣٣م، ص٤٠، ٤١.

(٨٤) سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم العربي بحلب، سورية ١٩٩٧م، ج٢ ص١٦٣، ١٦٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦ ص١٣٩، ١٤٠.

(٨٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦ ص ١٤٠، ١٤١.

(٨٦) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م "دراسة تاريخية وثائقية"، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٨٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦ ص١٤١ و ج١١ ص٧٢.

(٨٨) يقصد كتاب "المضبوط في أخبار أسيوط"، وللأسف هذا الكتاب مفقود، وعلمت أن منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين بألمانيا محفوظة تحت رقم ٩٨٤٥ /٥٧، فراسلت تلك المكتبة عبر موقعهم الإلكتروني، لطلب تلك النسخة، وجاءتني الإفادة أن رقم المخطوطة موجود بالفعل في الفهارس لديهم، لكن المخطوطة نفسها غير موجودة، وكان هذا ردهم نصا: "Dear Dr. Al-Kardousi,

Unfortunately, this manuscript is not in the state library. In the catalog it is mentioned only as an example for other manuscripts on this subject, but in Berlin we don't have this manuscript.
With best regards, T. Hanstein"

(٨٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٦.

(٩٠) ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، ص١٠، ١١.

(٩١) التحدث بنعمة الله، ص٥ .

(٩٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٦٦.

(٩٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥ ص٢٤.

(٩٤) هي مدينة ومركز أبوتيج الحالية، وتقع جنوبي مدينة أسيوط، وهي من المراكز المهمة بالمحافظة.

(٩٥) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢٤٦.

(٩٦) انظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٣٠٥، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج٤ ص٧ . السخاوي. الضوء اللامع، ج٢ ص١٢٤، ٢٥٤ وج٤ ص١١٥ وج١١ ص١٨٢.

(٩٧) **Mahamid (Hatim): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, Education Research Journal Vol. 1(7), December 2011, p.145, 146.**

(٩٨) ابن الحاج: المدخل، بيروت ١٩٩٥م، ج٢ ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٩٩) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٨٨.

(١٠٠) محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص٢٥٦.

(١٠١) السيوطي : بغية الوعاة، ج ٢ ص٢٤٢ . محمد زغلول سلام : الادب في العصر الأيوبي، ص ١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)، ص١٣٣.

(١٠٢) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج٢ ص٥١٩ . ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج٥ ق١ ص٥٣٣.

(١٠٣) نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص٩٥.

(١٠٤) كتاب في فروع الشافعية، للإمام أبي بكر: محمد بن أحمد الشاشي (ت٥٠٧هـ/١١١٣م)، صنفه لعمدة الدين ولد المستظهر وهو: المسترشد الخليفة الفضل المتوفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م، ثم اعتنى به العلماء فشرحه كثير منهم بعد ذلك، مثل ابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، وتاج الدين الفاكهاني (ت٧٣١هـ/١٣٣٠م)، وعلاء الدين البغدادي (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، وابن الملقن (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م)، وغيرهم (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ج٢ ص١١٦٩، ١١٧٠).

(١٠٥) المقصود بها اللمحة البدرية، وهي في النحو، للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ /١٣٤٤م)، (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٨١٨).

(١٠٦) تعرف أيضا بالمقدمة الآجرومية، ألفها أبو عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المتوفى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، وتعتبر من أهم متون النحو العربي، ولأهميتها تصدى لشرحها جهابذة العلماء والنحاة قديما (حجي خليفة. كشف الظنون، ج٢ ص١٧٩٦).

(١٠٧) كتاب في علم الصرف لعز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني (ت بعد ٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، وشرحه التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١١٣٨، ١١٣٩).

(١٠٨) هي أرجوزة أو قصيدة تعرف بالفرائض الرحبية أو غنية الباحث، وهي للشيخ صلاح الدين يوسف بن عبد اللطيف بن الرحبي الشافعي الحموي (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٢١١).

(١٠٩) ايساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو: باب من الأبواب التسعة للمنطق، وصنف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين، والمشهور المتداول منه كتاب (المختصر) المنسوب إلى أثير الدين الأبهري (توفي حوالي٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق، وسُمي ايساغوجي مجازا من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته وله شروح وحواش كثيرة (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص٢٠٦).

(١١٠) كتاب في المنطق لشمس الدين أبو الثناء الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٤ ص٣٢٧، ٣٢٨).

(١١١) منظومة في علوم الحديث، المسماة "التبصرة والتذكرة في علوم الحديث"، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وهي مطبوعة الآن.

(١١٢) قصيدتان في علم القراءات للشاطبي، القاسم بن فيرُه بن أحمد (ت٥٩٠هـ/١١٩٤م)، إحداهما هي القصيدة اللامية أو "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني" وهي مشهورة للغاية ولها شروح كثيرة، وتعرف بالشاطبية، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتا (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص ٦٤٦). والأخرى هي القصيدة الرائية أو "عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد"، وهي في بيان رسم المصحف (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤ ص٣١١).

(١١٣) في علم العروض والقافية، لصدر الدين محمد بن الحسن الساوي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، ويوجد منها نسخة خطية بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣٩٥٥ /٤١٦ ص.س .

(١١٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٥٤، ١٥٥.

(١١٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٣.

(١١٦) يسمى هذا الكتاب أحيانا بسطور الإعلام في مباني الإيمان والإسلام، وهو من تأليف عمر بن موسى بن الحسن، الحمصي (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م)، ويوجد منه نسخة خطية محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ١٤٧١ /٢١٤ س.ح .

(١١٧) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسيوط، نُشر ضمن تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، ص٣٢١.

(١١٨) انظر: ص١٥، ١٦.

(١١٩) وذلك في سياق الحديث عن ظهور المدارس في أسيوط

(١٢٠) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، ص٢٣٣.

(١٢١) ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨ ص٣٤٨ . السيوطي: بغية الوعاة، ج٢ ص٢٤٢ وحسن المحاضرة، ج١ ص٣٥٨.

(١٢٢) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٥ ص١٣٤.

(١٢٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٩ ص١٥٤ . ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٢ ص١٨٥.

(١٢٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢ ص٢٤٢.

(١٢٥) الطالع السعيد، ص٢٠٦.

(١٢٦) الطالع السعيد، ص٧٠٨. وانظر أيضا: الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر، دمشق١٩٩٨م، ج٥ ص٥٦٦. ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة، ج٤ ص٤١٩.

(١٢٧) إطفيح: إحدى مراكز محافظة الجيزة، وتقع على الضفة الشرقية من النيل في مواجهة مركز العياط، وكانت في عهد المماليك، تعرف باسم الأعمال الإطفيحة.

(١٢٨) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٨.

(١٢٩) انظر مثلاً السخاوي: الضوء اللامع، ج١١ ص٧٢، ٧٣ . السيوطي: بغية الوعاة، ج١ ص٤٧٢ وحسن المحاضرة، ج١ ص٣٨٠، ٣٨١ ونظم العقيان، ص٩٥. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج٢ ص٢٨٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٩ ص٤١٥، ٤١٦ . علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١٢ص١٠٦.

(١٣٠) التحدث بنعمة الله، ص٧ : ١٠ .

(١٣١) هو الفقيه إبراهيم بن خضر بن أحمد، الشافعي، القصوري الأصل، نسبة إلى القصور قرية بالصعيد، ولد بالقاهرة سنة٧٩٤هـ/١٣٩٢م، ومات سنة٨٥٢هـ/١٤٤٨م (السيوطي: نظم العقيان، ص١٥، ١٦).

(١٣٢) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي، الشافعي، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وقيل سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م. كان إمام عصره في العلوم، تولى التدريس بعدة مدارس، مات سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م (السيوطي: نظم العقيان، ص١٥٤) .

(١٣٣) كان لكل قاضي قضاة أعوان ينوبون عنه في مصر والقاهرة يسمون"النواب من الحكام" (محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، نُشرت كملحق لكتاب صبح الأعشى (ج١٥)، القاهرة ٢٠٠٦م، ص٣٥٣). وبالطبع كان للقضاة بالأقاليم، ومن بينها أسيوط، أعوان ينوبون عنهم، مثل مصر والقاهرة تماما، ويطلق على كل منهم نائب الحكم، ومن الأمثلة على ذلك فيما يخص أسيوط أن والد جلال الدين السيوطي "ولي بها الحكم نيابة" (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٨).

(١٣٤) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص٢٩٥.

(١٣٥) الضوء اللامع، ج٧ ص١٣.

(١٣٦) هناك أكثر من شخص عرف بالشهاب السخاوي، ونرجح أن المقصود هنا هو؛ الشهاب ابن موئن السخاوي المالكي، أحمد بن محمد بن زين، الذي برع في العربية والفقه وأصوله وغيرها وتصدى للإقراء بأبوتيج (إحدى مدن أسيوط) وكان مقيما بها وبالقاهرة، وعمر بحيث جاز التسعين أو قاربها، ومات في سنة اثنتين وستين وثمانمائة (السخاوي: الضوء اللامع، ج٢ ص٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢).

(١٣٧) كتاب المجموع في علم الفرائض، للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلائي، الشافعي المتوفى سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص١٦٠٥، ١٦٠٦)

(١٣٨) ترجم السخاوي لاثنين كل منهما يعرف بالشهاب العجيمي، أولهما أحمد بن عبد الله الشهاب العجيمي الحنبلي، أحد الفضلاء الأذكياء، أخذ عن شيوخ عصره، ومهر في العربية والأصول وقرأ في علوم الحديث، ولازم الإقراء والاشتغال في الفنون، ومات عن ثلاثين سنة بالطاعون في رمضان سنة تسع بالقاهرة . أما الثاني فيقول عنه السخاوي "هو أحمد بن محمد الشهاب العجيمي الصوفي بالخانقاه السرياقوسية، قرأ على شيخنا الترمذي في سنة أربع وأربعين وبلغ له بالشيخ، وكان متوددا، مات فيما أظن بعد الستين" (انظر: الضوء اللامع، ج١ ص٣٧٢ وج٢ ص٢١٧) . وإن كان المنهاجي السيوطي تعلم على يديّ الشهاب العجيمي، فأكبر الظن أنه الشهاب العجيمي الحنبلي، المذكور أولا، لأن الواضح من سياق الترجمتين أن الأول منهما هو الذي اشتغل بالعلم والتدريس.

(١٣٩) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسيوط، ص٣٢١.

(١٤٠) الطالع السعيد، ص٧٢٦ : ٧٢٨.

(١٤١) طما: مدينة بالصعيد، تقع غرب النيل، شمال طهطا وجنوب صدفا، وتتبع الآن محافظة سوهاج.

(١٤٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤ ص١١٥.

(١٤٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٧٧، ١٧٨.

(١٤٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٣.

(١٤٥) الطالع السعيد، ص٥١٨ . وانظر أيضا: الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤ ص٤١٩.

(١٤٦) قرية تسمى أيضا أصفون، وتتبع حاليا مركز إسنا في محافظة الأقصر. وكانت في العصر المملوكي تابعة للأعمال القوصية (ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥ ص٣٠).

(١٤٧) ابن جماعة: تَذْكِرةُ السامع والمُتَكلّم في أدب العالم والمُتعلّم، تحقيق عبد السلام عمر عليّ الجزائري، مكتبة ابن عباس، سمنود، مصر ٢٠٠٥م، ص٢٦٠ . القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥ ص٤٦٤.

(١٤٨) للمزيد حول طبيعة عمل المعيدين ومهامهم في العصر المملوكي، وأسس اختيارهم، وتوليتهم، وتحديد أعدادهم، وإقامتهم بالمدارس، ودورهم في إثراء الحياة العلمية، وشغل بعضهم وظائف أخرى بجانب الإعادة، وعزلهم وتنازل بعضهم عن الإعادة وأسباب ذلك، والمناصب التي شغلوها

بعد الانتهاء من الإعادة. (انظر؛ محمد أحمد محمد الكردوسي: الإعادة بمدارس مصر المملوكية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٤٠)، أكتوبر ٢٠١١م، ص٥٠: ١٥٩).

(١٤٩) انظر؛ ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص٢٢٩: ٢٣٢- ابن السبكي معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٥م، ص١٠٨.

(١٥٠) عفاف سيد محمد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٩٠ .

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 148.

(١٥١) انظر؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص٢٤٩: ٢٥١ .

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 146.

(١٥٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص١٦٣- محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضرة في مصر العليا، ص ٢٦١.

(١٥٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤ ص ٣٢٢، ٣٢٦ . سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص١٦٢، ١٦٣.

(١٥٤) هو سليمان بن أبي الطاهر بن أبي القاسم بن عبد الكريم البوتيجي، المقرئ الضرير، كان مقرئا مجودا مشهورا بالدين والصلاح، ومات بأسيوط في آخر سنة ٧١١هـ/١٣١١م أو أول السنة التي تليها (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٢ ص١٥٣).

(١٥٥) الطالع السعيد، ص٥٣٠، ٧١٧، ٧٢٠. الصفدي: أعيان العصر، ج٤ ص٤٩١ والوافي بالوفيات، ج٣ ص١٩٨- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٤ ص٧- السيوطي: بغية الوعاة، ج١ ص١٥٨.

(١٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤ص٣٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص١٦٣.

(١٥٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج٧ ص١٧٨.

(١٥٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤ ص٣٣٢.

(١٥٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص١٥. من المحدثين المشهورين بعلو الإسناد، الذين رحل إليهم الناس لسماع الحديث منهم بأسيوط؛ زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح رواحة بن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة الأنصاري الحموي الشافعي، (ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م)، سمع

من جدّه لأمه أبي القاسم بن رواحة، وصفية القرشية (الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٥م، ج٤ ص٦٥، ٦٦ . العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، ج٢٧ ص٥٢٨. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣ ص٢٦، ٢٧ والوافي بالوفيات، ج١٨ ص٨٧ . المقريزي: السلوك، ج٣ ص٥٦ . ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٢ ص٣٢٨ . السيوطي: حسن المحاضرة، ج١ ص٣٣٨).

(١٦٠) هو الحافظ أبو طاهر السلفي: أحمد بن محمد الأصبهاني (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م)، من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الخليفة الظافر الفاطمي) مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م فأقام إلى أن توفي فيها. وكتاب الأربعين البلدانية، من تأليفه، وهو المسمى "الأربعين المستغني بما فيه عن المعين"، وهو في علم الحديث، حققه عبد الله رابح، وطبع بمكتبة دار البيروني بدمشق سنة ١٩٩٢م.

(١٦١) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٢ ص١٢٦.

(١٦٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص١٦٣.

(١٦٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص١٤٠، ١٤٦، ٢٤٠. محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص٢٦١، ٢٦٢؛

Haarmann (Ulrich): "Mamluk Endowment Deeds as a Source for the History of Education in Late Medieval Egypt", in al-Abhath/American University Of Beirut, Vol. 28, 1980, P. 34.

(١٦٤) التحدث بنعمة الله، ص٧ . حسن المحاضرة، ج١ ص٢٩٠.

(١٦٥) الضوء اللامع، ج٧ ص١٧٨.

(١٦٦) عفاف سيد محمد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب "تاريخ المدارس في مصر الإسلامية"، ص١٨٢.

(١٦٧) انظر على سبيل المثال: النويري: نهاية الأرب، ج٣١ ص٩٥ـ السخاوي: الضوء اللامع، ج١ص٦٣.

(١٦٨) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة ص٢٤٣، ٢٤٤.

ملحق عبارة عن مجموعة صور للمدرسة العائرية قبل هدمها

من تصوير الشيخ حسن سيد حسن البذاك، إمام الجامع الكبير (الأموي)

١ـ باب ومدخل العائرية

٢ـ الفانزية من الخارج

ARCHIVE

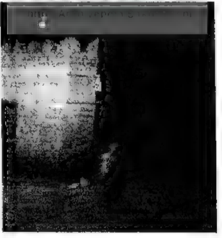

٣- القائرية من الداخل

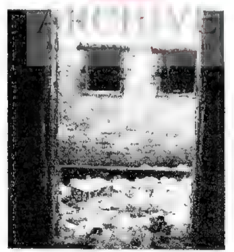

الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية من خلال المصادر الحبشية

(٨٣٨-٩٤٧هـ/١٤٣٤-١٥٤١م)

د. محمد أحمد محمد بهنساوي (*)

واجه أباطرة الأسرة السليمانية، في العصر الثاني لها، العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطرابات السياسية التي جاء على خلفيتها الإمبراطور زرء يعقوب Zar'a Y'aqob (٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) على عرش البلاد، ولقد رؤي قبل الخوض في هذا الموضوع: إعطاء نبذة مختصرة عن هذه الصراعات التي سادت في العصر الأول (٦٦٩-٨٣٨هـ/١٢٧٠-١٤٣٤م) من حكم هذه الأسرة.

يعد الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزغاوية[1] (٣٢٩-٦٦٩هـ/٩٤٠-١٢٧٠م) أحد أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة، وليس أدل على ذلك من قيام مذبحة كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة، في دبرا دامو Debra Damo، في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت- أسترا-Esthera)[2] (٣٢٩-٣٧٠هـ/٩٤٠-٩٨٠م) اليهودية الأصل، وقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من ديانات مختلفة على رأس المملكة[3]، لذا أنشأ الملك (لاليبالا-Lalibela)[4] (٥٨٥-٦٢٢هـ/١١٩٠-١٢٢٥م) صرحًا كبيرًا ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتلافي الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه "السجن الملكي أو أمبا جيشن" [5] حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة، حتى بدايات العصر الحديث[6].

وعلى الرغم من وجود هذا السجن الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات، في بطون المصادر الحبشية، التي تدل على استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية[7]. فالإمبراطور(أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، ونظامه ملكي استبدادي، يستند حكمه إلى حق ألهي وريثه يتسلسل عن منليك الأول (طبقاً للأسطورة المعروفة)[8]. وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن للابن الأكبر بقدر ما كان للابن الأقوى[9]. وربما يمكن التدليل على صحة هذا الرأي بالإشارة إلى فترة حكم يجبيا صيون Yagba soyan (٦٨٤-٦٩٤هـ/ ١٢٨٥-١٢٩٤م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب[10]، إلا أن أخر أبنائه، والذي يدعى سابا أسجد Sab'a Asgad (٦٩٨-٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م)

(*) باحث حاصل على درجة الدكتوراه.

لم يصبر حتى تنتهي نهاية فترة حكم أخيه (جين أسجد Djin Asgad ٦٩٧-٦٩٨هـ/١٢٩٧-١٢٩٨م)، فدبر مؤامرة للقبض عليه وأخوته الآخرين، إلا أنه لم يعيش طويلاً[١١]. كما أن يجبيا صيون نفسه قد ورث الحكم عن أبيه يكونو أملاك، برغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن أخوته جميعاً[١٢]. وفي نفس الصدد أيضاً فقد استطاع ودم بن سيف أرعد Wedem Sayfa Ar`ed (٧٧٤-٧٨٤هـ/١٣٧٣-١٣٨٢م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (٧٨٤-٨١٤هـ/١٣٨٢-١٤١١م) برغم صغر سنه[١٣]، وهكذا فإذا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الطامعين[١٤].

أما في الحالات التي كان يتوفي فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية_ فور موت الإمبراطور_ تسرع إلي السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالبًا ما يكون أخو الإمبراطور السابق[١٥]. ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلي شقيقه؛ كان يعد حادثًا مهمًا في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأمراء "أمبا جيشن" ليتوج بدلاً من الإمبراطور الراحل[١٦].

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة علي العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لانتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة السليمانية، حتي عهد الإمبراطور(دواد)، فأثناء حياة هذا الإمبراطور أشارت مصادر القديسين الأحباش إلي أن القديس (ماري) St. Mary جمع حوله العديد من رجال الدين، واستقر رأيهم علي وجوب تنازل (داود) عن العرش لابنه (تيودورس)[١٧]، وقد استعان (دواد) ب(العقابي ساعات سيجاقا) Saraqa في دبر حيق، وبعض قادة الجيش الذين طلبوا العفو والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه، بل أنه صلي من أجله، وتتفق تلك المصادر علي أن (العقابي ساعات) مات في عام ١٤٠٣م، أي أن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ساعات) دورًا رئيسًا في استقرار المملكة فترة من الوقت، فقد أبقي (دواد) علي عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة[١٨].

وهكذا بدت المملكة الحبشية علي شفا هاوية عندما اعتلي الإمبراطور زرء يعقوب عرشها، ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطي. ويبدو أنه ليس من الواقع في شئ أن تعد زرء يعقوب أول الملوك المصلحين الذين عملوا علي إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا علي عرش المملكة الحبشية من أحسوا بخطورة الموقف ورغبوا في الإصلاح، لاسيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة "المؤسس الحقيقي للأسرة السليمانية"[١٩].

أما عن الصراعات والثورات الداخلية، التي قامت في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية، فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب فرض المزيد من الضرائب، وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية، بقدر ما

كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء علي العرش، من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة، وبعض كبار النبلاء ورجال الدين .

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلي قيام مثل هذه الدسائس تبعا لأحوال كل عصر، إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زرع يعقوب) إلى كثرة الارتعاد والخوف الذي كان في أيامه؛ نتيجة قوة حكمه وقضائه تحت ستار الشرعية الدينية[٢٠]، حتي إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة، كانوا يسجدون علي ركبهم، ويقبلون الأرض خوفًا وارتعادًا كلما سمعوا صوت الإمبراطور[٢١].

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (بئيد ماريام ٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) فقد كانت علي العكس من ذلك تمامًا، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور، وأحس به الشعب، بعد ظلم مرير إبان عصر أبيه، مما سمح للشعب بعلو الأصوات التي صمتت طويلاً، بينما يشير النص الملكي الحبشي، في عهد الإمبراطور (إلكساندر٨٨٣-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) إلي تطلع بعض رجال الدين إلي إدارة شئون المملكة[٢٢]، فضلاً عن قيام المنازعات بين كبار مسئولي المملكة، بسبب صغر سن الإمبراطور، وعدم درايته بالحكومة وشئون البلاد[٢٣].

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، مما أدي إلي تطلع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في فترة حكم (عمدا صيهون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م) والتي اشتهرت – برغم قصرها- باشتعال الحروب الأهلية، وإراقة الدماء بين أنصاره وأنصار عمه الإمبراطور (ناؤود ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م) الذي تولي الحكم من بعده، فقد استطاع أحد رجال الدين، ويدعي (تكلا كرسيوس)، إثارة الشعب ضده، وكادت الثورة أن تهلك البلاد لولا نهايته السريعة[٢٤].

والملاحظ أن هذه الثورات اختفت تقريبًا بشكل كبير في عهد الإمبراطور لبنا دنجل، ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م، بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين[٢٥]. أما عن أحداث هذه الصراعات والدسائس، فسنتناولها بشئ من التفاصيل فى الفقرات التالية :-

١- في عهد (زرع يعقوب ٨٣٨ – ٨٧٣ هـ/ ١٤٣٤– ١٤٦٨م) :

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زرع يعقوب) كواحد من أقوي أباطرة الحبشة في العصور الوسطي، إذ لم يوضع أحد مقامه سوي الإمبراطور (عيزانا) كأقوي أباطرة الحبشة، وعلي الرغم من ذلك؛ فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والدسائس التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو: انحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية، لذا حيكت الدسائس، وقامت الثورات من جانب أبنائه وبناته وأزواج بناته، بالإضافة إلي رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقصائه عن عرشه[٢٦]، وذلك علي النحو التالي:-

أ- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلاط الملكي :

علي الرغم من أن الأمبراطور أعطي لبناته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكام لبعض المقاطعات، إلا أنهن أردن التصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاد، و تشير المصادر الحبشية إلي التمرد الذي قام به البحت ود (عامد مسقل) الذي دعي فيما بعد باسم (عامد الشيطان) وهو زوج ابنه (زرع يعقوب) التي تدعي (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية، وشاية وصلت إلي الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سراً بامرأة أخري، بمساعدة "الصاسرجوية" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعي (أمخا إياسيوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلساً عسكرياً، وكشف أمام قادته جرائم (عامد مسقل) وانتهي المجلس إلي الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه-(عامد مسقل)- إلي مكان لا يعلمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه علي ذلك، مثل (النبوراِيد نوب) -حاكم أكسوم- في دبرا دامو وأعدم معه[٢٧].

وتشير المصادر الحبشية أيضا إلي أكبر حركة تمرد في عصر (زرع يعقوب) وهي تمرد البحت ود (إيساياس Isaias) الذي كان أيضا زوجا لإحدي بنات الإمبراطور (أدل منجشا)، وكان (إيساياس) حاكم منطقة تيجري وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعينه في منصب البحت ود، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة جني بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة، انضمام بعض فرق الجيش وقادته مثل (بدل ونى) الذي كان رئيس "فرقة الشباب"، ورئيس فرقة الجان بلو، و"بدل كفت" رئيس فرقة الصراوجيت"، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلي في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوهم بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيساياس)أن يكون حاكما لمقاطعتي جوجام وجني معا، وعندما رفض الإمبراطور طلباتهم، بدأت هذه القوات في إحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة، وعلي الرغم من فشل بعض قادة القصر في التخلص منهم، إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم، كما أثيرت ضدهم بعض الدعاية السيئة، فراح مؤرخ البلاط ينسب قيام زعمائهم ببعض الأعمال المنافية للآداب، حيث يشير النص الحبشي إلي أن (بدل ونى) قد زني بامرأة أبيه، كما كان لزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها، وكلاهما يعلم[٢٨].

علي أن أمر هذه الدسائس والمؤامرت لم تقف عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن، بل امتد ليشمل أولاد الإمبراطور الذكور، فيحكي (زرع يعقوب) نفسه في كتاب "مصحف مولاد" عن أولاده (جلاديوس) و (عامد ماريام) الذين اتجها بمساعدة أميهما إلي السحرة والعرافين، وأجبروهما علي تقديم القرابين للشيطان، بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهم علي أن يأتي (جلاديوس) ببعض مؤلفات أبيه "تطومار تصبنت – مصحف برهان" لحرقها، وذلك في مقابل الاعتراف به ملكاً علي البلاد، وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة، وعاقبهما الإمبراطور بالضرب بالسوط، فمنهم من عاش ومنهم من مات [٢٩].

كما ثار أيضا (بئيد ماريام) ابن (زرع يعقوب) بمساعدة أمه، وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه، بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه ولرغبته الجامحة في تولي الحكم، إلا أن هذه

المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضًا، و أمر الإمبراطور بربط يدي وقدمي ابنه (بنيد ماريام) وجلده حتي كاد أن يهلك هو وخادمه (محاري كرستوس Mahari Krestos) لولا شفاعة بعض رجال الدين، وعلي رأسهم كل من: رئيس دير ليبانوس Dabra Libabos ، ودير كاسوا Dabra Kaso والأب الرحيم (أبو قير) التابع لدير اندجيطن، فأطلق الإمبراطور سراحه و أنعم عليه بمنحه بعض المناصب الشرفية[٣٠].

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية تمرد أولاد وبنات الإمبراطور، و ذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور، إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشئ من التفاصيل، كما ذكرت عقابهم أمام الناس، ليروا بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح، إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر، وهو الأمر الذي يقضي إلى عقوبة الموت[٣١].

ب- تمرد بعض رجال الدين :

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب، بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تنحية (زرع يعقوب) عن العرش وتولية غيره، وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء "بالرجال الأشرار" الذين يدعون (تعاوق برهان) و (زرع صهيون)[٣٢]. والجدير بالذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات، وبعض الرهبان مثل الأب (أندروس Abba Indiriyas) رئيس دير دبرا ليبانوس، والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد، ربما يرجع ذلك إلي أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما يسجل من مثل هذه الأحداث، فيذكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء الحقيقية، وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوي أنهم كانوا يعبدون الأوثان، كما أن أمهاتهم كنَّ سببًا في ضلالهم إلي السحر الأسود. فضلاً عن ادعائهم باطلا أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة؛ يمسكون ببعض أفراد الشعب ليحطموا أنوفهم بمسامير حديدية ويجمعوا دماءهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه، وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده[٣٣]، علي أن (زرع يعقوب) قد نفي عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبلهاء[٣٤].

ومن خلال سيرة حياة القديسين نتعرف علي بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات، من ذلك مناقشة القديس تكلا هاوتريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات، وعندما أختلف مع الإمبراطور أختلافًا بينًا رأي فيه الإمبراطور تطاولاً علي شخصه؛ ألقي به في السجن[٣٥]. وهكذا لجأ الإمبراطور إلي سياسية الحديد والنار لقمع هذه الثورات جميعًا، كما أنه لجأ إلي البطريرك والقضاة والمطران المصري، إذ إنه نجح في إقناع البطريرك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا(٨٣١-٨٥٧هـ/١٤٢٨-١٤٥٣م) "لكل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره علي عرش المملكة يكون مطرودًا ومحرومًا بكلمة الرب"[٣٦].

ومنذ ذلك الحين، في عام٨٦٦هـ/١٤٦٢م، عاش (زرع يعقوب) يحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات، إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة، في هذه الفترة، في ارتعاد

وخوف من شدة حكم الملك، فقد كان (زرء يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعفو عمن يريد، ويقدر من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور"[٣٧].

٢- في عهد (بئيد ماريام) (٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) :

رغم شدة حكم (زرء يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده، إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بئيد ماريام)، ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عن ما كانت عليه في عهد أبيه، إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها، ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسام الإيطالي (فرانسيسكو دي ليون) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلاً صغيرًا علي ذراعها الأيسر، كما درجت عليه العادة في أوربا آنذاك، إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدي الأحباش عمومًا بأن اليد اليسري هي علامة الشر، بخلاف اليد اليمني التي تدل علي الخير، مما أدى إلى قيام الأحباش بثورة اعتراضًا على هذه الصورة[٣٨].

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا واختلفت أهدافها، إذ تحولت من الثورة علي الحكم إلي المجادلات الدينية والعقائدية، من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريانيين وإخوانهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح، فقد رأي فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب، لأنه إله ابن اله، بينما رأي فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب، لأن المنطق يحتّم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فائقة الوصف، فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرايين ....إلخ[٣٩]، وعلي هذا فقد أمر (بئيد ماريام) بالقبض علي هؤلاء وأمر بعقابهم بالجلد والقضبان الحديدية، تبعاً لدرجة عقوباتهم كل حسب درجته[٤٠].

علي أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر علي النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتد إلي طريقة عمل الإمبراطور ذاته، ومن ذلك أنه أثير جدلٌ واسعٌ عن كثرة تنقلات (بئيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كيفما يريد، فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته علي ظهور الخيل، وأهمل المملكة وترك شئونها الداخلية، وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب، وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، ويشير كولمبس إلي اشتراك بعض قادة الجيش في هذه الوشايات[٤١]، وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك، وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والليقاقطاني، (قاض من القضاة) واجتمع الجميع في إحدي قاعات الملك، وقال لهم "وقلتم أن ملكنا لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل- هكذا قلتم، لأن هذا التقليد- ركوب الفرس وإطلاق السهام- لم يكن لدي آبائي الأقدمين من قبل" وأمر بتقديم أصحاب هذه الوشايات للمحاكمة، وإلا فالموت للجميع، وبرغم إنكار الجميع لهذه التهمة؛ إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلي عدة أماكن مختلفة[٤٢].

وعلي الرغم من شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت و وصلت إلى الإمبراطور نفسه، فيذكر النص الملكي ان الليقامطاني (بكلي) انفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش[٤٣] تمردوا عليه، وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه، وفي اليوم التالي أمر

الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعًا لاستجلاء الحقيقة، وعلي الرغم من أن الجميع أقسم بكنيسة صهيون علي نفيه القيام بأى محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم(٤٤).

وهكذا اضطر (ماريام) إلي اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حيكت ضده، لذلك فقد دخل الرعب إلي قلوب الشعب(٤٥) والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه، بدليل إصداره العفو العام عن جميع المسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرع يعقوب) وأعادهم إلي ديارهم، بالإضافة إلي أنه سمح لجميع الناس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان مختلفة(٤٦). إلا أنه انتشر بين الشعب الحبشي في ذلك الوقت: أن الإمبراطور أشد قسوة من أبيه، ومما دلل علي ذلك عقابه للصاسرجوية الذي يدعي (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب المملكة فيما لا يحق له(٤٧).

٣- في عهد (ألكساندر ٨٨٣-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) :

كانت إدارة المملكة الحبشية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa – Giyoris)(٤٨) وكل من الوزيرين: البحث ودد اليمين الذي يدعي (أمادا ميكلا Amda-Mikai el)، والبحث ودد اليسار الذي يدعي(بدالي ردBadla – Red) فضلاً عن وصاية أمه، إذ كان طفلاً صغيرًا(٤٩).

وقد انفرد بإدارة أمور المملكة (أمادا ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة، وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرع يعقوب)، لذلك كانت له اليد العليا في الحكومة أيام (ألكساندر) حتى إن الملكة (رومانه) اختفت تقريبًا من الساحة السياسية في ذلك الوقت، مما أثار حفيظة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الأب (حسبو Abba – Hasabo) و(مايمون باسيدك Meeman Basedequs) والأب (أمادوا Abba – Amdu) لإسقاطه، وعلي الرغم من ذلك استطاع البحث ودد (أمادا ميكلا) القبض عليهم جميعًا، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفيهم جميعًا، وأثناء سيرهم إلي المنفي لقي بعضهم مصرعه(٥٠).

وهكذا انتصر (أمادا ميكلا) علي أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازدادت المعارضة ضده وخاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطًا بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلي البحث ودد وكأنه عقبة تقف في طريق طموحاتهم، وقد أرادوا وضع حدٍ لسلطته، وعلي الرغم من أن النص الملكي لا يشير، علي وجه الدقة، إلي الأسباب التي أدت إلي سقوطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزلوه عن الإمبراطور الشاب، وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، مما جعل الإمبراطور يصدر أمرًا بالقبض عليه ونفيه إلي مكان مجهول(٥١).

وتشير المصادر الحبشية إلي أن (أمادا ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخري بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلي البلاط، وراح جنوده يعيثون في البلاد سلبًا ونهبًا، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام(٥٢).

كما تشير الأحداث أيضًا إلي أن الموت أدرك الملك فجأة، وهو في سن صغيرة فلم يكد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، فأخفت الملكة الكبيرة (إيليني) خبر وفاته، وأمرت بحفظ

جثته خوفًا من محاولة (زا سليوس) اغتصاب العرش، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة(٥٣).

٤- في عهد (عمدا صهيون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢- ١٤٩٣م):

علي إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (ألكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة، فقد زحف (زا سليوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل الملوك "أمبا جيشن" في أمهرة، و استطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (ناؤود)، وأعلنه ملكًا علي البلاد ثم اختفى بسرعة خوفًا من قوات رجال الحرس الملكي(٥٤).

وعلي الرغم من إعلان (ناؤود) إمبراطورًا علي الحبشة، إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة الملكة (إيليني) وتأييد أقوي مسئولي البلاط الذي يدعي (تكلا كرسيوس Takla – Kristos) سارعا بتتويج ابن (ألكساندر) الذي يدعي (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسيوس) ومعسكر أنصار عمه (ناؤود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلي العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسيوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، و عاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلي، إلا إن هذا الحداد انتهي بموت الإمبراطور، حتي أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتياحه لموته، وبشر بعهد الخير والسلام بعد أن تولي (ناؤود)(٥٥).

٥- في عهد (ناؤود ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م):

وهكذا انقلبت الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأمس هم أنفسهم أصدقاء اليوم، فها هو (ناؤود) الذي رشحه (زا سليوس) قبل ستة أشهر فقط بتولي العرش، وكان الصراع ما زال مشتعلاً علي السطح في بعض المقاطعات، عندما أعاد (زا سليوس) إعلانه للمرة الثانية (ناؤود) ملكًا في أمهرة في (ذي الحجة ٨٩٩هـ/أكتوبر ١٤٩٤م)، وقد أدي هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والنبلاء الذين كانوا معارضين إعلانه إمبراطورًا، كما فر (تكلا كرسيوس) إلي إيفات عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، وراح يثير أهالي ايفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرسانه، إلا أن أهالي ايفات نجحوا في القبض عليه، واقتادوه مقيدًا بالسلاسل إلي الإمبراطور الذي قام بنفيه، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بفقئ عينيه أثناء ترحيله إلي المنفي(٥٦).

ويذكر النص الحبشي أن الراهب (يوحنا) بشر بأن (ناؤود) سوف يكون عهده مليئاً بالخير والهدوء والسلام(٥٧).

كما أصدر الإمبراطور قرارًا بالعفو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة، وراحوا يثيرون الفتن الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسئولي البلاط،

وكان علي رأس هذه الفتنة الراهب (أندروا Andrew) ، وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه[٥٨].

٦- في عهد (لبنا دنجل ٩١٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م):

اعتلي (لبنا دنجل) العرش في ٢٢ أغسطس ١٥٠٨م، بعد أبيه (ناؤود)، وكان لديه أربعة أخوة هم: (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (ناؤود)، بالإضافة إلي (كلوديوس) و(ميناس)، وكان اختيار وريث من بينهما أمرًا صعبًا، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (لبنا دنجل) لصغر سنه، وكان في الثانية عشرة من عمره[٥٩].

وعلي الرغم من موافقة كبار النبلاء علي هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (لبنا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه، نظرًا لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (ناؤود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة السليمانية الجديدة في عهده[٦٠].

ولم يذكر النص الحبشي في عهد (لبنا دنجل) أي إشارات أخري ربما تشير إلي ظهور أي تمردات أو دسائس علي حكمه، سواء من رجال الدين، أو كبار مسئولي البلاط أو النبلاء، برغم بدء التدخلات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت. بل علي العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية، في عهد هذا الملك إلي أنه لم يجرؤ أحد من الشعب علي إحداث أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني[٦١].

وهكذا، فقد ساد طيلة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية، داخل وخارج البلاط الملكي، التي لم يخل عهد حاكم منها (اللهم في عهد لبنا دنجل)، فضلا عن ثورات قوات الحدود نتيجة بُعد وضعف السلطة المركزية، كل ذلك أدي إلي ضعف المملكة المسيحية، وخاصة منذ بداية عهد (ألكساندر) الذي عاني من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي علي حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين، والمذابح الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي .

(وثيقة الحرمان)

ወመጽሐፈ ፡ ግዘትስ ፡ ከመዝ ፡ ይብል ፡ ጣ[12] ፡ ዮሐንስ[13] ፡
ንብሩ ፡ ለእግዚእነ ፡ ሊያሱስ[14] ፡ ክርስቶስ ፡ ዘጸውዓ ፡ ዝሊድልወተየ[11] ፡
ለተልእኮ ፡ ዲበ[15] ፡ መንበረ ፡ ማርቆስ ፡ እፎል ፡ በስመ ፡ እግዚእነ ፡ ሊያሱ
ስ ፡ ክርስቶስ ፡ እንዘ ፡ ሀሉ ፡ ወልድ ፡ ቡሩክ[16] ፡ ወፍቁር[16] ፡ ክቡረ[17] ፡ ህ
ሳዊ[18] ፡ ንጉሥ ፡ ዘርእ ፡ ያዕቆብ ፡ ዘተሰምየ ፡ ቀሰጠንጢኖስ ፡ ዘንቡር ፡ ላ
ዐሰ[19] ፡ መንበረ ፡ ዳዊት ፡ በምሕረተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ንጉሠ ፡ ነገሥት ፡
ዘብሔረ[20] ፡ ኢትዮጵያ ፡ ጽኑዐ ፡ ላዕለ ፡ ሃይማኖት ፡ ርትዕት ፡ ኦርቶዶክ
ሳዊት[21] ፡ ሊይትዓዶ ፡ ፩እምትእዛዙ ፡ ወይኩን ፡ ውእቱ[11] ፡ እግዚአ[22] ፡ ወ
ክቡረ ፡ ወስሙዓ[23] ፡ ቃሉ[24] ፡ ወይኩን[25] ፡ ሎሉ ፡ ኀሩረ[26] ፡ ሉቱ[27] ፡ ወ
ሎሱ[1] ፡ ዘተዐደወ[2] ፡ ትእዛዘ ፡ ዘወሰነ[4] ወዘለካዕነ[3] ፡ ወመተርጎ ፡ በእነ
ቲለሁ[5] ፡ ዘኮነ ፡ ክዊና ፡ እምውሉደ ፡ ለዳም ፡ እምለርእስት[6] ፡ ወመኳን
ንት[6] ፡ ወሎሱ ፡ ሠራዊት ፡ ንኡስ ፡ ወዐቢይ ፡ ዕድ ፡ ወአንስተ ፡ ለእመ ፡ ፈ
ቀዱ ፡ ያንገሡ ፡ ካልአ ፡ እንዘ ፡ ሀሉ ፡ ዘርእ ፡ ያዕቆብ[1] ፡ ዘተሰምየ ፡ ቆስ
ጠንጢኖስ ፡ ዲበ ፡ መንበረ ፡ መንግሥቱ ፡ [2] እሉሂ ፡ ወዘፈቀደኒ[3] ፡ ነሢአ ፡
መንግሥት[8] ፡ ውጉዛነ ፡ ለይኩኑ ፡ በሠለስቱ ፡ አስማተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ዘው
እቱ[9] ፡ አብ ፡ ወወልድ ፡ ወመንፈስ ፡ ቅዱስ ፨ እመበ[10] ፡ ዘተዐደወ ፡ እየ
ዘ ፡ ወሰነ ፡ ወመተርጎ[11] ፡ ዘዐሰወ[11] ፡ ትእዛዘ ፡ ለንጉሥነ[12] ፡ ዘርእ ፡ ያዕቆ
ብ ፡ ዘተሰምየ ፡ ቈስጠንጢኖስ ፡ ዘንቡር[14] ፡ ዲበ ፡ መንበረ[16] ፡ መንግሥ
ት[18] ፡ ኢትዮጵያ ፨ ለው ፡ ዘይፈቅድ ፡ ቀቲሎቶ ፡ ወአንቀልቅሎቶ ፡ እመን
በረ[17] ፡ መንግሥቱ ፡ ለው ፡ በኀቡእ ፡ ወበከሠት[18] ፡ ለው ፡ በሥራይ ፡ ለ
ው[19] ፡ ዘተብረ[20] ፡ ላዕሌሁ ፡ በምክር ፡ እኩይ ፡ ውእቱ ፡ ይኩን ፡ እሱረ[21] ፡
ወውጉዘ ፡ በቃለ ፡ እግዚአብሔር ፡ መታሬ ፡ ቀዳማዊ ፡ ዘውእቱ[22] ፡ ሥሉስ[23] ፡
ቅዱስ ፡ አብ ፡ ወወልድ ፡ ወመንፈስ ፡ ቅዱስ ፨

ترجمة وثيقة الحرمان

" أنا يوحنا عبد سيدنا يسوع المسيح الذي دعاني بما لا يحق لي لأخدمه فوق عرش مرقص أقول" :

باسم سيدنا يسوع المسيح، بينما كان الابن المبارك والمحبوب عظيم المقام الإمبراطور زره يعقوب، الذي دعي قسطنطينوس، الجالس علي عرش داود برحمة الرب، ملك ملوك إثيوبيا الثابت علي العقيدة الأرثوذكسية الحقة فلا يتعدى أحد أوامره، ويكون هو السيد العظيم المسموع كلامه، ويكون الكل خاضعاً له .

وكل من تعدى أمرنا الذي حددناه وسجلناه وقضينا به، كائناً من كان من بني آدم من الرؤساء والأمراء وجميع الجنود، الصغير والكبير، الرجال والنساء. وإن أرادوا تولية غيره بينما زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس موجود علي عرش مملكته، سواء هؤلاء أو من أراد أخذ ملكه ليكن محروماً بأسماء الرب الثلاثة التي هي الأب والابن والروح القدس. وإن وجد من تعدى ما حددناه وحكمنا به وعصى أمر ملكنا زره يعقوب الذي دعي قسطنطيوس الجالس علي عرش مملكة إثيوبيا، أو من أراد قتله وإزاحته من عرش ملكه سراً أو علانية أو بالسحر، أو من اجتمع ضده بتدبير أثم، ليكن ممنوعاً ومحروماً بكلمة الرب القاطع الأول الذي هو الثالوث المقدس . الأب والابن والروح القدس".

المصـــدر الاصلي :

Rossini,C : IL Libro della luce del negus zar a ya qob,(Mashafa Berhan), II (Text)pp20-21

نقلاً عن مجدي عبد الرازق سليمان : النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين زره يعقوب وابنه بئد ماريام، ص٤٩-٥٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الحبشية :

1- Jules Perruchon (traduction) : Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892.

2- .... : Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889.

3- ....: Les chroniques de Zar.a ya.eqobe et de Baeda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893.

4- ....: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie . Texte ethiopien inedit comprenant en outré un fragment de la chronique de Ba.eda- Maryam, leur Predeceddeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894 .319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzahlung .

5- Manfred Kropp : .... : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988

ثانياً . المخطوطات .

مجهول .

1 – سيرة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم٩٩ لاهوت.

ثالثاً . المصادر العربية المطبوعة :

١ – القرآن الكريم :

عرب فقيه : (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي).

٢- تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .

العمري : (شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله، ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م) .

٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمارات العربية المتحدة،الطبعة لأولى، ٢٠٠١م.

المقريزي : (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) .

٤- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة

١) راشد البراوي : الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ١٩٦١م.
٢) زاهر رياض : كنيسة الأسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
٣) ـــ: تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م.
٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطي، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.
٥) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

خامساً : المراجع الأجنبية :

1) A.H.M. Jones and Elizabeth Monroe : A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press,1974.
2) Budge (E .A .W) : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia, London,1928.
3) Charles F . Rey , F.R G.S : Unconquered Abyssinia As It Is To-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923.
4) Edward Ullendorff : The Ethiopians an introduction to country and people, London, oxford university ,Press Newyork.toronto,1965 .
5) Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003.
6) Francisco Alvarez : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961.
7) Hiob Ludolf : A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984.
8) J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ('The Political and Religious History of Abyssinia'), Paris, 1929.

9) John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901.
10) Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980 .
11) Paul B . Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000.
12) Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter,1985.
13) Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998.
14) ....: The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967.
15) Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 1972.
16) Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004.

سادسا : الدوريات العربية

١) كرم الصاوي باز : عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥هـ / ١٣١٤-١٣٤٤م)،مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م.

سابعاً . الدوريات الأجنبية

1) Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History,Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000).
2) Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in(RA),1970.
3) .... : The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970.

ثامناً : الرسائل العلمية :

١) زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة من (يكونو أملاك) إلى (زرء يعقوب) وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص(١٢٦٨– ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية،القاهرة، ١٩٥٥م.

٢) مجدي عبد الرازق سليمان: النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرء يعقوب ١٤٣٤–١٤٦٨) وابنه (بئيد ماريام ١٤٦٨–١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب– جامعة القاهرة،١٩٩٨م.

الهوامـــش

1 – هي الأسرة التي حكمت الحبشة قبل مجئ الأسرة السليمانية ويختلف كل من عبد المجيد عابدين وراشد البراوي و Edward Ullendorff في بداية حكمها، حيث يذكرون أنها تمكنت من الاستيلاء علي حكم الحبشة عام٥٣٢هـ/ ١١٣٧م وهو يختلف بذلك عن جميع المراجع التي بين أيدينا، كما أن هناك اختلافاً أخر بين الباحثين علي عدد ملوك هذه الأسرة، فبينما يشير البعض أنهم كانوا أحد عشر ملكاً تذكر القوائم الملكية لتلك الفترة أنهم كانوا تسعة فقط وهم – Djan Germe – Djan Seyum – Pantadem – Pantaw- Yemrehana – Na'akueto La'ab – Lalibala – Arbe – Yetbarak ، إلا أن هناك أتفاقاً عاماً بين معظم الباحثين علي أن مدة حكم الزغاوة كانت ثلاثة قرون وثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. للمزيد انظر عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٦٦، راشد البراوي، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥١، كذلك :

Budge :(E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London ,1928, p.277 see also Edward Ullendorff, The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university ,Press Newyork. toronto, 1965 , p.64.

2–جوديت: يشير بعض الباحثين أنها كانت من العائلة السليمانية القديمة، استطاعت الوصول إلي الحكم بمساعدة بعض قبائل الأجاو وذلك بسبب موقفهم المتشدد من عدم ترشيح النساء للحكم، وقد ساعدتها ظروف البلاد في الوصول إلي العرش إذ اشتد التنافس بين اثنين من الأمراء علي الوصول للحكم وراح كل منهما يدعم موقفه بتأييد العديد من رجال الدين، مما جعل جوديت بعد وصولها للعرش تزداد في اضطهاد رجال الدين المسيحيين بل وقتل ونفي الكثير منهم، فضلاً عن احراق جميع الكنائس والحاق جميع أنواع الخراب بها، وتعقب المسيحيين في كل مكان، في حين يشير بعض الباحثين إلي أن هذا كان بسبب تعصبها للديانة اليهودية، وبسبب ذلك وضعها الأحباش بالاشتراك مع الإمام أحمد الجران في قائمة وحوش التاريخ الحبشي، وعلي الرغم من ذلك فقد استطاعت حكم البلاد طيلة أربعين عاماً حققت فيها نوعًا من الاستقرار والسلام، للمزيد انظر المقريزي : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٢، أيضاً

- Paul B.Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History,Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

[3] - أشار العديد من المراجع التاريخية إلي أن الملكة (جوديت) لم تكن وحدها من ملوك الزغاوة التي تدين باليهودية، فقد أشار بعض المؤرخين إلي تقسيم ملوك الزغاوة إلي قسمين من حيث الديانة، إذ يشار إلي أن عدد ملوك القسم الأول والذي يبلغ خمسة ملوك كانوا يدينون جميعاً بالديانة اليهودية، أما القسم الثاني فكان عدد ملوكه ستة ملوك كانوا يدينون بالديانة النصرانية. لمزيد انظر

-Charles F. Rey : Unconquered Abyssinia as it is to-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923,p 86.

4 – اتخذ الملك لاليبلا لنفسه لقب جبرامامسقال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بترميم العديد من الكنائس وبني أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقياً حتى الآن استعان فيها بعدد من العمال المصريين بالاضافة إلي بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفي بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها علي الحكم في عهد أخيه الكبير لذا يعتقد انه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه (١١٨٩ – ١٢٢٩م) بينما يذكر آخرون أنها (١١٨٠- ١٢٢٠م) وبينما نجد فريقاً ثالثاً يؤكد أنه كان معاصرا للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢٠م) ولكنهم يجتمعون علي أن مدة حكمه كانت أربعين عاماً انظر زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٢٦ – ١٢٧ كذلك

- Jules Perruchon (traduction) : Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Frnest Leroux, Paris, 1892, p.51.

5 – يقول ألفاريز إن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك يمرها Yimrha " حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة علي العرش بين أبناء الأسرة الأجوية ووقوعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة علي هذا الجبل هو الملك "لاليبالا". أما عن تنظيم "جيشن" كسجن ملكي فربما يرجع إلي الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر :

-Francisco Alvarez:The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.165.see also Hıob Ludolf, A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

ولوصف جبل أمبا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر:

-Alvarez : op . cit , pp. 237-248.

6-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press,1974 , pp.26-31.

7- John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901,p.38.

8- تنسب الأسرة السليمانية إلي سيدنا سليمان عليه السلام، وتقول الأسطورة أن ما كيدا ملكة سبأ قامت بزيارته حيث أعجب بها وتزوجها وحملت منه ثم عادت إلي قومها وأنجبت ابنه حكيم، وقد شب الغلام في رعاية أمه إلي أن كبر وأراد أن يزور أبيه، فارسلته إليه حيث فرح به سليمان كثيراً وغير أسمه إلي منليك وعلمه حكمته، ولما صمم علي أن يعود إلي أمه وقومه، تمكن أن يأخذ من أبيه تابوت العهد الذي كان سليمان يحفظ فيه الألواح الإلهية التي كتبها الله للنبي موسي عليه السلام، ثم عاد به إلي الحبشة ليحكمها ومعه أسباط إسرائيل ومنه تسلسل ملوك الحبشة منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي حين اغتصب العرش منها اسرة أخري حكمت البلاد حوالي أربعة قرون حتى تمكن يكونو أملاك من طردها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وإعادة الأسرة القديمة إلي عرشها ممثله في شخصه. أنظر مجهول : سيرة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت، ورقة ٣، زاهر رياض، العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة من يكونوا ملاك إلي زرء يعقوب وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص(١٢٦٨- ١٤٦٨م)، رسالة دكتوارة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة، ١٩٥٥م ، ص٣٤.

9 -Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in Rural Africana,1970, p.105.

10 - Mordechai Abir : Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980,p . 21.

11 - Budge : op . cit . p. 287 .

12- Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003, p36.

13-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon ,Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889,p.xx.

14 – الجدير بالذكر أن الملك الحبشي كان يمنح ابنه الأكبر بعض السلطات السياسية والإدارية أثناء حكم أبيه، فقد أعطي يكونو أملاك ابنه بعضاً من هذه السلطات، وكذلك فعل عمدا صيون الذي أعطي إدارة إقليم التيجري لأحد أبنائه حيث منحه لقب'بحر ساجاد – **Bahr Sagad** '، كما أضيف إلي مهامه حكم المقاطعات المجاورة للبحر الأحمر وذلك عام٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م، كما تذكر المصادر الحبشية أنه عندما اقترب موعد موت زرء يعقوب تم إلقاء القبض علي بعض الأمراء الذين كانوا حاضرين في بلاط الملك، حيث أعلن تولي ابنه بند ماريام ملك الحبشة بمباركة من زرء يعقوب نفسه . انظر العمري،

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمارات العربية المتحدة،الطبعة الأولي، ٢٠٠١م، ص ٤٢، مجدي عبد الرازق سليمان، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرء يعقوب١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (بئيد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب- جامعة القاهرة،١٩٩٨م، ص ص ٩٨-٩٩، زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، ص ١٣١ وعن حكم عمدا صيون وتنظيم مملكته الداخلية . انظر، كرم الصاوي باز، عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥هـ/١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات افريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م ، ص ص ٨ -١١، انظر أيضاً

-Jules Perruchon : Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,pp124-125.

15-Taddesse tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 197., p. 282.

16-زاهر رياض: كنيسة الأسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٦٢م، ص٥٣.

17-Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

18 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

19- Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211.

20-"وكان في أيام ملكنا زرء يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل أثيوبيا، بسبب قانون حكمه وشدته" انظر:

- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.4.

21 - "وحين يدخل هؤلاء القادة- حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، يسجد الجميع بركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الملك " انظر :-

- Perruchon : op, cit , P.33.

22 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p.292.

23 - " وبالنسبة للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شئون الحبشة- لأنه كان وقتئذ طفلاً صغيرًا" انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

24 - " وتآمر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك " انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

25- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.

26- عرب فقيه : تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م ، ص ١٣٢، انظر ايضاً

-Taddesse Tamrat : op, cit , P.282.

[27] - "حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد ......وقد فعل خطيئة أخري حين تزوج سراً امرأة- وهو زوج لإسرائيلية- وهبه إياها الصاسرجويه أمخا إياسوي ليتزوجها. وبمجرد أن سمعت زوجته برهان زمداء أخبرت أباها الملك " انظر

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam,pp.10-11.see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.

28 – مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ص ٤٦-٤٧

[29] -"وفي ذلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأطلعهم علي عقوبات أولاده ومحاكماتهم القاسية قائلاً : انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أجرموا علي الرب، وغيرة له لم نرجمهم" انظر

- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.99.

مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ٤٤.

30-"وحمل الرسل الذين أرسلهم بنيد ماريام إلي القديسين بشارة هؤلاء القديسين : من دبر ليبانوس، ودبر كاسو، ومن الأب الرحيم أبو قير التابع لدير إندجبطن" انظر

Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.108.

31- مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨

32- "وفي ذلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم : تعاوق برهان، وزره صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شراً، فافتروا ظلماً علي هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.98.

33 - Coulbeaux: op, cit,p.137.

34 – مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨

35 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 241

36 – انظر وثيقة الحرمان في الملاحق.

37 – "وهناك (في دبر برهان) قتل الكثيرين من الناس ونفي البعض حين افتروا علي الرب ومسيحه، وقدر الكثيرين وعظمهم، ممن نفذوا مشيئة الرب، وأمر الملك" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.73.

38 - Budge : op, cit ,p.304.

39 – تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إذ قسمت العالم المسيحي إلي قسمين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالأسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس–وهو كاهن سكندري مثقف– أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقاً للإله الأب فهو إذا دونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوي والقدرة . وبعبارة أخري فإن المسيح مخلوق لا إله بمعني هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة إلهين. أما أثناسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شئ بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كانا شخصين متميزين . ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية علي أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأثناسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغلبة في الشرق الهيني للمذهب الأريوسي. هذا فضلاً عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأدباء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطي والدنيا التي انتمي إليها رجال =الدين من الأثناسيوسيين . للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور. تاريخ أوربا العصور الوسطي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص٣٩–٤١ .

40-Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 45.

41 - Coulbeaux: op, cit, p.166.

42 - Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal, p.47see also Perruchon , op, cit, p. 128.

43 – الجان مساروتش: جمع مفرد لكلمة (جان مساريه) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسئول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك" انظر مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ١١٢.

44 – "وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجمعوا جميع الجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلي القصر . وحين ادخلوهم إلي القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخنقوه بمفرده، حتي اضطرب وارتعد جداً كل الذين شاهدوهم....بينما ظلوا معلقين من رقابهم في ذلك اليوم من الفجر حتي الساعة التاسعة" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp.162-163.

45–"ولهذا السبب دخل الرعب في قلب كل الشعب حتي تحادثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam,p.129.

---

46 -"وفيما بعد نادي المنادي قائلاً : من الآن فصاعدا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء. وأنتم أيها السجناء، يا من كنتم عن قرب أو عن بعد عودوا إلي منازلكم" انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. ١٦٨, see also Richard Pankhurst : op, cit, pp.43-44.

47-"وقد أمر ملكنا ثانية بأن يجعلوا في ملابسه زيتاً ويدهنوه كثيراً، ويشعلوا ناراً، ويأخذوا ملابسه التي دهنت بالزيت، ويحرقوه مربوطاً مصلوباً ورأسه إلي أسفل" انظر
Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. ١٦5.

48 – أحد أبرز الذين حاربوا البحت ودد أماد ميكلا وقد أنعمت عليه الكنيسة بلقب " **Makbiba – Beta – Kristiyan** وهو لقب أعلي من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه علي رجال الدين، إذ يرد هذا اللقب في قداس ديني عن طريق القديس تكلا ايسيوس مو . انظر
- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp .109-111.

49 – "ووالدته رومانة والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبحت ودد أمادا ميكلا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها" انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

50 – "ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبو والأب أمادا ميكلا ومايمون باسيدك ضد البحت ودد أمادا ميكلا عندما أدركوا أنه الحاكم الوحيد لأثيوبيا" انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

51 - Coulbeaux: op, cit,p. 171.

52 - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.354.

53 - Budge : op, cit ,p.322.

54 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, pp.290-293.

55-Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36

56-"ووصل إلي محافظة إيفات وسعي أن يضم إلي عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة ولكن هؤلاء وهم عارفون بتفكيره تركوه بسبب خيانته وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلي الملك" انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

57 -" حيث كانت كل البلاد هادئة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئة ما يلي " لقد سمعت صدى من السماء يقول " ناؤود يحكم ممتدحا ومختلفاً " انظر
- Perruchon :Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.363.

58 - Budge : op, cit ,p.323.

---

[59] - " تبوأ هذا الملك الحكم وهو في عمر الثانية عشر" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.3.

60 - Budge : op, cit ,p . 324

[61] - "وفي عهده لم يقم متمرد ثائر ولم ينبت أحد حيف ....لأن العدل والقسطاس قد باتا زينة عرشه، وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.5.

التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإيلخانيين (٦٦٣ : ٧٣٦هـ/١٢٦٥-١٣٣٥م)

د. محمد سيد كامل (*)

من أوائل الإصلاحات الإدارية التي اهتم بها الإيلخانيون[1] في دولتهم: التنظيمات العسكرية والخطط الحربية ، نظراً لأهمية الجيش في تعزيز مكانة الدولة، والقضاء على الفتن والثورات الداخلية، فضلاً عن درء الأخطار الخارجية ، والتوسع في البلدان المجاورة. لقد أدرك المغول الإيلخان[2] أهمية الاتحاد كقوة عسكرية، بين أفراد القبائل التتارية والمغولية، في إعداد جيشهم وتنظيمه، فبعد أن اتحدوا بدأوا مهاجمة المناطق الشرقية للعالم الإسلامي كقوة موحدة ، فنجد "جنكيزخان" يجهز قواته تجاه "خوارزم"[3] ويقضي على دولة "خوارزمشاه"، ويجبر السلطان "جلال الدين منكبرتي" على عبور نهر السند مخترقاً بلاد الهند، مع عدد قليل من رجاله لاجئاً إلى السلطان "شمس الدين ألتمش" طالبا منه تخصيص منطقة من أملاك دولة المماليك الأتراك ليقيم عليها هو وأتباعه، بعد هزيمته المنكرة على يد "جنكيز خان"[4].

لقد اهتم المغول اهتماماً كبيراً برفع كفاءة جنودهم الى أعلى درجة ممكنة، منذ عهد "جنكيزخان"، وقد اكتملت قوة وكفاءة هذا الجيش في عهد "هولاكوخان"[5]، الذى أثر تأثيراً كبيراً في تاريخ الأمم والشعوب الواقعة في أواسط آسيا وجنوب شرقي أوربا، وأصاب المسلمون بالكثير من الأضرار، وخاصة بعد إسقاط الخلافة العباسية في بغداد وقتل الخليفة "المستعصم" سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[6].

وبالرغم من إغارة "هولاكو" على بغداد بحملة استطلاعية قوامها "تومانين"[7]، وما تعرض له العالم الإسلامي على يد المغول من تخريب ودمار وسفك للدماء، إلا أن "هولاكو" وأبناءه من بعده أسسوا دولة حاكمة أطلق عليها في التاريخ: الدولة الإيلخانية التابعة للخان الأعظم في عاصمته "قراقورم" بالصين، في عدة مناطق من "أذربيجان" و"فارس" و"خوزستان" و"ديار بكر" و"خراسان" و"بلاد الروم"[8] وغيرها، حيث ارتبطوا بهذه البلاد التي توارثوا حكمها، وجعلوا "تبريز"[9] عاصمة لملكهم، ومن ثم تأثروا بالحضارة الإسلامية، وشيئاً فشيئاً اعتنقوا الإسلام، وتلاشت تدريجياً صلتهم بمغول الصين[10].

أولاً : نبذة عن مغول الإيلخان

حكم مغول الإيلخان في "فارس" و"العراق" و"ديار بكر" عقب وفاة "هولاكوخان"، في الفترة ما بين سنة ٦٦٣هـ: ٧٥٦هـ/ ١٢٦٤م: ١٣٥٥م، وتعاقب على حكمهم ستة عشر حاكماً،

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم- جامعة المنيا.

وتقتصر هذه الدراسة على دور ثماني أيلخانات منهم حتى عام٧٣٦هـ /١٣٣٥م، أي حتى نهاية عهد السلطان "أبو سعيد خان"، مركزاً على دورهم العسكري والحربي.

يعتبر "أباقاخان" أول حكام الإيلخانية في الفترة ما بين ٦٦٣هـ -٦٨٠هـ/١٢٦٤م -١٢٨٠م، الذي ساندته الأمراء وكبار القادة ووالدته السيدة "دوقوزخاتون" حتى وصل للعرش، طبقاً لأحكام الياسا الجنكيزية[١١]. وفي عهده تحركت جيوش الإيلخانية في عدة اتجاهات، منها جيش الأمير "يشموت" أخو الإيلخان إلى "دربند"[١٢]، ضد "توقاي" حاكمها، فسيطر "يشموت" على نواحيها وعلى "شروان" و"موغان" حتى حدود "التان"، كذلك سير الأمير "تويسين" إلى "خراسان" و"مازندران" حتى ضفاف نهر "جيحون"[١٣]. كذلك خرج "أباقاخان" بنفسه، في سنة٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، لمحاربة "براق" في بلاد ما وراء النهر، الذي أغار على "ختن"، راغباً في مهاجمة "منكو تيمور" – وهو أخ آخر للإيلخان– في "قايدو"، حيث أعد كميناً فأوقع الهزيمة بجنودهم وقتل وأسر الكثير منهم، ثم حصل على غنائم وافرة، إلا أن جيش "أباقا" أنزل به الهزيمة ورده عن ما وراء النهر[١٤].

وفيما تجدر الإشارة إليه: أن "أباقاخان" خرج بنفسه على رأس عدة حملات عسكرية، منها تجاه بلاد الروم، حيث فرض الجزية السنوية على أهلها وهي حوالي أربعمائة ألف دينار، وعزل سلطانها "غياث الدين"– من سلاجقة الروم– وعين بدلاً منه ابنه "ركن الدين"[١٥]. هذا ومن أهم حملات "أباقا" العسكرية موقعة "أبلستين"[١٦]، حيث التقى مع سلطان مصر المملوكي "الظاهر بيبرس"، والذى كان أمراء بلاد الروم، وعلى رأسهم الأمير "ابن الخطير" والأمير "معين الدين البرواناه" قد راسلاه للتصدى لجيش "أباقا"، الذى رغب في التوسع في داخل بلاد الشام، معززاً بجيش أخيه "منكوتيمور" والذى سار إلى حلب، وقد انتهت هذه المعركة بقتل أمراء بلاد الروم[١٧]، وإنزال الهزيمة بجيش المغول، ففضل "أباقا" تجنب القتال مع المماليك، حتى يتفرغ لجبهة "أرمينا" و"القبجاق"[١٨]، وقد قيل إن القائد "منكو تيمور" مات كمداً، متأثراً بتلك الهزيمة التي حلت به في حلب[١٩].

خلف الإيلخان "أباقا" على العرش أخاه "تكودار" بن "هولاكو" فترة قصيرة، من ٦٨٠هـ-٦٨٣هـ/ ١٢٨٠-١٢٨٣م[٢٠]، وذلك وفقاً لتعاليم الياسا الجنكيزية التي تنص قوانينها وشروطها على: أنه إذا مات الحاكم لا يجلس بدلاً منه إلا أكبر الأمراء سناً[٢١]، وهذا الشرط كان ينطبق على "تكودار"، ولا ينطبق على "أرغون" بن "أباقا". وقد واجه "تكودار" عقبة أخرى في سبيله لاعتلاء العرش، حيث إن مجلس "القوريلتاى"[٢٢] اختلف في أمر تعيينه حاكماً على الأيلخانية، بسبب اعتناقه الدين الإسلامي[٢٣]، وإطلاق اسم "أحمد" على نفسه[٢٤].

لقد نتج عن دخول "أحمد تكودار" الإسلام عدة نتائج من أهمها، عدم إرسال الخان الأعظم فرمان التولية له[٢٥]، وكذلك خروج أحد الأمراء عليه ومحاربته، وبذلك اضطر "أحمد تكودار" إلى تجريد جيش ضده بقيادة "أليناق" نائبه، ثم اضطر للخروج بنفسه على رأس جيش قوامه أربعين ألف فارس تجاه خراسان، فأنزل الهزيمة به وأسره[٢٦]. ولابد أن نشير هنا إلى أن "أحمد تكودار" قام ببذل الأموال والعطايا، وأغدق من أموال الخزائن على أخوته وأمرائه وقادة

جيوشه لكي يساندوه ، لدرجة أنه أطلق سراح "أرغون" منافسه على العرش في محاولة منه لاستمالته[٢٧].

ومن الطبيعي أن يبحث "تكودار" عن حليف قوي يؤازره ويقف إلى جانبه، لذا أرسل سفارة على رأسها الشيخ كمال الدين عبد الرحمن[٢٨] إلى سلطان مصر "المنصور قلاوون" تحمل رسالة يوضح فيها مدى حبه للدين الإسلامي[٢٩]، إلا أن هذه السفارة لم تؤت ثمارها، نتيجة لأن مجلس القوريلتاي والجيش انقسم على نفسه، وتحالف عدد من القادة مع "أرغون"، مثل الأمير "قرنغرتاي" القائد على جيش بلاد الروم، والأمير "أليناق" قائد جيش "الكرجي" والأمير "بوغا" والأمير "طغاجار" الذين رغبوا في تسيير جيش ضد بلاد الشام والمماليك في مصر، وقد انتهي الموقف بقتل "أحمد تكودار" وتولية الحكم "لأرغون"[٣٠].

واستمر حكم "أرغون" حتى سنة ٦٩٠هـ/ سنة ١٢٩١م، وكان من المتوقع أن يرسل جيشاً لبلاد الشام، إلا أنه أرسل جيشاً تجاه جبال "هكتار" بكردستان، لقتال الأكراد الذين كانوا يقطعون الطرق ويثيرون الفتن ، قوام هذا الجيش ستة عشر ألف فارس وعلى رأسه عدد من الأمراء منهم الأمير "مازون" و"القوشجي" و"تورين"، كما تحرك "أرغون" عندما وصلت الأخبار من خراسان بتقدم ثلاثين ألفاً من الفرسان من جند "قايد" ومقدمهم "بيسون نويان"، وعبورهم "البنجاب" ونهبهم جهات "بلخ" و"مرو"، فصدهم "أرغون" في سنة ٦٨٧هـ/ سنة ١٢٨٨م[٣١]. كذلك تصدى في ٦٨٩هـ/١٢٩٠م لتمرد الجنود في ناحية "دربند"، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة فارس وأسر عدداً آخر، والجدير بالذكر أن "أرغون" لم تكن في عهده أي حملات خارج إيران، فلم يتقدم تجاه بلاد الشام التي كان المماليك فيها يهدفون الى تصفية بقايا الصليبيين بالشام، وبذلك كانت الفتن الداخلية في الإيلخانية بمثابة معاول تعمل على إضعاف الدولة[٣٢].

وفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م توفي "أرغون" متأثراً بمرض ألم به، فتولى بدلاً منه العرش "كيخاتو بن أباقا"، حتى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م[٣٣]، والذي عمل على تحسين أوضاع البلاد المالية عن طريق استبدال العملة الذهبية والفضية بالعملة الورقية المسماة "الجاو"[٣٤]. ولابد أن نشير هنا إلى أنه في عهد "كيخاتو" ظهرت عدة فتن داخلية، منها فتنة "أفراسياب" حاكم "لوستان" وثورة "اللور"[٣٥]، إلى جانب ثورة التركمان واليونان في بلاد الروم، لذا صمم "كيخاتو" على الخروج بنفسه لمحاربتهم، فأسند شئون البلاد لنائبه المسمى "شيكتور نويان"، وزحف على بلاد الروم وقضى على الفتنة بمساندة عنصر "الكرج"[٣٦].

وبرغم هذه الإنجازات، إلا أن أمراء الإيلخانيين تآمروا على "كيخاتوخان" بسبب ضعف شخصيته، وانقياده لقائد جيشه الأمير "طغار"، الذي أقنعه بالمسير لمحاربة الأمير "غازان" في خراسان، ثم ما لبث أن تركه وانضم إلى صفوف معارضيه، وبذلك دارت الدائرة على "كيخاتو" فتم قتله في ٦٩٤هـ/١٢٩٥م[٣٧].

تعتبر فترة حكم "غازان" الذي تولي الحكم سنة ٦٩٤هـ-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م، والذي اتخذ لنفسه اسم محمود، بعد اعتناقه للإسلام وإعلانه ديناً رسمياً للبلاد، من أهم الفترات التي ظهرت فيها التوسعات الخارجية، بعد ازدياد هوة الخلاف بينه وبين السلطان "الناصر محمد بن قلاوون"، بسبب فرار العديد من المغول المؤيدين لسادس ملوك الإيلخانيين الأمير "بايدو" من

إيران -ويقدر عددهم بعشرة آلاف فرد- إلى الديار المصرية، وترحيب سلطان مصر بهم، وإنزالهم في ساحل بلاد الشام، وإحضار رؤسائهم لاستقباله في مصر. فزحف "غازان" بنفسه على رأس ثلاث حملات حربية لغزو بلاد الشام، تمكن في الحملتين الأولى والثانية من الاستيلاء على عدة مدن، فانتصر في "مرج المروج" سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م(٣٨).

وفي الحملة الثانية، سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، سار الأمير "قتلغ شاه" على مقدمة جيشه(٣٩)، ثم تقدم "غازان" تجاه الفرات ومنها إلى حلب، ومن اللافت أن سلطان مصر لم يخرج بجيشه لصد الإيلخانيين، وقد قيل إنه خرج بجيشه حتى "حماه" دون أن يتم الاشتباك بين الطرفين(٤٠). هذا وقد قيل إن السبب الرئيس في زحف "غازان" هو رغبته في التوسع(٤١) أولاً، ثم استنجاد بعض أمراء المماليك به، وهم "سيف الدين قبجق"، والأمير "فارس الدين البكي"، و"سيف الدين بكتمر السلحدار"، الذين زينوا له مهمته لغزو الشام(٤٢)، والذين كانوا على خلاف مع سلطان مصر، نتيجة لذلك فقد كافأ "غازان" الأمير "سيف الدين قبجق" بتعينه حاكماً على المنطقة الشامية، ومن ثم عاد "غازان" إلى "تبريز"(٤٣).

تجددت مسيرة "غازان" للمرة الثالثة على بلاد الشام، في ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، حيث زحف "قتلغ شاه" بجيش قوامه مائة ألف شخص، ومعهم أعوانهم من "الكرج والأرمن". فخرج "الناصر محمد" من مصر، مصطحباً الخليفة "المستكفي بالله العباسي"، وتمركز القتال في "مرج الصفر" على مقربة من حمص، فدارت الدائرة على "غازان" وجنوده، ففر قائد جيشه وغرق كثير من جنده، ومات آخرون في الصحراء من شدة الجوع والعطش(٤٤)، وبذلك حلت الهزيمة بالإيلخانيين، وأصيب "غازان" بحالة من الوجوم، وأمر بمحاكمة قواد جيشه المهزومين، فأعدم منهم اثنين، وأمر بضرب اثنين آخرين، وهما "قتلغ شاه" و"جوبان"، ضربا مبرحاً(٤٥)، وسرعان ما أصابته حالة نفسية سيئة مات على إثرها في ٧٠٣هـ/١٣٠٣م(٤٦).

خلف "غازان" في عرش الإيلخانية أخاه "أولجايتو بن أرغون"، الذي بويع بالعرش بحضور الأمراء والوزراء، إلا أن القائد العام للجيوش "هرقداق" كان ميالاً إلى تولية الأمير "الأفرنك بن كيخاتو"، ولكن "أولجايتو" تمكن من القضاء على معارضيه والوصول إلى الحكم، واستمر طوال الفترة ما بين ٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م(٤٧).

اعتنق "أولجايتو" الإسلام على المذهب السني، وتسمى "بمحمد"، وشرع في بناء مدينة "السلطانية"، الذي خصص لها دخل بعض الولايات لسد نفقات البناء، حيث استمر العمل في بنائها حوالي عشر سنوات، حتى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م(٤٨).

أما عن نشاطه الحربي: فقد بدأ "أولجايتو" حياته العسكرية بغزو منطقة "جيلان" بأربعة جيوش إيلخانية، أجبرت أمراءها على دفع الجزية التي كانت عبارة عن كميات من منسوجات الحرير(٤٩)، كذلك فتح في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م مدينة "هراة"، التي فرض عليها الحصار الشديد الذي أدى إلى ظهور مجاعة شديدة مع قلة الأقوات والأطعمة، فاستسلم أهلها، وبالتالي كان سقوطها فرصة كبيرة للإيلخانيين، حتى يتمكنوا من فرض سلطانهم على إقليم خراسان ككل(٥٠).

وبذلك فقد أظهر "محمد أولجايتو" نشاطاً عسكرياً كبيراً، وفتح عدة مناطق وأخمد أكبر تمرد في "هراة" ولكن محاولته فتح "مازندران" باءت بالإخفاق، بسبب سوء الأحوال الجوية وارتفاع

درجة الحرارة في المنطقة(٥١)، كذلك جهز حملة على بلاد الشام في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، بعد فرار عدد من أمرائها إليه، وعلى رأسهم الأمير "قراسنقر" حاكم دمشق، فزين له مهاجمة بلاده، فتقدم إلى الموصل وحاصر الرحبة، إلا أن حاكمها رفض تسليمها إليه وأبلى بلاء حسناً في الوقوف في وجهه، ومن ثم أصدر الإيلخان أمره بفك الحصار والانسحاب إلى إيران(٥٢).

تولى "أبو سعيد بهادرشاه" الحكم في خراسان ولياً للعهد، في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، ولم يكن عمره يتعدى التاسعة، حيث أسند والده "أولجايتو" إلى الأمير "سونج" الأتابكية عليه(٥٣)، ولما توفي "أولجايتو" رفع إلى العرش، وقد تعرض في بداية حكمه إلى عدة ثورات، منها ثورة "الجغتائيون" في خراسان الذين تقدموا إلى "مازندران"، وكذلك لفتنة "أوزبك خان" ملك صحراء "القبجاق" الذي تقدم إلى "أران" و"أذربيجان" على رأس جيش كبير، هذا إلى جانب هجوم جيش مصر على حدود ديار بكر(٥٤)، ولكن "أبو سعيد" بمساندة أتابكه تمكن من القضاء على تلك الفتن والثورات. كما تمكن، في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، من الدخول في مفاوضات صلح وعلاقات طيبة مع "الناصر محمد بن قلاوون"، نتج عنها عقد معاهدة صداقة وود بين الدولتين(٥٥).

دخلت الدولة الإيلخانية في فترة ضعف عقب وفاة "أبو سعيد"، وتولى حكمها عدد من الإيلخانات، منهم "موسى خان" حفيد "بايدو"، الذي اتجه بجيش تجاه إقليم أذربيجان، وألحق الهزيمة "بأرباخان" ووزيره "غياث الدين محمد"، وقتله سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م(٥٦). ونتيجة لضعف حكام الإيلخانية، فقد استطاع الأمير "حسن كوجاك" بن "جوبان" من تأسيس الدولة "الجلائرية" في حدود سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، والقضاء على آخر الإيلخانات وهو "أنوشروان العادل"(٥٧).

ثانياً- التنظيمات العسكرية في الدولة الإيلخانية

اعتمد الإيلخانيون على العديد من التنظيمات العسكرية في الحروب والقتال، فالفترة التي حكم فيها الإيلخانات إيران تعد من أخطر فترات تاريخها، وأكثرها اضطراباً، وأشدها فتكاً وإيلاماً بالنسبة لشعبها، نتيجة لما ارتكبه المغول من مجازر ومذابح وتدمير، ولم يوقفهم عند حدهم إلا دخولهم الإسلام، الذي هذب نفوسهم فتركوا قوانينهم وعاداتهم المغولية. واتبعوا الشريعة الإسلامية، وهي الفترة الثانية من حكمهم، والتي تبدأ من عهد "غازان" إلى نهاية دولتهم(٥٨). ومن أهم هذه التنظيمات العسكرية :

١- اعتماد المغول على العامل النفسي والتعبئة الروحية لجنودهم.

اعتمد الإيلخانات على العامل النفسي في تسيير جنودهم للقتال، فحرصوا على زيارة المنجمين في محل إقامتهم، وأخذ رأيهم في نتيجة الحرب، ثم نشرها بين الجنود والقادة، فقد كانوا لا يعبئون الجيوش أو يدخلون حرباً إلا بعد الرجوع إلى كهنة البوذيين، والأخذ بموافقتهم، فإلى جانب الاستعداد المادي للحرب، كان هناك التعبئة الروحية، وهي ضرورة لازمة لكسب الحرب، لأنها تعني بالشعور وتقوى العزيمة وتمد المحاربين بالقوة المعنوية، وتطعمهم الصبر والثبات وتهون عليهم الصعاب(٥٩). كذلك لجأ بعض حكامهم إلى الاعتقاد في السحر والشعوذة والنجوم،

فقد كان "أرغون خان"، مثل أغلب سلاطين المغول الأوائل، يعتمد عليهم في تحركاته، ووصل القائمون على تلك الأمور إلى منزلة كبيرة في الدولة[١٠].

أما في عهد إيلخانات المسلمين، فإن روح الإسلام طغت عليهم، فكانوا يؤدون ركعتين قبل بدأ المعركة مثلما حدث في سنة٦٩٩هـ/١٢٩٩م، عندما سار "غازان خان" إلى مدينة حمص بالشام، حيث صلى "غازان" مع جميع رجالات جيشه ركعتين، ثم ركب وواجه السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" بما جمع له من الجنود والقادة[١١]، وذلك تقرباً لله تعالى، طالبين النصر والتأييد منه تعالى.

هذا التغيير في الفكر العسكري ظهر بصورة واضحة كذلك في عهد "محمد أولجايتو"، الذى حاول كسب وتأييد الأهالى عن طريق الاختلاط بالرموز الصوفية، فنراه يكرم مولانا "قطب الدين الشيرازى"، ويجالس "سيدى سيف الدين على الرفاعي"، ويطلب منه التأييد الروحى لجيشه وتجهيزاته العسكرية[١٢].

٢ - الاهتمام بوضع قواعد وقوانين تحكم العمليات العسكرية للجيوش

ومن أهم التنظيمات العسكرية في دولتهم أن يخرج الجنود والقادة بحسب تقاليد وقواعد منظمة مرعية فيما بينهم، مشابهة لترتيبات رحلات الصيد الجماعي وقنص الفريسة ، وكان لهذا قواعد وشروط موجودة في الياسا الجنكيزية. فقد كانوا يقومون بتحريك ألف شخص، طبقاً لقواعد الحرب نفسها، من ميمنة وميسرة وقلب، وإذا فلتت فريسة أجريت التحقيقات، وكانوا يعتبرون ذلك من الواجبات، وقد يقتل المتسبب في فشل ذلك[١٣]. وفي حقيقة الأمر فإن الإيلخانيين اهتموا اهتماماً كبيراً بتعليم صغار الأمراء فنون الفروسية والصيد، لكي يؤهلوهم لقيادة جيوش دولتهم[١٤].

لقد جرت العادة على تعبئة الجيوش وإعدادها إعداداً دقيقاً، من حيث استدعاء آلاف الجنود المدربين على استخدام ادوات الحرب والقتال، مثل المنجنيق وقاذفات النفط والسهام، وتجهيز الأعداد الغفيرة من الجنود حتى تشاع الرهبة والرعب منهم.

أما في حالة تقهقر الجيش، أو فرار الجنود والقادة، فكان يعقد مجلس أعلى لمحاكمة القائد العام للجيش والقواد الفارين، يتم في هذه المحاكمة سماع أقوالهم ومعاقبتهم بقدر جرمهم، مما يترتب عليه خشية الجنود والقادة محاولة الفرار أو التقهقر من ساحة القتال، مثلما حدث في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، عندما عقدت محاكمة للقائد "قتلغ شاه" والأمير "جوبان" وغيرهما من القادة، الذين فروا من موقعة "مرج الصفر" في عهد الإيلخان "غازان"، وقد ترتب على هذه المحاكمة أن استمر الاستجواب يومين كاملين، وأعدم اثنين من القادة، وحكم على كل من "مولاى" و"قتلغ شاه" و"جوبان" بالضرب المهين بالهراوات دون أدنى شفقة أو رحمة[١٥].

وهكذا كانت عادة الإيلخانات هي: عقد مجالس لمناقشة أي أخطاء في أثناء القتال ومحاسبة المقصر، وبالتالي مكافأة المنتصر والفائز[١٦].

٣- قيادة الجيوش

اهتم الإيلخانيون بقيادة جيوشهم، واختيار الأمراء بعناية كبيرة، فقد كان تعيين قيادة الجيش يتم بواسطة الإيلخان نفسه، فهو صاحب الحق الأول والأخير في اختيار القادة

وترشيحهم لمهامهم، وكانت شارات القيادة والإمارة هي البوق والعلم والطبل، حيث تقرع الطبول على بابه صباحاً ومساء، بالإضافة إلى أن هناك عدداً من الحراس على بابه(٦٧).

لقد اهتم الإيلخانيون بتلك القيادة التي هيمنت على مقدرات الجنود وتحركاتهم، والتي عملت على خلق جيوش قوية تحمل الولاء التام لحكامها، والتي تنزل الرهبة في قلوب الأعداء، وتدل على مقدرة فذة في فن تنظيم الرجال ودعم قوتهم بالعتاد والسلاح، والسيطرة النفسية على جنودهم، فكانت حياة الجندية هي المسيطرة على مقاليد الأمور، لدرجة إطلاق المقولات التي تشير إلى أن جيش المغول قوة لا تقهر.

جرت عادة القيادة العامة للجيوش الإيلخانية أن تركز السلطة في الجيش، في أغلب الأحيان، في يد الأسرة الإيلخانية نفسها، فقد تولى معظمهم قيادة الجيوش بأنفسهم، حيث اعتبر القائد الأعلى للجيش والمحرك الأول له، وفي هذه الحالة يكون موضعه في القلب. وللحقيقة فقد قاد "أباقاخان" جيشه ضد بلاد الروم، واستطاع أن يفرض الجزية السنوية عليهم(٦٨). وفي عهد "كيخاتوخان" خرجت الجيوش، وعلى رأسها الإيلخان، للتصدي لفتنة "أفراسياب" حاكم "لورستان" وثورة "اللور"، وفتنة التركمان واليونان في بلاد الروم، والذى استطاع أن يتصدى للفتن ويقضي على الثائرين، وذلك في سنة ٦٩٠هـ/١٣٩٠م(٦٩). كذلك خرج "غازان" على رأس جيوشه في ثلاث حملات على الشام، ضد دولة المماليك في عهد "الناصر محمد"، انتصر في حملتين سنة٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وسنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وهزم في الحملة الأخيرة في "مرج الصفرة" سنة٧٠٢هـ/١٣٠٢م(٧٠). حيث تأثر بما حل بجيوشه فمات "غازان" متأثراً بتلك الهزيمة(٧١).

هذا وقد أظهر "أولجايتو" نشاطاً حربياً كبيراً بفتحه منطقة "جيلان" وسيطرته عليها، ونجح "أولجايتو" في فتح مدينة "هراة"، إلا أنه أخفق في حملته على بلاد الشام، ومحاصرته للرحبة، فاضطر للعودة إلى عاصمته من جديد(٧٢).

أما في عهد السلطان "أبي سعيد" والذى قاد عدة حروب، وكان على رأس جيوشه وفي قلب تشكيل الجيش، فقد خرج بجيشه ضد ديار بكر وحاكمها، وأبدى الإيلخان صموداً منقطع النظير، حتى لقب "بهادرخان"- أي الخان البطل- هذا اللقب الذي أصبح من الألقاب المحببة إليه، لدرجة أنه أمر بكتابته في الفرمانات والمراسيم الرسمية التي تصدر عن دولته(٧٣)، تشبهاً بجده "جنكيزخان" الذى كان يحمل لقب ملك العالم أو فاتح العالم(٧٤).

ومن البديهي ألا يفهم من كلامي السابق أن قيادة الجيوش قاصرة على الإيلخان فقط، فإن قيادة الجيوش أيضاً كانت بيد أمراء "الألوس"، وهم أربعة أكبرهم برتبة "البكلاوى بلك" وإليه أمر قيادة الجيوش، ثم يليه أمراء "الألوس" الثلاثة ويقال لكل منهم "النوين"، وهو أمير عشرة آلاف ويعبر عنه بأمير "التومان"، ثم هناك أمير ألف، فأمير مائة، وأخيراً أمير عشرة(٧٥).

ومن أهم قيادات الجيوش القائد العام للجيش، أو ما يطلق عليه لقب أمير الأمراء، ومن أبرز من تولوا هذا المنصب الأمير "يشموت" والأمير "منكوتيمور" - أخوان "أباقاخان"(٧٦)، كذلك نرى القائد "قرنغرتاى"، في عهد "أرغون"، يعتبر من أمراء "الألوس"(٧٧). أما في عهد "غازان" فهناك الأمير "قتلغ شاه" القائد العام للجيوش الذى كان مقره في العاصمة تبريز"، وعليه شئون الجيوش وتجهيزهم بالأسلحة ونفقاتهم، ثم أسند "غازان" منصب أمير الأمراء والإشراف العام على

الجيش للقائد حاجي نوزيك" [٧٨] ، كذلك كان الأمير "جوبان" في عهد "أولجايتو"، هذا إلى جانب قائد عام الجيوش في عهده الأمير "هرقداق"[٧٩].

ولابد أن نشير إلى أن الجيوش الإيلخانية كان لها قواد صغار يتبعون القائد العام لهذه الجيوش، وذلك من منطلق أن جيوشهم كانت تقسم إلى ميمنة وميسرة وقلب، لذا كان لكل قسم من هذه الأقسام قائد برأسها، ويتعاون الجميع في تنفيذ الخطة العسكرية بإشراف وتوجيه القائد العام، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٣٧٥م، خرج الجيش في عهد "أباقاخان" إلى بلاد الشام متجهاً إلى منطقة "أبلستان"، وذلك في جيش جرار عليه عدة أمراء، مثل "طوقرين إيلكاى نويان"، والأمير "درعتو وتودان بن سودنوم" ، ومع كل واحد منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل[٨٠].

وفي ختام كلامنا عن قيادة الجيوش؛ لابد أن نشير إلى أن الجيش لا يبقى عاطلاً في أوقات السلم، بل يعمل في ميادين الصيد[٨١]، الذي خصص له مبالغ كبيرة لتربية وتدريب فهود وكلاب الصيد، فالصيد فرصة كبيرة لتدريب الجنود، وتعويدهم على الخشونة، وتوفير الطعام من صيدهم للجنود، وكذلك يعتبر ترفيهاً للقادة.

٤- التنظيمات المتبعة في تحرك الجيوش لساحات القتال.

من الثابت تاريخياً أن المغول، بعد أن ثبتوا حكمهم في إيران وغيرها من البلدان بأساليبهم الإرهابية، ركبهم الغرور والغطرسة، ونظروا إلى غير بني جنسهم على أنهم أقل منهم، وأنهم السادة والصفوة وما دونهم خاضعين لسيادتهم[٨٢]، وعلى الرغم من ذلك: فإنهم اتبعوا نظاماً واحداً في تحريك جيوشهم في ساحات القتال، وكانت أولى خطواتهم التنظيمية هي: إرسال قوة صغيرة لا تتجاوز ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، كقوة طليعية استطلاعية على رأسها قائد، إلى الجهة التي يرغبون في اقتحامها. هذه القوة الاستطلاعية لها عدة مهام رئيسة من أهمها: استطلاع الطرق والمسالك، وجمع أسرار وأخبار الجنود وتبليغها للقيادة الرئيسة في جيوشهم، وكشف بعض نقاط الضعف وعورات الجيش المعادي، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، قاد الأمير "كراى" قوة استطلاعية من ثلاثة آلاف فارس مجهزين تجاه بلاد الشام، فتصدى لهم حاكم دمشق الأمير "سنقر الأشقر"، وذلك في عهد "أباقاخان"[٨٣].

كما جرت العادة في عهد "غازان"، على إخراج قوة استطلاعية أمام جيوشه، مثل ما حدث في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، عندما أرسل قوة طليعية بقيادة "قتلغ شاه"، فعبر نهر الفرات، ووصل إلى حلب، ثم تجاوز حماه، ونزل بمحاذاة مدينة "السالمية"[٨٤].

لم تكن القوة الاستطلاعية يقتصر خروجها على الحملات الخارجية، فقد كانت أيضاً تخرج في الفتن والثورات الداخلية في الدولة، ففي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، في أثناء فتنة الأمير "نوروز"[٨٥]، سير "غازان" قوة استطلاعية على رأسها الأمير "قبرتو" لاستطلاع الأخبار، فعادوا بأخبار مهمة هي زحف نوروز على رأس جيش كبير تجاه العاصمة "تبريز"، مما أدى إلى قضاء جيش غازان عليه وقتله[٨٦].

كذلك أنقذت القوة الاستطلاعية جيش "أرغون خان" من الهزيمة المحققة، لوصول الأخبار عن طريق الطليعة بأن الأمير "إليناق" الثائر على الإيلخان؛ قد سار من "موغان" إلى

الرى وقزوين وخراسان، وبذلك حشد أرغون جيشه، وأسرع إلى هذه المناطق، وتصدى لهذا الثائر، وانتصر عليه ، وذلك في صفر سنة٦٨٣هـ/١٢٨٤م[٨٧].

ومن أهم التنظيمات العسكرية لدى الإيلخانيين: تقسيم جيوشهم في ساحة القتال إلى عدة أقسام وهي الميمنة والميسرة والقلب، والقلب يعتبر من أهم أقسام الجيش، يكون فيه الإيلخان في الغالب، أو على رأسه القائد العام للجيوش. وقد أشار معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن حروب الإيلخانيين إلى هذا التقسيم، ففي حرب "أباقاخان" ضد الأمير "براق"، جعل الخان ميمنة جيشه إلى الأمير "تبشين أغول"، وكان معه للمساعدة الأمير "سماغار" والأمير "هندويان"، وعلى الميسرة أخيه "يشموت"، ومعه للمساعدة الأمير "سونتاي" والأمير "أرغون آقا"، أما القلب فقد أسند إلى القائد العام "أباتاى نويان"[٨٨]،شريطة أن تقوم تلك التقسيمات كلها بمهاجمة قوات العدو في وقت واحد، مما يؤدي إلى تشتيت انتباه قوات العدو وعدم تركيزها في جبهة واحدة.

صار تقسيم الجيوش الزاحفة على أعداء الإيلخانية سمة من سمات الجيش، وتنظيما عسكريا لابد من اتباعه في معظم حروبهم، سواء تم لهم النصر أو عكس ذلك، ففي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م قسم "غازان خان" جيوشه على نفس الطريقة. ووضع "قتلغ شاه" و"مولاى" على ميمنة جيشه، و"كربوغا بهادر" ويسانده أربعة قادة آخرين على الميسرة، وفي القلب كان الإيلخان بنفسه يسانده الأمير "جوبان"[٨٩]، وهو نفس النظام الذى اتبعه الإيلخان في موقعه "مرج الصفر"، وزحف بخمسين ألف مقاتل، وأسندت قيادة الجيوش لعدد من القادة الكبار، مثل "قتلغ شاه" والأمير "جوبان"، و"مولاى"، والأمير "تيبان" و"سونتاى"، وبرغم هذه التنظيمات العسكرية، وتقسيم الجيش على النحو السابق المتبع في تنظيمات الإيلخانات، فإن هذا لم ينقذ الموقف وحلت الهزيمة بالقوات، وسقط عدد كبير منهم أسرى، قدر عددهم بحوالي عشرة آلاف جندى[٩٠].

٥- نظام تعبئة الجيوش وتجهيزها بالعتاد

اتبع الإيلخانيون نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز قواتهم، وفق الظروف التي خلقتها هزيمتهم في عين جالوت[٩١]، من منطلق الحفاظ على جنودهم وعدم تعرضهم لأية هزيمة جديدة، خاصة وأن هؤلاء الجنود امتازوا بالشجاعة في القتال وأنهم لا يفرون أبداً من ساحة الوغى[٩٢]، ومن المعروف عنهم أنه إذا سقط منهم أحد في الأسر، إنما يعمل بكل الوسائل على قتل نفسه أو التخلص من أسره بأية طريقة كانت، مع انتشار مقولة مؤداها: أن الجيش المغولي لا يقهر.

هذا وقد كان ضبط الجيش وتنظيمه كما نصت عليه قواعد الياسا الجنكيزية بأن على الأمير أو القائد أن لا يتردد إلى باب أمير آخر، ولا يغير المكان المخصص له، وأن يقوم الجنود بعرض آلاتهم الحربية على أمرائهم كاملة عند التحرك إلى القتال، وكان على الجندى أن يطيع قائده طاعة عمياء، وإذا أخطأ أحد الأمراء فإن عليه أن يسلم نفسه لرسول الإيلخان، حتى لو كان من أخس وأحقر الناس، وأن يلقى نفسه بين يديه ذليلاً، ليأخذه بموجب خطائه، ولو كان فيه القتل[٩٣].

ومن هذا المنطلق فإن "أباقاخان"، بمجرد أن خلف والده "هولاكو" على العرش، بادر إلى العمل على إعادة سمعة المغول الحربية إلى سابق عهدها، فسار على سياسة مناوأة المماليك ومصادقة الصليبيين، ومحاولة التوسع في بلاد الشام[٩٤]، وفي بداية عهده نجح في إنزال الهزيمة بجيوش "مغول القبجاق" بقيادة "بركة خان بن جوجي"، و"مغول التركستان" بقيادة "براق خان"[٩٥]، فتنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وعلى القائد المحنك أن يضع في فكره عامل الوقت، وعدم القتال في جبهتين في آن واحد، والقضاء على الفتنة في مهدها. وفي حقيقة الأمر فإن نظام تعبئة الجيش يتم بتقديم لواء الأحمال الثقيلة وخيام الغلمان والأطفال والنساء، ويعرف هذا باسم "أغزوق"، وإقامة منازل للقوافل لإمداد الجيوش بالعلف والطعام والشراب[٩٦]، وكانت تصدر الأوامر من الإيلخان بتعبئة الجيش، ويسند هذا الأمر إلى أمير الإشراف، الذي يشرع في إصدار أوامره للجنود بنقل الغلال من المخازن، التي يأكلون منها في أثناء تنقلاتهم ويطعمون دوابهم، ولابد أن تكون تلك الغلال كثيرة وكافية قدر الإمكان[٩٧].

هذا عكس ما كان متبعاً مع المقاتل المغولي قديماً، الذي كان يحمل كل ما يحتاجه أثناء الحرب، فيحمل آلات لشحذ رماحه، ويحمل الإبرة والخيوط لاستعمالها عند الحاجة، ولا يأخذ معه من المؤن إلا قربة من اللبن وآنية من الفخار، ليطهي فيها طعامه، وخيمة صغيرة وآلة لحفر الأرض، وكيساً من الجلد يحمل فيه ملابسه، ويستعمله في عبور الأنهار[٩٨].

ولم يكن لرواتب الجنود وقواد الجيش نظام ثابت قبل عهد "غازان خان"، فقد كان بعض القادة يحصلون على كمية محددة من الغلال، فحدد "غازان" رواتب للجنود يزيد معدلها سنوياً، وقد أصدر مرسوماً بتحديد إقطاعات للجنود أطلق عليها اسم: "الياسا الغازانية"[٩٩] على غرار الياسا الجنكيزية.

ومن أهم التنظيمات التي اعتنى بها الإيلخانات: نظام استعراض الجنود والاطمئنان على معداتهم وأسلحتهم ولوازمهم، حيث كان الإيلخان يقوم بمهمة استعراض الجنود بنفسه، كذلك الاهتمام باستعداداتهم العسكرية، وخاصة قبل المسير إلى ساحة القتال، فعلى سبيل المثال: كان غازان يستعرض جنوده بنفسه قبل المسير للقتال في حربه على بلاد الشام[١٠٠]، وذلك حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش.

كذلك أقاموا على ديوان الجند رئيساً أطلق عليه اسم: العارض أو رئيس ديوان العرض[١٠١]، المختص بشئون الجيش ونفقاته، وجميع فرقه وإمداداته، وأشهر من عمل في هذا المنصب "ضياء الملك" في عهد "غازان"[١٠٢]. ومن هنا نستنتج أن من أهم مهام العارض: استعراض الجنود في الميادين قبل الخروج للقتال، وفي المناسبات العامة، والاطمئنان على حالة الجند واستعداداتهم العسكرية، وصرف أرزاقهم، فقد بسط "غازان" يديه وأغدق على القواد في خمسة عشر يوماً ثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، وعشرين ألف خلعة، وخمسين منطقة مرصعة، وثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، كذلك أمر بتعيين الكتائب والفرق، وكتابة أسماء الجنود ورتبهم في السجل، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر، لتفقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاة، بموجب الضبط والقانون[١٠٣].

كذلك عمل "أرغون" على إحضار الأموال من عاصمته، وقسمها على الجنود، حتى تستقر الأوضاع ويأخذ الجنود أرزاقهم[١٠٤]. وقد اهتم الإيلخانيون اهتماماً كبيراً بمخصصات الجنود ورواتبهم، وخير دليل على ذلك أن "أحمد تكودار" أمر بفتح الخزائن، وقسمها على الخواتين– نساء القصر– والأمراء وقادة الجيوش، وأعطى كل واحد منهم مائة وعشرين دينارا[١٠٥]، كذلك قام "أبو سعيد"، وهو حاكم على خراسان، بمطالبة "أولجايتو" بإرسال الأموال لدفع مرتبات الجند[١٠٦].

والخلاصة: أنه كان هناك فرق كبير بين المغول في عهدهم الأول في معاملتهم لجنودهم، لدرجة أنه كان لابد من إبقاء الجنود في حالة من الفقر والاحتياج حتى يحرصوا على النصر، وبين عهد الإيلخانيين، الذين اهتموا بتنظيم الإنفاق على الجنود، وإقطاعهم الإقطاعات في المدن والقرى.

ثالثاً : الخطط الحربية

يعد التخطيط الحربي الجيد مفتاح النصر في المعارك، وعلى القيادة المحنكة أن تضع نصب عينيها أن يكون هناك عدد من الخطط التي تسير عليها في تحريك جيوشهم، فمن مبادئ الفكر العسكري للمغول: عدم تغيير الفكر التخطيطي لهم في حروبهم، فكان التهديد والوعيد من أساليبهم، ومن وسائلهم العمل على جذب عناصر من البلاد الراغبين في غزوها إلى صفوفهم، من أمثال الأمير "سنقر الأشقر" حاكم دمشق[١٠٧]، الذي سهلوا له مهمة الفرار إلى عاصمة الإيلخانيين "تبريز" والاستقرار بها، لكي يفشي أسرار الجيوش المملوكية والأوضاع السياسية في الشام ومصر، وذلك في عهد "أباقاخان".

أما في عهد "غازان" فقد تمت الخطة نفسها بأن رحب الإيلخان بالأمراء الفارين من بلاد الشام في عهد السلطان "الناصر محمد" إلى سلطنته، وهم الأمير "سيف الدين قبجق"، والأمير "فارس الدين البكي" والأمير "سيف الدين بكتمر السلحدار"[١٠٨]. وقد نتج عن ذلك انتصار "غازان" في موقعه "مرج المروج" في سنة٦٩٩هـ/١٣٠٠م[١٠٩].

هذا وفي محرم سنة٧١١هـ/١٣١١م، فر الأمير "شمس الدين قراسنقر" نائب السلطنة بحلب إلى الإيلخانية، ولحق به كل من الأمير "جمال الدين أقوش الأفرم الدواداري" نائب طرابلس إلى "أولجايتو" ملك الإيلخانية، فأكرمهم ورفع من قدرهم، وقد استمرا هناك حتى وفاتهم[١١٠].

ومن البديهي أن نشير إلى استمرار الإيلخانيين، في نهاية عهدهم في عهد "أبي سعيد"، على نفس النهج والخطط الحربية، وهي جذب العناصر الناقمة على أعدائهم المماليك في مصر والشام، فنرى في معاهدة الصلح التي تمت بين الإيلخان و"الناصر محمد" أن أحد شروط المعاهدة تشير إلى أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم "قراسنقر"[١١١] الفار، وألا يكلف الفداوية الإسماعيلية بأي مهام في ممالك الإيلخانية[١١٢].

لقد كان دأب المغول استخلاص بعض العناصر الناقمة على الحكم في بلادها، للاطلاع منها على أسرار الجيوش، ولم يظهر هذا في حربهم ضد المماليك فقط، بل في حرب "أباقا" مع الأمير "براق خان" حاكم ما وراء النهر، في سنة٦٦٦هـ/١٢٦٧م، وذلك بأن استعان "أباقاخان"

برجل هندي لكي يدلهم على أسهل الطرق لعبور نهر "جيحون"، وتوصيلهم إلى حاضرة "براق" في ضواحي "كبودجامة"، وبالتالي أكرمه "أباقا" ومنحه لقب "ترخان"(١١٣).

ومن خططهم الحربية: ارسال وفد من الرسل محملين برسائل تحمل التهديد والوعيد للبلدان الراغبين في حربها، حيث تعتبر الرسائل من أنظمة جيوش المغول التي اتبعوها في حروبهم، فعندما عزم "أباقا" على المسير إلى بلاد الشام. أرسل رسولاً إلى الظاهر بيبرس حاملاً رسالة على سبيل التهديد والتخويف فيها: أن جيوشنا مستعدة لقتالك..... وإذا امتدت أيدينا في الشام، فإنها بلا ريب سوف تأتي على كل ما لكم فيها... لأن الله قد وهب جنكيزخان وذريته بلاد العالم(١١٤)، ويضيف فؤاد الصياد(١١٥) إلى هذا الخطاب أنه ذكر: "وأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا..."، واتهمه بأنه عبد مملوك، مما يدل على احتقاره والتقليل من قدره.

كذلك عمل "أرغون خان" على إرسال الرسائل والسفارات إلى الغرب الأوربي والبابا "هونوريوس الرابع"، لخلق تحالف مع الغرب لدرء خطر المسلمين المماليك، يقترح فيها على البابا توجيه حملة مشتركة لقتال المماليك، قائلاً: "إذ تقع بلاد الشام بيننا وبينكم فسوف نطوقهما"(١١٦)، إلا أن هذه الرسائل لم تسفر عن شيء ذي بال، وبذلك أخفق "أرغون" في تحقيق آماله في غزو الشام وضمها إلى ممتلكاته.

وعلى نفس النمط أرسل "غازان خان" رسله إلى السلطان "الناصر محمد" قبل خروجه بحملته على بلاد الشام، وقد تلقى الإيلخان الرد، وكانت رسالة "غازان" تحمل التهديد والوعيد، وأنه أولى برعاية الإسلام والمسلمين من "الناصر محمد"، ولكن سلطان المماليك رفض التبعية، ولم يجب على طلبات الإيلخان بذكر اسمه في الخطبة والدعاء له على منابر المساجد(١١٧)، وبذلك لم تحقق رسائله وسفارته هدفها ولم تسفر عن شيء اللهم إلا تبادل التهم والتراشق بالألفاظ والتهديد والوعيد.

وقد سار الإيلخانيون على نفس سياستهم في حربهم ضد حاكم "هراة" الملك "فخر الدين" في عهد "أولجايتو"، حيث أرسل قائده العام على الجيوش "دانشمند بهادر" سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، برسالة بها تهديد ووعيد يطالب فيها بالإسراع إلى تلبية مطالب الإيلخان، والدخول تحت طاعته، وإلا فسوف ينتزع منه الملك والحكم قهراً وقسراً بناء على أوامر "أولجايتو"(١١٨).

ومن أهم الخطط الحربية المستخدمة في الإيلخانية: اكتشاف كل صغيرة وكبيرة عن تحركات أعدائهم وكشف نقاط ضعفهم ومراكز قوتهم، وهي استخدام التجسس والجواسيس، التي وضعت قواعد متعددة لنظامهم، والتي لم يحد عنها المغول طوال فترة حكمهم، وكان من أهمها الأمر بقتل الجاسوس الذي يفشل في مهمته، وإجزال الهبات والعطايا للجاسوس النشط لتحفيزه على النجاح في أعماله ومهامه، فقد أرسل "أباقاخان" في سنة٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م جاسوساً هو "قبرتو بهادر" للاستطلاع والتجسس على الأمير "براق خان"، فلم يستطع الاقتراب من خطوط العدو، وبالتالي تم القضاء عليه، وأرسل الإيلخان جاسوساً ثانياً هو "تويجاق بهادر" ويسانده الأمير "تبكباي بهادر" مع مائة فارس، فعادوا وقد شرحوا الأحوال التي كان عليها أمور العدو(١١٩).

وفي حقيقة الأمر فإن المغول درجوا على إرسال جواسيسهم إلى بلاد العدو، فيجمعون لهم الأخبار من هنا وهناك، ويستقصون حالة الجيوش والحصون، ثم يعودون بهذه المعلومات فيطلعون عليها القادة[١٢٠]، لقد أرسل "أرغون" سنة٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م جواسيس إلى منطقة هكتار في كردستان قبل الخروج إليها، لذا عاد الجواسيس يحملون أخباراً بأن جنود الملك "قيدو" ببلاد ما وراء النهر تعدادها ثلاثين ألفاً[١٢١]، وبذلك كانت مهمة القائد "طغاجار" سهلة وحقق النصر عليهم.

لقد اشتهر عن "غازان خان" أنه كان يحث قواده على إرسال الجواسيس والأدلة والعارفين بالدروب قبل التحرك، مع بذل كل الجهد للحفاظ على النظام والانضباط في جيشه[١٢٢]، ولم يكن استخدام الجواسيس قاصراً على حروبهم الخارجية، بل تعداه إلى استخدامهم ضد الأمراء وأفراد الأسرة نفسها، فنرى "غازان" يوعز إلى "صدرجهان"[١٢٣] بإرسال جاسوس من قبله إلى الأمير "طغاجار" لكي يحاول الإيعاز له بضمه إلى صفوف "غازان"، وترك مساندة "بايدو خان"[١٢٤].

وفي عهد "أباقاخان" قدم عليه جاسوس هو "مسعود بن محمود يلواج"-الذي كان حاكماً إدارياً في بلاد ما وراء النهر- من قبل الأمير "براق" ملك "أولواس جغتاي" على هيئة سفير، وكانت مهمته في الظاهر توطيد أواصر الصداقة بين العاهلين، ولكن في الباطن التجسس على تعداد الجيوش وجمع المعلومات، ومن ثم اكتشف "أباقا" أمره، ولكن بعد أن عاد إلى بلاده[١٢٥].

ومن عادة الإيلخانيين استغلال الجواسيس المرسلين إلى بلادهم في عمل عكسي لصالحهم، ففي سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، عندما علم "أباقا" بوجود ثلاثة جواسيس في بلاده[١٢٦]، أمر باعتقالهم ثم استجوبهم، وأمر بقتل اثنين منهم، وأطلق الثالث لكي يحمل الأخبار التي يريد توصيلها إلى عدوه، وهي اخبار غير صحيحة، ومن الملاحظ أنه بمجرد وصول الجاسوس إلى الأمير "براق" أعلن قولته: "أن عندهم الكثير من الأسلحة والدواب، ولكن ليس في الأمراء والقادة شجاعة أو قوة"، وبذلك انخدع "براق" بهذه المعلومات واستبشر بالنصر، فنزلت به الهزيمة[١٢٧].

وفي حقيقة الأمر؛ فإن سقوط جاسوس تابع للإيلخانية في يد أعدائهم كان يترتب عليه قتله فوراً، ففي أثناء حملة غازان الثالثة على الشام قبض على رجل من أمراء حلب جَنّده المغول للعمل لحسابهم، فقبض عليه، وأمر السلطان "الناصر محمد" بتسميره على خشبة والطواف به على حمل في مدينة دمشق وضواحيها، جزاء ما قدمه من التجسس على بلاده[١٢٨].

كذلك يعتبر من أهم الخطط الحربية للمغول اهتمامهم بالحرس الخاص، ذلك الحرس الذي أنشئ في عهد "جنكيز خان"، وأطلق على أفراده اسم "كشيكجي"[١٢٩]، وهم عبارة عن ثمانين حارساً لحراسته بالليل، وسبعين لحراسته بالنهار، بالإضافة إلى فرقة من صفوة المقاتلين عددها ألف أطلق على كل منهم اسم "بهادر" وتعني المبارز الشجاع، عدّو من طلائع حرس الجيش المغولي، وهؤلاء الحرس لم يدينوا بطاعة إلا طاعة أوامر الحاكم ، وتوفر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامرهم طاعة عمياء، وينفذونها تنفيذ الآلة لأمر صاحبها[١٣٠].

استمر اعتماد الإيلخانيين على فرقة الحرس في تسيير شئون الحراسة الخاصة بالمنشآت الحيوية، مثل السدود والخنادق، مثلما أمر "أباقاخان" بعض حرسه بحماية

الخنادق(١٣١). ومن مهامهم أيضاً مراقبة المقبوض عليهم والثائرين على الإيلخان، مثلما حدث مع الأمير "أرغون"، عندما وضعت عليه حراسة مشددة مقدارها أربعة آلاف جندي لحراسة خيمته، حتى لا يستطيع الفرار من سجنه ، وذلك في عهد "أحمد تكودار" (١٣٢).

عمل "غازان" على رفع شأن فرقة الحرس العسكرية، وذلك بأن اشترى عدداً كبيراً من أولاد المغول، الذين يباعون في أسواق النخاسة بعد أسرهم(١٣٣)، وكون منهم حرسه الخاص، وعين لهم المرتبات والمؤن وأنزلهم في ولاية "المراغة"، وعهد بإمارة كتيبتهم المكونة من عشرة آلاف جندي إلى القائد "بولاد جينكسانك"(١٣٤)، هذا وأوكل إلى هؤلاء الحراس مهمة حمايته والسهر على حراسة خيمته أثناء نومه، وحراسة آلات الحرب وأسلحته من أي إغارة(١٣٥).

على عكس ذلك، فقد عامل المغول أسراهم معاملة تنطوي على القسوة والوحشية، فكانوا يضعونهم في مقدمة الجيش حتى يتلقوا السهام المنهالة عليهم، وليمهدوا الطرق للجيش، ويكلفوا بحفر الخنادق ونصب أدوات الحصار والأعمال الحربية العنيفة الشاقة(١٣٦)، ففي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م، قام "أباقا" بإرسال قائده "تيكي بهادر" مع عشرة آلاف مقاتل، فقام بالقتل والنهب في أهل بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى، فخربت بخارى عن آخرها(١٣٧).

وفي عهد "أرغون" سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، هوجمت ناحية "دربند"، فأصدر الإيلخان أمره بزحف الأمير "توكال" و"شكتور نويان" بقواتهم لقتالهم فقتل ثلاثمائة فارس، وأسر نفراً منهم كان من جملتهم الأمير "حريكتاي"(١٣٨)، الذي سيق إلى سوق النخاسة، فبيع هناك. بينما يشير الهمذاني(١٣٩) إلى "غازان" وعطفه على الأسرى من "هراة" ونسائهم وأطفالهم، بحيث إنه أمر بإطلاق سراح بعضهم، ويزيد على ذلك بأنه طيب خاطرهم، وإن كان ذلك غير معهود في حروب المغول مع البلاد التي يغزوها.

وقد دارت الدائرة على جيش المغول، في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، عندما هاجم "غازان" للمرة الثالثة بلاد الشام، فانتصر عليه السلطان "الناصر محمد"، وأسر عدداً كبيراً منهم يقدر بألف وثمانمائة مغولي، ومائة وثمانون من جنود الأرمن ، وسيقوا أسرى إلى الديار المصرية(١٤٠).

ومن أهم ما يميز الخطط الحربية التي اتبعها الإيلخانيون في حروبهم: اعتمادهم على عدة أجناس معينة التي تعددت في جيشهم، ويمكن حصر تلك الأجناس في عدة عناصر رئيسة يأتي في مقدمتها الاعتماد على العنصر المغولي(١٤١)، وهم من أهم عناصر الجيش، منهم قادة الجيوش والقائد العام عليه، وهم المقربون من الإيلخان(١٤٢)، أما المرتبة الثانية من عناصر الجيش فهو عنصر الأتراك، الذين كانت لهم اليد الطولى في ذلك، فقد فرضت طبيعة الدولة العسكرية أن يقوموا بشراء الغلمان العبيد الأتراك، وتربيتهم تربية عسكرية، حيث امتاز الأتراك كجنس عسكري بمميزات كثيرة، من أهمها الشجاعة والفروسية والإقدام، ففي عهد "أحمد تكودار" أمطر الأتراك جيوش الأعداء بالسهام(١٤٣)، هذا وكان أكثر من نصف جيش "هولاكو" يتألف من الأتراك(١٤٤).

ومن العناصر التي اعتمد عليها الإيلخانيون في حروبهم أهل "جورجيا"، فقد مالوا إلى استخدامهم بسبب قدرتهم العسكرية الكبيرة وصبرهم على النزال والحرب(١٤٥)، هذا إلى جانب

استخدام عنصر المسلمين والأرمن والكرج، فقد أعد "أحمد تكودار" أكثر من مائة ألف فارس من صفوة هذه العناصر مجهزين بالعدد والآلات وسيرهم، في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٤م[١٤٦]، لمحاربة "أرغون"- الطامع في العرش- كذلك كان جيش أباقاخان يضم ثلاثة آلاف من الكرج، قتل منهم ألفان في معركة "أبلستين"، وكانت قوة "أباقا" في حربه ضد "الظاهر بيبرس" ثمانين ألف جندى منهم ثلاثين ألف من حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل الكرج والأرمن والعجم[١٤٧].

ولابد من الإشارة إلى أن التشكيلات العسكرية في عهد الإيلخانيين كانت تتكون من صنفين رئيسين هما، الفرسان وهم ما يطلق عليهم "كشيكجي"[١٤٨]، وهم عماد الجيش الذى يكونون حرس الإيلخان الخاص، الذى يتحرك إلى ساحات القتال بأمره، ويكون موقعهم في القلب حوله، والذين كانوا يحملون الرماح والسيوف، ويلبسون الدروع[١٤٩]، كما شكلت الخيول أهمية كبرى في استخدامهم، وخاصة الخيول العربية بالذات[١٥٠]، فقد فر الأمير "أرغون" من سجنه في عهد "أحمد تكودار" على جواد عربي، وكان للقائد "عليناق" قائد عام الجيوش فرس عربي أصيل[١٥١].

أما الصنف الثاني من الجيوش الإيلخانية فهم الرجالة- أي المشاة- الذين ينحصر دورهم في الحروب المحلية، وأثناء الحصار، وكانت أهم أسلحتهم الدروع والسهام، وكان على كل أمير أو جندى أن يحمل جعبة من الجلد أو الخشب، لا ينزعها إلا وقت الصلاة، يضع فيها مجموعة من السهام[١٥٢]، يتراشقون بها عند التحام الطرفين في القتال[١٥٣]، هذا ولابد أن نشير إلى أن هناك فرقة من الرجالة مهمتها ضرب الطبول في بداية القتال، وفي حالة الانتصار على الأعداء[١٥٤]، وهو ما يطلق عليه اسم قرع الطبول، لإدخال الرهبة والخوف في صفوف الأعداء. هذا ومن عادة المغول رفع الأعلام البيضاء في حالة استسلام العدو[١٥٥]، كما حدث في عهد "أبو سعيد" ضد الأمير "ايرنجين" حاكم ديار بكر، ووالد السيدة "قتلغشاه خاتون" زوجة الإيلخان، التى رفعت الرايات البيضاء عند استسلام الأمير[١٥٦].

وخلاصة الأمر فإن الدولة الإيلخانية دولة عسكرية، اعتمدت على جيوشها في فرض نفوذها وتوسيع ممتلكاتها، منذ أن غزا "جنكيز خان" أراضي الدولة الخوارزمية، وأسقط "هولاكو" قلاع الإسماعيلية والخلافة العباسية في بغداد، هذا وإن الإيلخانيين اتبعوا نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز جيوشهم، خاصة وأن تنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وأن القضاء على الفتنة في مهدها يحقق النصر في المعارك، وأن استعراض الجنود والتأكيد على سلامة أسلحتهم ودوابهم من أهم لوازم القتال. هذا وقد اتبع الإيلخانيون نفس مبادئ وقوانين الياسا الجنكيزية في تحريك جيوشهم، ومنها إرسال القوة الاستطلاعية وإرسال الوفود والرسائل، إلى جانب الجواسيس لإبلاغهم بالمعلومات القيمة عن جيوش أعدائهم، هذا إلى جانب اعتمادهم على عناصر وأجناس معينة في جيشهم على رأسها: المغول والأتراك والجورجانيين والكرج والأرمن والمسلمين وغيرهم.

ملحق رقم (١)
أسماء إيلخانات إيران (٦٥١ هـ ٧٥٦ هـ/ ١٢٦٢-١٣٥٥م)

١- هولاكو خان بن تولوي بن جنكيز.	من ٦٥١ هـ إلي ٦٦٣ هـ
٢- أباقا بن هولاكو.	من ٦٦٣ هـ إلي ٦٨٠ هـ
٣- أحمد تكودار بن هولاكو.	من ٦٨٠- هـ إلي ٦٨٣ هـ
٤- أرغون خان بن أباقا.	من ٦٨٣ هـ إلي ٦٩٠ هـ
٥- كيخاتو بن أباقا.	من ٦٩٠ هـ إلي ٦٩٤ هـ
٦- بايدوخان بن طوغاي بن هولاكو.	من جمادي الأولي ٦٩٤هـ إلي ذي القعدة٦٩٤هـ.
٧- غازان خان بن أرغون.	من ٦٩٤ هـ إلي ٧٠٣ هـ
٨- أولجايتو خدابنده بن أرغون.	من ٧٠٣ هـ إلي ٧١٦ هـ
٩- أبوسعيد بهادر خان بن أولجايتو.	من ٧١٦ هـ إلي ٧٣٦ هـ
١٠- أرياجاون بن أرتويوكا بن تولوي.	من ٧٣٦ هـ
١١- موسي خان علي بن بايدو.	من شوال إلي ١٤ ذي الحجة إلي ٧٣٦ هـ
١٢- محمد خان بن منجو تيمور بن هولاكو.	من ذي الحجة ٧٣٦ هـ.
١٣- ساتي بيك ابنة أولجايتو.	من ٧٣٩ هـ إلي ٧٤١ هـ
١٤- شاه جهان تيمور بن آلافرنك بن كيخاتو	من ٧٣٩ هـ إلي ٧٤٠ هـ
١٥- سليمان خان بن يشموت بن هولاكو.	من ٧٤١ هـ إلي ٧٤٥ هـ
١٦- طغاتيمور خان.	من ٧٣٦ هـ إلي ٧٥٣ هـ
١٧- أنوشيروان العادل.	من ٧٤٤ هـ إلي ٧٥٦ هـ (١)

(١) عباس إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان ، ص ٣٥٨ ٣٥٩ ؛ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٦٢ : ٣٦٣.

الهوامش

١- انظر ملحق رقم (١) الخاص بأسماء الحكام الإيلخانيين.

٢- الإيلخان: كلمة مغولية الأصل ، تتكون من مقطعين "إيل" بمعني الخاضع أو التابع، و"خان" بمعني الحاكم وبذلك يصير معني الإيلخان الخاضع للحاكم ، وذلك لأن هولاكو كان تابعاً لأخيه الخان الأعظم منكوقاً آن في الصين عندما زحف علي بغداد (فؤاد عبد المعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين- أسرة هولاكو خان ، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية قطر سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ، ص٢٨).

٣- خوارزم : أكثر ضياع مدنها ذات أسواق وخيرات ودكاكين ، ومن النادر أن تكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمأنينة تامة (ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٢ ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م ، ص٣٩٦).

٤- الجويني : تاريخ جهانكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، ترجمة وتحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى دار الملاح للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص١٠، ٤٨ ؛ السلطان شمس الدين ألتمش من حكام سلطنة دهلي المملوكية ببلاد الهند ، وهو في الأصل من العبيد المجلوبين من تركستان ، ترقي في المناصب الإدارية حتي وصل إلي حاكم مدينة بداون (الجوزجاني : طبقات ناصري ، جلد أول ، به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليق عبد الحي حبيبي قندهار ، كابل ، سنة ١٣٤٣ هـ. ش ، ص ٢٤١) ؛ حكم ما بين سنتي ٦٠٧ هـ :٦٣٣هـ/ ١٢١٠ م :١٢٢٦ م ، وتصدي للسلطان جلال الدين منكبرتي عندما طالبه بموضع في دهلي للإقامة فيه هو ورجاله ، فكان رد السلطان ألتمش عليه قاطعاً بأن هواء دهلي لا يصلح لإقامة الخوارزمية ، ثم أرسل جيشا بقيادة ناصر الدين قباجة للتصدي له (النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره و ترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي سنة ١٣٧٤ هـ/ سنة ١٩٥٣ م ، ص١٦٥) ؛ اتصف ألتمش بالحزم والقوة ومال إلي العلم والعلماء ، وأنشأ المدرسة الشمسية في دهلي ، واهتم بنسخ المصاحف الشريفة.

(Husan Qureshi :The Administration of the sultanate of Delhi , P. 179 , (Delhi , 1944)

تعاقب علي حكم دهلي من بعده خمسة من أبنائه ، وهم ركن الدين فيروزشاه ، ورضيه ومعز الدين بهرامشاه وعلاء الدين مسعود وآخرهم ناصر الدين محمود(الجوزجاني : طبقات ناصري، ج١ ، ص ٤٥٤).

٥- هولاكو : أخو الخان الأعظم منكوقاآن ، الذي أمره بإعداد حملة عسكرية وأمده بكثير من الجنود وزحف بجيشه إلي إيران ، فانضم إليه حاكمها أرغون وحاكم ما وراء النهر مسعود بك ، ثم عبر نهر جيحون واستولي علي قلاع الإسماعيلية في فارس(رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ – الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلي كيخاتو خان ، مجلد٢ ، ج٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسي هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، مراجعة يحيي الخشاب ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ص٣٤٠) ؛ توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ /١٢٦٤ م ، (م.م الرمزي : تلفيق

الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، مجلد ١ ، طبعة المطبعة الكريمية والحسينية ببلده أورينورغ ، ص٣٦١).

٦- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيي سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٩٩م ، ص٢٤٣.

٧- التومان فرقة عسكرية يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل (القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م ، ص٤٢٣).

٨- القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة ؛ البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيي الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م ، ص١٣ ؛ برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسي، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولي ، دار حسان للطباعة ، دمشق، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص٥٩.

٩- تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وهي مدينة عامرة ، ذات أسوار محكمة مبنية بالآجر والجص ، في وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٣).

١٠- البناكتي : روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة القاهرة ، سنة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م ،ص ٤٥٨.

١١- الياسا الجنكيزية : "اليسق (التورا)" واليسق هو الترتيب ، والتورا: المذهب باللغة التركية وأصل اليسق : سي يسا. وهي لفظة تركية من كلمتين سي بالعجمي ، بها بالتركي. لأن بالعجمي ثلاثة، ويسا بالمغلي الترتيب (بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، تحقيق زبيدة محمد عطا، ج ٩ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،القاهرة، سنة ٢٠٠١م ، هامش ص ١٥٦)؛ هي الفرمانات والتعليمات التي وضعها جنكيز خان لحكام المغول للسير عليها في سياستهم بمعني السياسة والقانون الذي يقضي باحترام المجتمع المغولي وتفوقه علي غيره من المجتمعات وذلك في سنة ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦ م (محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص١٧) تنص الياسا الجنكيزية في شأن تولية العرش أن تتولي زوجة الخان المتوفي إدارة البلاد حتي يتم الاتفاق علي تعيين حاكم جديد(ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه الأب أنطون صلحاني اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨ م ،ص ٢٨٥ ؛ شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران في العصر المغولي ، طبعة سوهاج ، سنة ١٩٩٦/ ١٩٩٧م، ص٢٠).

١٢- دربند : هي من بلاد ما وراء النهر ، وتسمي باب الأبواب والنسب إليها الدربندي (ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٤٩).

١٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢،ج٢،ص١١٢؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩.

١٤- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج٩ ، ص١٣٢؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠م ، ص٣٣٢.

١٥- ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلجوقنامه، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية بالقاهرة ، يناير ١٩٩٤م، ص٧٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر، ج٤ ، ص ١١١ عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبدالوهاب علوب، المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات، سنة١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٢١٧.

١٦- أبلستان: وتكتب أبلستين، وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم (ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، ص ٩٧).

١٧- ابن بيبي : سلجوقنامه، ص ٧٩ ؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٥٨؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٢٨١.

١٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، جـ٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج٤ ،ص٢٣ ؛ Howorth :History of the Mongols,Vol. 3, P.270 (London,1975).

١٩- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور مراجعة محمد مصطفى زيادة و فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، ص٣٩٢ ؛ ٣٩٣ ، ٣٩٦.

٢٠- زامباور : معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٢.

٢١- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٣٣.

٢٢- القوريلتاي : هو مجلس شوري المغول ، يجتمع فيه الأمراء وقادة الجيوش والخواتين – نساء الطبقة الحاكمة – لدراسة أحوال الدولة ، وفي بداية عهد الإيلخانية كان يعقد في قراقورم عاصمة المغول في الصين (الجويني : تاريخ جهانكشاي ، ج١ ، ص ١٧٥).

٢٣- اعتنق أحمد تكودار الإسلام وهو صغير السن على يد أحد المتصوفة الذي ينتسب إلى الطريقة الأحمدية (عبدالله الشيرازي : تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بنياد فرهنك إيران، تهران، ص ١١٠٥ م.م الرمزي : تلفيق الأخبار ، ج١ ، ص ٣٦١ ؛ رجب محمد عبدالحليم : انتشار الإسلام بين المغول ، طبعة دار النهضة المصرية ،ص ١٧٨ ؛ وقد قام أحمد تكودار بتحويل المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد(خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، جلد سوم ، جزء أول ، انتشارات كتبخانه خيام ، ص١١٩).

٢٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٧.

٢٥- شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران ، ص ٤٢ ؛ لقد أشار المؤرخ Howorth إلى أن أحمد تكودار اعتنق المسيحية في بداية حياته وتسمى بنقولا (History of Mongols , Vol. 3 , P. 270).

٢٦- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٤ ؛
D'OHsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol.III, P.535 (Amesterdam, 1834)

٢٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٣٥.

٢٨- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ص ٤٣١.

٢٩- أبو الفداء : المختصر ، ج٤ ، ص ٣٥ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة.

٣٠- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص ٤٠٣ : ٤٠٤ ؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧ م ، ص ٦٠.

٣١- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ١٣٧ : ١٣٨ ؛ استعان أرغون بأحد اليهود في إدارة دولته وهو سعد الدين اليهودي (خواندمير: دستور الوزراء ، ص ٢٦٠) الذي أسند حكم الولايات إلي بني جلدته من اليهود ، مثل فارس وديار بكر ، ونقل الحراسة من بغداد إلي داره (ميرخواند : روضة الصفا ، ج٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ ، هـ. ش، ص ١٧٣؛
Howorth History of Mongols , Vol. 3 , P. 350).

٣٢- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص ٢٠٠.

٣٣- زامباور : معجم الأسرات الحاكمة ، ص ٣٦٢.

٣٤- الجاو : عبارة عن قرطاس مختوم بخاتم الملك يتعامل به في جميع بلاد الخطا بالصين ، بدلاً من الدراهم ، وأما عملتهم النقدية فهي البالشي - السبائك - التي تصل إلي الخزانة ، وفي سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، أظهروا الجاو في مدينة تبريز ورووجوه ، وكانت الأوامر تقضي بقتل كل من لا يتعامل به في الحال (الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢، ص ١٨١ : ١٨٢).

٣٥- برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ص ٧١.

٣٦- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨.

٣٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ ؛ خواندمير : حبيب السير، مجلد ٣ ، ج١ ، ص ١٤٠ ؛ D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P.115

٣٨- ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج٩، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، سنة ١٩٦٠ م ، ص٢٢؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ اعتنق غازان الإسلام علي يد الأمير نوروز وبحضور الشيخ صدر الدين ابراهيم حموية، وبذلك أعلن الدين الإسلامي ديناً رسمياً للبلاد ، وأطلق علي غازان اسم محمود ، ولبست العمائم بدلاً من القلانس ، وأمر بتحويل الكنائس والمعابد إلي مساجد (رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ ، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر القاهرة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م ، ص١٢٧؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٥ ، البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ص ١٥ م.م الرمزي : تلفيق الأخبار ، ج١، ص ٢٦١؛ رجب محمود : انتشار الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ فؤاد الصياد :

الشرق الإسلامي ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) ؛ كذلك أصدر غازان عملة إسلامية نقش عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأمر بنقش اسمه علي العملة وذكره في الخطبة دون الخان الأعظم، وطرد نائبه من بلاده ، وألغي لقب أيلخان أي نائب الملك ، واتخذ لنفسه لقب خان (رجب عبدالحليم : انتشار الإسلام ، ص ١٩٣ ؛ محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص٧٢).

٣٩- الهمذاني : تاريخ غازان، ص ١٦٧؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٤٧.

٤٠- لقد أطلق العيني علي غازان اسم قازان (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك - حوادث وتراجم ، ج٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، ص١٢٨).

٤١- ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٦ ، ص٢١٠ ؛ العيني : نفس المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٨١.

٤٢- النويري : نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص ٢١١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج٥ ، ص٣٩٨.

٤٣- ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٣٣١ ؛ عبدالسلام عبد العزيزفهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨٠م ، ص٢٠٩.

٤٤- العيني : عقد الجمان ، ج٣ ، ص ٢٨١ ، ج٤ ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ ؛ خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٣ ، ج١ ، ص ١٧٧ ؛ البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ص ١٧ ؛ عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٠٩، ٢١٠ ؛ شعبان طرطور : موجز ، ص ٥٥.

٤٥- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٦: ٣٠٧.

٤٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٩٥ ؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدر ، ج٩ ، ص٤٦ ؛
Sykes : History of Persia , Vol. II , P.234 , (London,1958)

٤٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ ؛ فؤاد الصياد ، الشرق الإسلامي ، ص ٣٤٧ : ٣٤٨.

٤٨- عبدالله الشيرازي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ص ٢٠ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والتوزيع والنشر بالقاهرة ، ص٤٧٧.

٤٩- جيلان : ولاية صغيرة تمتد من حدود أردبيل وخلخال حتي حدود كلاردست ومنطقة مازاندران (فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي ، ص٣٥٤)؛ وفي جيلان قوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك؛ فنزل عليهم قوم من بني عجل(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠١).

٥٠- ميرخواند : روضة الصفا ، ج٥ ، ص ٤٥٤.

٥١- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ : ٧٧.

٥٢- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٨٧ ؛ عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦.

٥٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٢٠ ؛

Sykes : History of Persia , Vol II , P. 115.

٥٤- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤١١ ، ٤١٤ ؛

D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P. 600 – 601.

٥٥- تقرر سفر سفير من إيران لإبرام معاهدة مع مصر واستقبل من قبل سلطانها الناصر محمد بالود والتكريم وتم عقد المعاهدة ، ومن أهم بنودها ما يلي :

١- ألا يكلف سلطان مصر الفدائيين الإسماعيلية بأي مهام في الممالك الإيلخانية.

٢- ألا يطالب أي من الجانبين بترحيل رعاياه ممن يلجئون إلي أرضه.

٣- ألا يحرض سلطان مصر أعراب البادية والتركمان علي مهاجمة الممالك الإيلخانية.

٤- ترسيخ علاقات الود بين الدولتين وتمكين التجار من حرية التجارة والحركة.

٥- حرية حركة لقوافل الحجيج السنوية من العراق إلي مكة علي أن ترفع علمين أحدهما باسم سلطان مصر ، والآخر باسم إيلخان إيران أبوسعيد.

٦- أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم الامير قراسنقر الفار إلي دولة الإيلخان (عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢).

٥٦- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خانبا بياني ، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ.ش ، ص١٩٣.

٥٧- البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٣٥ ، ٣٨؛ انظر الملحق رقم ١، الخاص بأسماء الإيلخانيين.

٥٨- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٨٤ ؛ عباس اقبال : نفس المرجع السابق ، ص٢٦٧.

٥٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٩.

٦٠- فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير ، ص ٦٤ ؛

Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 90.

٦١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧.

٦٢- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٥٠١.

٦٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٨ : ١١٩.

٦٤- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٨٢.

٦٥- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٤.

٦٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٣.

٦٧- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدي ، ص ١٩٥.

٦٨- ابن بيبي : سلجوقنامه ، ص ٧٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار ، ج٤ ، ص١١.

٦٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ ؛ برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧١.

٧٠- ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٢٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٢ ؛ ابن

حبيب: تذكرة النبيه ، ج١ ، ص ٢١٠ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج٣ ، ص ٢٨١ ؛ البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ص ١٧.

٧١- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 234

٧٢- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج٥ ، ص ٤٥٤ ؛ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤ ؛ برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦.

٧٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠.

D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III, P. 600.

٧٤- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ١٦.

٧٥- القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٤٢٣.

٧٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج٤ ، ص ٢٣ ؛

Howorth : History of Mongols , Vol.3 , P. 270.

٧٧- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٦٠.

٧٨- القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٤٢٣ ؛ البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ص١٦.

٧٩- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠.

٨٠- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٤.

٨١- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٩.

٨٢- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧١.

٨٣- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٦.

٨٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧.

٨٥- فتنة نوروز : لقد كان نوروز أتابكا لغازان في أثناء حكمه علي خراسان ، ثم تولي منصب أمير الأمراء ، وتم اعتناق غازان للدين الإسلامي علي يديه (عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٣٢٢ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٧: ٣٠٨) ؛ ولكن نتيجة للصراع الذي قام بين الوزير جمال الدين الدستجرواني ونوروز والاتهامات التي قيلت بتدبير مؤامرات مع بعض الأمراء ضد غازان ، واتهامات الوزير صدر الدين الزنجاني له بمراسلة سلطان مصر ، وأنه سوف يسلم البلاد للمماليك ، فإن غازان أمر بالقبض عليه وعلي أتباعه وأمر بإعدامهم ، هذا وقد نزلت الهزيمة بنوروز وقواته بالقرب من نيسابور ، فالتجأ إلي هراة ، لائذاً بحماية ملكها فخر الدين كرت ، الذي أسرع بتسليمه إلي غازان في شوال سنة ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦ م (الهمذاني: تاريخ غازان ، ص ١٢٣ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٤ ؛ خواندمير : حبيب السير مجلد ٣ ، ج١ ، ص ١٣٥ ؛ فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٧٨).

٨٦- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٦.

٨٧- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٥٢ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص٢٤١.

٨٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج١ ، ص ٤١ : ٤٢.

٨٩- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٠.

٩٠- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ : ٢٨٤.

٩١- عين جالوت : موقعة عظيمة بين الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك ومعه الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل وبين التتار بقيادة كتبغا نائب هولاكو وكان النصر فيها لقوات قطز وكانت في رمضان سنة ٦٥٨هـ (أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ، ج٣ ، ص ٢٤٥).

٩٢- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 91

٩٣- القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤ ، ص ٣١١ : ٣١٢.

٩٤- عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٥٤.

٩٥- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢، ج١ ،ص ١٢ ؛ شعبان طرطور: موجز تاريخ، ص ٣٣.

٩٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١٢٤.

٩٧- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١١١ : ١١٢.

٩٨- عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٧.

٩٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٣٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٤.

١٠٠- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٧.

١٠١- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٧٩.

١٠٢- البدليسي : شرفنامه ، ج٢ ، ص ٢٧.

١٠٣ - الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٧ ؛ عباس إقبال ، تاريخ المغول ، ص٢٨٥.

١٠٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٥.

١٠٥- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٤، ص٤٢٥.

١٠٦- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٦١.

١٠٧- دار النزاع بين الأمير سنقر الأشقر والسلطان قلاوون علي تولية العرش ، وبالتالي تم تبادل الرسائل بينه وبين أباقاخان للمآزرة والوقوف إلي جانبه ضد قلاوون وجيشه (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٧).

١٠٨- النويري : نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص ٢١١.

١٠٩- العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٨١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج٥، ص٣٩٨.

١١٠- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص ٣٧.

١١١- لقد خرج الأمير شمس الدين قراسنقر ملتجأ إلي الإيلخان أولجايتو ، وقد أرسل إليه الإيلخان أميراً مغولياً هو سوتاي علي رأس عشرة آلاف جندي ، لاصطحابهم إلي داخل الإيلخانية (ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٢٣٠ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، سنة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ، ص١٦٤).

١١٢- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢.

١١٣- الهمذاني : جامع التواريخ، مجلد ٢، ج٢، ص ١٦؛ ترخان : لقب يفيد امتياز حامله بالإعفاء من كل التكاليف ، فهو لا يدفع نصيباً مما يغنم في الحرب ، ويدخل على الملك وقت ماشاء ، وترخان اسم قبيلة جغتائية كذلك، (الهمذاني: نفس المصدر السابق والجزء ، هامش ص١٧).

١١٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ٦٣ : ٦٤.

١١٥ - الشرق الإسلامي، ص٧٥.

١١٦ - فؤاد الصياد : نفس المرجع السابق، ص١٩٢؛ محمد أحمد محمد: إسلام الإيلخانيين، ص ٦٨.

١١٧- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٨ ، ص١٤٥؛ ١٤٣: كان على رأس تلك السفارة كل من القاضي نصير الدين التبريزي والشيخ قطب الدين الموصلي (البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص١٩).

١١٨- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٦١.

١١٩- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد٢ ، ج٢ ، ص ٣٤.

١٢٠- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ج١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠ م ، ص٣٦٤.

١٢١- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ١٨٩ : ١٩٠.

١٢٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٥٣ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٨.

١٢٣ - الأمير صدر جهان . اسمه صدر جهان أحمد الخالدي الزنجاني وزير غازان ، وهو أحد أبناء قضاة ولاية زنجان ، والتحق بالخدمة للأمير طغاجار ، ولما أصبح طغاجار أميراً للألوس في عهد أرغون جعل صدر جهان أحد مسئولي تنظيم أموال البلاد ، فنظم أعماله تنظيماً كاملاً (خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٦٦ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول ، ص ٦٨).

١٢٤- الهمذاني : تاريخ غازان خان ، ص ٥٣: ٥٥.

١٢٥- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٣٢.

١٢٦- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦١.

١٢٧- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ٣٧: ٣٩.

١٢٨ - فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٣.

١٢٩- كشيكجي : كلمة مغولية معناها النوبة ، وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس ، مكونة من ألف رجل هم نخبة المحاربين لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان الإيلخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال (فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٠).

١٣٠- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١.

١٣١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج١ ، ص١٠٨.

١٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤١.

١٣٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٥.

١٣٤- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٨.

١٣٥- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣.

١٣٦- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٦.
١٣٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٣.
١٣٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ١٥٤ :١٥٥ .
١٣٩- تاريخ غازان ، ص ١٠٤ ؛ ويشير الهمذاني في موضع آخر في تاريخه بأن غازان كان رحيماً مع أسراه ، وأنه أمر بأن يحضروا من خزائنه قباء وقلنسوة ومنطقة - حزام وحذاء - وألبسوا الأمير هذه الأشياء وهو الأمير ارسلان أغول، ثم أركبوه جوادا من جياد الخاصة ، كما أمر غازان بإحضار جرحى المعركة ، وصار يضع الأدوية على جروحهم ، مما يدل على مدى رحمته وإسلامه (تاريخ غازان ، ص ١١٥ :١١٦).
١٤٠- أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٨ ، ص ١٥٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ؛ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٠.
١٤١- أبو الفداء : المختصر ، ج٤ ، ص ١٥.
١٤٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٢.
١٤٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ٨٣.
١٤٤- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٥٧.
١٤٥- برتولد شبولر : نفس المرجع السابق ، ص ٦٩.
١٤٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ١٠٣ ؛ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤٤١.
١٤٧- أبوالفداء : المختصر ، ج٤ ، ص ١٠٠: ١٠١ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٢٧.
١٤٨- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ :٣٩١.
١٤٩- ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٢٣٠.
١٥٠- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج٢ ، ص ٢٦.
١٥١- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ١٠٦ ، ١١٥.
١٥٢- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدي ، ص ٢١٠.
١٥٣- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩.
١٥٤- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٧١.
١٥٥- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدي ، ص ١٤٨.
١٥٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠.

أسماء المصادر والمراجع

أولاً . المصادر والمراجع العربية

١- ابن أيبك الدواداري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م) : أبوبكر بن عبدالله المنصوري. "كنز الدرر وجامع الغرر" المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج٩ ، تحقيق هانس رويرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٠م.

٢- بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : ركن الدين المنصوري المصري. "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج٩ ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م.

٣- ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) : الحسن بن عمر. " تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه " ج١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م.

٤- ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي. "الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م ".

٥- رجب محمد عبدالحليم : " انتشار الإسلام بين المغول " ، طبعة دار النهضة المصرية.

٦- م.م. الرمزي : " تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار" ، مجلد١، طبعة المطبعة الكريمية والحسينية ببلدة أورينبورغ.

٧- شعبان طرطور : " موجز تاريخ إيران في العصر المغولي " ، طبعة سوهاج ، ١٩٩٦ م / ١٩٩٧ م.

٨- عبدالسلام عبد العزيز فهمي : " تاريخ الدولة المغولية في إيران " ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨١م.

٩- ابن العبري (ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٦ م) : غريغوريوس الملطي أبو الفرج بن اهرون " تاريخ مختصر الدول " ، وضع حواشيه الأب انطون صلحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨م.

١٠- العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : بدر الدين محمود "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك" ، حوادث وتراجم ، ج٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.

١١- أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي " المختصر في أخبار البشر " ، ج٣ ، ج ٤ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيي سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، ١٩٩٩م.

١٢- فؤاد عبدالمعطي الصياد : " الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولاكو خان " - منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٣- ـــــــ : المغول في التاريخ ، ج١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م.

١٤- ــــــــــ : " مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م.
١٥- ابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م) : كمال الدين أبوالفضل عبدالرزاق: "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة" ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م.
١٦- القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م). أبوالعباس أحمد بن علي : " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " ج٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥م.
١٧- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) : الحافظ بن كثير : " البداية والنهاية " ج١٤، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان ، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
١٨-أبو المحاسن(ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): محمد جمال الدين يوسف بن تغري بردي "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" ، ج٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، سنة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.
١٩- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩م.
٢٠- النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب : "نهاية الأرب في فنون الأدب " ج٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.
٢١- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٣٣٩م) : شهاب الدين أبوعبدالله الرومي : "معجم البلدان " ٥ أجزاء ، طبعة دار صادر ، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

ثانياً المصادر والمراجع الفارسية :

٢٢- البدليسي (ت بعد ١٠٠٥ هـ/ ١٥٩٦ م) : شرف خان " شرفنامه " ، ج٢، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م.
٢٣- البناكتي (ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م) : أبوسليمان داود بن أبوالفضل محمد "روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي" ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
٢٤- ابن بيبي (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) : ناصر الدين يحيى بن محمد " تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلجوقنامه " ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، يناير ، ١٩٩٤م.
٢٥- الجوزجاني (ت ٦٩٨ هـ / ١٣٠٠م) : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين " طبقات ناصري " جلد أول به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليق عبدالحي حبيبي قندهار ، كابل سنة ١٣٤٣ هـ.ش

٢٦- الجويني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني : " تاريخ جهانكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم " ، تحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
٢٧- حافظ أبرو (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤م) : شهاب الدين عبدالله بن لطف الله : " ذيل جامع التواريخ رشيدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خانبابياني، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ . ش.
٢٨- خواندمير (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) : غياث الدين بن همام الدين: " حبيب السير في أخبار أفراد البشر " جلد سوم جزء أول ، انتشارات كتبخانه خيام.
٢٩- ________ : " دستور الوزراء " ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠م.
٣٠- رشيد الدين الهمذاني(ت ٧١٨ هـ/١٣١٨م):رشيد الدين فضل الله: " تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ "دراسة وترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٣١- ________ : " جامع التواريخ – الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان" ، المجلد الثاني الجزء الثاني ، ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسي هنداوي ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة يحيي الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومي
٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتي نهاية الدولة القاجارية " ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
٣٣- ________ : " تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتي قيام الدولة التيمورية " ، ترجمة عبدالوهاب علوب ، المجمع الثقافي أبوظبي ، الإمارات العربية ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
٣٤- عبدالله الشيرازي (ت ق ٨ هـ / ١٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن فضل الله. تحرير تاريخ وصاف" ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بنياد فرهنك، إيران ، تهران.
٣٥- ميرخواند (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) : محمد بن خاوند شاه. " روضة الصفا " ج٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ هـ. ش.
٣٦- النسوي (ت ق ٧ هـ / ١٣ م) : محمد بن أحمد : " سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي " ، نشره وترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٣ م

ثالثاً المراجع الأجنبية والمترجمة

٣٧- برتولد شبولر : " العالم الإسلامي في العصر المغولي " ، ترجمة خالد أسعد عيسي ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولي ، دار حسان للطباعة والنشر دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٣٨- زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

39- D'Ohsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan,Vol III (Amesterdam, 1834)

40- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , (London , 1975).

41- Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi, (Delhi, 1944).

42- Sykes : History of Persia , Vol. II , (London , 1958).

التحصينات الدفاعية فى الأندلس عصر بنى الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

د. حسام محمود المحلاوي (*)

المقدمـــة :

يقصد بالأندلس، فى عصر بنى الأحمر، مملكة غرناطة الإسلامية منذ قيامها فى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها فى أيدى القوى المسيحية فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وفى تلك الفترة؛ كانت دولة بنى الأحمر تمثل الكيان الإسلامي الذى تدخل تحت لوائه كل البلاد والمدن الإسلامية، التى لم تكن القوى المسيحية قد نجحت فى الاستيلاء عليها .

وقد استمرت دولة بنى الأحمر قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان، تطاحن من أجل البقاء وسط أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها، التى كانت تتحين الفرصة من الحين للآخر للانقضاض عليها والاستيلاء على أملاكها، وطرد المسلمين نهائيا من بلاد الأندلس، وهو ما تحقق لها فى عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م .

ولأن الاستحكامات الدفاعية كانت أهم أسباب بقاء مملكة غرناطة واستمرارها قرنين ونصف من الزمان، كان لزاما دراستها والتعرف على طرقهم فى تحصين دولتهم وحدودها الخارجية، وكذلك كيف أنعم الله، سبحانه وتعالى، على أهل مدن مملكة غرناطة بتحصين بلادهم بموقعها المتميز والفريد .

وقد انشغل سلاطين بنى الأحمر بتشييد الاستحكامات الدفاعية طوال عمر دولتهم، فعمدوا إلى تشييد الحصون، والرباطات، والأسوار، والأبراج، وغيرها من المنشآت الحربية المهمة والتى لقيت اهتمام سلاطين الدولة، وكذلك عموم المسلمين فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة، وبخاصة فى المناطق الحدودية .

الأندلس عصر بنى الأحمر :

بعد ضعف دولة الموحدين فى بلاد الأندلس، عقب هزيمتهم فى موقعة العقاب Las Navas de Tolosa [١] فى ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م،وبدأت ثورة بعض القادة الأندلسيين ضد الموحدين وإعلانهم الاستقلال عنهم، وكان منهم محمد بن يوسف بن هود[٢]، الذى بدأت ثورته فى شرق الأندلس، ثم نجح فى إقامة دولته بالأندلس والتى استمرت عشر سنوات، من عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، وحتى وفاته عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. كما التف الكثيرون

(*) حاصل علي درجة دكتوراة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة المنصورة.

حول القائد محمد بن يوسف بن نصر[٣] المعروف بابن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة، وعقدوا عليه الآمال في جمع شمل المسلمين في الأندلس، وبايعوه في يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٣٤هـ/ ٢٩ أبريل ١٢٣٧م[٤] . وبعد وفاة ابن هود في عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م[٥]، تهيأت الأوضاع لسيطرة ابن الأحمر، وثار أهل غرناطة ضد حاكمهم من قبل ابن هود، عتبة بن يحي المغيلي، وقتلوه، وأعلنوا بيعتهم لابن الأحمر، واستدعوه، فدخل غرناطة في أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ/ أبريل ١٢٣٨م[٦] واتخذها عاصمة لدولته، وأعلن قيام مملكة غرناطة التي استمرت قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان .

التحصينات الطبيعية للمملكة :

وهب الله سبحانه وتعالى جنوب بلاد الأندلس الإسلامية، وهو موقع مملكة غرناطة، موقعًا فريدًا، كان ذلك الموقع بمثابة حماية طبيعية منحها الله إياها، فكانت أحد أهم الأسباب التي حفظت حدودها كثيرًا، وردت عنها أعداءها مرات عديدة، لذا وجب التعرض لتناول هذا الموقع المحصن طبيعيًا، وما أهم ملامح تحصينه.

فمملكة غرناطة كان يحيط بها ويخترقها عدة جبال، كانت لوعورتها وارتفاعها، عاملاً وحصنًا طبيعيًا لها . فقد كانت سلسلة الجبال العالية، التي تحيط بغرناطة العاصمة، تشكل سورًا طبيعيًا منيعًا أمام الهجمات الكثيرة التي تعرضت لها. وأهم هذه الجبال جبل شيلر (ضمن سلسلة جبال تعرف باسم سيرا نيفادا Sirra Nevada) وهو تحريف للاسم اللاتيني القديم Solorius أي جبال الثلج، لشدة لمعانه لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج. ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ مترًا[٧] ويذكر الزهري أنه لا ينبت في قممه نبات ولكن النبات ينبت على سفحه[٨].

كما أن وجود جبل طارق Gibraltar (نسبة الى طارق بن زياد) بمثابة حصن طبيعي للمملكة من ناحية الجنوب، وخاصة بعد أن أنشأ الموحدون على سفحه مدينة الفتح، لتكون مركزًا للعمليات الحربية (لذلك سمى جبل الفتح). وقبل الفتح الإسلامي أطلقت عليه أسماء عديدة، أهمها الاسم الفينيقي Calpe ومعناه تجويف، حيث كان يطلق على مغارة كبيرة في هذا الجبل. أما عن مضيق جبل طارق، أو بحر الزقاق، فهو ممر مائي ضيق، يبلغ عرضه في أضيق جهاته حوالي ١٥ كم، وهي مسافة ساعدت على عبور المغاربة إلى بلاد الأندلس[٩]، وهو بوابة الأندلس إلى بلاد المغرب والعكس، وعنه يذكر ابن الخطيب:

هو الباب إذ كان التزاور واللقيا   وغوث وغيث للصريخ وللمسقيا
فإن تترك الأيام فيه بحادث   وأعزز به كل السلام على الدنيا[١٠]

كما أن جبل فارّة (بتشديد الراء وضمها) Gibralearo الذي يشرف على مرسى مدينة مالقة Malaga[١١] كان بمثابة حصن طبيعي للميناء[١٢].

وكما كانت الجبال تحمي المملكة، كانت الأنهار التي تخترقها بمثابة أحد عوامل التحصين الطبيعي لها، وعاملاً مساعدًا لوقوفها في وجه أعدائها.فقد كان يخترقها عدد كبير من الأنهار، منها نهر الوادي الكبير الذي يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس، وتتفرع منه عدة أنهار أخرى، أهمها نهر شنيل Genil، وهو النهر الذي تقع عليه العاصمة غرناطة،وينبع من

جبل سيرانيفادا[١٣]، وهو يؤمّن المدينة من ناحية الجنوب [١٤] ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب العاصمة غرناطة. [١٥] كما يوجد نهر حدرة Derra (بفتح الحاء والراء) والذى يتحدر من جبل قرب مدينة وادى آش Guadix [١٦] شرقى جبل شلير، وينتهى إلى غرناطة العاصمة ويمر شرقها، ويلتقى بنهر شنيل خارج المدينة، وطوله ١١كم [١٧] كما أن نهر وادى المنصورة والذى يسميه العرب وادى بيرة- لأنه يصب فى البحر المتوسط عند بلدة بيرة،- كان بمثابة حصن طبيعى لغرناطة[١٨] .

ولوجود الجبال والأنهار، سالفة الذكر، باتت بعض المدن الأندلسية محصنة طبيعيًا، فكانت بمثابة حماية طبيعية لها للتصدى لهجمات الممالك المسيحية، وبخاصة التى عاصرت بنى الأحمر . ومن هذه المدن مدينة مالقة ذات الموقع المتميز، فهى تقع على البحر المتوسط فى وادى عميق، يحد هذا الوادى من الشمال المرتفعات الشاهقة، ومن جنوبه منطقة وعرة كلها جرداء[١٩] . ومدينة وادى آش التى تطل من الشرق على نهر الوادى الكبير، ومن الغرب على صخرة منيعة عالية تشرف على واديها الأخضر، وتبدو من بعده جبال سيرانيفادا الشاهقة على بعد اثنى عشر كيلومترًا منها. [٢٠]

كذلك كانت مدينة المرية Almeria [٢١] محصنة بجبل شمالاً والساحل جنوبًا، ومن الشرق والغرب وديان ضحلان. [٢٢]

وبذلك، فإن الناظر لحدود مملكة غرناطة، يجد أنه يحدها من الشمال مرتفعات جبال سيرانيفادا ونهر الوادى الكبير، ومن الجنوب والشرق البحر المتوسط، ومن الغرب ولاية قادس وأرض الفرنتيرة [٢٣]

اهتمام المسلمين بتحصين المملكة :

كان لوجود مملكة غرناطة الإسلامية فى مكان تحيط به الممالك المسيحية المتربصة بها من كل جانب، وبخاصة مملكتا قشتالة واراجون، بالغ الأثر فى انشغال الغرناطيون حكومة وشعبًا بإقامة التحصينات الحربية التى تساعد فى عملية الدفاع عن البلاد، والمدن التابعة للمملكة، إذا ما تعرضت لهجوم القوى المسيحية فى أى من الأوقات .وسادت حالة فريدة من التعاون بين الحكومة الغرناطية والشعب الغرناطى فى مسألة إقامة التحصينات اللازمة لحماية البلاد والمدن . ويذكر المؤرخ المقرى: أن الدولة الغرناطية كانت تحث رعاياها الأندلسيين على المساهمة فى إقامة التحصينات الدفاعية لأن أموال الدولة كانت تصرف فى أوجه مختلفة أخرى، من شراء أسلحة والإنفاق على الجيش، لذلك كان الملوك يطلبون من الرعية المشاركة فى إقامة الحصون والأسوار والأبراج للحماية [٢٤]

وقد استجاب الغرناطيون لرغبة ملوكهم،فشاركوا فى تشييد الاستحكامات الدفاعية لمدنهم، خشية وقوعها فى أيدى القوى المسيحية، وتزعم العلماء هذه الحركة، ومنهم أبو البركات بن الحاج البلفيقى (ت٧٧٣هـ/١٣٧١م)- من أشهر العلماء المجاهدين فى عصر بنى الأحمر- وقد شارك فى تحصين بلدته خشية الوقوع فى قبضة النصارى، فشارك فى بناء الأسوار وحفر الآبار، بل قام بتشييد سور حول أحد الحصون، وكان ذلك من ماله الخاص.

وفى ذلك يقول أبى البركات بن الحاج :

في افتحـار الأساس والآبار	وانتقـال التـراب والجيـار
وقعودي ما بين رمـل وأجـر	وجـص والطوب والحجار
وامتهان يُردى بالطين والماء	ورأسي ولحيتي بالغبار[٢٥]

كما أن سكان المناطق الحدودية كانوا يقومون بدفع ضرائب مخصصة لإقامة التحصينات الدفاعية وبخاصة الأسوار لحماية البلاد من هجمات القوى المسيحية، وقد وافق العديد من فقهاء غرناطة على فرض هذه الضريبة، وذلك لما بها من مصلحة عامة تعود على المسلمين في بلاد الأندلس[٢٦].

كما اهتم المرينيون[٢٧] بتحصين المدن الأندلسية التي كانت خاضعة لسيطرتهم،وقاموا بتشييد العديد من الحصون والأسوار والأبراج بها،علاوة على الاهتمام ببناء مخازن الأسلحة والذخيرة. ويذكر المورخ ابن مرزوق: أن السلطان المريني أبو الحسن علي[٢٨] قام بتحصين مدينة رندة وعملوا على إنشاء عدد كبير من المنشآت الحربية بها، وعن ذلك يذكر"... وفي بلدة رندة من آثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة.."[٢٩]

وبعد أن نجح المسلمون، أندلسيون ومغاربة، في استرداد جبل طارق من أيدي القوات القشتالية في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م[٣٠] اهتموا بإقامة تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون الهجوم عليه مرة أخرى، منعتهم التحصينات من الاستيلاء عليه. وأشرف على هذه التحصينات القائد أبو مالك بن السلطان المريني أبي الحسن علي. وقام المسلمون ببناء حصن بالجبل، كما عملوا على إحكام السور حوله، وبناء مسجد جامع به، ومرافئ برية وبحرية. واستخدم المسلمون في هذه التحصينات المؤن والعتاد اللازم لذلك، والذي أرسله السلطان المريني أبو الحسن على لإقامة تلك التحصينات[٣١].

أهم المنشآت الحربية :

الحصـون:

الحَصْنُ في اللغة: من حصُن المكانُ يَحْصُنُ حَصانةً، فهو حَصِين: مَنُع، وأَحْصَنَه صاحبُه وحَصَّنه.والحِصْنُ كلُّ موضع حصين لا يُوصَل إلى ما في جَوْفِه، والجمع حُصونٌ. [٣٢]

وكان بنو الأحمر مثلهم مثل أسلافهم حكام الأندلس، يعمدون إلى بناء الحصون لحماية البلاد الإسلامية من هجمات القوى المسيحية، وهذه الحصون تتقـدم الأسوار لحمايتها وقت الهجوم، والحصن في غالبه عبارة عن بناء ذي متاريس مسننـة، له عدة أبواب متداخلة، عـادة ما تكون في أحد زواياه. ويذكر ابن الخطيب أن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول[٣٣] (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) قام ببناء حصن على أحد الجبال المطلة على ميناء مالقة مباشرة، والمسمى جبل فارَّة لحماية الميناء من أي هجوم مسيحي متوقع، وعن ذلك يذكر

أن:".... وفي أيامه ...... بنى الحصن السامي الذروة، المبنى على القدرة، في الجبل المتصل بقصبة مالقة، فعظم به الفخر، وجل الذكر... "[٣٤]

كما أن السلطان الغرناطي محمد الخامس[٣٥] (٧٥٥هـ-٧٩٣هـ/١٣٥٤م-١٣٩١م) قام بتجديد هذا الحصن، وأصدر بعض الظهائر إلى رعيته من أهالي مالقة بضرورة الاهتمام ببناء الحصون القوية على هذا الجبل حماية للمدينة وإعانة للمسافرين[٣٦]. ويعد حصن جبل فارة: صرحًا إسلاميًا يشهد على عظمة العمارة الإسلامية في تلك الفترة، وقد اختار المسلمون لبنائه ربوة عالية تشرف على البحر، ويقع على مسافة صغيرة من القصبة ويفصل الحصن عنها رقعة خضراء، ويرتبطان بطريق مسور، وأسوار الحصن الخارجية مشيدة من الآجر الأحمر، وبه برج رئيسي أبيض اللون، مستدير الواجهة، ويشرف الحصن على المدينة من ارتفاع شاهق، وأمام الحصن من الناحية الأخرى منحدر الجبل، وكان للحصن أربعة أبواب كبيرة في سوره الأسفل، أحد هذه الأبواب يؤدي إلى قصبة المدينة. [٣٧] وقد سقط الحصن في أيدي الملكين الكاثوليكيين عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، بعد حصار دام أربعين يومًا[٣٨]، وما زال الحصن يحتفظ حتى الآن بطابع الطراز الإسلامي، فقد تبقى منه اليوم أسوار السياجين وجزء من البرج الأعظم[٣٩]

ومن أشهر حصون مملكة غرناطة: حصن العقاب، على مقربة من غرناطة، وحصن شلوبانية وهو حصن بحري، وحصن البيول Bauel [٤٠]، كما أنه بالقرب من غرناطة العاصمة، وعلى بعد اثنين وثلاثين كيلو مترًا شمال غربي المدينة، كان يوجد حصن موكلين المنيع، على ربوة عالية هرمية الشكل، وتشرف من ارتفاعها الشاهق على سائر البسائط المجاورة، وفي أسفل الحصن تقع قرية موكلين، وقد لعب حصن موكلين دورًا بارزًا في حرب غرناطة الأخيرة، وكان من أمنع خطوط الدفاع الشمالية عن المدينة، وكان سببًا في رد القشتاليين عن غرناطة في شعبان ٨٩٠هـ/يوليه ١٤٨٥م، بعد هزيمتهم هزيمة فادحة على أعتاب هذا الحصن[٤١]. وقد حرص سلاطين بني الأحمر على تشييد العديد من الحصون ووضعوا عليها الأبراج بطول ساحل المرية لحماية مينائها من الهجمات المسيحية المتكررة على السواحل الإسلامية، بهدف السيطرة على المواني والمدن[٤٢].

الأربطـــة

تعددت الوظائف التي تقوم بها الأربطة، بين حربية ومدنية ودينية، حيث كانت في البداية قد نشأت حربية، واستخدمت للعبادة والتصوف، كما استخدمت أيضاً كمحطات تجارية، ومستودعات لحفظ المواد التموينية والغذائية، وأيضاً محطات بريدية، كما أشرفت على أمن الطرق، بالإضافة إلى حفظ الخيول والمواشي، وأيضاً حفظ المياه في الخزانات والصهاريج . ولقد ظلت الأربطة تؤدي دورها الحربي طوال عصر بني الأحمر، ومثال ذلك: سلسلة الرباطات التي كانت تحيط بمدينة المرية مثل الرباط المسمى "رباط القبطة Cabo de Cata" على ساحل المدينة، والذي تم تشييده في عهد السلطان محمد الخامس، لحماية الساحل من أي هجوم

مسيحي محتمل [٤٣] . كما كان هناك رباط بجانة[٤٤] القريب من ميناء المرية أيضًا، وكذلك ربط عمروس ورباط الخشني[٤٥] .

وفي رحلته: تعرض ابن بطوطة لذكر الرباطات الأندلسية، فيذكر أنه في طريقه إلى مالقة مر برباط سهيل، والذي قضى فيه ليلته[٤٦]. كما أنه يذكر أنه في زيارته لمدينة غرناطة العاصمة توجه مع الشيخ الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن المحروق لزيارة رابطة العُقاب، وزاوية بني المحروق، ويذكر أن العُقاب جبل مطل على خارج غرناطة[٤٧].

الأســـوار:

كانت عمليات تحصين المدن والأحياء السكنية الكبرى الغرناطية تبدأ بتشييد الأسوار المرتفعة والمتينة، وكانت هذه الأسوار مزودة بأبراج على طول مسارها، لحمايتها إذا ما قامت القوى المسيحية بشن الهجوم عليها في أي من الأوقات . ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول: تم تشييد السور الأعظم الذي كان يحيط بأكثر المناطق السكنية في مدينة غرناطة العاصمة، وهو ربض البيازين[٤٨] .

والسور الغرناطي مثله مثل العديد من الأسوار في البلاد والمدن الإسلامية، في تلك الفترة، فهو في الغالب يتألف من درب في أعلاه، يسير عليه المحاربون، يطلق عليه في الغالب ممشى السور، وفي السور شرفات يُقذف منها بالسهام، كما يضم السور بعض الدورات التي تستخدم في الاحتماء [٤٩]

وما يزال بعض أجزاء من سور مدينة غرناطة قائما حتى اليوم، يشهد على متانة بنائه وعظمة تشييده، وأغلب الأجزاء الباقية من السور تلك التي تقع في الجهة الشمالية الغربية، وتمتد نحو كيلو متر، كما بقيت بعض أجزاء من سور الجهة الشرقية، والتي تشهد على متانة التحصينات الغرناطية.[٥٠]

كما أن الحمراء [٥١] كان يحيط بها سورٌ حول قصورها كلها، وكان السلطان الغرناطي محمد بن الأحمر قد أنشأ بعضَ أسوار الحمراء، كما قام ابنه محمد الثاني الفقيه، في أواخرَ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، باستكمال بعض أجزاء السور، والعمل على تحصينه[٥٢] وتوالت الإنشاءات في السور بعد ذلك حتى اكتمل حول الحمراء كلها في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، كما أتم بناء أبراجه وبواباته[٥٣]، وتكمل هذه الأسوار القصبة في ناحية الغرب، وهذه الأسوار كانت منيعة ومشيدة بالحجارة الصلبة، ويتألف السور من جدار واحد فقط، وكانت هذه الأسوار شاهقة الارتفاع[٥٤].

كذلك كان جبل طارق يحيط به سور قام السلطان محمد الخامس الغني بالله في عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م بعمل تغطية له، وإصلاح الأجزاء المتهالكة به. [٥٥]

كما أن أسوار مدينة المرية يرجع بناؤها إلى مؤسسها عبد الرحمن الناصر، وكان قد أقامها فى عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م[٥٦] إلا أنها شهدت على مدار تاريخ المدينة منذ تأسيسها وحتى سقوطها فى أيدى القشتاليين عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م[٥٧]عدة تجديدات وتحصينات،ازدادت فى عصر بنى الأحمر، عندما اشتدت وطأة الممالك المسيحية على البلاد الإسلامية [٥٨] . وللمدينة سور كبير منيع عال من ناحية البحر لتحصين المدينة، وسور آخر يأتى حول ربضها الشرقى لحمايته، كما كان ربضها الغربى محصنًا بسور كبير أيضا، وكانت مدينة المرية قد تعرضت لهجوم شديد وحصار قوى من جانب القوات الأراجونية فى عام٧٠٩هـ/١٣٠٩م[٥٩] وبرغم أن آلات الحصار الأراجونية كانت حديثة وقوية، فإنها لم تتمكن من اقتحام أسوار المرية المتينة، فاضطرت إلى رفع الحصار عنها [٦٠] .

الأبــــراج :

البَرْجُ فى اللغة : تباعُدُ ما بين الحاجبَيْن، وكل ظاهر مُرتفع فقد بَرجَ، وإنما قيل للبُرُوج بُرُوج لظُهُورها وبيانها وارتفاعها، والجمع أبراج[٦١] .

والأبراج بناء حربى قد يأخذ شكل المربع، أو المثمن أو المستدير أو غير ذلك من الأشكال، وتكون فى موضع بارز فوق الأسوار، وكانت من أهم الاستحكامات الدفاعية فى العمارة الحربية الإسلامية، وبخاصة فى بلاد الأندلس، لرد أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها . فقد قام السلطان الغرناطى محمد الثالث[٦٢] (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م) بإنشاء خمسة أبراج على مشارف فحص غرناطة لحماية أهل الريف وقت هجوم النصارى عليهم[٦٣]، ويذكر ابن الخطيب: أن عدد أبراج مملكة غرناطة بلغ أربعة عشر ألفا[٦٤]، ووقت استيلاء حملة قشتالة على مالقة وجدوا عدد أبراجها وقد بلغ ألف وثلاثين[٦٥] .

وكان دور الأبراج المراقبة، فيذكر ابن بطوطة فى رحلته إلى بلاد الأندلس: أنه توجه من مدينة مربلة إلى مدينة سهيل، ويذكر أنه بعد دخوله فى حوز مدينة سهيل، رأى برجًا للمراقبة هو برج الناظور، وقال فى نفسه "... لو ظهر ها هنا عدو لأنذر به صاحب البرج..."[٦٦] وبينما هو كذلك حتى شن أربعة أجفان[٦٧] للنصارى على المدينة، ولم يكن الناظور بالبرج، ولم يطعمهم أحد بالغارة، وكانت النتيجة أن قتل فارس مسلم وتم أسر عشرة، ونجح فارس فى الفرار[٦٨].

كما قام سلاطين بنى الأحمر ببناء الأبراج المختلفة حول المدن للدفاع عنها فمدينة مالقة كان بها عدد كبير من الأبراج، والتى شبهت أبراجها ببروج السماء فى كثرتها وضيائها[٦٩]، واستمرت هذه الأبراج حتى كان تدمير أغلبها على أيدى الحملة التى عمدت إلى الاستيلاء عليها، فى عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وكانت عقبة كبيرة فى وجه الحملة القشتالية، إلا أن تفوق سلاح المدفعية القشتالية، الذى نجح فى تدمير هذه الحصون، كان سببًا فى نجاح تلك الحملة.[٧٠]

كذلك عُرف من الأبراج الغرناطية، في تلك الفترة، أبراج الطليعة أو المراقبة Torres Atalaya، وهي مأخوذة من الكلمة العربية الطليعة،وهي أبراج قام المسلمون بتشييدها على ارتفاع كبير حتى يمكن من خلالها مراقبة تحركات القوى المسيحية، وتقوية الاستحكامات حول المدن والمناطق الحيوية في المملكة ومنها السواحل والموانيء. وكانت هذه الأبراج ملاذًا آمنًا للمسلمين إذا ما شنت القوى المسيحية هجومًا مباغتًا عليها(٧١) ومن أشهر أبراج الطليعة: الأبراج التي شيدت حول المدن المهمة كغرناطة والمرية ومالقة، علاوة على مدينة جيان Jaen(٧٢) التي عن طريقها كانت تكثر الغارات القشتالية على الأراضي الإسلامية(٧٣).

وقد عمد سلاطين بني الأحمر إلى تشييد أعداد كبيرة من هذا النوع من الأبراج، لما لها من دور حيوي في حماية المدن الإسلامية، ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول؛ شيد الحاجب أبو النعيم رضوان، عددا كبيرا من أبراج الطليعة بطول الساحل الغرناطي، بلغ عددها أربعين برجًا، بهدف تأمين الساحل الغرناطي. (٧٤) وكانت أبراج الطليعة تلقى اهتمام العديد من القيادات المسيحية، في حربهم ضد البلاد والمدن الإسلامية، فكان القادة المسيحيون حريصين حرصًا شديدًا على تدمير أبراج الطليعة، في البلاد الإسلامية، وخاصة الحدودية، لأنها كانت تعوق حركتهم وتمنع تقدمهم في الأراضي الإسلامية مرات عديدة، لما تقوم به من إبصار المسلمين بقوات النصارى عند تقدمها(٧٥).

وقام المسلمون في غرناطة بتشييد أنواع أخرى من الأبراج، كانت مربعة الشكل، تقام بين مسافة وأخرى، وكثُر تشييدها في غرناطة والمرية ومالقة،كما قاموا بتشييد أبراج مستديرة الشكل، وكان الهدف من هذه الأبراج هو زيادة الاستحكامات الدفاعية على المدن الإسلامية(٧٦) . وكان البرج يتألف من نصفين: نصف أدنى مصمت، ونصف علوي تشغله غرفة، وينفتح سطحه مع سور الممشى، وتعلو جدرانه العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى، تخصص عادة للحماية . وتزود جدران البرج، في الغالب، بمنافذ للسهام تنفتح فيه، ويغطى الغرفة في الغالب قبوات نصف كروية (٧٧).

وعرف في عصر بني الأحمر البرج المسدس والمثمن والمتعدد الأضلاع، وهو ليس ابتكارًا إسلاميًا، وانما كان معروفًا في العمارة الرومانية والبيزنطية (٧٨) وتأثرت العمارة الموحدية والمرابطية بالعمارة الرومانية والبيزنطية، وشيدوا أبراجًا مسدسة الشكل. كما شيَّد الموحدون الأبراج المثمنة الشكل، وكذلك الأبراج متعددة الأضلاع، ونقل عنهم بنو الأحمر هذه الطريقة.(٧٩)

كما شيد الغرناطيون الأبراج المربعة الشكل التي استخدموها في الدفاع، ومن أهم الأمثلة،تلك الأبراج المربعة الشكل الموجودة في قصر الحمراء، والناظر إلى هذا النوع من الأبراج يجده من الداخل على شكل فراغ مكعب الشكل، يكون في الغالب جزءًا من قصر، ويدل هذا النوع من الأبراج على تداخل فن العمارة العسكري مع فن العمارة المدنية، ومنها الأبراج التي كانت تشكل جزءًا من قصر برج قمارش Comares وبرج مشنوقة Machucas وبرج العقائل

وكانت بعض أبراج الحمراء تشكل قصورًا كاملة، مثل برج هومنياخ Homenaje، Damas وبرج الأسيرة Cantiva، وبرج الأميرات Infantas(٨٠).

وشيد الغرناطيون الأبراج البرانية، وهي ابتكار موحدي الأصل، والهدف منها تدعيم السور الخارجي للمدينة أو الحي، والبرج البراني يرتبط بالسور الأصلي عن طريق ستارة ثانوية، تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء في أضعف مناطق السور .ومن الأبراج البرانية ما هو مربع الشكل وما هو ثماني(٨١) . ومن أشهر هذه الأبراج: برج السيدات، وبرج الأسيرة، وبرج مخدع الملكة، وبرج الأمراء وبرج قمارش .

وتشهد أسوار المرية على قوة تحصين المسلمين لبلادهم، فقد شيد بنو الأحمر عدد من الأبراج على أسوار المرية لحماية المدينة ضد أي هجوم مسيحي محتمل، ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم: أن الأبراج التي شيدها بنو الأحمر على أسوار المرية، كانت في غالبيتها اسطوانية الشكل، ويرى أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.(٨٢)

الأبـــواب :

كما أن أبواب المدن، والأحياء السكنية الكبيرة، كانت ضمن اهتمامات المسلمين بتحصين مدنهم في العصور المختلفة، وبخاصة في عصر بني الأحمر، وكانت أبواب المدينة تلعب دورًا مهمًا في إحكام غلق حلقة الدفاع، إذا ما حاول عدو الاقتراب من المدينة، واقتحامها، فهي جزء أساسي من الأسوار وتستخدم في الدفاع والهجوم، لوجود سقطات وفتحات لرمي السوائل المحرقة وفتحات لرمي السهام على المهاجمين، ولذلك اهتم أهل الأندلس بنظام بناء أبواب المدن الإسلامية، وهي بجانب دورها الدفاعي كانت منافذ للدخول إليها والخروج منها، وكانت هذه الأبواب، في الغالب، تسمى بأسماء المدن التي تتجه إليها لتفتح الطريق مباشرة بينها وبين المدينة التي تقابلها.(٨٣) فمدينة غرناطة العاصمة كان بسورها أكثر من عشرين بابًا ما زالت حالة بعضها مقبولة، ومن أهم الأبواب باب إلبيرة Puerta de Elvira، والذي يقع شمال غربي المدينة، ومنه يبدأ شارع إلبيرة، الذي ما زال يحمل اسمه العربي حتى الآن، وكان ارتفاع هذا السور حوالي اثني عشر مترًا، ولا يزال باقيًا حتى اليوم(٨٤) .

كما أن أسوار مدينة المرية كانت تحتوي على العديد من الأبواب التي كانت تمثل مداخل المدينة، أهمها باب موسى، وربما يرجع إلى أحد أعلام المدينة، وباب بجانة، وباب السودان، وباب العربي، وباب دار الصناعة، نسبة إلى دار الصناعة، وباب العقاب، وباب الزياتين، وباب البحر(٨٥).

ومن أهم الأمثلة لأبواب الأحياء السكنية الكبيرة: أبواب حي البيازين أكبر أحياء مدينة غرناطة، والذي شيد المسلمون حوله سورًا لحمايته، به ثلاثة أبواب كبرى محصنة أيضًا، وهي

باب البيازين Puerta de Albaicin ويقع فى نهاية السور، وباب فحص اللوز أو فج اللوزة Puerta de Fajalauza وباب الزيادة Puerta de Las Pesas[٨٦].

القصبات:

علاوة على الحصون والأسوار المشيد عليها العديد من الأبراج لحمايتها؛ عمد سلاطين بنى الأحمر إلى بناء وتشييد العديد من القصبات بالمدن الأندلسية، وتجديد القصبات التى تحتاج إلى تجديد وترميم،، وهذه القصبات تعتبر بمثابة ملاجىء فى المدن الكبرى المأهولة بالسكان، مثل المرية ومالقة ووادى آش، علاوة على العاصمة غرناطة. فيذكر المؤرخ ابن الخطيب: أن السلطان الغرناطى محمد الخامس الغنى بالله، عمل على تجديد القصبات فى مدن الأندلس، فيذكر أنه عمل على ".. إطلاق البَنى للمدة القريبة والزمان الضيق باثنين وعشرين ثغرًا من البلاد المجاورة للعدو . والمشتركة الحدود، مع أراضيه المترامية النيران لقرب جوابه منها ثغر أرجدونة المستولى عليه الخراب، أنفق في تجديد قصبته، واتخاذ جُبّه ما يناهز عشرين ألفا من الذهب فهو اليوم شجى العدو ... وحصن آشر وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج على بعد أقطاره ... ثم ختم ذلك بتجديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، ومعقل الإسلام ومفزع الملك ومعقد الأيدى وصوان المال والذخيرة، بعد أن صار قاعا صفصفًا، وخرابًا بلقعا..."[٨٧]. وفى غرناطة العاصمة تُوجد قصبة الحمراء، وهى ثلاثة أقسام: القصبة الجديدة أو القسم العسكرى شمالى شرق القصر، وهى عبارة عن قلعة تحرس الحمراء، ولها برجان عظيمان أحدهما يسمى برج الشمعة أو الحراسة الذى يسهر على رقاد المدينة، وفى وسط الحمراء يقع القصر الملكى، ثم الحمراء العليا التى تضم مجموعة من البيوتات كانت مخصصة للخدم والحرفيين علاوة على المسجد، ودار السكة.[٨٨]

وتعد قصبة وادى اش، التى ما تزال باقية حتى الآن، تشهد على عظمة بناتها من المسلمين، فهى تقع فوق ربوة عالية،بل هى أعلى مكان فى الربوة، بها برج كبير، وبرجان صغيران قبالته، يتصلان لسور ذى مشارف عربية، كما يوجد برج رابع فى زاوية منعزلة منها، وهذه الأبراج تشرف على المدينة كلها، وربما كانت القصبة هى أعلى بناء للمسلمين بوادى آش.[٨٩]

كما أن قصبة مالقة الحصينة، والتى لا زالت أجزاء عديدة منها باقية، تشهد على حصانتها، وهى تقع على منحدر صخرى قريب من البحر، وأقيمت القصبة فى المرة الأولى فى عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل، ثم جددت هذه القصبة وأعيد بناؤها فى عصر باديس بن حبوس حاكم غرناطة فى عصر الطوائف[٩٠] ثم شهدت قصبة مالقة عدة تجديدات فى عصر بنى الأحمر، على مرات متفاوتة، منذ أواخر القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين، ولعبت قصبة مالقة دور كبيرًا فى تحصين المدينة أثناء حصار القشتاليين لها غداة سقوطها فى أيديهم عام٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وتضم القصبة عدة مبانى منها الأبراج والأسوار، وكذلك بها أبنية سكنية، وكل هذه الإنشاءات تعود إلى عصر بنى الأحمر[٩١]. وكانت

أسوار القصبة شاهقة الارتفاع، مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل، تمتد من مسافة لأخرى[٩٢]. وكان بها اثنا عشر بابًا، ومائة وعشرة أبراج كبيرة عدا الصغيرة[٩٣]، كما كان بالقصبة قصر فخم يسمى قصر باديس مؤسسه، علاوة على مجموعة من الدور الصغيرة، لا تقل أهميتها عن القصر، ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها ربما كانت مخصصة لكبار الزوار.[٩٤]

كما أن مدينة المرية كان بها قصبة منيعة لحمايتها تقع في الجزء الشمالي من المدينة، على ربوة جبل عالية صخرية، يبلغ ارتفاع الجبل عن سطح الأرض خمسة وستين مترًا، ويصعب ارتقائه لوعورته، وهو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر أندرش وتشرف القصبة على ميناء المرية[٩٥] . ووقوع القصبة على الجبل المرتفع حتى يتسنى الإشراف منها على الثغر، وتمتد القصبة من الشرق إلى الغرب بطول ٥٣٠متر ، وكان يصل القصبة بوسط المدينة باب، كما كانت مزودة بباب شرقي يخرج من أسوار المدينة، وكان بها مسجد جامع لا تزال آثاره باقية حتى الآن[٩٦]، واهتم المسلمون بتلك القصبة ومبانيها وأسوارها وعملوا على تحصينها بالأبراج، حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية في تلك الفترة[٩٧] .

أما عن صورة قصبة المرية فهي: عبارة عن ثلاثة مرتفعات غير متساوية، يفصل بين كل منها سور، والمرتفع الأول وهو الأعلى يقع غربي القصبة، ويتصل بسور ربض الحوض في خط يتفق مع طريق قائم اليوم، وهذا الجزء من القصبة هو معقلها المنيع، وأبراج هذا الجزء أسطوانية الشكل ، أما المرتفع الثاني فيكاد يكون مربعًا منبسطًا في سطحه، وكان يشغله القصر وملحقاته، ويتصل سوره بسور ربض المصلى، والمرتفع الثالث طويل للغاية، كانت في موضعه بساتين وحدائق . وتشتمل أسوار القصبة على عدد كبير من الأبراج لحمايتها.[٩٨]

الخاتمـــــة

خلُص الباحث من هذا البحث بعدة نتائج منها.

أولاً : الموقع الجغرافى لمملكة غرناطة: كان من أهم النعم التى منَّ بها الله سبحانه وتعالى على أهل تلك البلاد فكانت محصنة طبيعيًا إلى حد كبير، فكانت كل مدينة من مدن الأندلس تتميز بميزة فى موقعها إما أن تكون محصنة من ناحية البحر فيتم إقامة سور على البحر فى تلك الجهة فيأمن المسلمون شر الهجوم على مدنهم من ناحية البحر، أو أنها تطل على أحد الجبال التى يحميها من الهجمات المسيحية أيضًا، أو أن نهرًا من الأنهار تطل عليه المدينة فتكون فى مأمن من تلك الجهة .

ثانيًا : تشييد الاستحكامات الدفاعية فى عصر بنى الأحمر: لم يحظ باهتمام سلاطين بنى الأحمر فحسب بل شارك فيه الأندلسيون كافة، وعمل العلماء والفقهاء فى تلك الفترة على بث روح التعاون فيما يخص هذا الأمر، فضرب المسلمون فى بلاد الأندلس أروع المثل فى ذلك. كما أن سلاطين بنى مرين كانت لهم بصمة فى بناء الاستحكامات الدفاعية فى بلاد الأندلس، وهذا قليل من كثير قدمته دولة بنى مرين لدولة بنى الأحمر، وكان من حسن طالع دولة بنى الأحمر أنها تأسست فى نفس الفترة التى قامت فيها دولة بنى مرين فى بلاد المغرب .

ثالثًا : تشهد العمارة الأندلسية، فى عصر بنى الأحمر، على أحد أهم الفنون الإسلامية وهو: فن العمارة الأندلسية التى تطورت ووصلت إلى أوج إزدهارها فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة فكانت خبرة المسلمين قد ازدادت وتبلورت فضربوا أروع المثل فى أعظم مبانيهم وهو: قصبة وقصور الحمراء التى لا تزال تشهد على عظمة المسلمين وروعة فنهم فى تلك الفترة.

المصـــادر والمراجـــع

أولا.المصادر العربية.

ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠ هـ/١٤٠٧م)

- النفحة النسرينية واللمحة المرينية – تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر، ط٢، ١٩٩٢م.

الإدريسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت حوالى ٥٤٨ هـ/١١٥٤م)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٨م)

- رحلة ابن بطوطة– بيروت،دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٢م.

الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت ق ٩ هـ/١٥م)

- الروض المعطار في خبر الأقطار – تحقيق إحسان عباس، بيروت،مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م)

- الإحاطة في أخبار غرناطة – تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١،١٩٧٤م.

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف،ط ٢،١٩٥٦م.

- خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية،شباب الجامعة، ط ١، ١٩٨٣م

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية –تحقيق لجنة التراث، بيروت،دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠م.

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١،١٩٨٣م.

- مفاخرات مالقة وسلا– ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر – تحقيق خليل شحاتة، بيروت، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م.

ابن أبي زرع: أبو الحسن على بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت بعد عام ٧٢٦ هـ)

- الأنيس المطرب بروض القرطاس – الرباط،دار المنصور، ط١، ١٩٧٣م.

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية – تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢م.

الزهري: أبو عبد الله محمد (ت في أواسط ق ٦هـ/١٢م)

-كتاب الجغرافية–تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

العمري: شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ/ ١٣٤١م)

– وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، مجلة البدر، ١٣٤١هـ.

المراكشي: عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٧م)

– المعجب في تلخيص أخبار المغرب– تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجاني، ١٩٩٤م .

مجهـول:

– أخبار العصر في انقضاء دولة بنى نصر – تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة،الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.

ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩م)

– المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن – تحقيق ماريا خوسيوس بيغيرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية، ١٩٨١م.

المقرى: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ/ ١٥٣١م)

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت،مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

– لسان العرب– تحقيق عبدالله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩م)

– معجم البلدان – بيروت، دار صادر،١٣٨٨هـ.

ثانياً المراجع العربية والمعربة

أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بنى الأحمر–الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٩٧م

أحمد مختار العبادى:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس – الإسكندرية،مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م.

– صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس–الإسكندرية،منشأة المعارف، ٢٠٠٠م

أندرية جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية–ترجمة محمد مزالى، تونس،الدار التونسية، ١٩٧٨م

أولغ غرابار: نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى في شبه الجزيرة الإسبانية – ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية،ط١، ١٩٩٨م،

جيريلين دودز: فنون الأندلس– ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية،ط١، ١٩٩٨م،

السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية في العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧٥م

– البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس – بالاشتراك مع د. أحمد مختار العبادى، بيروت،دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٩م.

– تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس –، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٩م

– تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط ١،١٩٨١

- العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها - مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو- يونيو ١٩٧٧م

- فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس - الإسكندرية،شباب الجامعة، ١٩٨٩م

عبد الحكيم الذنون : آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م

محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى - الإسكندرية،دار المعرفة،١٩٩٦م.

محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية فى أسبانيا والبرتغال،القاهرة، مكتبة الخانجى، ط ٢، ١٩٩٧م

- دولة الإسلام فى الأندلس- القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٩٧م

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين - القاهرة، مكتبة الخانجى،١٩٩٧م

محمد عيسى الحريرى: تاريخ المغرب العربى والأندلس فى العصر المرينى - الكويت،دار القلم، ١٩٨٥م.

محمد كمال شبانة : يوسف الأول سلطان غرناطة - القاهرة،دار الكاتب العربى، ١٩٦٩م

محمد ياسين الحموى : الأسطول العربي- دمشق،مطبعة الترقى، ١٩٤٥

مونتغمرى وات : فى تاريخ أسبانيا الإسلامية-ترجمة محمد رضا المصرى، بيروت، شركة المطبوعات، ط١، ١٩٩٢م

واشنطن إفرنج: - أخبار سقوط غرناطة- ترجمة هانى يحى نصرى،بيروت، الانتشار العربى للنشر، ٢٠٠٠م

يوسف شكرى فرحات:غرناطة فى ظل بنى الأحمر- بيروت، المؤسسة الجمعية، ط ١٩٨٢،١م.

المصادر والمراجع الأجنبية

Ahmad Mujtar Al-Abbadi . El Reino de Granada en la Épóca de Muhamad V- Madrid, 1973

Arie: /Dr. Rachel/: L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) - Paris, 1973

- El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953

Harvey: /L. P.):Islamic Spain (1250 - 1500) - London, 1990.

Luis Seco de Lucena: : El Hāyib Ridwān, la Madraza de Granada Y las murallas del Albayzin - (AlAndalus, Madrid Y Granada), Vol. XXI, 1956

Mackay: (Angus):-La Espana de la Edad Media (1000-1500) - Madrid, 1977.

الهوامش

(١) معركة العقاب **Las Navas de Tolosa**: سميت بذلك نسبة إلى قرية العقاب التى تقع بين جيان وقلعة رباح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين. الإسلامى بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحى تتزعمه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن **Alfanso VIII**، وضم أيضًا قوات من أراجون والبرتغال ونافار،وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. وللمزيد عن معركة العقاب انظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب – تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجانى ١٩٩٤م،ص٢٦٥،٣٤٣.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامى، ينتمى إلى أسرة بنى هود الذين حكموا سرقسطة زمن ملوك الطوائف. وهو أول من ثار على الموحدين فى الأندلس ولقب بأمير المسلمين، والمتوكل على الله، وسيف الدولة، ويسميه الأسبان ذافادولا **Zafadola** . كانت بداية ثورة ابن هود في مرسية، وبويع له بها فى عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م. ودعا للخليفة المستنصر العباسى. دخلت فى طاعته معظم مدن وقواعد الأندلس بعد ذلك مثل مدينة قرطبة، وبطليوس وغرناطة. وحاول الخلفاء الموحدين القضاء على دولته لكنهم فشلوا فى ذلك. وقد دامت دولته بالأندلس عشر سنين (٦٢٥ ٦٣٥هـ/١٢٢٨-١٢٣٨م). عن ابن هود ودولته انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – القسم الثانى، تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ط٢، ١٩٥٦م، ص٢٧٨؛ الإحاطة فى أخبار غرناطة – تحقيق محمد عبد الله عنان، القهرة، مكتبة الخانجى، ط١،١٩٧٤م، جـ٢، ص ص ١٢٨-١٣٢؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشان الأكبر– تحقيق خليل شحاتة، بيروت، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م،مجـ٧، ص ص ٢٥١-٢٥٢.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الأنصارى، ويلقب بالغالب بالله، ويعرف أيضاً بالشيخ، يعود نسبه إلى سعد بن عباده سيد الخزرج، فهو بذلك من أعرق البيوت العربية، ولد فى بلدة أرجونة **Arjona** التابعة لمدينة قرطبة، فى عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، وهو عام موقعة الأرك، ونشأ فى تلك البلدة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٢؛ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية– تحقيق لجنة التراث العربى، لبنان،دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٠م، ص٣٣.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٤.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢،ص ص ٢٨١-٢٨٢؛ الإحطة، ج٢، ص ص ١٢٩-١٣٢.

(٦) ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٨٦؛الإحاطة،جـ٢، ص٩٨؛ اللمحة البدرية، ص٤٧.

(٧) أبو عبد الله الزهرى: كتاب الجغرافية– تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص٩٦ ؛ الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار– تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤،، ص ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٨) الزهرى: كتاب الجغرافية، ص٩٦.

(٩) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار – ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادي، الإسكندرية،شباب الجامعة، ط١٩٨٣،١م، ص ص ٧٤-٧٥؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية،١٩٦٨، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.

(١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ص ٧٤-٧٥

(١١) مالقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس،يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق.م في عهد الفينيقيين، والذين أعطوها اسم مالقة Malako أي المملح، نسبة إلى الأسماك المملحة التي كانت تحفظ فيها، وفي عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مالقة عاصمة الحموديين الأدراسة من ملوك الطوائف .انظر: ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلا- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية،شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣،ص ص ٨٧ – ٨٩ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص ص ١٧٧-١٧٨؛

Guillén Robles,F:Málaga Musulmana - Málaga, 2ed, 1957, Vol.,I, pp.30-31.

(١٢) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس- الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٧.

(١٣) الزهري : كتاب الجغرافية،ص ٩٨ .

(١٤) ابن الخطيب: الاحاطة، جـ١، ص ٩١.

(١٥) العمري: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك- تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس،مجلة البدر،١٣٤١هـ، ص ٣٧.

(١٦) وادي آش Guadix :مدينة قريبة من غرناطة يقع في الشرق منها جبل شلير أو جبل الثلج وتقع على ضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة الزروع والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعناب والزيتون. انظر :الحميري: الروض المعطار، ص ص ٦٠٤-٦٠٥؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب- تحقيق إحسان عباس، بيروت،مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، جـ ١، ص ١٤٨.

(١٧) الزهري : كتاب الجغرافية،ص ص ٩٣-٩٤؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر – الإسكندرية،شباب الجامعة، ١٩٩٧م، ص ٥١.

(١٨) ابن الخطيب: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب،تحقيق أحمد مختار العبادي،الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٣٦.

(١٩) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال-القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٧، ص٢٤٢.

(٢٠) نفس المرجع، ص ٢١٥.

(٢١) المرية : تقع على الساحل الشرقي للأندلس، جنوب شرقي بجانة، على حافة البحر المتوسط، وهي مدينة برية بحرية، وكانت عاصمة ولاية المرية في زمن بني الأحمر. شيدها الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (الناصر) في عام ٣٤٤هـ/٩٥٦م؛ لتكون قاعدة بحرية. بينها وبين مالقة ٢٢٢كم، انظر: الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٠١؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٥٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٢٢) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى – الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م، ص ١٤٠.

(٢٣) أرض الفرنتيرة: هى بسيط قرطبة وإشبيلية وطليطلة وجيان، آخذه من جوف شمال الجزيرة من الغرب إلى الشرق، ومعناها بالأسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين. انظر: ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٢٢٩.

(٢٤) المقرى : نفح الطيب، جـ ٩، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٢٥) نفس المصدر، جـ ٥، ص ٤٧٢ .

(26) Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada en la Épóca de Muhamad V- Madrid, 1973, p.132.

(٢٧) بنو مرين فخذ من أفخاذ قبيلة زناتة،تولى زعامتهم فى عهد الموحدين أبو بكر بن حمامة، ثم خلفه أبو خالد محيو بن أبى بكر،الذى أصيب فى موقعة الأرك عام ٥٩١هـ/١١٩٥م إصابة كانت سببًا فى وفاته، وعندما دب الضعف فى دولة الموحدين استقل أبو محمد عبد لحق المرينى بمكناسة وتازا، ثم تدعمت أركان الدولة فى عهد أبى سعيد عثمان بن عبد الحق . وفى عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م تمكن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى من إنهاء حكم الموحدين والاستيلاء على العاصمة مراكش. انظر : ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس- الرباط،دار المنصور، ١٩٧٣م، ص ص ٢٧٨-٢٩٠؛ ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية- تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر،ط٢، ١٩٩٢م، ص ص ٣١-٣٥؛ : محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب والأندلس فى العصر المرينى – الكويت،دار القلم، ط٢، ١٩٨٧م، ص ص ٣-٣٦.

(٢٨) هو السلطان على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا الحسن، ولد فى عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وتولى فى ذى القعدة سنة ٧٣١ هـ / أكتوبر ١٣٣١م بعد وفاة والده السلطان أبى سعيد عثمان، وتوفى السلطان أبو الحسن فى عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥٢م . عنه انظر: ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن- تحقيق ماريا خوسيوس بيغيرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية،ط ١، ١٩٨١، ص ص ٣٨٨ – ٣٨٩.

(٢٩) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٣٩٢.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) – Paris, '1973, p.159.

(٣٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٢٩٧-٢٩٨؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧؛ اللمحة البدرية، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٣٣٧.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953, pp. 266-268.

(٣١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ص٣٩١-٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) – Paris, 1973, p.159.

(٣٢) ابن منظور : لسان العرب – تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، د.ت، المجلد الثانى، جـ١١، ص ٩٠٣.

(٣٣) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. توفى فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. عنه انظر:ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٣٠٤-٣٠٦؛ الإحاطة، جـ٤، ص ص٣١٨-٣٢٠؛ محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة–القاهرة، دار الكاتب العربى،١٩٦٩م، ص ص٣٠-٥٠.

(٣٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص١٠٩ .

(٣٥) السلطان محمد الخامس: هو محمد بن السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد فى ٢٢ جمادى الآخر سنة ٧٣٩ هـ/٢١ يناير ١٣٣٨م وتولى فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م وتوفى فى عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م، عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص ١٣.

(٣٦) المقرى: نفح الطيب، جـ ٩،ص ١١٠ .

(٣٧) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٦ ٢٤٨.

(٣٨) عن حملة سقوط مالقة انظر : مجهول : أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر – تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة،الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩١، ص ص ٩٧ – ٩٨ ؛ : مونتغمرى وات : تاريخ أسبانيا الإسلامية ترجمة محمد رضا المصرى، لبنان،شركة المطبوعات،ط ١، ١٩٩٢م،ص ١٥٩؛

Arié, R.: El Reino El Reino Nasri de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992, pp. 95 – 96.

(٣٩) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ١٣٨.

(١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٠٧.

(٤١) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية، ص ص٢١٨-٢٢٠.

(٤٢) يوسف فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر– بيروت،المؤسسة الجامعية،١٩٨٢،ص ٧٢

(٤٣) السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادى: البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس– بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٩؛ جـ ٢، ص ٣٠٥ .

(٤٤) بجانة Pechena: بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون وهى مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضا ألش اليمن لأن الأمويين أنزلوا قبيلة بنى سراج القضاعيين فى هذه المنطقة وألزموهم بحراسة الساحل، بينها وبين المرية خمسة أميال . انظر : الحميرى : الروض المعطار، ص ص ٧٩-٨٠.

(٤٥) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.

(٤٦) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة، بيروت،دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٦٦٩.

(٤٧) نفس المصدر، ص ٦٧٢.

(٤٨) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٥١٧.

(٤٩) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس- القاهرة، دار النهضة، ط ١، ١٩٦٩، ص١٣٦.

(٥٠) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ١٧٥.

(٥١) بعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وإعلان قيام دولته، واتخاذه من مدينة غرناطة عاصمة له، رأى أن يقيم حصناً أو قلعة تكون حامية له، فاختار الحمراء، ويقع قصر الحمراء في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة، ويعود تاريخ إنشاءه إلى بداية دولة بني الأحمر، حيث أمر ابن الأحمر بإنشائه بعد استقرار الأمر له في غرناطة، وفي عهد هـ تم إنشائه القصر، وبعض الأبراج المنيعة، وأنشأ سوراً حولها، ثم أمر ابنه محمد الثاني الفقيه باستكمال الحصن، والقصر الملكي، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبي لإنشاء قصر الحمراء، ثم أكمله ابنه محمد الخامس. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة،جـ١، ص ٢٩٦؛ اللمحة البدرية، ص ٤٣؛ السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس-الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص ص ٢٠٤-٢٠٦؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ص ٦٠-٦٣.

(٥٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس-القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٩٧،ج٧، ص٢٨٩

(٥٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٤، ص ٣١٨.

(٥٤) عبد الحكيم الذنون :آفاق غرناطة – دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م، ص ٨٠.

(٥٥) ابن الخطيب: الإحاطة،جـ٢،ص٢٣.

(٥٦) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية، د . ت، جـ٥، ص ٥٦٢؛ الحميري : الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٥٧) عن سقوط المرية انظر : مجهول : أخبار العصر، ص ١٠٠

L.P. Harvey: Islamic Spain1250-1500-London, 1990., p. 304; Arié, R: El Reino Nasri, p. 100.

(٥٨) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٤٣.

(٥٩) عن تفاصيل الحملة الأراجونية على مدينة المرية انظر : ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص ٧٥؛ ابن خلدون : العبر، جـ٧، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٦٠) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٥٦..

(٦١) ابن منظور : لسان العرب، المجلد الأول، جـ٣، ص ٢٤٣.

(٦٢) هو السلطان محمد بن محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بني نصر، كان ضعيف البصر، لمواصلة السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، باشر السياسة في حياة والده، وكان شاعراً، يقرض الشعر، ويصغى إليه. تولى في يوم وفاة والده في يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ/الثامن من أبريل ١٣٠٢م، وتوفى في آخر شهر شوال سنة ٧١٠هـ/مايو١٣٠٩م. والملقب بالمخلوع لأنه خلع من الحكم عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٤٣-٥٤٤؛اللمحة البدرية،ص ٦١.

(٦٣) أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.

(٦٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢، ص ١٢٤.
(٦٥) واشنطن إرفرنج: أخبار سقوط غرناطة– ترجمة هانى يحى نصرى، بيروت، الانتشار العربى للنشر، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٨٣.
(٦٦) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
(٦٧) والجمع أجفان، وهى سفينة حربية وتجارية. ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجفان الغزوية. وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجفان التجارية المقرى : نفح الطيب، جـ ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى: الأسطول العربي- دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٥، ص ٤٤
(٦٨) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
(٦٩) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.
(٧٠) واشنطن إرفرنج: أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤. ويضيف أن المسلمين المدافعين عن الأبراج والمتحصنين بها استبسلوا فى الدفاع عنها، ولكن تمكن القائد القشتالى فرانشيسكو دى مادريد قائد قوات المدفعية من التسلل إلى البرج الأول ووضع تحته عبوة كبيرة قابلة للاشتعال، ولما نجح فى اشعال النيران فيها انفجر البرج محدثًا صوتًا قويًا ففزع المسلمون لذلك، فاستولى النصارى على البرج ثم تقدموا نحو الأبراج الأخرى الموازية له، حتى تمكنوا فى النهاية من دخول المدينة بعد سقوط الأبراج فى أيديهم.انظر: واشنطون إرفرنج : أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤.
(٧١) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
(٧٢) مدينة جيان Jaen تنطق بالفتح ثم التشديد وآخره نون، مدينة اندلسية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة إلبيرة Elvira، بينها وبين بياسة مسافة تقدر بعشرين ميلاً انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ص١٨٣-١٨٤
(٧٣) أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٥.
(٧٤) ابن الخطيب : الإحاطة، جـ ١، ص ٤١٧ .
(٧٥) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
(٧٦) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس– مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل – مايو- يونيو ١٩٧٧م ، ص ١٢٨.
(٧٧) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
(٧٨) السيد عبد العزيز سالم : أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧٥م، ص ١٥٢.
(٧٩) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس ، ص ١٢٨.
(٨٠) جيرولين دودز: فنون الأندلس–ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس،تشرد. سلمى الخضراء الجيوشى،مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، جـ ٢، ص ٨٨٥.
(٨١) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها،ص ص ١٢٨-١٢٩.
(٨٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٤٤.
(٨٣) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ١٤٨.
(٨٤) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨١-١٨٢.

(٨٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، جـ٢، ص ١٩٢؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص ١٠١؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٢٥.
(٨٦) محمد عبد الله عنان:الآثار الإسلامية،ص١٦٨.
(٨٧) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢، ص ص ٥١-٥٢.
(٨٨) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨٩؛ محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ١٨٤؛ أولغ غرابار : نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإسبانية – ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية،١٩٩٨م،جـ ٢،ص ص ٨٥٠-٨٥١.
(٨٩) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ٢١٦.
(٩٠) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
(٩١) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.
(٩٢) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
(٩٣) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ٢٤٦.
(٩٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
(٩٥) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ص ١٤٢-١٤٣.
(٩٦) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.
(٩٧) الحميرى : الروض المعطار، ص ١٨١؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ١٥٣.
(٩٨) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.

موقف ابن إياس من العثمانيين

د. محمد أسامة زكي زيد (*)

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله مالك الملك على الدوام، الذى خلق السموات والأرض وما بينهما بالتمام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية الزمان.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران ١٠٢، ١٠٣].

ثم أما بعد... المؤرخ الكبير أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، الذى توفى عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م[١] هو شيخ مؤرخى مصر فى زمانه. ولا نكون قد ذهبنا بعيداً إن قلنا أن كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) الذى ينتهى بأحداث عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م، هو أهم مصدر لتاريخ سلطنة المماليك بعد وفاة المؤرخ الكبير أبو المحاسن جمال الدين ابن تغرى بردى، صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) الذى توفى عام ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م.

ولابن إياس مصنفات أخرى منها (نزهة الأمم فى العجائب والحكم)، (نشق الأزهار فى عجائب الأقطار) (عقود الجمان فى وقائع الزمان)، (الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة)[٢]. وبالرغم من مكانة ابن إياس العلمية إلا أن من خلفه من المؤرخين لم يهتموا بالترجمة له فى كتبهم، فلم يترجم له نجم الدين الغزى فى (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ولم يترجم له عبد القادر العيدروس فى (النور السافر عن أخبار القرن العاشر)، ولم يترجم له ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)، لذلك فنحن لا نعرف عن ابن إياس القليل، ومن ذلك ما بن برقوق، وأما والدى فإنه عاش من العمر نحواً من أربع وثمانين سنة وجاءت من الأولاد خمسة

(*) باحث.

وعشرون كتبه هو عن نفسه فى ذكر خبر وفاة والده فى شعبان عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م فقال ما نصه[٣]:(وفى يوم الجمعة ثالث عشره توفى والدى المرحوم الشهابى أحمد بن المرحوم إياس الفخرى من جنيد، وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق، وقرر دوادار ثانى فى دولة الناصر فرج ولداً ما بين ذكور وإناث غير المسقوط، وعاش له من ذلك ثلاثة صبيان وبنتاً وكان كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة رحمة الله عليه، وكان من مشاهير أبناء الناس)[٤].

وقد عاصر ابن إياس الفتح العثمانى لمصر والشام، وشهد زوال السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ودوّن الوقائع والأحداث بتفصيلاتها فى الجزء الخامس من تاريخه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور)، وكان آنذاك فى العقد الأخير من عمره وقد بلغ مبلغاً من الحكمة والعلم وسعة الإدراك، وقد ذمّ ابن إياس الفتح العثمانى لمصر والشام، وذم السلطان سليماً الأول خاصةً، ورجال الدولة العثمانية عامةً بغير حق فى كثير من الأحيان، فمن يطالع الجزء الخامس من كتابه المذكور بعناية وتدقيق نظر سيتبين له أن ابن إياس الذى بدأ كتابة تاريخه وفقاً لمنهج يتسم بالحياد وحسن التحقيق وكمال التدقيق، استصحبه حتى نهاية الجزء الرابع، قد فقد شيئاً من حياده وإنصافه فى تدوينه للجزء الخامس المتعلق بوقائع الفتح العثمانى لمصر والشام، والسنوات الأولى من الحكم العثمانى فى مصر. ولست أدرى ما إن كان ابن إياس مدركاً لحال العالم الإسلامى آنذاك، ومدركاً لضرورة وحتمية ما قام به السلطان سليم الأول من إعادة توحيد بلاد المسلمين لمواجهة الأخطار الثلاثة التى تكالبت عليهم فى آن واحد، أم أنه كان غافلاً عن ذلك فظن أن الفتح العثمانى لمصر والشام ما هو إلا بغىٌ وعدوان غاشم !!. وقبل أن أقيم الأدلة على تحامل ابن إياس على العثمانيين ينبغى توضيح حال قلب العالم الإسلامى قبيل الفتح العثمانى لمصر والشام، والذى دفع السلطان سليماً للقيام بفتوحاته.

فبعد أن استولى الإسبان والبرتغال على الأندلس وطردوا المسلمين منها توجهت أنظارهم إلى سائر بلاد المسلمين وطمعوا فيها وعزموا على أخذها، ففى عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م تم توقيع إتفاقية (توردى سيلاس) بين إسبانيا والبرتغال برعاية البابوية فى روما لاقتسام أجزاء من بلاد المسلمين بينهما لئلا يختلفوا، فقد حصلت إسبانيا على المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وحصلت البرتغال على المغرب الأقصى والساحل الإفريقى على المحيط الأطلسى وبموجب ذلك شن الإسبان والبرتغال حروباً على تلك البلاد طالت سنوات عديدة، ولم تكن الروح الصليبية غائبة عن الأوروبيين يومئذ، بل كانت أهدافهم تنطلق من تلك القاعدة، وقد أرسل كريستوفر كولومبوس رسالة إلى ملكيّ إسبانيا فرديناد وإزابيلا عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م يطلب منهما تجهيزه بحملة عسكرية للاستيلاء على بيت المقدس[٥]. وكان الإسبان والبرتغال آنذاك أقدر دولتين فى أوروبا على الاضطلاع بمهمة تجهيز الحملات الصليبية على المسلمين لأنهما كانتا الأكثر تطوراً بفضل ما آل إليهم من تراث المسلمين فى الأندلس. ولكن بفضل من الله وإحسان باءت جهودهم بالفشل، وتلاشت أحلامهم، وتحطمت تلك الموجة العاتية من الحملات الصليبية على صخرة آل عثمان " بفضل من الله الكريم المنان ".

فوفقاً للاتفاقية المذكورة قام الإسبان بالاستيلاء على بجاية[٦] ثم وهران[٧] فى عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ثم على طرابلس الغرب[٨] عام ٩١٦هـ/١٥١٠م، وقد عمدوا إلى التنصير الجماعى أو الإبادة الجماعية لأهل تلك البلاد، وقد نقل (شارل فيرو)[٩] نص خطاب فرنناد ملك إسبانيا إلى الكونت (بترو دى نافارا) وهو فى طريقه إلى الاستيلاء على طرابلس، وقد جاء فيه: (سبق وأن ذكرتم لى فى خطاباتكم مراراً أننا إذا ما أردنا أن نحافظ على وجودنا فى إفريقيا، فإنه يتحتم علينا أن نحتل مدن وهران وبجاية وطرابلس، وفى حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يتوجب علينا أن نعمرها برمتها بالنصارى وإلا فإن المغاربة بما أنهم يسودون بقية مناطق البلاد، إذا ما سمحنا لهم بالسكن فى مدن الساحل فإنه سيستحيل علينا أن نحتفظ بما احتللناه وقتا طويلاً. وإذاً فإن انتظاراً لما هو أفضل، يتحتم أن تعسكر فى المدن الثلاث المذكورة حامية كبيرة من النصارى وألا يسمح لأى مغربى أن يطأها). وقد علق فيرو على ذلك بقوله: (وتبعا للبرنامج الملكى الذى وضعه فرنناند ملك إسبانيا والذى سبق لجانب منه أن نفذ باحتلال مدينتى وهران وبجاية فإن جميع الطرابلسيين قد طردوا من مدينتهم وهدمت فيها المنازل والمبانى العامة كلية)[١٠]. قلت: ولا ريب أن الإسبان كانوا يخططون لمد ملكهم إلى بنى غازى، ثم الإسكندرية، ثم دمياط ثم العريش وربما لأبعد من ذلك.

أما البرتغال فبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م أصبحوا ملوكاً على الساحل الإفريقى للمحيط الأطلسى، كما أسسوا لهم قواعد فى الساحل الغربى للهند المسمى ساحل ملبار وتعرضوا للمسلمين ونكلوا بهم وسبوا دينهم ومنعوا قوافل الحج من الخروج، وأحرقوا المساجد والمصاحف، وكل ومن كان يتصدى لهم من المسلمين لم يكن ينالهم إلا التعذيب أو القتل[١١] ثم استولوا بعد ذلك على جزيرة سقطرى[١٢] عند مدخل خليج عدن، ثم امتد نشاطهم إلى الخليج العربى فاستولوا على قلهات[١٣] ومسقط[١٤] وهرمز[١٥] فى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م[١٦]. وباستيلائهم على جزيرة سقطرى دخلوا البحر الأحمر وتعرضوا لسفن المسلمين وهاجموا سواحل الحجاز، كما أصبح بإمكانهم إغلاق البحر الأحمر إغلاقاً تاماً ومنع السفن القادمة من الهند من الدخول فيه، وقد ذكر ابن إياس فى عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م أن البضائع لها ست سنوات لم تصل من الهند إلى جدة[١٧]. ثم استولى البرتغال على جزيرة كمران[١٨] فى جنوب البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب عام ٩١٩هـ/١٥١٣م. وكانت الدولة العثمانية آنذاك تقدم المساعدات العينية والفنية للمماليك حتى يتمكنوا من التصدى للهجمات البرتغالية، وقد استمر ذلك الدعم العثمانى لعدة سنوات فى عهد السلطان بايزيد الثانى[١٩]، وابنه السلطان سليم الأول إلى السلطان المملوكى قانصوه الغورى، كما سيأتى بيانه، ولكن الغورى وإن كان قد حقق انتصارات فى بداية الأمر إلا أنه أخفق فى النهاية فى طرد البرتغال من البحر الأحمر، ولعل السبب فى ذلك أن دولة المماليك كانت قد بلغت آنذاك حداً من التدهور والانهيار لا تجدى معه أى محاولات لإصلاحها والنهوض بها، وأيا كانت الأسباب فإن الأمر لم يكن خطراً على السلطنة المملوكية فحسب بل على العالم الإسلامى كله، إذ جرى تطويق بلاد المسلمين من الشمال والجنوب.

وفى نفس الوقت كان هناك خطر ثالث يحدق بالعالم الإسلامى لا يقل عن الخطر الأوروبى ذى الدوافع الصليبية، ألا وهو خطر الرافضة[٢٠] فى فارس فقد ظهر الشاه إسماعيل الصفوى[٢١] واستولى على تبريز[٢٢]، ثم فرض فيها عقيدة الشيعة الاثنى عشرية على الناس قهراً، وسعى لنشرها خارج فارس، فاجتاح العراق ودخل بغداد عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م[٢٣]. وقد قال عنه النهروالى: (كاد أن يدعى الربوبية، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره وقتل خلقاً لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس، بحيث لا يعهد فى الإسلام ولا فى الجاهلية ولا فى الأمم السابقة من قتل ما قتله شاه إسماعيل، وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم فى بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة، وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها)[٢٤].

وفى عام ٩١٧هـ/١٥١١م. أشعل الشاه إسماعيل تمرداً فى الأراضى العثمانية فى الأناضول بزعامة أحد أتباعه يسمى شاه قولى، جمع حوله بعض الأسافل والرعاع ممن استجابوا لدعوته، وصاروا يهجمون على البلاد يقتلون وينهبون ويسلبون من لا يستجيب لعقيدتهم الفاسدة، وقد تصدى لهم وحدات من الجيش العثمانى بقيادة الصدر الأعظم على باشا، فانتصر عليهم إلا أنه قتل فى المعركة، وبعد بضعة أشهر رعى الشاه إسماعيل تمرداً آخر فى الأناضول بزعامة أحد أتباعه يدعى نور على خليفة، ومعه بعض الأسافل والرعاع ففعلوا كما فعل سلفهم[٢٥].

فهذه الأخطار الثلاثة، الخطر الإسبانى من الغرب، والخطر البرتغالى من الجنوب، والخطر الصفوى الرافضى من الشرق، تكالبت على قلب العالم الإسلامى فى نفس الوقت – انظر الخرائط فى آخر البحث–والأنكى من ذلك أن الصفويين تحالفوا مع البرتغال فى عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م عن طريق دى البوكيرك نائب ملك البرتغال فى المستعمرات الهندية الذى كان مقيماً بالهند آنذاك[٢٦]. الأمر الذى مكن البرتغال من إحكام الحصار على قلب العالم الإسلامى بإغلاق طرق التجارة الثلاثة :

أولاً : طريق البحر الأحمر الذى كان عماد الاقتصاد لدولة المماليك، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى السويس عن طريق البحر الأحمر ثم تنقل براً إلى القاهرة، ثم تنقل عبر النيل إلى الثغور على البحر المتوسط كرشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية[٢٧]. وكانت سفن البنادقة والجنوية تحمل البضائع من تلك الموانئ وتعود بها إلى أوروبا الغربية وكذلك كانت السفن العثمانية تحمل تلك البضائع إلى موانيها فى اليونان وأوروبا الشرقية. فبإغلاق البرتغال للبحر الأحمر سُد ذلك المنفذ التجارى الهام.

ثانيا : طريق الخليج العربى، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى البصرة عبر الخليج، ثم تحمل عبر نهرى دجلة والفرات، ثم تحمل براً إلى الثغور الشامية على البحر المتوسط، ثم تحملها سفن

البنادقة والجنوية والعثمانية على النحو الذى سبق، أو كانت تبحر فى نهر الفرات إلى جنوب الأناضول. وهذا الطريق قد أغلقه البرتغال أيضاً بقاعدتهم فى هرمز وتحالفهم مع الصفويين.

ثالثاً : الطريق البرى من الهند إلى الثغور المملوكية فى الشام و الثغور العثمانية فى الأناضول فقد أغلقه الصفويون من أرض فارس وأذربيجان [٢٨].

هكذا حوصر اقتصادياً أكبر وأهم دولتين فى العالم الإسلامى آنذاك، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، وبالطبع لم تكن السلطنة المملوكية قادرة على التصدى لفك ذلك الحصار لما أصابها من وهن وضعف وتدهور، وما كانت لتستطيع أن تقود المسلمين لمواجهة تلك الموجة من الحملات الصليبية، فكانت السلطنة العثمانية هى المعول عليها فى ذلك الشأن، وكانت الدولة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد تقدم الدعم العينى والفنى للإخوة عروج وخضر وإسحاق وحسن، فى تصديهم للسفن الإسبانية فى البحر المتوسط، وكان يتولى ذلك الأمر الأمير قورقد بن بايزيد الذى قدم لهم سفينتين حربيتين عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م فتمكنوا من من إحراز انتصارات كبيرة[٢٩]. كما قدمت السلطنة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد الثانى وابنه السلطان سليم الأول مساعدات كبيرة للسلطنة المملوكية للتصدى للبرتغال فى البحر الأحمر وفى البحار الهندية. ففى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قال ابن إياس : (حضر إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان، وقد ترجموا كمال هذا بتراجم عظيمة بأنه لا يكل ولا يمل من الجهاد فى الفرنج ليلاً ونهاراً حتى أعيى الفرنج أمره، وأنه رأس المجاهدين المرابطين فى الإسلام)[٣٠].

قلت : وكمال المذكور هو الريس كمال، أحد أشهر رجال البحرية العثمانية. وهو أول من ثبت المدافع بعيدة المدى على السفن، وصاحب المعارك البحرية الشهيرة فى الموره، وصاحب الغارات على السواحل الإسبانية، ولا ريب أن حضوره إلى مصر كان لتقديم النصح والمشورة للبحرية المملوكية فى حروبها ضد البرتغال. وفى عام ٩١٦هـ/١٥١٠م قام السلطان بايزيد بإرسال المساعدات العسكرية التى طلبها السلطان الغورى، فقد قال ابن إياس : (فكان من جملة ذلك مكاحل سبقيات العدة ثلاثمائة ونشاب ثلاثين ألف سهم، وبارود مطيب أربعون قنطاراً ومقاذيف خشب العدة ألف مقذاف، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسى حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب فشكره السلطان "الغورى" على ذلك، وكان السلطان أرسل مالاً على يد يونس العادلى إلى بلاد ابن عثمان ليشترى له أخشاباً ونحاساً وحديداً، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهز ما ذكرناه من عنده تقدمة للسلطان)[٣١] وقد قال السلطان بايزيد : (هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة)[٣٢].

وبعد أن توفى السلطان بايزيد الثانى ظل الدعم العثمانى للمماليك قائماً، فقد ذكر ابن إياس فى أحداث رمضان من عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أى بعد سبعة أشهر من ولاية السلطان سليم الأول : (حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربى، وكان السلطان "الغورى" أرسله إلى

بلاد ابن عثمان ليشترى أخشاباً وحبال ومكاحل نحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدة مكاحل ونحاس وحديد وأخشاب وحبال وغير ذلك أشياء كثيرة فى مراكب موسوقة)[٣٣] .... وفى صفر عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ذكر ابن إياس أن السلطان الغورى ذهب إلى السويس لمتابعة خروج الأسطول لقتال البرتغال فقال ابن إياس : (وكان جماعة ابن عثمان هناك نحواً من ألفي إنسان... وكان الريس سلمان العثمانى هو الشاد على عمارة تلك الأغربة وهو المشار إليه)[٣٤]. لعل فى تلك النقول عن ابن إياس ما يبطل قول بعض أساتذة التاريخ أن السلطان سليماً لما تولى السلطنة منع المساعدات التى كان يرسلها أبوه للمماليك.

وبالرغم من تلك المساعدات العثمانية الكبيرة للسلطنة المملوكية إلا أنها لم تفلح فى دفع الخطر البرتغالى، والأنكى من ذلك هو تحالف المماليك مع الصفويين، فلما توجه السلطان سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوى فى عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، قام علي دولات أمير دلغادر[٣٥] التابع للمماليك والذى يتولى إمارته بتقليد من السلطان المملوكى بقطع طريق الإمدادات على الجيش العثمانى، وقد ذكر ابن زنبل الرمال أن السلطان الغورى شكر علي دولات على ذلك وأرسل إليه يغريه على قتال السلطان سليم[٣٦]، كما ذكر ابن إياس وغيره أن علي دولات اشتبك مع فرقة من الجيش العثمانى ونهب ما معهم[٣٧]، كما ذكر ابن إياس أن السلطان الغورى أرسل أفيالاً إلى الشاه إسماعيل سراً[٣٨]، وذكر آخرون أن قطع طريق الإمدادات على الجيش العثمانى كان بأمر السلطان الغورى نفسه[٣٩] ومن جهة أخرى عثر رجال السلطان سليم على جواسيس تحمل الرسائل بين الغورى والصفوى بما يفيد التحالف بينهما لقتال السلطنة العثمانية، قال ابن طولون الدمشقى عن السلطان سليم : (أنه اطلع على مطالعات من سلطاننا "الغورى" إلى الخارجي إسماعيل الصوفى "الصفوى" يستعينه على قتال ملك الروم سليم خان على يد البهلوان أحد جماعة سلطاننا)[٤٠]. وقد ذكر د. محمد حرب أن الخطاب موجود حالياً فى متحف طوب قبو فى اصطنبول[٤١].

هنا أدرك السلطان سليم الأول أنه ينبغي عليه أن يتصدر لمواجهة كل تلك الأخطار التى تحدق بقلب العالم الإسلامى منفرداً، كما أدرك أنه لا سبيل لذلك إلا بإعادة توحيد بلاد المسلمين، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يتم إلا بإزالة دولة المماليك. والمقام هنا لا يتسع للتفصيل فى تلك المسألة، وقد أفردت مبحثاً بعنوان: (لماذا وجب إزالة دولة المماليك) فى كتابى منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان (٢/٢٦١-٢٨١) فليرجع إليه من شاء التفصيل.

وقد تلقى السلطان سليم رسائل استغاثة من بعض بلاد المسلمين، فقد أرسل إليه شيوخ العشائر الكردية فى شرق الأناضول رسالة جاء فيها : (نرجو قيامكم بمساعدتنا نحن المخلصين لكم. إن بلدنا قريب من ديار " قزل باش "[٤٢] وهم جيران لنا بل بلدنا مختلط، وكم من سنوات مضت قام هؤلاء الملحدون فيها بهدم بيوتنا وبالقتال معنا كل ذلك بسبب محبتنا لسلطان المسلمين، ونحن ننتظر من عطفكم ومن شفقتكم القيام بإنقاذ هؤلاء الناس الصادقى الإيمان من هؤلاء الظالمين ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف فى وجه هؤلاء ومقاومتهم)[٤٣]

كما أرسل وجهاء وأعيان حلب، منهم القضاة الأربعة، رسالة إلى السلطان سليم، وأصلها موجود فى متحف (طوب قبو) باصطنبول برقم ١١٦٣٤ جاء فيها : (... وجميع أهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم بمجرد أن تضع أقدامكم فى أرض عينتاب[٤٤] خلصنا أيها السلطان من يد الحكم الجركسى احمنا أيضاً من يد الكفار قبل حضور التركمان، وليعلم مولانا السلطان أن الشريعة الإسلامية لا تأخذ مجراها هنا...)[٤٥].

فبدأ السلطان سليم بضم بلاد الأكراد فى شرق الأناضول، وانتصر انتصاراً ساحقاً على الشاه إسماعيل الصفوى، ثم ضم الشام ومصر، وإبان إقامته بمصر جاءته البيعة من الحجاز، كما دخل فى طاعته جزء من اليمن، كما أرسل السلطان سليم مساعدات عسكرية للأخوين عروج وخضر فى الجزائر، اللذين كانا يتصديان للحملات الإسبانية هناك فتمكن خضر من صد هجوم الإسبان على الجزائر وأعلنها تابعة للسلطنة العثمانية، كما تمكن السلطان سليم إبان إقامته بمصر من طرد سفن البرتغال من البحر الأحمر وأعاد الملاحة إليه[٤٦] بعد توقف دام تسع سنوات منذ عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م[٤٧]. وفى عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل أهالى الجزائر رسالة إلى السلطان سليم، وقع عليها القاضى والخطيب والأئمة والأعيان، وهى محفوظة بمتحف طوب قبو فى اصطنبول برقم ٦٤٥٦[٤٨] يطلبون فيها أن تكون الجزائر إيالة عثمانية حماية لها من الإسبان، وقد جاء فى تلك الرسالة : (نحن نود أن نكون من أتباع الدولة العثمانية وأن نبقى ضمنها كولاية. وإذا كان من الممكن فنرجو أن تعينوا خضر رئيس والياً علينا). فاستجاب السلطان سليم لذلك ومنح خضر الذى أصبح يسمى خيرالدين رتبة باشا ورفع الجزائر من لواء إلى إيالة. وجعل خير الدين أمور أمرائها، وأرسل له مددا من عتاد حربى، وألفى جندى وأربعة آلاف من متطوعة الأناضول[٤٩]، ثم بدأ رحمه الله فى تجهيز حملة بحرية لفتح جزيرة رودس التى كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا (الإسبتارية) انذاك وكانت مركزاً للصليبيين للهجوم على سفن التجار والحجاج المسلمين، إلا أن الموت لم يمهله وتوفى رحمه الله عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م. وكان ابنه السلطان سليمان خير خلف له فأتم جهاد أبيه وفتحها عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، كما أسس قاعدة بحرية فى جزيرة كمران عند باب المندب فى جنوب البحر الأحمر لصد أى هجوم بحرى عليه، وقد أشرف عليها الريس سلمان وأسند قيادتها إلى الريس صفر[٥٠]، وتوالت بعد ذلك الانتصارات البحرية على البرتغال والإسبان والبنادقة فى البحر المتوسط والبحار الهندية، مصحوبة بانتصارات برية فى المجر والنمسا وفارس والقوقاز على مدار القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

فمن هذا المنطلق يمكن أن نقطع بأن العمليات الحربية للسلطان سليم التى أثمرت توحيداً لمساحات شاسعة من بلاد المسلمين ظلت قروناً مديدة تتوق إليه، قد هيأت الساحة للتصدى لتلك الموجة الجديدة من الحروب ذات النزعة الصليبية على المسلمين، وقد انتصر المسلمون فيها إنتصارات ساحقة تفوق انتصاراتهم فى موجات الحملات الصليبية الأولى. ولو لم يقم السلطان سليم بذلك لنجحت مخططات الصليبيين ولاختنق العالم الإسلامى كله من الحصار

التجارى الذى فرض عليه، ولسقطت بلاد المسلمين فى أيديهم واحدة تلو الأخرى، ولاستولى الإسبان على شمال مصر، ولربما امتد نفوذهم إلى الساحل الشامى واحتلوا بيت المقدس، ولاستولى البرتغال على جنوب مصر وشرقها وعلى الحجاز أيضاً، ولاستولى الصفويون على الشام والأناضول، وأما ما تبقى من السلطنة العثمانية فكان سيقتسمه الأوروبيون فيما بينهم، ولتغير مجرى التاريخ كله، ولربما بقيت أجزاء من بلادنا تحت الاحتلال الأوروبى حتى الآن، فإن ميناء " سبتة " المغربى الذى استولى عليه البرتغال عام ٨١٧هـ/١٤١٤م[٥١] ثم تنازلوا عنه بعد ذلك للإسبان مازال تحت الاحتلال الإسبانى حتى الآن، " نسأل الله أن يردها علينا ". وعلى هذا فإن فتوحات السلطان سليم الأول قد أجّلت سقوط الكيان السياسى للإسلام المتمثل فى الخلافة الإسلامية مدة أربعة قرون كاملة، فكان سقوطها فى القرن الرابع عشر الهجرى/العشرين الميلادى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، واستولت الدول الأوروبية على البلاد الإسلامية بعد سقوط الكيان السياسى الذى كان يجمعها، ومنذئذ بدأت مراحل نقض عرى الإسلام كما نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا : الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ)[٥٢].

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه فى هذا البحث، هل كان ابن إياس مدركاً لحقيقة حال العالم الإسلامى آنذاك ؟! هل كان مدركاً لتلك الأخطار المحدقة به، ومدركاً لعجز سلطنة المماليك عن التصدى لها ؟! بل هل كان مدركاً أن وجود سلطنة المماليك فى حد ذاته كان عقبة كبرى فى سبيل التصدى لتلك الأخطار ؟!. لأننا نرى أن ابن إياس شن الغارة على العثمانيين وعلى السلطان سليم بصفة خاصة بسبب فتحه مصر والشام، مع العلم أن ذلك لم يكن موقف سائر المؤرخين المعاصرين له من رعايا السلطنة المملوكية نفسها، كابن طولون الدمشقى، وأحمد بن الحمصى، وأحمد بن زنبل الرمال، وغيرهم كعلى بن محمد الأشبيلى. ففى سرد ابن إياس لتلك الوقائع نرى أنه قد فقد حياده وإنصافه المعهود عنه. فهل كان ابن إياس غير مدرك لمدى خطورة الأمر، فاعتبر الفتح العثمانى لمصر والشام وإزالة دولة المماليك، عدواناً مجرداً من السلطان سليم ليس له ما يبرره، وأنه محض طمع ورغبة فى السيطرة والاستحواذ ؟! أم أنه كان مدركاً لخطورة الأمر ولكنه تعصب لأبناء جلدته تعصباً أفقده حياده وإنصافه ؟!.

والحق أننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال لأنه أمر متعلق بالنوايا والنوايا محلها القلوب ولا اطلاع لأحد عليها، ولكن ما نستطيع أن نقطع به هو أنه فقد الإنصاف والحياد فى تدوينه لوقائع تلك الفترة، فمن يقرأ الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس بعناية يتبين له أنه كان شديد التحامل على العثمانيين، إلى حد أنه لم يتوان عن تدوين أى شائعة تدينهم أو تحط من قدرهم دون أن يتأكد من صحتها، فإن كثيراً من الأخبار التى سجلها عليهم كان يصدرها بقوله (أشيع)، (قيل)، أو كان يذيلها بقوله (هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك) أو بقوله : (ولم تتأكد صحته) فأغلبها شائعات ولم يكن هذا منهج ابن إياس فى كل تاريخه بل

في ذلك الجزء الأخير فقط، وهو المتعلق بالفتح العثماني لمصر والشام فيحتمل أن يكون بغضه للعثمانيين قد جعله يقبل على تدوين أي شائعة تدينهم، ولكن أمانته العلمية أبت عليه إلا أن يذكر صراحة أنها شائعة أو خبر لم يتأكد من صحته، ولكنه بذلك أوقعنا في إشكال كبير، لأن كثيراً من الباحثين ينقلون عنه تلك الشائعات على أنها حقائق تاريخية، وهذا ظلم بين بلا شك، لذلك فإن المؤرخين الذين جاءوا من بعده كابن أبي السرور البكري (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) قد تجنبوا ذكر كثير من الأخبار التي أوردها ابن إياس في تاريخه أما إبراهيم بن عامر العبيدي (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م) فعندما تعرض للفتح العثماني آثر أن ينقل رواية ابن زنبل رغم ما فيها من تحيز للمماليك، فقد قال العبيدي : (وأحببت أن أخلص ما ذكره صاحب القانون العلامة أحمد بن زنبل وإن هو مغرض لجانب الجراكسة، يكاد تعبيره ينصرهم)[٥٣]، وكان العبيدي ينبه أحيانا على الأباطيل ويفندها.

أدلة تحامل ابن إياس على العثمانيين :

أولا : أنه كان يذكر كثيراً من الأقوال المتناقضة دون أن يبالي، ومن ذلك قوله في ذم السلطان سليم : (ولما طلع ابن عثمان إلى القلعة احتجب عن الناس، ولم يظهر لأحد وينصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأخذ أموال الناس بغير حق، وكان هذا على غير القياس، فإنه كان يشاع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان وهم في بلادهم قبل أن يدخل سليم شاه إلى مصر فلم يظهر لذلك نتيجة)[٥٤].

قلت : هذا الكلام ذكره ابن إياس واتهم فيه السلطان سليم بمجافاة العدل وعدم الفصل في الخصومات بالرغم من أنه هو نفسه في مواضع أخرى من كتابه قد دون عدة وقائع تنفي ذلك عن السلطان سليم وعن وزرائه منها :

١- قال ابن إياس : (قبض الوالي على شخص من العثمانية قيل أنه اختطف امرأة من السوق وزنى بها، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالي أن يقطع رأسه، فقطع رأسه في الحال وطاف بها في القاهرة وهي على رمح، فظهر من ابن عثمان في ذلك اليوم بعض عدل، فلعل أن يعتبروا بقية عسكره ويكفوا عن الأذى)[٥٥].

٢- ازداد عدوان العربان على قرى الشرقية، فأرسل السلطان سليم عدداً من الجنود على رأسهم الأمير المملوكي جان بردي الغزالي[٥٦]، وفي ذلك دلالة على أن السلطان سليماً كان يهتم بأمر العامة ويحرص على مصالح الرعية وإلا فإنه كان بوسعه أن يترك العربان يعتدون على القرى، فأي ضرر يعود على جنوده من ذلك ؟!، وقد روى ابن إياس نفسه تلك الواقعة وفي ذيلها ما يؤكد أيضاً حرص السلطان سليم على الرعية، إذ أن جان بردي الغزالي لما دخل الشرقية أفسد فيها وأسر بنات وصبيان وأبقار وأغنام، وباعهم في القاهرة بأبخس الأثمان، فكان الذي حال دون ذلك هو يونس باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم، قال ابن إياس : (ثم إن يونس باشا نادى في القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام يرده على

أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام جان بردى الغزالى على فعله فى الشرقية)[٥٧]. فإن قيل : إن كان السلطان سليم عادلاً حقاً فكان ينبغى عليه معاقبة جان بردى الغزالى، وأن لوم يونس باشا له غير كاف، يقال : إن السلطان سليماً كان فى حاجه إلى هؤلاء الأمراء المماليك لاستخدامهم فى إدارة البلاد كمرحلة انتقالية من الحكم المملوكى إلى الحكم العثمانى، لأن مصر بلد كبير لها نظام مالى وإدارى معقد الأمر الذى حتم على العثمانيين أن يستخدموا المماليك فى إدارة البلاد إلى أن يستوعبوا نظام البلاد وأسرار إدارتها وسيأتى الحديث عن ذلك بمزيد تفصيل فى نهاية البحث.

٣- بعد شهر من خروج السلطان سليم من مصر عائداً إلى اصطنبول تم ضبط خمسة من الجنود العثمانيين يتعرضون للناس فى الطرقات ويخطفون النساء والصبيان، فتم توقيع العقوبة الشديدة عليهم قال ابن إياس : (فلما قُبض عليهم، رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن يشنقوا، فشنق منهم اثنان على باب زويلة، وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنان الآخران فقد شفع فيهما من الشنق ذلك اليوم فسجنا)[٥٨].

فإن قيل إن استثناء اثنين من العقاب أمر يجافى العدالة، يقال إن الجريمة المذكورة تستوجب حد الحرابة لأنها تدخل تحت قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة ٣٣]. وقول جمهور العلماء فى الآية أن (أو) هنا للتنويع على حسب الجريمة. فمن قتل وأخذ المال يقتل ويصلب ومن قتل دون أن يأخذ المال يقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل تقطع يده ورجله من خلاف، ومن خاف السبيل ولم يأخذ المال ينفى من الارض، والنفى هو الحبس فى أحد القولين. فلعل الاثنين الذين سجنا كانا من الصنف الأخير.

٤- الخليفة العباسى المتوكل على الله الذى كان مقيماً بالقاهرة وأخذه السلطان سليم إلى اصطنبول، قام ذلك الخليفة بحرمان أولاد عمه خليل من نصيبهم فى إقطاع الخلافة فى مصر، فرفعوا أمره للسلطان سليم، فأرسل قاصداً (مندوباً) من عنده إلى القاهرة ليقسم إقطاع الخلافة بينهم بالعدل، وقد سجل ابن إياس نفسه هذه الواقعة فقال عن السلطان سليم : (فحنق من الخليفة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالسوية. فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك، فلما حضر القاصد رسم على مباشرى الخليفة وعلى دواداره برد بك وقال لهم : قيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات أبوهم وإلى الآن، واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب ذلك، وانتصفت أولاد خليل على الخليفة غاية الإنصاف)[٥٩]. وهناك وقائع أخرى يضيق المقام عن ذكرها، ولكنها تفيد اهتمام السلطان سليم ووزرائه بالرعية وبالفصل فى الخصومات وإشاعة العدل وقد أوردها ابن إياس نفسه فى تاريخه، ومع ذلك يعمد فى كثير من الأحيان إلى وصف السلطان سليم خاصة،

ورجال دولته عامة بالظلم والتعدى، وعدم الحرص على إشاعة العدل بين الناس، فنتعجب من ذلك التناقض.

ثانيا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن ينسب إليهم تأمين طريق الحج. بعد أن كان محفوفاً بالمخاطر فى أيام السلطان المملوكى قانصوه الغورى، إلى حد أن تم منع خروج قوافل الحج من الشام أربعة أعوام متتالية[١٠]، أما قوافل الحج من مصر فقد منع خروج النساء فيها لبضعة أعوام، وفى أحد الأعوام لم يخرج الحج أصلاً لا رجالاً ولا نساء، وكان ذلك بسبب الفتن فى مكة وتعديات العربان على الحجاج[١١]. فقد كانت السلطنة المملوكية آنذاك قد بلغت حداً من التدهور والانحلال لم تعد قادرة معه على تأمين قوافل الحج، أما فى العصر العثمانى فكان الأمر بخلاف ذلك، فعن موسم الحج فى عام ٩٢٥هـ قال ابن إياس : (دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف، وأمير الحاج الأمير برسباى، وقد أثنوا عليه الحجاج خيراً فيما فعله فى طريق الحجاز وأخبر الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق)... وفى موسم حج عام ٩٢٦هـ قال : (دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جانم أمير ركب المحمل... وتعرضت لهم جماعة من العربان فى الطريق، فاتفقوا مع الأمير جانم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة، فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جانم، وأثنوا عليه كل جميل، وشالوا له الرايات البيض فى بركة الحاج) وفى موسم عام ٩٢٧هـ قال ابن إياس: (ولما رجع الحاج أثنى على الأمير جانم أمير الحاج بكل جميل فى حفظه للحاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف)[١٢].

أما عن الحج الشامى ففى عام ٩٢٤هـ تمكن أمير الحج من الانتصار على العربان الذين تعدوا على الحجاج بسبب حسن تجهيز الجنود، قال ابن طولون الدمشقى : (العرب من آل دغيم وقفوا للحاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القلندرية، وقصدوا أن يحيلوا بين الحاج وبين الأخيضر، فتحاربوا هم وإياهم نهاراً، ثم انتصر الحاج عليهم وأخذوا منهم ثلاثة من أعيانهم وعدة من الخيل بسبب رماة البندق[١٣] التى معهم، ويقال عدتهم مائة، ثم توجهوا إلى الأخيضر سالمين فدقت البشائر لذلك بدمشق)[١٤].

الشاهد من ذلك أن ابن إياس رأى بعينه وكتب بيده أخبار عودة الحجاج سالمين من مكة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى، وبالرغم من ذلك لم يحمده للسلطان سليم ولا عده من مناقبه، ولا نسب الفضل فيه للعثمانيين، وكان الأجدر به وهو يدون عودة الحجاج سالمين آمنين، ويدون ثناءهم على أمراء الحج أن يذكرنا بما كان يلاقيه الحجاج فى أيام السلطان الغورى من قتل وهتك للأعراض ونهب للأموال على يد العربان، فكان يجدر به أن يشير إلى ذلك ويثنى على السلطان سليم الأول، لكنه تغافل عن ذلك كما لو كان يأبى أن ينسب للسلطان سليم تلك المنقبة العظيمة. ومما تجدر ملاحظته أن أمراء الحاج المذكورين كانوا من المماليك !. فما الذى بدل أحوال الحجاج من الخوف والرعب إلى الأمن والاطمئنان ؟! إن الذى تبدل هو الحكم والإدارة بانتقالها من المماليك إلى العثمانيين، وهذا يدل على أن الأزمة فى أيام الغورى كانت

أزمة إدارة وحسن تجهيز، فقد كانت بلغت الدولة المملوكية فى تلك الفترة مبلغاً من العجز الإدارى إلى حد عدم القدرة على تأمين طريق الحج !. فلما جاء بنو عثمان أعادوا الأمور إلى سابق الزمان.

ثالثاً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه وصفهم بأبشع الصفات التى لا يمكن أن يصدقها العقل فقال : (كانوا جيعانين العين، نفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم فى الأسواق، وعندهم عفاشة فى أنفسهم زائدة وقلة دين، يتجاهرون بشرب الخمور فى الأسواق بين الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلى فى الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم ولا أمراؤهم ولا وزراؤهم، وهم همج كالبهائم)(٦٥).

قلت : هذا كلام لا يمكن لعاقل أن يصدقه، ومع الأسف نقله كثير من أساتذة التاريخ فى كتبهم وهو باطل بلا ريب عقلاً ونقلاً، فأما من جهة العقل فلا يمكن لجيش هذه صفته أن تقوم دولة عالمية عظمى على أكتافه أبداً.! من الممكن أن يحقق جيش كهذا انتصارات كاسحة مؤقتة كانتصارات جيش جنكيز خان على سبيل المثال، لأن نواحى القصور فى النظام كان يجبرها وجود قائد عسكرى فذ مثله، ولكن لما مات جنكيز خان سقطت دولته، وكذلك جيش تيمورلنك فقد حقق انتصارات كاسحة شرقاً وغرباً وأسس دولة عظمى، فلما مات تلاشى أمرها كأن لم تغن بالأمس، ومن قبل هؤلاء الإسكندر المقدونى حقق انتصارات عظمى فلما مات انقسمت إمبراطوريته إلى دويلات صغيرة. أما السلطنة العثمانية العظمى فهى إحدى دول الإسلام، فلم تكن دولة فرد وإنما قامت على منهج حفظ لها الاستمرار قروناً طويلة تنتقل من نصر إلى نصر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجيش نظامى خال من تلك النقائص، ومعلوم لكل من درس التاريخ العثمانى أن دولة بنى عثمان قامت على أساس الجهاد فى سبيل الله، وكان ذلك هو باب النصر لها على مر العصور، ولا يمكن لرجل لا يصلى ولا يصوم ويشرب الخمر أن يكون مجاهداً فى سبيل الله أبداً.

أما من جهة النقل فقد شهد العدو قبل الصديق بحسن نظام الجيش العثمانى، وحسن إسلام أفراده وتدينهم، وأنا لن آتيك بنقول من المصادر الإسلامية لئلا يقول قائل إنهم يزكون أنفسهم أو يداهنون حكامهم، بل سآتيك بما قاله المؤرخون الغربيون من ألد أعداء العثمانيين فى عصور مختلفة، فمنهم القس اللاتينى (ليوناردو الخيوسى) الذى كان شاهداً على فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فقد قال فى تقريره الذى رفعه لبابا روما : (وتودى فى معسكر السلطان بأنه يجب إيقاد النيران فى الأيام الثلاثة السابقة على يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو، وأن يتوجهوا فيها بالدعاء إلى ربهم علاوة على صيامهم أيضاً، وأن يعدوا أنفسهم للقتال من أجل الهجوم الرئيسى على المسيحيين... يا إلهى! إذا سمعت تلك الأصوات وهى ترتفع إلى عنان السماء، وهى تصيح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهى تعنى أن الله موجود وسوف يستمر إلى الأبد، وأن محمداً هو خادمه. لابد أن لسانك سوف ينعقد

وتصاب بالدهشة والذهول لما يجرى... وصاموا طوال اليوم ولم يقربوا الطعام حتى الليل، وأخذوا يحيون ويودعون بعضهم البعض ويتبادلون العناق والقبلات)[٦٦].

وقال المستشرق الألمانى كارل بروكلمان نقلاً عن المصادر الأوروبية، واصفاً جيش السلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول الذى تولى الحكم فى الفترة من (٩٢٦هـ/١٥٢٠م وحتى ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) : (والحق أن جميع المصادر الأوروبية حافلة بإطراء روح النظام التى تكشف عنها الجيش العثمانى، فلم يكن فيه مكان للخمر أو القمار أو البغاء وهى آفات لم تسلم منها فى يوم من الأيام جيوش أوربه لذلك العهد، وكانت الحرب ضد الكافرين لا تزال تعتبر واجباً دينياً، ولقد كان لذلك أثر كبير فى ضمان الغلبة على النصارى يوم كان الجيش العثمانى فى أوج قوته)[٦٧].

وقال الراهب الدنماركى (أولوف إيلجسون) الذى كان أسيراً عند العثمانيين، فلما أطلق وعاد إلى بلاده كتب مذكراته، ونشرت فى أوائل القرن ١١هـ/١٧م، فقد جاء فيها : (كان الطعام الذى يقدم لنا نحن الفورسا " الأسرى المجدفون " من نفس الطعام الذى يقدم للضباط الأتراك فى مقصوراتهم، وشيء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين البيرة الشراب والبراندى، رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء)[٦٨].

والكاتب الإنجليزى (وليم كونجريف) كتب مسرحية The Way of the World عام ١٧٠٠م جاء فيها أغنية تقول : (الشرب خاصة نصرانية. لا يعرفها التركى. دع المحمديين يعيشون ملتزمين بقواعدهم. ولكن دع الإنجليز يغنون ويشربون. على صحة الملك. وأف للسلطان والصوفية)[٦٩].

هذا وصف الجيش العثمانى فى عصور مختلفة كما جاء على ألسنة أعدائهم، فلست أدرى من أين جاء ابن إياس بتلك الأوصاف البذيئة، وجدير بالذكر أن تلك الأوصاف الشنيعة قد تصدق على بعض الجنود، فهذا وارد فى كل زمان لكن ابن إياس لم يستطع أن يمنع نفسه من تعميم ذلك على الجيش العثمانى كله، مما يدل على شدة تحامله على العثمانيين فجافى الإنصاف فى وصفه إياهم، لاسيما أن أقرانه من معاصريه لم يذكروا شيئاً من ذلك ولا حتى أشاروا إليه.

رابعاً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن يذكر للسلطان سليم أحد أهم مناقبه، وهى طرده البرتغال من البحر الأحمر، من خلال المعارك البحرية التى قادها الريس سلمان العثمانى إبان وجود السلطان سليم فى مصر، ففُتح البحر الأحمر من جديد، وعادت السفن تبحر فيه بفضل الله بعد تسع سنوات من إغلاق البرتغال إياه، وفقا لما ذكره ابن إياس نفسه كما قدمنا. فمن العجيب أن المؤرخ الهندى زين الدين المعبرى الذى كان بعيداً عن البحر الأحمر يذكر ذلك فى كتابه قائلا : (فارسل الأمير سلمان وراءهم " البرتغال ".........[٧٠] فيهما ثلاثون رجلاً فأخذوا منهم غراباً صغيراً "مركباً" فى كمران وفيه اثنا عشر نصرانياً ووصلوا بهم إلى

جدة، ثم إن الملاعين توقفوا فى كمران لانقطاع الموسم الهندى، ثم رجعوا إلى كووه[٧١] خائبين بإذن الله تعالى، وذلك من فضل الله)[٧٢]... فهاهو المورخ المقيم بالهند يصف تفاصيل المعركة أما ابن إياس المقيم بالقاهرة، فلا يذكر ذلك ! ولا حتى أشار إليه إشارة !. وإنما اكتفى بذكر خبر عودة الريس سلمان إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم فقال : (ولما حضر الريس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتعبث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون هناك)[٧٣]... ولم يذكر ابن إياس أن الريس سلمان طرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل حتى أنه انسحبوا من كمران وعادوا إلى الهند. ولا ذكرنا ابن إياس أن الملاحة عادت إلى البحر الأحمر على يد السلطان سليم بعد تسع سنوات من التوقف التام، ولا شك أن ابن إياس كان على علم بطرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل لأنه ذكر أنه فى عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م تم إرسال كسوة الكعبة وأموال الصدقات للحرمين الشريفين عن طريق البحر عبر ميناء جدة[٧٤] ولاشك أن فى ذلك دليلاً على أن الملاحة فى البحر الأحمر كانت آمنة تماماً من أى تواجد للسفن البرتغالية، ولا شك أن إغفال ابن إياس لذكر ذلك صراحة فيه تحامل شديد على العثمانيين، كما لو كان يكره أن ينسب لهم أى مكرمة.!

خامسا : وصف ابن الفتح العثمانى لمصر بأوصاف فيها مبالغة شديدة، فشبهه باستيلاء بختنصر البابلى على مصر قبل الميلاد، ويعدوان هولاكو على بغداد ولا يخفى ما فى ذلك من المبالغة الشديدة، فقد قال ابن إياس : (ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا أن كان فى زمن البخت نصر البابلى لما أتى من بابل وزحف على البلاد بعساكره وأخربها وهدم بيت المقدس، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن اخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف ألف إنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهى خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار، فكان النيل يطلع وينفرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضى عليه ولا ينتفع به. ولكن هذه الواقعة لها فوق الألفى سنة، قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك فى بغداد فى فتنة هولاكو ملك التتار، لما زحف على بغداد وأخربها، وأحرق بيوتها، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها فاستمرت من بعد ذلك خرابا إلى الآن، فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك)[٧٥].

قلت : لا مجال إطلاقاً للمقارنة بين السلطان سليم وبختنصر أو هولاكو، لاختلاف الدوافع والأهداف بالكلية، كما أن من سقطوا من قتلى وجرحى خلال عملية الفتح العثمانى لمصر، سواء من الجيش العثمانى أو من الجيش المملوكى قد سقطوا فى إطار عمليات حربية حتمتها الظروف السياسية والمصلحة العامة للمسلمين كما تقدم بيانه، فلم تكن أعمالاً انتقامية لمجرد التنكيل بالناس كأعمال بختنصر أو هولاكو. كما أنه لا يخفى ما فى قول ابن إياس من مبالغة شديدة فلا يمكن أن يكون قد قتل من أهل مصر فى غزو بختنصر هذا العدد الضخم (مائة مليار إنسان).! إن سكان العالم كله فى زماننا هذا سبعة مليارات فكيف بالحال قبل الميلاد.! ثم هل وقع من السلطان سليم مثل ما وقع من بختنصر ؟! هل قتل كل هؤلاء.؟! هل عدمت مصر الناس أربعين عاماً.؟!. ثم إن تشبيهه السلطان سليماً بهولاكو فيه تجاوز شديد أيضاً فقد قال

شمس الدين الذهبي عن دخول هولاكو بغداد : (فبذلوا السيف في بغداد واستمر القتل والسبي في بغداد بضعاً وثلاثين يوماً، ولم ينج إلا من اختفى، فبلغنا أن هولاكو أمر بعد ذلك بعدّ القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف، ثم نودي بعد ذلك بالأمان وظهر من كان قد تخبأ وهم قليل من كثير)[٧٦].. وقال ابن كثير عن دخول هولاكو بغداد : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٧٧].

قلت : من المتفق عليه بين الجميع بمن فيهم ابن إياس نفسه أن السلطان سليماً لما دخل مصر لم يحدث من جنوده ربع معشار ما حدث من جنود هولاكو، ثم إن ما وقع من قتلى على يد الجيش العثماني كان في إطار عمليات حربية سقط فيها قتلى وجرحى من الطرفين، وهي عمليات حتمتها المصلحة العامة للمسلمين، وليس انتقاماً وتنكيلاً ورغبة في إفناء الشعب كالذي فعله هولاكو، فتشبيه ابن إياس السلطان سليماً ببختنصر أو بهولاكو، خطأ فادح وقع فيه ابن إياس. وإنما يدل على تحامله الشديد على العثمانيين وبغضه لهم إلى حد أفقده صوابه، فراح يقول مثل هذا الكلام الذي يناقض ما كتبه هو نفسه بخط يده من وقائع الفتح العثماني لمصر.

سادساً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين ذمه لما أمر به السلطان سليمان بن سليم من توحيد القضاء في مصر على المذهب الحنفي. بعد أن كان هناك قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة وبالرغم من أن ذلك كان عملاً جليلاً انتظم به القضاء في مصر، إلا أن ابن إياس بالغ في ذمه.!. فإن الأصل في مصر منذ أن دخلها الإسلام أنه كان بها قاض واحد يستنيب عنه نواباً في الأقاليم، وظل الأمر كذلك حتى زمن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إذ جعل قاضياً لكل مذهب من المذاهب الأربعة في عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م[٧٨]، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد كالاختلاف وتفرق الكلمة فمعلوم أن اختلاف الآراء قد يكون مفيداً ولكن بشرط وجود قيادة تحسمه، وكانت تتمثل تلك القيادة في منصب قاضي القضاة، ولكن منذ عهد الظاهر بيبرس أصبح هناك أربعة كل منهم قاضي القضاة لمذهبة وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في أحداث عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م أن القضاة الأربعة في حلب اختلفوا فيما بينهم، واتسع الخلاف، فأرسل كل منهم محضراً إلى السلطان بفسق الآخرين فعزلهم السلطان جميعاً[٧٩].

فلا ريب أن تلك البدعة التي ابتدعها الظاهر بيبرس حملت معها كثيراً من المفاسد، وقد قال المقريزي : (رُئيَ السلطان بيبرس بعد موته في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما رأيت شيئاً أشد عليّ من ولاة قضاة أربعة وقيل لي فرقت الكلمة)[٨٠].

ومما يدل على فساد نظام القضاة الأربعة الذى أحدثه الظاهر بيبرس أنه لما أراد أن يفعل ذلك فى دمشق رفض بعض قضاتها ذلك، فقد رفض المالكي والحنبلى قبول المنصب حتى ألزمهما السلطان به فقبلا بشرط عدم الحصول على رواتب. قال المقريزي : لم يقبل المالكى ولا الحنبلى، وقبل الحنفى فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك وأخذ ما بأياديهما من الوظائف إن لم يفعلا فأجابا. ثم أصبح المالكى وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلى من تناول جامكية (مرتب) على القضاء، وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة، كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

أهل دمشق استرابوا		مـــن كثـــرة الحكـــام
إذ هـم جميعا شموس		وحالهـم فـى ظـلام[٨١]

وقد علق ابن كثير على تلك البدعة بقوله : (وقد كان هذا الصنيع الذى لم يسبق إلى مثله قد فعل فى العام الأول بمصر كما تقدم واستقرت الأحوال على هذا المنوال)[٨٢].

ومن جهة أخرى كان نظام القضاء فى أواخر عهد السلطنة المملوكية قد اعتراه فساد كبير، وكان القضاة يدفعون مبالغ كبيرة للسلطان ليوليهم منصب قاضى القضاة، ومن ذلك ما ذكره ابن إياس فى أحداث عام ٩١١هـ/١٥٠٥م من أن القاضى جمال الدين القلقشندى تقلد قضاء الشافعية ثلاث مرات بتلك الطريقة، كانت آخرها بثلاثة آلاف دينار، فلما دفع القاضى ابن النقيب للسلطان الغورى خمسة آلاف عزل القلقشندى وولاه مكانه، قال ابن إياس : (أخلع السلطان " الغورى " على قاضى القضاة الشافعي محى الدين عبد القادر بن النقيب، وأعاده إلى قضاء الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندى، فكانت مدة جمال الدين القلقشندى فى القضاء نحواً من ستة أشهر، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار، وغرم نحواً من ألفى دينار للذى سعى له من الأمراء وغيرهم وكان الساعى له الأمير أزدمر الدوادار وغيره من خواص السلطان، وهذه ثالث ولاية وقعت لابن النقيب بمصر، وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء، ولم يقم بها فى الثلاث مرات إلا مدداً يسيرة ويعزل عنها)... وقد ذكر ابن إياس فى أحداث عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أن القاضى محى الدين يحيى الدميرى تولى قضاء المالكية بألفى دينار[٨٣].

ولا ريب أن تلك المبالغ كانوا يجبونها من الناس بالرشوة، وذكر ابن إياس نفسه أن مما قاله الأمير المملوكى خشقدم للسلطان سليم عن فساد أحول مصر (أن قضاة مصر قاطبة يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية)[٨٤].

وقد ظل القضاة يتولون القضاء بالرشوة حتى أبطل ذلك السلطان طومان باى عندما كان السلطان سليم فى طريقه إلى مصر، قال ابن إياس : (ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولاهم

الدرهم الفرد ومنع القضاة أن لا يسعوا فى منصب القضاء بمبلغ وقال لهم : أنا ما أقبل رشوة فى ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا أنتم رشوة من الناس أبداً)[٨٥]

لا ريب أن مؤسسة قضائية تدار على هذه الشاكلة إنما هى مؤسسة فاسدة، وقد روى ابن إياس واقعة مؤسفة تدل أبلغ دلالة على ذلك فى عام ٩١٩هـ/١٥١٣م مضمونها أنه تم ضبط قاض من نواب قاضى القضاة الشافعى متلبساً بالزنى بمحصنة، فرفع الأمر إلى السلطان الغورى فتم الحكم عليهما بالرجم بعد أن أقر ذلك الحكم القضاة الأربعة فى نفس المجلس، ولكن رجع القضاة الأربعة عن حكمهم تعصباً للزانى لأنه من نواب القضاء، وأوجدوا لذلك تأويلات شرعية، فغضب عليهم السلطان غضباً شديداً واستدعاهم ولكنهم أصروا على ما قالوه، فقال لهم: (إنتوا الأربعة قوموا ولا تروني وجوهكم قط) ثم عزل بعضهم[٨٦].

فكان ينبغى على ابن إياس الذى علم ما آلت إليه المؤسسة القضائية فى أواخر العصر المملوكى من فساد، أن يفطن إلى أن توحيد القضاء بمصر فى زمن السلطان سليمان القانونى على يد القاضى سيدى جلبى، إنما يعد من أجل الأعمال التى صلح بها حال الناس من وجهين:

الأول : أن وجود أربعة أنواع من المحاكم فى بلد واحد يفسد مصالح الناس.

الثانى : أن المؤسسة القضائية فى مصر كان الفساد ضارباً أطنابه فيها، فكان يجب أن تزال، لاسيما وأن قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل، وقاضى القضاة المالكى محى الدين الدميرى الذين كانا فى منصبيهما عندما صدر الفرمان السلطانى بتوحيد القضاء، كانا يتوليان هذين المنصبين فى واقعة القاضى الزانى المذكورة آنفاً. ثم إن السلطان سليمان لم يبطل عمل القضاة الأربعة بالكلية، وإنما جعلهم نواباً للقاضى العثمانى، من كل مذهب نائب، وأن تكون عقود الوصايا والأوقاف والأنكحة وغيرها منوطة بالقاضى العثمانى دون غيره، وأظن أن السبب فى ذلك هو فساد نواب القضاة فى مصر آنذاك، والدليل على ذلك أنه فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إبان وجود السلطان سليم فى مصرا، وبالرغم من أنه أمر ألا يعقد أحد من النواب عقداً إلا عند القاضى العثمانى فى المدرسة الصالحية، إلا أن نواب القضاة لم يلتزموا بذلك وباشروا كتابة العقود، حتى أن أحدهم باشر عقد زواج أرملة قبل أن تكمل عدتها، فعاقبوه وأشهروه فى القاهرة[٨٧]. ولو أردنا أن نفصل فى مظاهر فساد القضاء فى مصر فى أواخر العصر المملوكى لطال بنا الكلام ولخرجنا عن مقصدنا، ولكن نكتفى بذكر أسباب توحيد القضاء كما جاءت فى القانون الصادر بها من قبل السلطان سليمان القانونى ابن السلطان سليم :

(أنه فى الزمن القديم عندما يقترف أحد القرويين ذنباً ما ويفصل فى أمره، تبرأ ذمته تماماً ولكن الكشاف كانوا يعودون ويقبضون على هؤلاء مرة أخرى ويعتدون عليهم بأنواع الإيذاء المختلفة... وعندما كانت تحدث بعض المخاصمات بين بعض الرعايا من العوام، كانوا يتوجهون لحل منازعاتهم عند والى المدينة بدون أن يرجعوا إلى مجلس حاكم الشرع " القاضى " فى شىء

من ذلك، حيث كان الوالى يقوم بالفصل فى مثل هذه الخصومات بنفسه بدون وجه حق، كما كان بعض القضاة فى مصر يقومون ببيع محاكمهم ووظيفة العمل بها لبعض النواب كمقاطعة)[٨٨].

خلاصة الأسباب التى لأجلها تم توحيد القضاء إما ضعف القضاة أمام الكشاف والولاة أو فسادهم، وبالتالى فإن النظام القضائى الذى وضعه السلطان سليمان بمصر، حتى وإن ترتب عليه تقليل عدد نواب القضاء وفقدان بعضهم لوظائفهم إلا أننا إذا نظرنا إلى الصالح العام سنرى أنها إصلاحات عظيمة، فكان يجب أن تكون تلك الإصلاحات محل تقدير من ابن إياس، لكننا نجد العكس من ذلك فإنه قد اعترض على توحيد القضاء، وسب القاضى العثمانى وذمه لا لسبب ظاهر ولكن بسبب بغضه للعثمانيين بصفة عامة كما يبدو، فهو لا يرى لهم حسنات أبداً وإن كانت واضحة مثل فلق الصبح، فقد قال ابن إياس تعليقاً على ذهاب القاضى العثمانى إلى مكة: (خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لأهل مصر خير، فعزلت القضاة الأربعة بسببه وأخرج عنهم الأنظار، ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس قاطبة وأسمر دكاكينهم، ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية، ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه، وضيق على الناس بسبب عقود الأنكحة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ، وصار لا يعقد عقداً إلا فى المدرسة الصالحية)[٨٩].

نلاحظ هنا أن كل ما نقمه ابن إياس على القاضى العثمانى أنه قام بعملية تنظيم صارمة وضيق على طرق الفساد وهذا أمر عجيب جداً من ابن إياس، ولكن الأعجب منه ما قاله هو نفسه بعد ذلك ببضعة أسطر عن ذلك القاضى العثمانى نفسه مناقضاً ما قاله أولاً، قال: (فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثمانى نائباً عنه، يحكم فى المدرسة الصالحية إلى أن يحضر من الحجاز، وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاة الأربعة، وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة، وفى جامع ابن طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الأماكن، وجعل فى كل مجلس من مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق)[٩٠].

قلت: إن كان ابن إياس نفسه يقر بأن القاضى العثمانى لم يبطل عمل القضاة الأربعة ونوابهم بالكلية بل عين منهم ستة وعشرين نائباً، وأنهم فى كل مجلس يحكمون بين الناس بالحق، وأن الأمر لم يتعد سوى وضع تلك المؤسسة القضائية الفاسدة تحت الرقابة المباشرة للدولة، فليم الغضب والضيق والحنق على القاضى العثمانى..؟! فربما أن ابن إياس أبت نفسه عليه أن يرى العثمانيين يحكمون على أبناء جنسه من الجراكسة، فراح يطعن فيهم بغير حق.

سابعاً: ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين، هو ما نقمه على قاضى العسكر العثمانى بدون حق عندما أمر بمنع النساء من الخروج إلا للضرورات، ولعل كثيراً من الناس ليعلمون أن عدداً ليس بالقليل من نساء مصر فى الزمن المملوكى كن قد افتقدن الحشمة والوقار، فانتشر الفساد فى البلاد فلما جاء القاضى العثمانى ورأى ذلك، وضع ضوابط لخروج

النساء وركوبهن للحمير والبغال لإعادة الحشمة والوقار إلى الشارع، وكان الذى حمل القاضى على اتخاذ ذلك القرار أنه رأى جماعة من النساء يتحدثن مع جماعة من الفرسان الأتراك فى وسط السوق، فغضب لأجل ذلك غضباً شديداً، قال ابن إياس : (اتفق أن قاضى العسكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصبهانية [٩١] فى وسط السوق فعز ذلك عليه، فلما طلع إلى القلعة قال لملك الأمراء[٩٢] : " إن نساء أهل مصر أفسدت عسكر الخونذكار [٩٣] ولا بقى ينفع للقتال قط. وقص عليه قصة النسوة مع الاصبهانية، فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء قاطبة ورسم للوالى بأن ينادى بأن امرأة لا تخرج من بيتها مطلقاً، ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً، وكل مكارى ركب امرأة شنق من يومه من غير معاودة فى ذلك "..... ثم خفف القاضى بعد أيام من غلواء ذلك الحكم. قال ابن إياس : (ثم تكلم الناس مع قاضى العسكر فى أمر النساء، وأن لا يمنعوا من طلوع الترب ودخول الحمام وزيارة الأقارب، فأذن لهن فى ذلك، وأن المرأة لا تخرج الطريق إلا مع زوجها، وأن لا يدخل الأسواق إلا العجائز فقط، فسمح لهن قاضى العسكر بذلك وأنهن لا يركبن إلا الخيل أو البغال دائماً)[٩٤]..... ثم قال ابن إياس : (باعت المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكاديش وشدوها بنصف رحل، وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارى قائد لجام الأكديش، واستمروا على ذلك، وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة)[٩٥].

قلت : الأكديش هو البرذون[٩٦]، وقال الشيخ الفيومى المقرى : (قال المطرزى : البرذون هو التركى من الخيل وهو خلاف العراب)[٩٧]. الشاهد أن القاضى استاء من مظاهر الخلاعة مثل ركوب النساء على الحمير بصحبة المكارية، وخروج النساء إلى الأسواق واختلاطهن بالرجال لغير حاجة، فأمر بمنع ذلك وألزم النساء بركوب الخيل بعد شده بنصف رحل، لكى يكون اختلاطها بالمكارى فى أضيق الحدود فلا شك أن هذا عمل جليل من أعمال القاضى، فهو بذلك حسم مادة الفساد، وضيق على اختلاط الرجال بالنساء، وأحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو أسيد الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء : ﴿ اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ ﴾[٩٨].

هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهم أطهر الناس قلوباً وأبعدهم عن المنكرات وقد قالت أمنا عائشة رضى الله عنها : ﴿ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ : فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ : أَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْجِدَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ﴾[٩٩].

قلت : وما عسى أن يكون قد أحدثه النساء فى زمن عائشة رضى الله عنها.؟! التطيب.؟! إظهار الحلى.؟! فكيف الحال بمجتمع ظهر فيه الفساد على النحو الذى ذكره المؤرخون فى أواخر العصر المملوكى، فقد حدثنا المقريزى عما كان يحدث فى يوم وفاء النيل عند فتح الخليج،

فقال عن (بركة الرطلي) : (وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصري فتدور بها تحت البيوت وهي مشحونة بالناس، فتمّر هنالك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس في المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات، واختلاطهن بالرجال من غير إنكار)[١٠٠]... وفي الخليج الناصري كان يحدث مثل ذلك، إلى أن تم منع دخول مراكب النزهة فيه في زمن السلطان الأشرف شعبان، ثم عاد الفساد إلى ما كان عليه. قال المقريزي : (ولم تزل مراكب الفرجة ممتنعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الظاهر برقوق في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فأذن في دخولها وهي مستمرة إلى وقتنا هذا)[١٠١]... كما يحدثنا المقريزي في أحداث سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أن شاطئ النيل كان يجتمع عنده الرجال والنساء ويحدثون المنكرات. قال المقريزي : (ركب الأمير سودن قرا صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس ومنعهم من الاجتماع فإنهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمور ونحوها من المسكرات واختلاط النساء بالرجال من غير استتار، فعندما طرقهم الحاجب اضطربوا ونهب بعضهم بعضاً فذهبت أموال عديدة)[١٠٢].... كما يحدثنا المقريزي أنه في عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م لما تفشى الطاعون في مصر، أن السلطان استفتى العلماء في ذلك، قال المقريزي : (فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التي إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة إن الزنا إذا فشا في الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين في الطرقات ليلا ونهاراً في الأسواق، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشي في الأسواق، ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطي حاجتها، وجروا في ذلك على عادتهم في معارضة بعضهم بعضا فمال السلطان إلى منعهن من الخروج الى الطرقات مطلقاً)[١٠٣].

وقد ذكر ابن تغري بردي أنه لما وقع بسبب ذلك ضرر كبير لكثير من النساء اللاتي ليس لهن من يقوم على شئونهن فسمح السلطان بخروج الإماء لقضاء حاجات مواليهن[١٠٤]... وفي عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م في أيام السلطان الظاهر جقمق وقع مثل ذلك أيضاً، قال المقريزي : (نودي بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجواري فامتنعن. ثم نودي لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة)[١٠٥].

الشاهد من ذلك أن الأحوال في مصر في أواخر العصر المملوكي كانت فاسدة من حيث تبرج النساء وخروجهن ليلاً ونهاراً واختلاطهن بالرجال في الأسواق وفي المنتزهات دون إنكار إلا عند المصائب فعندئذ ينتبه العلماء والسلاطين ويتخذون إجراءات صارمة للتصدي له، وابن إياس نفسه لم يكن غافلاً عن ذلك، فقد ذكر في تاريخه أن الفساد إذا خرج عن حده كانت تتخذ إجراءات صارمة مشددة، فقال في أيام الظاهر برقوق في عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م : (نادى الأمير كمشبغا نائب الغيبة بأن امرأة لا تخرج من بيتها، وأن أحداً لا يخرج إلى المفترجات قاطبة، وأن لا امرأة تلبس قميص بأكمام كبار، وكانوا قد أفحشوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد)[١٠٦]. قلت: فها هو ابن إياس نفسه يذكر أن الأمور لما خرجت عن الحد في عهد السلطان برقوق تم اتخاذ

إجراءات مشددة لمواجهتها، ولم يعارضها ابن إياس بل إن لحن قوله يظهر منه الرضا والإقرار. فلمَ أنكر على القاضي العثماني ما اتخذه من إجراءات ؟!. فإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مبلغ تحامله على القاضي وعلى العثمانيين بصفة عامة. بل والأنكى من ذلك قوله عن القاضي العثماني : (وضيق على النساء في ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمير. فلما خرج من مصر " إلى مكة " صنفت النساء رقصة فقالوا : قوموا بنا نقحب ونسكر فقد خرج عنا قاضي العسكر)[١٠٧].

قلت : لا ريب أن تلك الرقصة كانت من تصنيف البغايا و أسافل النساء، ويتعجب من ابن إياس أن يحتج بقول هؤلاء وينحاز لهن وينتقص من قدر قاضي العسكر إلى هذا الحد، بالرغم من أنه نفسه قد ذكر في تاريخه ما يفيد أن الفساد إذا خرج عن الحد كانت تتخذ إجراءات مشددة لمنعه.

لعل فيما قدمناه دليلاً على تحامل ابن إياس الشديد على العثمانيين مما يحتم على ذوي الألباب من الباحثين أن يتحروا الدقة ويحترزوا عند نقل الوقائع التي ذكرها عن العثمانيين، وانفرد بها دون سائر المؤرخين المعاصرين وكذلك عند نقل رأيه الشخصي في السلطان سليم أو في العثمانيين بصفة عامة. وبالرغم من أن سبب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أمر متعلق بالنوايا، لا اطلاع لأحد عليه، إلا أنه يمكن أن نظن أن أسباب تحيزه تكمن في أمرين :

الأول : أنه كان من نفس جنس المماليك، فجده هو الأمير إياس الفخري، كما تقدم ذكره، أما أبوه فكان من الوجهاء وكان كثير الاختلاط برجال الدولة، وهم من الأمراء المماليك أيضاً، بل إن ابن إياس نفسه كان من أصحاب الإقطاعات كما ذكر هو عن نفسه[١٠٨] لعله قد ورثه عن أبيه. فبالقطع قد آلمه أن يشهد تصدع وزوال الدولة التي كان يعد من وجهائها، كما أنه شهد مصرع أصحابه وأصحاب أبيه ورأى الأرامل والثكالى واليتامى من أبنائهم، الأمر الذي حجب عنه رؤية الصورة كاملة، فلم يدرك أن الأمر أكبر من أي اعتبارات شخصية أو انتماءات قبلية، فمستقبل الإسلام كله كان في خطر كبير، وما كانت أعمال السلطان سليم إلا لإنقاذه من ذلك الخطر ، وقد قال السلطان سليم في رباعياته ما ترجمته :

إن خشيتي من الاختلاف والفرقة ستظل تقلقني حتى وأنا في القبر

إن اتحدنا فصولة الدولة تستطيع دفع الأعداء فإن لم تتحد الأمة فلا راحة لي[١٠٩]

الثاني : أنه يغلب على ظني أن أحد أهم أسباب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أن الحكم العثماني في الخمس سنوات الأولى التي شهدها ابن إياس قبل وفاته – المرحلة الانتقالية – لم يختلف كثيراً عن الحكم المملوكي باستثناء تنظيم القضاء وتأمين الحج، فلقد بقيت الإدارة في يد

المماليك، إذ أن السلطان سليماً قد عهد إلى الأمير المملوكي خاير بك الذي كان نائب حلب في عهد السلطان الغوري بأن يكون نائبه في مصر، وأمره أن يقبل كل من جاءه طائعاً من أمراء المماليك ويكرمه[١١٠] فبقيت المناصب في يد المماليك كما كانت، مثل الأمير جانم الحمزاوي الذي أصبح فيما بعد من أرباب الحل والعقد، والأمير جانم السيفي كاشف الفيوم وأمير الحج، والأمير قايتباي الدوادار، والأمير برسباي الخازندار، وقانصوه العادلي كاشف الشرقية، حتى وظيفة المحتسب تولاها الزيني بركات بن موسى[١١١] وهو الذي كان يتولاها في زمن السلطان الغوري، ثم عزله خاير بك في عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وولاها للقاضي عبد العظيم[١١٢]. حتى القضاة الأربعة قد أبقاهم السلطان سليم في مناصبهم[١١٣] إلى أن تم تنظيم القضاء بعد بضع سنوات في عهد السلطان سليمان بن سليم كما تقدم، لذلك فإنك ترى أن تلك السنوات الخمس كان يحدث فيها من المظالم مثل ما كان يحدث في زمن المماليك، من مصادرات الناس والتعدي على الرزق الأحباسية والأوقاف وغير ذلك.

وقد يتساءل البعض لماذا لم يول السلطان سليم ولاة من عنده إن كان حقاً يريد إشاعة العدل.؟! يهب بعض أساتذة التاريخ ليقولوا أن السلطان سليماً ولى خاير بك على مصر مكافأة له على خيانته للمماليك وتعاونه مع السلطان سليم وهذا الكلام فيه نظر لأن السلطان سليماً عهد أول الأمر بولاية مصر إلى صدره الأعظم يونس باشا، ثم عزله بعد مدة وولى عليها خاير بك[١١٤] وذلك بعد أن فشل يونس باشا في إدارة البلاد، فمصر بلد كبير ولها نظام إداري ونظام مالي خاص، لا يعرفه إلا أمراء المماليك وأعوانهم من الكتبة، قال د.سيد محمد السيد : (عندما أراد الحكام الجدد من العثمانيين أن يتعرفوا على كيفية إدارة المماليك للبلاد، فكان هؤلاء الكتبة يخفون دفاترهم ويطلعون العثمانيين على دفاتر ذات شفرة مالية خاصة، فيعطونهم بذلك معلومات غير صحيحة عن الإدارة في البلاد. مما أوقع الإدارة العثمانية في مصر في حالة من الاضطراب الشديد)[١١٥].

فالحقيقة أن السلطان سليماً لم يجد بداً من أن يعهد بإدارة البلاد إلى حكامها القدامى مؤقتاً إلى أن يتعرف العثمانيون على أسرار حكمها المالية والإدارية، فوقع اختياره على خاير بك، لأجل درايته بتلك الأمور، ولأجل أن يكون واسطة بين السلطان سليم وبين الأمراء المماليك الفارين لاستمالتهم للدخول في الطاعة، لأن بقاءهم مشردين قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه، قال ابن زنبل الرمال : (السلطان أمر خاير بك بأن كل من جاءه من الجراكسة الهاربين وطلب منه الأمان أن يقبله ويبقيه على منصبه، وأوصاه وأكد عليه في ضبط البلاد والإنصاف بين العباد)[١١٦].... وقد ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً أرسل إلى خاير بك من اصطنبول يوصيه بالمماليك الجراكسة خيراً[١١٧]. فبقاء الإدارة المملوكية في مصر كان أمراً حتمته الظروف في الخمس سنوات الأولى من الحكم العثماني، وربما كان قد وقع فيها من المظالم مثل ما كان يقع في العهد المملوكي، ومن جهة أخرى كان الجنود العثمانيون لا يوقرون خاير بك، ولم تكن له مهابة في نفوسهم، فكان بعضهم يتعدى على الناس بغير وجه حق، قال ابن إياس : (وكانت

العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى فى حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة)... وكان قاضى العسكر العثمانى يحاول منع ذلك قدر الإمكان ففى المحرم عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ذهب إلى خاير بك فى القلعة وقال له: (انظر فى أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها، فقد فسدت الأحوال جداً ومتى بلغ الخنكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا، ويقول لنا كيف كتمتوا عنى أخبار مصر، وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى)(١١٨)

ولا أظن أن الجنود العثمانيين كانوا سيوقرون أى أمير مملوكى أو يهابونه، فقد كانوا بالأمس القريب يقاتلونهم ويطاردونهم ويأسرون منهم، فهذه طبائع النفوس وتجريد الإنسان من طبائعه ممتنع، ولم يكن ذلك غائباً عن السلطان سليم إلا أنه كان مضطراً لذلك كما تقدم بيانه، وكان يبذل قصارى جهده لإقرار العدل فكان يتابع الأخبار من مقره فى اصطنبول بصفة دائمة، فقد أرسل إلى خاير بك يأمره بأن يعاقب الجنود بشدة، قال ابن إياس: (ثم أشهروا المناداة فى القاهرة على لسان الخنكار حسبما رسم، بأن لا أحد من الانكشارية(١١٩) ولا من الإصبهانية يشوش على الرعية وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عند خير الدين نائب القلعة أو قرا موسى). ثم إن السلطان سليماً أرسل فى طلب كمشبغا والى القاهرة بعدما وصلته شكاوى من ظلمه وتعديه على أموال الناس فسافر إلى اصطنبول، ولم يذكر ابن إياس ما حل به هناك(١٢٠).

هكذا اضطر السلطان سليم لأن يحتمل سوء الإدارة المملوكية فى مصر مؤقتاً، حتى يتعرف رجاله على أسرارها ومن ثم يتولونها بأنفسهم، فابن إياس لم ير من الحكم العثمانى إلا هذه السنوات الخمس فهو لم يعش ليرى تنظيم أحوال مصر على يد إبراهيم باشا فى عصر السلطان سليمان القانونى، وهو لم يعش ليرى صلاح أحوال القضاء بعد توحيده، وهو لم يعش ليرى أمن الفلاح بعد رفع المظالم عنه، وهو لم يعش ليرى أمن البلاد من الفتن الداخلية والصراعات على السلطة التى كانت سمة لعهد المماليك الجراكسة. لكن إن كنا نستطيع أن نلتمس العذر لابن إياس للأسباب التى تقدم ذكرها، فأى عذر عسانا نلتمسه لأساتذة التاريخ الذين نقلوا عنه هذا الكلام وأذاعوا به دون أن يقيموا وزناً لسائر المصادر المعاصرة للأحداث.؟!.

وبناء على ما تقدم فليس لنا أن نعتمد على تاريخ ابن إياس كمصدر وحيد بحجة أنه مصدر معاصر مع التغافل عن سائر المصادر المعاصرة، ولا ينبغى لأحد أن يفهم من كلامى هذا أننى أدعو على هجر كتاب ابن إياس !! كلا، فليس هذا من فعل العقلاء، فابن إياس مؤرخ له مكانة رفيعة وآثار بديعة، وهو ممن أفنوا أعمارهم فى تدوين التاريخ وكتابه كما ذكرت آنفاً أهم مصادر تاريخ السلطنة المملوكية فى الفترة التى عاشها، ولكنى أدعو إلى تناول بعض الروايات التى وردت فى الجزء الخامس من كتابه بحذر وتدقيق نظر، لاسيما فى الوقائع التى تفرد بذكرها دون سائر المؤرخين المعاصرين له، أو فى آرائه الشخصية. كما ينبغى دراسة المصادر المتأخرة نسبياً والتى شهدت الحكم العثمانى على حقيقته كتواريخ ابن أبى السرور البكرى، ومرعى بن

يوسف الكرمي، وإبراهيم بن عامر العبيدى وكذلك المصادر التركية التى عاش مؤلفوها فى مصر مثل (نوادر التواريخ) لعبد الصمد بن سيدى على بن داود الدبار بكرى الذى تولى قضاء دمياط عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم أصبح مشيراً لداود باشا أمير مصر و (تاريخ مصر) لرضوان باشا زاده، و(تاريخ مصر القاهرة) لمحمد بن يوسف الحلاق، عسى الله أن يمن علينا بأستاذ فى اللغة التركية ليترجم لنا هذه المصادر لينير لنا بها البصائر، فإن أكبر معضلة تواجه الباحث فى التاريخ العثمانى هى أن مصادره التاريخية سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة فهى باللغة التركية العثمانية، التى كانت تكتب بالأحرف العربية وكان آخر جيل من المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية عن التاريخ العثمانى من واقع المصادر التركية هم محمد فريد بك والميرالاى إسماعيل سرهنك، وإبراهيم بك حليم فى الربع الأول من القرن العشرين، لأن اللغة التركية كانت شائعة بين الباحثين فى البلاد العربية آنذاك شيوع اللغة الإنجليزية فى العصر الحالى، وكذلك فإن اللغة العربية كانت شائعة بين الباحثين الأتراك آنذاك، ثم بعد ذلك وقع الانفصام التام، فلم يعد العرب يعرفون التركية ولا الأتراك يعرفون العربية إلا قليلاً منهم، ثم إن الأمر ازداد سوءً فى ثلاثينيات القرن العشرين عندما أمر كمال أتاتورك بأن تكتب اللغة التركية بالأحرف اللاتينية، كما أمر بأن تحذف منها الكلمات العربية والفارسية، مما يعد أكبر عملية هدم ثقافى شهدها التاريخ فقد ترتب على ذلك أن الأتراك أنفسهم الآن لا يستطيعون قراءة مصادرهم التاريخية إلا بعد تعلم مخارج الحروف وكيفية نطقها والكلمات العربية والفارسية التى حذفت منها.

وقد أهمل فى مصر وسائر البلاد العربية تدريس التاريخ العثمانى فى المؤسسات التعليمية لعقود طويلة ومازال هذا الإهمال قائماً حتى الان. فالتاريخ العثمانى لا يدرس إلا فى بضع جامعات فحسب، وهو لا يدرس فى المدارس على الإطلاق، فإن قيل أنه يتم تدريس التاريخ العثمانى من خلال دراسة تاريخ العالم العربى الحديث أو تاريخ مصر فى العصر الحديث، أقول هذا منهج سقيم جداً فى التدريس، فمصر كانت إقليماً من أقاليم الخلافة العثمانية، صحيح أنها كانت إقليماً مميزاً، ودرّة السلطنة كما اصطلحوا على تسميتها إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة كونها إقليماً، لا يمكن الاستغناء بدراسة تاريخه عن دراسة تاريخ الدولة المركزية، فدراسة تاريخ مصر فى العصر العثمانى لا تعدو عن كونها دراسة للأحوال الداخلية لأحد أقاليم الدولة، ولا يمكن أن ينبئنا أبداً عن حال الدولة المركزية وعلاقاتها الدولية فهل يصح مثلاً أن يستغنى بتدريس تاريخ الإسكندرية مثلاً أو أسيوط أو أى محافظة من محافظات مصر عن دراسة تاريخ الدولة المصرية نفسها ؟! ولا يخفى على كل ذى لب أن التاريخ العثمانى ليس مما يمكن تجنبه أو إهمال دراسته وإلا فلن يتسنى لنا فهم تاريخ العصر الحديث فهماً صحيحاً، لأن السلطنة العثمانية كانت قلب العالم وأهم محور للأحداث العالمية فى تلك العصر، ولكن للأسف الشديد يحصل أغلب أساتذة التاريخ على جل معلوماتهم من خلال المراجع الأوروبية التى لا تخلو من دسائس وأكاذيب، وشبهات وأباطيل، ولعل أبرز مثل على ذلك هو أقوال أكابر أساتذة التاريخ عن أسباب الفتح العثمانى لمصر والشام، وعن دوافع حروب السلطان سليم ضد الصفويين والمماليك،

فكل ما كتبوه فى هذا الشأن لا يعدو عن كونه نقلاً لرؤية المؤرخين الأوروبيين من أمثال (بيتر هولت)، (فيليب برايس) (كارل بروكلمان) (أرنولد توينبى) وجل ما كتبوه إما باطل أو قاصر، لأن المؤرخ الأوروبى حتى وإن كان من المنصفين مثل (أرنولد توينبى) فلن يتمكن من فهم أهداف مثل تلك الحروب ودوافعها فهماً كاملاً، لأنها ترتبط بثقافة غريبة عليه، مهما اجتهد في دراستها فلن يمسك مقاليدها، ولن يملك ناصيتها، وقد فصلت الكلام عن تلك المسألة وفندت أقوالهم فى كتابى (منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان) (٢/٢٣٢-٢٦١). وجدير بالذكر أن اللوم والتثريب هنا ليس على المؤرخين الأوروبيين، بل على كل أستاذ فى التاريخ سمح لنفسه بالنقل عن كتبهم وكأنها الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتغافل عن مصادرنا التاريخية وزهد فى أقوال مؤرخينا الأقدمين كأننا أمة أمية ما كان عندنا علماء ولا مؤرخون !!. كما يقع اللوم والتثريب على كل أستاذ فى اللغة تقاعس عن أداء المهمة الحضارية المنوطة به من ترجمة المصادر التاريخية التركية والفارسية، بل واللاتينية والبيزنطية أيضاً إلى اللغة العربية، كلٌ فى تخصصه.

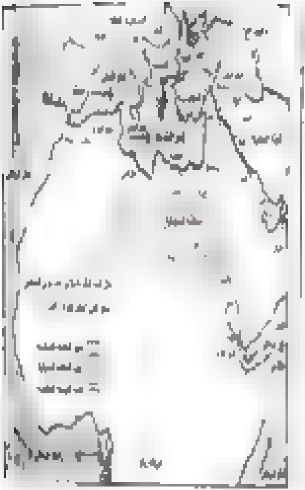

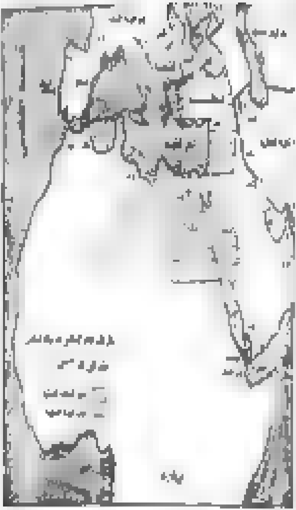

حواشى البحث

(1) حجى خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. نسخة إلكترونية (الموسوعة الشاملة)الإصدار الثاني، جـ١ ص ٢٢٩.

(2) حجى خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ٢ ص١٩٤١، ١٩٥٣، إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجليلة اصطنبول ١٩٥١م. جـ٢ ص٢٣١.

(3) لقد نقلت نص كلام ابن إياس على ما فيه من أخطاء نحوية، حرصا على عدم التبديل.

(4) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. جـ٤ ص ٤٧.

(5) رسالة كرستوفر كولومبس إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١. ترجمة حاتم الطحاوى. ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٢٧٦، ٢٨١.

(6) بجاية، بكسر الباء وفتح الجيم، وهى مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ١ ص ٣٣٩ وتقع حاليا فى شمال الجمهورية الجزائرية شرق العاصمة الجزائر.

(7) وهران، بفتح الواو وسكون الهاء وهى مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٨٥ وتقع حاليا فى شمال غرب الجمهورية الجزائرية

(8) أصلها : أطْرابُلُس. بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء وضم الباء واللام. وهى مدينة فى آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ ١ ص ٢١٧ وهى حاليا عاصمة الجماهيرية الليبية، وتقع فى شمال غربها على ساحل البحر المتوسط.

(9) قنصل فرنسا فى طرابلس عام ١٨٧٨م، وصاحب كتاب : الحوليات الليبية.

(10) شارل فيرو : الحوليات الليبية. ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. جامعة قاريونس، بنى غازى ١٩٩٤م. ص ٧٤، ٧٦، ٧٧. وأصل الخطاب موجود فى دار محفوظات بلدة سيمانكس الإسبانية.

(11) زين الدين المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت عناية الحكيم السيد شمس الله القادرى، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م. ص ٢٨.

(12) سُقُطْرى، بضم السين والقاف وسكون الطاء، جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدّة قرى ومدن تناوح عدن جنوبيها عنها انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. دار صادر بيروت. ١٩٩٥م. جـ٣ ص ٢٢٧.

(13) قَلْهات، بفتح القاف وسكون اللام. مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر سفن الهند. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٩٣.

(14) مسْقط، بفتح الميم وسكون السين وفتح القاف ((مدينة بنواحى عمان)) انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٥ ص ١٢٧. وهى عاصمة سلطنة عمان حاليا.

(15) هُرْمُز : بضم الهاء وسكون الراء وضم الميم ((مدينة في البحر.. على بر فارس وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخرسان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. جـ ٥ ص ٤٠٢. قلت : هرمز جزيرة في مضيق هرمز تتبع إيران حاليا.

(16) عبد القادر العيدروس : النور السافر في أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص ٥٨، ج.ج لوريمر : دليل الخليج. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. بدون تاريخ. جـ ١ ص ١٢، ١٣.

(17) ابن إياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.

(18) ابن إياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٣٣١. وكمران، بفتح الكاف والميم والراء وهي جزيرة قبالة زبيد باليمن. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. جـ ٢ ص ١٣٩. وتقع في جنوب البحر الأحمر.

(19) هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح، وقد تسلطن من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م وحتى عام ٩١٨هـ/١٥١٢م.

(20) هي إحدى فرق الشيعة ولا يعترفون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنهما وأغلب الصحابه ضلوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال أنهم سموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه وسمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك علي من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم رفضتموني ؟، قالوا : نعم. فيقال : إنهم سموا رافضة لقول زيد بن علي لهم رفضتموني انظر : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية جـ ٣ ص ٢٠١

(21) إسماعيل بن حيدر بن جنيد، وسمي بالصفوي نسبة الى جده الأكبر الشيخ صفي الدين الأردبيلي صاحب زاوية صوفية في أردبيل. وبالرغم من أنهم كانوا جميعاً من أهل السنة إلا أن الشاه إسماعيل هو أول من تشيع اعتنق الرفض، واجتمع حوله كثير من الناس فخرج من كيلان بجموعه سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م واستطاع أن يستولي على كثير من بلاد العجم حتى سقطت في يده تبريز مقر سلطنة ((آق قويونلي)) انظر أخباره عند حسين خوجه بن علي : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط في دار الكتب والوثائق القومية رقم ٢١١٦ تاريخ طلعت، ورقه ١٢١.

(22) تبريز، بكسر التاء وسكون الباء وكسر الراء. قال ياقوت : ((هي أشهر مدن أذربيجان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. جـ ٢ ص ١٣. وتقع حاليا في شمال غرب الجمهورية الإيرانية، وتنطق بفتح التاء.

(23) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٤٣.

(24) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبزج، ألمانيا ١٨٥٧م. ص ٢٧٥.

(25) حسين خوجه بن علي : بشاير أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ورقة ١٠٥، ١٠٧، يلمار أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتمويل. اصطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. جـ ١ ص ٢٠٩ – ٢١١.

(26) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج. القسم التاريخي. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. جـ١ ص ١٤.

(27) كانت البضائع تنقل إلى الإسكندرية عبر خليج يربط فرع رشيد بالإسكندرية أو كانت تنقل برا.

(28) أذربيجان، بمد الهمزة وفتح الذال وسكون الراء وفتح الباء وسكون الياء، في أحد الأقوال. قال ياقوت :(هذ أذربيجان من بردعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً... ومن مشهور مدائنها تبريز). انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. جـ ١ ص ١٢٨ فليس المقصود جمهورية أذربيجان الحالية، بل هي الأراضي الواقع حالياً شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا.

(29) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية. بولاق. القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. جـ ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠، يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ١ ص ٢٤١ – ٢٥٤. عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م. جـ ٢ ص ١٨٢ – ١٨٥. أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية. اصطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٢٣٠.

(30) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١١٩.

(31) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٢٠١.

(32) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ١ ص ٣٢٤.

(33) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ ٤ ص ٢٨٥.

(34) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(35) إمارة صغيرة في جنوب الأناضول تابعة للسلطنة المملوكية ومن مراكزها ملطيه وأبلستين. انظر القرماني : أخبار الدول وآثار الأول. تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد. عالم الكتب. بيروت. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. جـ ٣ ص ٩٨.

(36) ابن زنبل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٢.

(37) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٤٥٨، ابن الحمصي : حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش. دار النفائس. بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ٥١٣، العبيدي : قلائد العقيان في مفاخر آل عثمان. مخطوط بمكتبة الإسكندرية ميكروفيلم رقم (٤٦٧٨). ص٤٥.

(38) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٥.

(39) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٧٧)، الكرمي : نزهة الناظرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولي مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العادلين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم ٥٢٩٨. ورقة ٦٥، البكري : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر. بدون تاريخ. ص ٧٣.

(40) ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ص ٣٣٣.

(41) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٢٥.

(42) وهو لقب أطلقه العثمانيون على الصفويين، لأنهم كانوا يلبسون غطاء رأس أحمر. انظر : البكرى : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية. ص ٧٣، حسين خوجه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٢٠. وتنطق ((كِزِلْ باش)) بكسر الكاف والزاى وسكون اللام وفتح الباء، مع تفخيم جميع الحروف، وهى كلمة تركية من مقطعين ((قزل)) : أحمر، ((باش)) : رأس. والمعنى ذو الرأس الحمراء.

(43) أحمد آق كوندز وسعيد أورتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦.

(44) وتكتب أيضا ((عيْن تاب)) بفتح العين وسكون الياء. وهى قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. انظر ياقوت الحموى . معجم البلدان. جـ ٤ ص ١٧٦. كانت آنذاك من أعمال حلب تابعة للمماليك، وهى الآن فى جنوب تركيا.

(45) محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة. ص ١٤٠، أحمد فؤاد متولى : الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربى. القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م. ص ١٣٤.

(46) المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.

(47) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.

(48) الرسالة محفوظة برقم ٦٤٥٦ بمتحف طوب قبو باصطنبول، وقد نشرها عبد الجليل التميمى فى بحث بعنوان ((أول رسالة من أهالى مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩)). المجلة التاريخية المغربية تونس، العدد السادس، يوليو تموز ١٩٧٦. نقلاً عن عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. جـ ٢ ص ٨٤٦.

(49) أحمد آق كوندز وسعيد أورتورك . الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦، ٢٣٠.

(50) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ١ ص ٢٢٥.

(51) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. جـ ٦ ص ٣٦٨، ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديحج العلوى الحسنى الحضرمى، وساعده فيه سلطان محيى الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. جـ ٧ ص ١٥٢.

(52) رواه أحمد (٤٨٥/٣٦)، أبو بكر بن الخلال فى السنة (١٢٧/٤)، ابن حبان فى صحيحه (١١١/١٥)، الطبرانى فى الكبير (٩٨/٨)، البيهقى فى الشعب (٢٧/١٠)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٠٥/٢).

(53) العيدى : قلايد العقيان فى مفاخر آل عثمان. ورقة ٤٤.

(54) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٢.

(55) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٧٩.

(56) هو أحد أمراء المماليك وكان نائب حماه فى عهد السلطان قانصوه الغورى، ثم دخل فى طاعة السلطان سليم بع فتحه مصر.

(57) محمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٨.

(58) محمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢١٩.

(59) محمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣١٧، ٣١٨.

(60) شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. ص ٢٣٣، ٢٧٦.

(61) وقائع تلك الفتن يطول ذكرها فمن شاء التفصيل فليرجع إلى ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨.

(62) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٤٣١.

(63) سلاح البنادق أدخله السلطان سليم في مصر ولم يكن المماليك يستحسنونه. انظر ابن زنبل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثماني. ص ٧١.

(64) ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان. ص ٣٨٧.

(65) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٠٨.

(66) ليوناردو الخيوسي : تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية، كرستوفورو ريشيريو : الاستيلاء على القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية ترجمة حاتم الطحاوى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م ص ١٦١، ٣١٥ وانظر أيضا نيقولو باربارو : يوميات الحصار العثماني، ترجمة حاتم الطحاوى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.٢٠٠٢م. ص ١٦٣.

(67) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. بيروت ٢٠٠٥م. ص ٤٦٨.

(68) يلمار أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ٢ ص ٤٣٦، انظر أيضا برنارد لويس : الإسلام والعرب. دار الرشيد دمشق – بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٦٨.

(69) برنارد لويس : الإسلام والعرب. ص ٦٨.

(70) كلمة مطموسة بالأصل، أظنها : مركبين.

(71) ثغر فى الساحل الغربى للهند.

(72) المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.

(73) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٠٣.

(74) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٧٧.

(75) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٥٧.

(76) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التدمرى. دار الكتاب العربى. بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. جـ ٤٨ ص ٣٦.

(77) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، جـ ١٣ ص ٢٣٥.

(78) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ ٤٩ ص ٢١، الدين القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، جـ ٤ ص ٣٦، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ ٢ ص ٢٨.

(79) ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر، جـ ٢ ص ١٦٢.

(80) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ ٢ ص ١٠٧.

(81) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ ٢ ص ٣١.

(82) ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١٣ ص ٢٨٦.

(83) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٤ ص ٩١، ٤٧٧.

(84) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٤ ص ٤٧١.

(85) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ص ١١٧.

(86) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٤ ص ٣٤١ – ٣٤٥.

(87) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ص ١٦٥، ١٨٤، ٤٥٣.

(88) سيد محمد السيد : مصر فى العصر العثمانى، القرن ١٦ مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣٨٧.

(89) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ص ٤٦٩.

(90) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ص ٤٦٩.

(91) المقصود الفرسان، وهى تحريف للكلمة الفارسية ((سباهى)) وتكتب بحرف الباء المثلثة، وتنطق ((P)) بسكون السين وفتح الباء وكسر الهاء، مع تفخيم جميع الحروف، وتعنى فارس.

(92) خاير بك، الذى ولاه السلطان سليم الأول واليا على مصر.

(93) من ألقاب السلطان العثمانى.

(94) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧.

(95) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ ٥ ص ٤٦٢.

(96) ابن شاهين : الإشارات فى علم العبارات، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، جـ ١ ص ٨٠٤.

(97) الفيومى المقرى : المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت، جـ ١ ص ٤١.

(98) رواه أبو داود (٣٦٩/٤)، الطبرانى فى الكبير (٢٦١/١٩)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٢٢١/١).

(99) رواه مسلم (٣٢٨/١)، أبو داود (١٥٥/١)، أحمد (١٢٥/٤٣)، أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه (١٥٦/٢) البيهقى فى السنن الكبرى (١٩٠/٣)، عبد الرزاق فى مصنفه (١٤٩/٣)، الطبرانى فى المعجم الأوسط (٤٨/٧)، أبو عوانة فى المستخرج (٣٩٧/١)، ابن خزيمة فى الصحيح (٩٨/٣).

(100) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. جـ ٣ ص ٢٨٧

(101) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. جـ ٣ ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(102) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٦ ص ٤١٣.

(103) تقي الدين المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ٧ ص ٣٥٠.

(104) بن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م جـ ١٥ ص ٩٤.

(105) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٧ ص ٤٦٣.

(106) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ١ ص ٤٤٨.

(107) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٦٩.

(108) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٣٦.

(109) أحمد آق كوندز وسعيد أورتورك : الدولة العثمانية المجهولة، ص ٢١٨.

(110) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧ ابن زنبل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ص ١٨٤.

(111) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٣٤، ٢٩٤، ٣٩٥.

(112) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٠٣.

(113) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٥.

(114) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ ٥ ص ٢٠٣، حسين خوجه بن علي : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٣٩.

(115) سيد محمد السيد : مصر في العصر العثماني في القرن ١٦، ص ٣٦.

(116) ابن زنبل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. ص ١٨٤.

(117) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧.

(118) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٣٣.

(119) هو تحريف للفظة التركية ((يكي جرى)) بحرف الجيم المثلثة، وحرف الكاف المثلثة فينطق عندئذ دونَ فينطق اللفظ كاملاً ((ينى تشرى))، بفتح الياء وكسر النون، وسكون التاء وكسر الشين والراء، وهي كلمة من مقطعين، وتعني العسكر الجديد وهي إحدى أشهر وحدات الجيش العثماني. انظر محمد أسامة زيد : منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م جـ ٢/ ص ٤١٤.

(120) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٢٩، ٣٣٨.

قائمة المصادر

ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م)
١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ
ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م).
٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ/١٣٧٢م).
٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)
٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعيب الأرناؤط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
٥- إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديحج العلوي الحسني الحضرمي وساعده فيه سلطان محيي الدين قامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
ابن الحمصي : أحمد بن محمد بن عمر (ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧م).
٦- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش. دار النفائس، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي (ت ٣١١هـ/٩٢٣م)
٧- صحيح ابن خزيمة. تحقيق د.محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
ابن زنبل : أحمد بن زنبل الرمال (ت بعد ٩٦٠هـ/١٥٥٢م).
٨- واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م.
ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م).
٩- الإشارات في علم العبارات. دار الفكر، بيروت.
ابن طولون : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).
١٠- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير القيسي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
١١- البداية والنهاية. تحقيق علي شيري. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م)

١٢- سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)

١٣- مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق د.محمد عبد المحسن التركي. دار هجر، مصر. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

أبو عوانة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م)

١٤- مستخرج أبي عوانة. تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي. دار المعرفة، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ/٩١٩م)

١٥- مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).

١٦- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرناؤط، عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

إسماعيل باشا سرهنك (ت بعد ١٣١٤هـ/١٨٩٦م).

١٧- حقائق الأخبار عن دول البحار المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)

١٨- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجليلة، اصطنبول ١٩٥١م.

البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩ م).

١٩- الجامع الصحيح. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

البكري : محمد بن أبي السرور البكري (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م).

٢٠- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر

البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

٢١- شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، ببومباي بالهند. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢ م).

٢٢- سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشاملة الإصدار الثاني.

حسين خوجه بن علي (ت بعد ١١٣٦هـ/١٧٢٣م).

٢٤- بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة. رقم (٢١١٦) تاريخ طلعت. ميكروفيلم رقم (١٣٤٨٦).

الحميدي : عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي (ت٢١٩هـ/٨٣٤م).

٢٥- مسند الحميدي. تحقيق حسين سليم أسد الداراني. دار السقا، دمشق ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٢٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الطبرانى : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م).

٢٧- المعجم الكبير. تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ونسخة إلكترونية ضمن المكتبة الشاملة الإصدار الثانى.

٢٨- المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن مُحمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينى دار الحرمين القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى الصنعانى (ت ٢١١هـ/٨٢٦م)

٢٩- المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

عبد القادر العيدروس : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م).

٣٠- النور السافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الفيومى المقرى : أحمد بن محمد بن على (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م).

٣١- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت

القلقشندى : شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد الفزارى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).

٣٢- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.

كرستوفر كولومبس.

٣٣- رسالة إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١م، ترجمة حاتم الطحاوى ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م.

الكرمى : مرعى بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م).

٣٤- نزهة الناظرين وأخبار الماضين فى تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العادلين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم (٥٢٩٨).

ليوناردو الخيوسى.

٣٥- تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثمانى للقسطنطينية. ترجمة حاتم الطحاوى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (٢٠٠٣م).

مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م).

٣٦- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. دار التراث العربى، بيروت.

المعبرى : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن على (ت بعد ٩٢٣هـ/١٥١٧م).

٣٧- تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت عناية الحكيم السيد شمس الله القادرى، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م.

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر العبيدى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٣٨- السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

النسائى : أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر النسائى (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).

٤٠- السنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شلبى. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

النهروالى : قطب الدين محمد بن أحمد المكى (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠م).

٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبزج، ألمانيا ١٨٥٧م.

نيقولو باربارو.

٤٢- يوميات الحصار العثمانى. ترجمة حاتم الطحاوى، ضمن كتاب الفتح الإسلامى للقسطنطينية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م.

ياقوت الحموى : ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٤٣- معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م

قائمة المراجع

أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك

١- الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية، اصطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

أحمد فؤاد متولى.

٢- الفتح العثمانى لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.

برنارد لويس.

٣- الإسلام والغرب. دار الرشيد، دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

بشرى خير بك.

٤- الدخول العثمانى لشمال إفريقية، ضمن الكتاب المرجع فى تاريخ الأمة العربية. المجلد الخامس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ج.ج. لوريمر.

٥- دليل الخليج. القسم التاريخى مكتب صاحب السمو امير دولة قطر

سيد محمد السيد.

٦- مصر فى العصر العثمانى فى القرن السادس عشر مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

شارل فيرو.

٧- الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. بنى غازى ١٩٩٤م.

د.عبد العزيز محمد الشناوى.

٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤م.

كارل بروكلمان.

٩- تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكى. دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥م.

محمد أسامة زيد.

١٠- منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب. القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

محمد حرب.

١١- العثمانيون فى التاريخ والحضارة. المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى بن آدم الأشقودرى الألبانى (ت١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامى، بيروت.

يلماز أوزتونا.

١٣- تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتمويل اصطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نتائج الاستعمار البريطاني علي جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني(*)

أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية .

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق المواصلات البحرية في العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب، في العصور السابقة والحالية، وأصبح الآن من أهم الممرات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما تحول أيضا، من مجرد بحر داخلي، إلى أهم شريان مائي، ينقل البترول من مناطق استخراجه – في الخليج العربي وايران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا – إلى أوروبا الصناعية، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين وآسيا، وبقية دول العالم. وبفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، وبسبب الاحتياج النفطي المتزايد في أوروبا وأمريكا وآسيا، أصبح البحر الأحمر، بمميزاته وخصائصه الجيوبوليتيكية، أخطر محاور الصراع والتنافس الدولي، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقا حيويا لنقل البترول، ومعبرا للتجارة العالمية، وطريقا مختصرا لتدفق القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلنطي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه الميزات، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوبياً، كما ارتبط بقناة السويس، شمالاً، ارتباطاً عضويا أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام واضعي القرار السياسي، ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتنافسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصارعة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر – من مدخله الشمالي عند السويس إلى مدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي – ظل ولازال يلعب دوراً مركزياً ومحورياً في الصراع في منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الأفريقي، ممراً وبوابة للبحر الأحمر وخليج عدن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

١) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن١٧ بدأ الاهتمام البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة .

في عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها في ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة دول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البن.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج في الهبوط على مدى فترة ستين عاماً. بحيث انحصرت، في الأخير، بين الإنجليز في الجنوب العربي واليمن، والفرنسيين في اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية – الفرنسية من ميدان التجارة إلى ميدان السياسة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية :

١- إرسال قوة حربية بريطانية إلى الساحل الشرقي لمصر؛ لمواجهة التوسع الفرنسي.
٢- التواجد العسكري في مدينة عدن والجنوب العربي، كموقع استراتيجي هام في البحر الأحمر على باب المندب وخليج عدن، لمراقبة السفن الفرنسية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

في عام 1802 عقدت بريطانيا أول معاهده تجارية مع السلطان العبدلي، سلطان سلطنة لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، ويسيطر على مينائها الاستراتيجي، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تم تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمنت الاتفاقية توفير الحماية للرعايا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر – أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة لتموين السفن بالفحم، خاصة وأنْ ميناء عدن يقع في منتصف الطريق بين مدينة بومباي في الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينس يرى بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية

هامة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلا: " إن المرفأ العظيم لمدينة عدن يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر فى الجزيرة العربية. إنّ ازدهاره لاشكّ وأن يقضى على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجارياً ممتازاً لاشكّ أنّه أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر و تموينها في كل فصول السنـة."

ومن العوامل التى سرّعت بالاستيلاء البريطانى على مدينة عدن، ودول الجنوب العربى، وجود جيش محمد على باشا، حينها، فى تهامة وأوساط اليمن، والذى دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان يطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية فى الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وخاصة إذا ما استولى على مدينة عدن الواقعة وسط الطريق البحرية إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباى البريطانى إلى حكومته قائلاً ": إنّ مطامع محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها ."

إنّ تجارة بريطانيا الخارجية فى حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية يحسن اختيارها، ويقوم بحراستها الأسطول الملكى البريطانى الكبير. وفي19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية، بقيادة القبطان هينس مدينة عدن عن طريق جزيرة صيرة، وكان ذلك بداية التواجد العسكرى والسياسى البريطانى المباشر فى مدينة عدن ودول الجنوب العربى، حيث تم بعد ذلك فى 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلطنة لحج، وتوالت بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربى، والواقعين فى كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالى لهم ولمناطقهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، يتعاظم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية على المنطقة، فاستولى البريطانيون على جزيرة ميّون عام 1856، خوفاً من وقوعها بيد الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبوك على الساحل الصومالى المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بيد البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مرتبطة بمشروع حفر قناة السويس فى مصر، فى الأعوام 1868 --1867. تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأثيوبيون، مما زادها ازدهاراً وشهرةً. فى عام 1869 تم افتتاح قناة السويس فى مصر وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزايد مرور السفن فى ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالفحم والمؤن المختلفة، وازدهرت السياحة، وعقد الاتفاقيات التجارية والإنشائية، وتسهيل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات وسلطنات

ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وخاصةً سلطنات يافع، وكذلك البن الآتي من اليمن.

وكان ثلث موارد خزانة السلطنة العبدلية، في لحج يأتي من معاملة سلطنة العبدلي في لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدلي في لحج، حينها، المتعاقد والمحتكر الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالخضراوات والفواكه ومياه الشرب، والحشائش، وأعلاف المواشي، والملح والأيادي العاملة. كما لعب السلطان العبدلي في لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعمرة في عدن، ممثلة بالمعتمد السياسي البريطاني وبقية سلاطين وأمراء ومشايخ الجنوب العربي؛ الذين كانوا بمثابة دويلات صغيرة مستقلة، فكانت تمر عبره إليهم المرتبات والمساعدات البريطانية.

كما كان لدى البريطانيين جهازان مختصين بشؤون الإمارات والسلطنات والمشيخات، في دويلات الجنوب العربي؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهازان هما :

١- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخيالة المجراد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة إلى إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.

٢- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرةً للمعتمد السياسي البريطاني في عدن، وهذه الدائرة كانت المخططة والمنفذة للسياسة البريطانية؛ للتعامل مع القبائل داخل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي. وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة الملحقة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكري المباشر فيها، أو في بعضها؛ إلا لتقديم الحماية والدعم. إلا أنَّ هذه السياسة اختلفت بعد انحياز الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك في ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشكلون خطراً مباشراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، وعلى دويلات الجنوب العربي.

٢) الصراع البريطاني العثماني في الجنوب :

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تمد الخطوط الحديدية إلى كلٍّ من العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح لتركيا وجود فعلي على ساحل تهامة باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالي حالياً (في عام1872 بشكل كامل). وهذا هو الاحتلال التركي الثاني لليمن الذي دام خلال الأعوام 1918-1872، كما كان الاحتلال الأول التركي لليمن خلال الأعوام 1635-1538، وبرغم وجود الأتراك باليمن حتى عام1870، وعلى التماس المباشر مع البريطانيين الموجودين في الجنوب العربي وعدن، إلا أنَّ

البريطانيين لم يكن يقلقهم الوجود التركي باليمن حينها، كون الوضع في اليمن والجنوب العربي لا يشكل خطراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، بالرغم من تواجد الأتراك في اليمن؛ فالجنوب العربي كان تحت الحكم البريطاني، وكان مقسماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطنات والمشيخات الصغيرة المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مقسماً حينها هو الآخر بين الأئمة في صنعاء، وأمراء آل عريش في المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواسط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأ إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها وإخضاعها للحكم العثماني للأعوام 1918-1872، إلا أنّ الأوضاع الدولية والمحلية، في السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم، والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربي، وعاصمته مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تمّ فتح قناة السويس عام 1869، وبذلك زادت أهمية عدن الإستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، في البداية حينها، مرنة مع العثمانيين في اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتنص تلك السياسة أن تدفع بريطانيا مرتبات شهرية وسنوية؛ لسلاطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتوفير المتطلبات الضرورية لدولهم، مقابل الإشراف البريطاني الغير المباشر عليها، وإبقاء الطرق إلى مستعمرة عدن آمنة ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطنات والإمارات والمشيخات بيد أطراف خارجية.

أما وبعد أن أصبح الأتراك، المحتلين لليمن، على مقربة من حدود الإمارات والسلطنات والمشيخات المكونة للجنوب العربي، وبدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي إلى المناطق التي يحكمها الأتراك في اليمن، في كلٍّ من قعطبة والحجرية وماوية، فقد اتبع البريطانيون سياسة جديدة ونظاما جديدا - هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه. ويعني نظام الحماية هذا - أنّ سلاطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربي عليهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين نيابة عن أنفسهم وعن ورثتهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه في الثمانينات من القرن التاسع عشر كل سلطنات وإمارات ومشيخات ودويلات الجنوب العربي، من باب المندب غرباً إلى المهرة. ومنذ عام 1869 ظلت حضرموت سلطنتين مستقلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة

الكثيري، إلى جانب سلطنة المهرة، وسلطنة الواحدي، في شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في الـ 30 من نوفمبر 1967م.

أما في الجزء الغربي منه، فقد كانت للأتراك محاولات عديدة لفرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطنات، ومشيخات، دويلات الجنوب العربي في تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالزحف لاحتلال مناطق السلطنات والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربي والنفوذ البريطاني، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام العثمانيين، وتعرض المصالح والنفوذ البريطاني وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات في الجنوب العربي، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندها شعر الإنجليز بجدية خطر الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة العثمانية المركزية، في الباب العالي، في القسطنطينية، وتقديم إنذار شديد اللهجة، وبإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتنسحب من جميع المناطق التي احتلتها داخل الجنوب العربي. لكن في 24 أكتوبر 1873م قام المقيم السياسي البريطاني في مستعمرة عدن بقيادة الهجوم البريطاني، وقاموا فوراً بالانسحاب من كل مناطق الجنوب العربي التي احتلوها في إمارات الضالع وسلطنة الحوا شب ومشيخة العلوي، ثم بعد ذلك تم في أواخر عام 1873، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على ترسيم الحدود بين الجنوب العربي واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التي يسيطر عليها الأتراك والبريطانيين في كلٍّ من اليمن والجنوب العربي في عام1873 هي الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربي واليمن، واعترف البريطانيون بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وأنّ على الأتراك المسيطرين على اليمن ومنذ عام 1873 عدم التدخل في شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة بذاتها، وتقع تحت النفوذ البريطاني.

وفي عام 1905م اقترحت تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربي الواقع تحت النفوذ البريطاني، واليمن الواقع تحت النفوذ التركي، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأتراك بسحب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التي احتلوها، وتم انسحابهم منها في نفس العام. وفي 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربي واليمن، وإعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.

خلال الحرب العالمية الأولى 1918 – 1914م : احتدم الصراع بين الأتراك والإنجليز، لانحياز كل منهما إلى الطرف النقيض والمعادي في الحرب، وكانا في خط التماس المباشر لتواجد الإنجليز في الجنوب العربي، وتواجد الأتراك في اليمن. في منتصف عام 1916 استخدمت لأول مرة الطائرات البريطانية في قصف مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة لحج المحتلة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنجليز نوعاً من الهدوء.

انسحب الأتراك من اليمن عام 1918م، وكانت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية الذي دام حكمها خمسمئة عام، وأخذ اليمن الشمالي حاليا استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحي بن حميد الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حاليا وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعين نفسه ملكاً لها. ودخل اليمن، بعد عام 1918م، مرحلة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مرحلة الأئمة الزيديه، الممتدة خلال الفترة ما بين ١٩٦٢- ١٩١٨م.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهزم الأتراك في الحرب، وانسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أنّ الإنجليز خرجوا من الحرب منتصرين، وأعادوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنات و مشيخات دويلات الجنوب العربي، لا بل وخرجوا من الحرب وهم يسيطرون على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة اللحية، والحديدة الميناء الرئيسي لليمن، والذي سوف يكون السبب في توتر العلاقات بين دولة اليمن الجديدة ممثلة بإمامها، والإنجليز الموجودين في الحديدة باليمن، والحاكمين للجنوب العربي.

أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني :

بانتهاء الحرب العالمية الأولى انسحب الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحي كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودويلات الجنوب العربي، بحيث سرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين، نتيجة لسيطرة الإنجليز على مدينة اللحية ومدينة الحديدة الميناء الرئيسي لليمن، التي سيطرت عليهما بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحي، ومطالبته بتسليمها إليه، إلا أنّه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإدريسي، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة اللحية من مناطق الإدريسي فقد سلمت بريطانيا مدينة اللحية إلى الإدريسي، وأبقت مدينة وميناء الحديدة تحت سيطرتها. طيلة

سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها "قاعدة إمبراطورية"، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، والتزود بالوقود .

في عام 1929 عقد أمراء وسلاطين، ومشايخ دويلات الجنوب العربي، مؤتمراً عاماً لهم، برئاسة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغ تحالفية تمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفكروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوفقوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإنشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير1934م التوقيع، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحي إمام اليمن باتفاقية ترسيم الحدود الدولية، الموقعة في 1905م و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجنوب العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهند، عام 1937وقسمت إلى قسمين من المحميات . المحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتمَّ استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تقضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ، مستشار بريطاني ينصحه في كل المسائل التي تخص إدارة سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتنفيذها.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1945-1939م، كانت الحالة والموقف العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1944-1943م كادت أن تتأزم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة ميّون، بالقرب من حدود البلدين، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إنذار شديد اللهجة. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل اليمن، لانتصار الحلف البريطاني وهزيمة الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأمامي باليمن، خلال الأعوام 1962-1959 منهاراً تماماً ولم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشعبية وأخذت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم تتوسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتوزع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة تعم المدن وكانت القبائل تنضم إلى الانتفاضة ضد نظام الإمام. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن؛ بين الجمهوريين في الحكم والملكيين خارج الحكم.

في بداية الستينات من القرن العشرين أصبح لمدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وكذلك، إلى نيَّة بريطانيا في أن تبقى قواتها العسكرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:

الأول : يتعلق بالاستراتيجية الدولية : فقد أصبح لمدينة عدن أهمية استراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمعسكر الغربي بأسره.

الثاني : يتعلق باستراتيجية البترول: فميناء فعدن أصبح هو الذي يحمي آبار البترول في الخليج.

الثالث : بالإستراتيجية المحلية : لأنَّ القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحليين في المنطقة.

أثار الاستعمار البريطاني الدينية:

في الوقت الحالي تنص المادة الثانية من دستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، و تكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطنين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويحدد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعليه فإن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات يخضع لتفسيرات الشريعة، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن "يكون مؤديا للفرائض الدينية"، بينما شرط الإسلام واضح في شروط مرشح رئاسة الجمهورية. وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99% ، اي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشيعة الزيدية. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي ٦٠-٧٠% ، مقابل زيدية ٣٠-٤٠% وتوجد أقلية إسماعيلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليحية والملكة أروى بنت أحمد.

الأقليات : هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وهم الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلد الأصليين. ولليهود في اليمن شهرة بأنهم من أمهر الصاغة وصناع الخناجر التي تعد أبرز معالم الهوية اليمنية. وكانت الأعراف والتقاليد تمنع اليهودي، والمسلم غير القبلي من ارتداء الجنابي.

ووجدت أقلية هندوسية صغيرة جدا في عدن. ويوجد أربعة كنائس في عدن تمثل الوجود المسيحي والذين أغلبهم من الأجانب. وتعتبر الجزيرة العربية القلب النابض لمليار ومائتي مسلم، يمتدون عبر الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم.

هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً، وبين ساكنيه من جهة أخرى، أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وحديثاً قالوا « : لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة.! ، من أجل هذا كله ركز منصروا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يحيط بها، وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية – الاقتصادية – الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

١ - اندثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.

٢ - الجهل والأمية؛ حيث بلغت نسبة المتعلمين بالقراءة والكتابة من البالغين38% ، وهى من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي50% من السكان.

٣- التردي فى الجانب الاقتصادى ، وضغوط البنك الدولي حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من 19%من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.

٤ - النظام الديمقراطى المفتوح، والدعم المعنوي التي تتلقاه المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.

٥ - عدم وجود أهداف ثابتة وإستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي

٦ - الأوضاع الصحية التى تعد من أشد الأوضاع تدنياً فى العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعى الصحى، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد حيث وصلت إلى 15، 9% لعام1996 م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الفيروس الكبدي يزيد على 3 ، 5 مليون مواطن.

٧- ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراء، لدى فئات كثيرة في المجتمع.

٨- حسن معاملة النصارى للبسطاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.

٩- إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين : معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، وإنشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً فى مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام1972 م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام1969 م إلى أوائل عام1981 م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى : فريق البحر الأحمر الدولى (الذي أسسه المنصر) ليونل قرنى فى عام1951 م ، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ فى أعمال التنصير فى الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو : الخيَّامون (وهم النصارى القادمون للعمل فى البلاد الإسلامية فى مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتمريض. .إلخ). وشعار هذه المنظمة : (الإسلام يجب ان يسمعنا، وهدفها نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرِّف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولى RSTI منظمة عون دولية غير حكومية، ذات خلفية نصرانية، مركزها الرئيس فى إنجلترا. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية فى كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتنزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة، على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي.

واستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلقم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

أشكال التنصير وأماكنه وصوره داخل بنية المجتمع اليمني:

أولاً : الكنائس ودور العبادة:

١- الكنيسة الكاثوليكية بالتواهي : تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة فى مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية

الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكي في مدينة لارنكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام1995 م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها، وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها، والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات، الذين يعملون في العيادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

٢- الكنيسة المعمدانية بكريتر – مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريتر بعدن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قبل الكنيسة الأنجليكانية المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

٣- دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قدّاس يوم الأحد في المعهد الكندي – في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

٤- دور العبادة النصرانية بإب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتنصُّر، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد بالكنيسة المعمدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إنساني – على حد زعمهم – وتنصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، وخلال سنوات عملها الطويل ، إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 يمني.

ثانياً : النشاط الصحي:

– المركز السويدي بمدينة تعز في شارع الدائري : له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يتستر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.

– جمعية من طفل إلى طفل : مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئةً لدخولهم في النصرانية، من دون أن يشعروا بذلك.

– منظمة أدرا في منطقة حيس تهامة : « وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل: سنغافورة والفلبين وبانكوك؛ باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مديريتي العدين والقفر؛ حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!

– المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بدور رهيب في الاختلاط بالبسطاء، وتقديم العون والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة، وخاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.

– جمعية رسالات المحبة » بعثة الإحسان : « يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصّرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأربعمائة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات.

– داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز، وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.

– جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة، ولها نشاط تنصيري.

– معسكر اللاجئين الصوماليين بالجحين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث نسيهم إخوانهم المسلمون.

– منظمة ماري ستويس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً : المنظمات المانحة:

منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.

منظمة اليونسكو: وتدعم مشاريع البنية التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والنصارى.

منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً : النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة -كمثال- في عددها رقم12542 ، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر3/1999 م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجوالهم داخل اليمن ومنها:

١- توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الحديدة، حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS ، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية، في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث في منطقة الحسينية، حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والتراتيم النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

خامساً : النشاط التعليمي الثقافي:

وأتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد وينس حين قال : " التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الآلام ".

المعهد الكندي بصنعاء:

يتستر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة منهجيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تزيد إعارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم. ومن مناهجهم :

التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافيه مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

– أما المعهد البريطاني – المعهد الأمريكي – المعهد الفرنسي. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشترك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدّمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، في عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبعدها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يقعون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

أما دور المؤسسات تجاه عمليات التنصير، فهو نشاط خجول يحتاج إلى إذكاء كالجمر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، في مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما موقف الحكومة اليمنية: فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن، للعام 1998م ، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي، بدائرة الشرق الأوسط في 30 مايو 1998 م. " لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور في اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة؛ كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن ".

وسائل التنصير:

-الأولى : الخدمات الإنسانية : هم يقولون التبشير، السلام، الديموقراطية، الإنسانية. فالخدمات الإنسانية مثل :الإغاثة، والطب، والمساعدات من أهم ما يتوسلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمم المتحدة بمنظماتها، والبنك الدولى، مثلاً منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعملائه المغروسين في أنحاء العالم.

الوسيلة الثانية : التخريب الأخلاقى، فالكنسية تدار فيها الخمور، وتقام فيها الحفلات الماجنة للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى النصرانية. وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين . وييسر لهم أسباب الفساد. يقولون : حاولنا أن نقف دونه، لكن عبثاً نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملاهى، ولو بجوار المساجد، فقد يبنون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فاكتشفوا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم مبادئ المسيحية ولكن بطريقة غير مباشرة.

الوسيلة الثالثة : توزيع الكتب والكتيبات والمجلات، والدوريات، والصحف التى تخدم التنصير -المخصصة لهذا الغرض بشتى اللغات، وبشتى الأساليب، وفى شتى الموضوعات، مع تعمّد دس التشويه والكذب؛ فى مثل هذه الدراسات والكتب والمقالات، هذا فضلاً عن التقاويم (الرزنامات) وفى كل يوم تجد التقويم مرصعا بآية من الإنجيل مكتوبة بخط جميل وملونة وزهور، وأشياء حقيقةً تلفت الانتباه وتشد الذهن، وكذلك تطبع كروت التهانى مثلاً بالأعياد: أعياد الميلاد، الكرسمس، عيد رأس السنة، عيد القيامة، إلى غير ذلك من أعيادهم، وبخطوط جميلة وألوان، وصور يزعمون أنها لمريم أو لعيسى، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصلبان فى كل مجال وفى كل ميدان، فى الملابس، فى السيارات، فى الأوانى، فى الذهب، فى كل شيء لو تأملت تكاد تجد صليباً موضوعاً على عمد، وأحياناً الملايين منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد لمن يريد، ويعملون عن طريق الإذاعات. وتبث هذه الإذاعات بأكثر من ثمانين لغة، ولها صناديق بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعيها .

سادساً: الرياضة : هناك خطة أن يتولى النصارى العرب الاتصال والتنصير فردياً هناك، وتوزيع النشرات والأفلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية فى العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها.
سابعا: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع :

فمن ذلك- مثلاً – منظمة فيليبينية تنصيرية اسمها" منظمة شادي"، وكلمة شادي عندهم بلغتهم معناها : الرب، هذه المنظمة تهتم بشكل خاص بالمرضى والمعوقين وأصحاب المشكلات النفسية والذين يواجهون صعوبات في حياتهم، والغريب في الأمر: أن هذه المنظمة لها نشرة اسمها " شادي" ومجلس الكنائس العالمي- وهو ربما أعلى سلطة مسؤولة عن التنصير - حشد الآلاف من المربيات - كما يقول رئيس إرسالية التنصير في الشرق الأوسط" : إن مجلس الكنائس العالمي أرسل الآلاف من المربيات والخادمات والممرضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين ."هم مصرون على أن يتحول المسلمون عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيات، والخادمات، والممرضات، والأطباء، والمهندسين. ويقول هذا المسؤول" :إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي تمهد لهم التوغل في جزيرة العرب!

ثامناً : المراسلات: وهي من أخطر ما يكون، وأنجح الوسائل لسهولتها وحصولها في الغالب وإمكانية تداولها، وهي تعقد الصدقات، وترسل الكتب، والأشرطة، والمجلات، مجاناً إلى من يريد.

آثار الاستعمار البريطاني السياسية والاجتماعية:

أولا : الآثار السياسية :

تتعدد المحددات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن بينها تبرز المحددات والأدوار التالية:

أولاً دور القبيلــة:

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق الساحلية وتهامة، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعة من القبائل الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضويا. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى منظمة ومتطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الإمطار التي وفرت مصادر حدت من الصراعات والتمسك بالعصبية القبلية. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق والسلطة علاقة جبائية عن طريق المشايخ، وما رافق ذلك من تعسف المشايخ بالرعية، والذي أدى بدورة إلى علاقة عدائية بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكك العلاقات القبلية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق

الوسط هم من كبار ملاك الأرض والذي تحولوا في ما بعد إلى طبقة برجوازية، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطبقة الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمتهم بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة السلطة المركزية. وتطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زادت من تفكك العامل القبلي، وعند ظهور التعددية الحزبية كانت تلك المناطق أكثر المناطق ميولا للتحزب، كنظام بديل عن التنظيمات القبلية. وتتسم هذه القبائل بالحفاظ على العصبية القبلية والتي لعبت دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإتباع المذهب الزيدي الذي يبيح الخروج على الوالي فقد ساعدت تلك العوامل على أن تظل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الرؤساء الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبا: حاشد وبكيل.

ويتضح أن المناطق المتعصبة قبليا تمكنت من الاستئثار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تمثل دولة داخل دولة ولهذا فان النظام السياسي القائم على الجهوية، ومركزية الحكم في مناطق قبلية محدودة، يعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتماسك القومي، ومن مظاهر إخلال القبيلة بالاستقرار السياسي في اليمن:

1. الثأر القبلي :فكثيراً ما تقوم الحروب، والثارات القبلية في اليمن حيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (407) حروب، وثارا قبليا، وغالبا ما تكون تلك الحروب والثارات نتيجة انتشار ثقافة العنف المسلح، والمشروط بتوافر الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقوع 1979 حاله قتل في إطار الثأر القبلي خلال عام2001 م في محافظات صنعاء، وعمران، وذمار والبيضاء .

2. التغيرات الاجتماعية والتآكل المطرد للمعايير العرفية، وضعف الحكومة وانتشار السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتدام التنافس بين الزعامات الدينية، غذت الصراعات القبلية.

3. الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الثارات القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.

4. الاختطافات القبلية :حيث تلجأ القبائل إلى عملية الاختطافات، كوسيلة متعارف عليها قبليا وكانت هذه الظاهرة محصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يمثل اختطاف أحد أفراد القبيلة وسيله ضغط على القبيلة الأخرى، في قضيه النزاع، وعند تطور دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختطاف في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختطاف الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات؛ كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت، لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالبا ما تقدم القبائل على الاختطاف لعدة أسباب منها : الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وقيام بعض النافذين بالاستيلاء على أرض تعود ملكياتها لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على ذمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع معروض أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تقطن المناطق النفطية، أن يكون لهم نصيب في النفط المستخرج من مناطقهم. وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التعددية الحزبية قد أعلنت عام1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انبثق عنة مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني

ثانياً :التقسيم الطبقي:

يعد التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقية تؤدي إلى حتمية الصراع الاجتماعي، وتأتي المنافسة بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء تركيبة المجتمع الاقتصادي والسياسي، والصراع الطبقي نتيجة حتمية لانعدام العدالة الاجتماعية. ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب :

الأولى : تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالبا على أساس وراثة المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية : تشمل فئة السادة والقضاة والفقهاء.

والثالثة : وتحتوي ثلاث فئات متقاربة ومتداخلة هي: الاعيان العقال، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

والرابعة : تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفا ومهنا وضيعة قبليا تحرم الأعراف القبلية على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزارون، الحلاقون، الدواشين.
والخامسة : وتضم فئة الخدام واليهود.

والتقسيم الطبقي في اليمن يقوم على أساس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها وداخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

إلا أن التقسيم الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه اتخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأغلبية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والحرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقية؛ إلا إن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التقسيم الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحلت فئة مشايخ القبائل محل السادة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتقسيم الطبقي في اليمن يطرأ علية بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويلعب التقسيم الطبقي دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي. فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلالية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية لعبت دور في خفض وطأة التقسيم الاجتماعي، عن طريق منح العضوية، والمناصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالبا استرضاء مشايخ القبائل، واستمالتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تندرج في الطبقات الدنيا في سلم التقسيم الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقية، والتقسيم الاجتماعي تنخر في جسد المجتمع اليمني، فوفقا للتقسيم الطبقي القائم على أساس قبلي، مثلا يحرم التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لفرد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أعلى منها وان أقدم على ذلك فانه يتعرض للقتل أو النفي. وقد كشفت عن وجود حالات رق، وعبودية في محافظات يمنية ويقف وراء استمرار حالة الرق والعبودية: محاباة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتأييد في الانتخابات العامة. وتقدر بعض المصادر عدد المهمشين من طبقة الاخدام في اليمن بما يقارب 800 ألف نسمة وأسست هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع فإنها تمثل قنبلة موقوتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليمن أمام الدول، والمنظمات الأخرى .إن التغييرات التي طرأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية

والخصخصة، كان لها تأثير في التركيب الطبقي في الجمهورية اليمنية، حيث اتجهت بعض الطبقات مثل طبقة المشايخ، والقادة العسكريين إلى مزاولة النشاط التجاري، والذي كان محصورا في طبقة التجار، ونتيجة سيطرة هذه الطبقة على الثروة، إلى جانب السلطة السياسية، حدث فرز جديد في المجتمع اليمني على أساس طبقي اقتصادي، ونتيجة لاقتحام تلك الطبقة للمجالات التي كانت مقصورة على الطبقة الوسطى؛ تلاشت الطبقة الوسطى التي كانت تعزل بين الطبقتين الدنيا والعليا، فاتسعت شريحة الطبقة الدنيا مدعومة بتلاشي الطبقة الوسطى حيث أصبح 50% من عدد السكان تحت خط الفقر.

الخاتمــة:

وهكذا رأينا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة وباب المندب، اذن بجانب التنافس السياسي الذي شهدته هذه المنطقة، شهدت ايضا تنافسا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلية من جهة أخرى. ورأينا كيف كانت الغلبة البريطانية اولا ثم اعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق، لكن لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التي استهدفت تدمير المدن وإراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وهيئات الإغاثة، والجمعيات الخيرية - جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصّرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود يذكر بأي وسيلة.

المراجـــع

- بشرى الغيلي، حجة محافظه الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، موقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- التغيرات القبلية وتحرير الاقتصاد أضعفا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ26/3/2011م).
- جابر بن يحيى البواب، اليمن وظاهرة الإرهاب الدولي2007-1990م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خده، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م
- جاد طه، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة،1969 م .
- جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العبيكان،1421 هـ.
- حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط 11996
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقبلا ، بيروت، .ط1987 1م.
- خديجة الهيصمي، سياسة اليمن في البحر الأحمر ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط2002 1م
- دستور الجمهورية اليمنية/المواد 64/107 ، نت
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية،.15 Feb 2004 /
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة. مكتبة مدبولي ط2008 1.
- عبد العزيز قائد المسعودي – اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006 1م.
- عبداللطيف الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1،الرياض ،1415هـ.
- عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط2،1366هـ.
- عبدالواسع اليماني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط2،1402هـ.

- علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار للوحدة، ط1، لندن، 1992م.
- فاروق أباظة، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2، 1979م.
- مجلة الأسرة، العدد (83.)، العدد (155) رجب1421 ، أكتوبر ٢٠٠٠.
- محاضرة تسجيلية للشيخ سلمان بن فهد العودة .مما شاهد وسمع وقرأ.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2،الرياض، 1402.
- محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ عام1937م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت،1970م.
- محمد محسن الظاهري، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية الجمهورية اليمنية نموذجا القاهرة ، مكتبة مدبولي ط2004 1م
- محمد محسن الظاهري، الدور السياسي للقبلية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط1996 1م.
- المركز الوطني للمعلومات .نبذة تعريفية عن محافظة الضالع2011.
- المركز الوطني للمعلومات .نبذة تعريفية عن محافظة عدن2011 .
- مسح آثاري لمدينة عدن الكبرى، مديرية صيرة -كريتر -الموسم الأول2004 م -اعداد الهيئة العامة للآثار عدن. منشور في :صحيفة/26 سبتمبر/ رقم العدد 1230 : السبت 09 مارس - آذار 2013 ناصر محمد الطويل - الحركات الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التنافس، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله ووزير خارجية واشنطن وتقسيم الحكومة الطائفي يلفت انتباه دبلوماسي أمريكي
- http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article-section=12&news_id=9943
- مدرسة الصراع الطبقي http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/06.html
- مجلة البيان، قضية عربية : الاختطاف في اليمن. .المشكلة الآثار الحلول http://www.albayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731

- عمر العمقي، النظام يتغاضى عن مشكلة العبودية خوفا من خسارة حلفاءه، المصدر اون لاين 6/2/2010http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303
- عبده عايش، حروب الثارات في اليمن تودي بحياة المئات وتقلق الأمن والسلم، مقال مستل من مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 ابريل2011 م
- http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867
- http://ar.wikipedia.org/wiki
- http://forums.ibb7.com/ibb28072.html-
- http://h-almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049
- http://sh.rewayat2.com/public/Web/6417/003.htm
- http://wikimapia.or
- http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024
- http://www.oxfam.org/en/
- http://www.sudanile.com
- Muslim Population by Country". The Future of the Global Muslim Population. Pew Research Center. Library of Congress – Federal Research Division
- U.S state Department
- http://www.al-tagheer.com/news28099.html
- 2001http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-Arabic.pdf

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com